

السلوك لمعرفة دول الملوك

تأليف

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
العبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر عطا

الجزء الثالث

سنة ٧١٨هـ - ٧٤٥هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثمان عشرة وسبعمائة

في المحرم: قدم الركب من الحجاز على العادة، وصحبته المجردون، فشكى الصارم أزبك الجرمكى من بهادر الإبراهيمى، وأنه منعه من أخذ الشريف حميضة، وأنه تعاطى الخمور، فقبض عليه وعلى رمضان المقدم وأقجبا وجماعة، وسجنوا بالإسكندرية، وأنعم على الأمير مغلطاى الجمالى بخبز الإبراهيمى.

وفيه قدم البريد من حلب بغلاء الأسعار بديار بكر والموصل وبغداد وتوريز، وكثرة الوباء والموت بها. وأن جزيرة ابن عمر خلت من الساكن؛ وميافارقين لم يوجد من يخطب بها فى جامعها.

وفى أول صفر: توجه القاضى كريم الدين الكبير إلى دمشق، فدخلها فى سابعه؛ وتلقاه الأمير تنكز النائب وأنزله بدار السعادة، وقدم إليه هدية سنية فلم يقبل منها غير فرس واحد ورد البقية، وأمر بإنشاء جامع خارج ميدان الحصا، وعاد إلى القاهرة بعد أربعة أيام.

وفى سابعه: استقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الدواوين.

وفى سادس عشره: وصل الأمير جمال الدين بكتمر الحسامى نائب صفد، وأنعم عليه بتقدمة ألف فى سادس عشره.

وفى سابع عشره: سافر الصاحب أمين الدين بن الغنام على البريد إلى طرابلس ناظرًا. وسبب ذلك أنه لما طالت عطلته اجتمع بالأمير سيف الدين البوبكرى وحط على كريم الكبير. وأنه قد استولى على الأموال وأنفقها على مماليك السلطان ليصانع بها عن نفسه. فعرف البوبكرى السلطان عنه ما قال، فأعلم به كريم الدين فقال: «هو يا خوند معذور، فإنه قد بطل، ولابد له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان». وعينه لنظر طرابلس. فبعث السلطان إليه فى الحال بخلعة وبريدى، وخرج لوقته.

وفى حادى عشريه: عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من شد الدواوين، ونزل إلى داره.

وفيه عوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وركب إلى القلعة، وترك معلوم القضاة تنزهًا عنه، فخلع عليه وباشر بغير معلوم.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشريه: خلع على الأمير سيف الدين طغاى الحسامى الكبير، وسفر على خيل البريد لنيابة صفد عوضا عن بكتمر الحاجب. وسبب ذلك كثرة دالته على السلطان، وتحكمه فى الأمراء والمماليك، وقوة حرمته، وتعرضه على السلطان فيما يفعله من ملاذه. وخرج معه مغلطاى الجمالى، فوصل صفد فى تاسع عشر ربيع الأول؛ وقدم الأمير بكتمر الحاجب إلى القاهرة.

وفيه قدم البريد بأنه فى يوم الأربعاء ثانى صفر هبت ريح شديدة بأرض طرابلس، ومرت على أبيات مقدم التركمان بالجون فكسرتها، وصارت عمودًا أغبر هيئة تنين متصل بالسحاب، ومر ذلك العمود على أبيات علاء الدين طوالى بن اليكى مقدم التركمان، وتلوى يمينا وشمالا، فلم يترك هناك شيئًا حتى أهلكه، وطوالى يصيح: «يا رب قد أخذت الرزق، وتركت العيال بغير رزق، فإيش أطعمهم؟»، فعاد ذلك التنين إليه بعد ما كان خرج عنه، وأهلكه وامرأته وأولاده وثلاثة عشر نفسًا. وحملت الريح جملين حتى ارتفعا فى السماء قدر عشرة أرماح، وأتلفت القدور الحديد. ومرت على عربان هناك فاحتملت لهم أربعة جمال حتى غابت عنهم فى اليوم، ثم نزلت مقطعة. وعقب هذا الريح مطر وبرد زنة البردة الواحدة منه ثلاث أواق دمشقية.

وفيه أجلس السلطان جماعة من مقدمى الحلقة الشيوخ فى أوقات المشورة مع الأمراء، وسمع كلامهم.

وفيه سأل النصارى فى رم جدران كنيسة بربارة بحارة الروم، فأذن لهم السلطان فى رمها. فاجتمع لعمارتها جماعة كثيرة من النصارى، وأحضر الأقباط لهم الآلات، وأقاموا على عملها عدة من المسلمين شادين ومستحثين، فجاءت كأحسن المبانى. فشق ذلك على جيران الكنيسة من المسلمين، وشكوا أمرها إلى الأمير أرغون النائب والفخر ناظر الجيش، وأن ذلك وقع بجاه كريم الدين الكبير وكريم الدين الصغير، ورفعوا عدة قصص إلى السلطان بدار العدل. فساعد النائب والفخر عند قراءة القصص فى الإنكار على بناء الكنيسة، إلى أن رسم لمتولى القاهرة علم الدين سنجر الخازن بخراب ما جدد فيها من البناء؛ فنزل إليها علم الدين، واجتمع إليه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله، وهدم ما جدد فيها، ومضى لسبيله. فقامت طائفة من المسلمين وبنوا الجانب الذى هدم محرابا، وأذّنوا فيه أوقات الصلوات، وصلوا وقرأوا هناك القرآن، ولزموا الإقامة فيه. فحنق النصارى من ذلك، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين؛ فرفع كريم الدين ذلك للسلطان، وأغراه بمن فعل ذلك، وأنه يريد نهب النصارى وأخذ أموالهم، وشنع القول. فرسم السلطان للخازن بهدم

المحراب وإعادة البناء، وقبض أهل حارة الروم وعملهم فى الحديد؛ فلما توجه الخازن لذلك اجتمع الناس وصاحوا به، فساس الأمير وتركهم، وأهمل ذلك الموضع حتى صار كوم تراب.

وفيه تجهز السلطان لركوب الميدان، وفرق الخيول على جميع الأمراء واستجد بركوب الأوشاقية بكوافى زركش على صفة الطاسات، وهم الذين عرفوا باسم الجفتاوات. واستجد النداء فى البحر على أرباب المراكب ألا يركبوا أحدًا من مماليك السلطان فى مركب يوم الميدان، وشدد الإنكار على الطواشى المقدم فى غفلته عن المماليك.

وفيه شدد على الأمراء المسجونين ببرج السباع من قلعة الجبل، وهم: طوغان نائب البيرة، وعلم الدين سنجر البروانى، وبيبرس المجنون، وفخر الدين أياز نائب قلعة الروم، والحاج بيليك، وسيف الدين طاجا، والشيخ على مملوك سلار، ومنع حريمهم من الإقامة عندهم.

وفيه خرج الأمير مغلطاى الجمالى على البريد إلى صفد بتقليد الأمير طغاى نيابة حلب، وكتب إلى الأمير سيف الدين أقطاى نائب حمص بنيابة صفد عوضًا عن طغاى، واستقرار الأمير بدر الدين بكتوت القرمانى فى نيابة حمص. وأسر السلطان إلى الأمير مغلطاى القبض على طغاى. فتوجه مغلطاى إلى صفد للقبض على طغاى. فتوجه مغلطاى إلى صفد[1] بعد اجتماعه بالأمير تنكز نائب الشام، وهو على طغاى، وأحضره إلى قبة النصر خارج القاهرة، فخرج إليه الأمير قجليس، وصعد إلى القلعة وهو مقيد فى خامس عشر جمادى الأولى، وأخرج به فى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى إلى الإسكندرية، فكان آخر العهد به. وأخرج بهادر أيضا إلى سجن الإسكندرية، ووقعت الحوطة فى يوم الخميس عشريه على موجوده وفرقت مماليكه على الأمراء.

وفيه توجه الأمير قجليس إلى الشام.

وفيه ابتدئ فى صفر بهدم المطبخ وهدم الحوائج خاناه والطشت خاناه والفرش وجامع القلعة؛ وبنى الجميع جامعًا، فجاء على ما هو عليه الآن من أحسن المبانى. تم بناؤه ورخامه جلس فيه السلطان، واستدعى سائر مؤذنى القاهرة ومصر وقراءها وخطباءهما وعرضوا عليه، فاختار عشرين مؤذنًا رتبهم فيه، وقرر به درسًا وقارئ مصحح وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة.

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

وفيه تجدد بدمشق ثلاثة جوامع بظاهرها: وهى جامع الأمير تنكز، والأمير كريم الدين، وجامع شمس الدين غبريال بن سعد.

وفيه غرقت مركب فى بحر الملح وهى متوجهة إلى اليمن، وكان فيها لكريم الدين متجر بمبلغ مائة ألف دينار سوى ما لغيره، فلم يسلم منها سوى سبعة أنفس، وغرق الجميع.

وفيه وقعت الفتنة بين المغل، فقتل فيها نحو الثلاثين أميرًا سوى الأجناد والأتابك وقتل من الخواتين سبع نسوة مع عالم عظيم؛ وانتصر أبو سعيد. فسر السلطان بذلك لما فيه من وقوع الوهن فى المغل.

وفيها قبض على الأمير بدر الدين ميزامير ابن الأمير نور الدين صاحب ملطية[١]؛ من أنه كتب إلى جوبان القائم بدولة أبى سعيد بن خربندا بالأردو أن يطلبه من السلطان. وقبض أيضا على مندوه الكردى بغزة[٢].

وفيه حبس شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية[٣]، بسبب مسألة الطلاق؛ وكان ذلك بسعى قاضى القضاة شمس الدين بن الحريرى الحنفى عليه، وإغرائه السلطان به.

وفيه أنعم على الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى[٤] بإقطاع مغلطاى ابن أمير مجلس، بإمرة ثمانين فارسًا؛ وخلع عليه وجلس رأس الميسرة؛ ونقل مغلطاى إلى الشام.

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ٥ / ١٩٢، ١٩٣.

(٢) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى تقى الدين بن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقضى فيها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧٢١ هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق. انظر فوات الوفيات ١ / ٣٥ - ٤٥ والدرر الكامنة ١ / ١٤٤ والبداية والنهاية ١٤ / ١٣٥ وابن الوردى ٢ / ٢٨٤ وأداب اللغة ٣ / ٢٤٣ والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٧١ والأعلام ١ / ١٤٤.

(٤) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. كان من مماليك المنصور قلاوون واستنابه بالكرك، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، فنائبا للسلطنة فى الديار المصرية. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة» و«التحفة الملوكية فى الدولة التركية». انظر النجوم الزاهرة ٩ / ٢٦٣ والدرر الكامنة ٤ / ٣٦٩ ودائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٣٦٩ والأعلام ٢ / ٨٠.

وفيه قدم صاحب خرتبرت[١]، فأنعم بإمرية.

وفيه استقر فى نيابة الكرك[٢] الأمير عز الدين أيبك الجمالى نائب قلعة دمشق، واستقر عوضه فى نيابة قلعة دمشق الأمير عز الدين أيبك الدميترى.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بن عيسى بن التركمانى[٣] بطائفة من العسكر مجردين إلى الحجاز، فى طلب الشريفين حميضة[٤] ورميثة[٥].

وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين أقبغا الحسنى، وأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفى شعبان: قدم حمل سيس[٦] على العادة.

وفيه ولى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى ابن بدران الأخنائى[٧]، بعد موت زين الدين على بن مخلوف فى ثانى عشر جمادى الآخرة.

وفيه حج بالركب المصرى الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى، وقبض على الشريف رميثة، وفر حميضة، وقدم رميثة مقيدًا إلى قلعة الجبل، فسجن بها.

وفيه قدمت رسل ابن قرمان بدراهم ضربت باسم السلطان، وأنه خطب هناك

---

(١) هو حصن فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٥٥.

(٢) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤ / ٤٥٣.

(٣) محمد بن عيسى، بدر الدين، بن التركمانى: بانى «جامع المقياس» بمصر. كان وزيرا بها. وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميرا إلى الشام. ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦ هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر البداية والنهاية ١٤ / ١٨١ والدرر الكامنة ٤ / ١٣٢ والأعلام ٦ / ٣٢٣.

(٤) حميضة بن أبى محمد بن الحسن بن على بن الحسن العلوى الهاشمى: شريف، من أمراء مكة. وليها سنة ٧٠١ هـ مشتركا هو وأخوه رميثة، ثم قامت بينهما الفتن وإستمرت طويلا إلى أن قتل حميضة، وقضى عليه فى وادى النخلة. انظر الدرر الكامنة ٢ / ٧٨ وابن الوردى ٢ / ٢٦٩ والبدر الطالع ١ / ٢٣٨ والأعلام ٢ / ٢٨٥.

(٥) رميثة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على بن الحسن، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين: شريف أمراء مكة. وليها مشتركا مع أخيه حميضة ثم اختلفا فاقتتلا ونشبت بينهما وقائع إلى أن انفرد بالأمر سنة ٧٣٨ - ٧٤٥ هـ ونزل عن الإمارة لأولاده. وتوفى بمكة. انظر شذرات الذهب ٦ / ١٤٩ والدرر الكامنة ٢ / ١١١ والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٤٤ والأعلام ٣ / ٣٣.

(٦) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣ / ٢٩٧.

(٧) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران. شيخ المالكية بمصر. له تأليف. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٦/٥٦.

للسلطان، وهى أطراف بلاد الروم؛ فكتب له تقليد، وسيرت إليه هدية جليلة.

وفيه خلع أبو عبد الله محمد - المعروف بأبى ضربة - ابن الأمير أبى زكريا اللحيانى ابن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص[١]، فى آخر شهر ربيع الآخر. وكانت مدته سنة واحدة، وقام بعده بتونس الأمير أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص[٢].

وفى هذه السنة: انقرضت دولة بنى قطلمش[٣] ملوك قونية. وذلك أن عز الدين كيكاوس بن كيخسرو لما مات سبع وسبعين وستمائة ترك ابنه مسعودًا، فولاه أبغا بن هولاكو سيواس وغيرها. واستبد معين الدين سليمان برواناه على ركن الدين قلج أرسلان ابن كيخسرو بقيصرية ثم قتله، ونصب ابنه غياث الدين كيخسرو، فعزله أرغون بن أبغا، وولى ابن عمه مسعود بن كيكاوس، فأقام مسعود حتى انحل أمره وافتقر، وبقى الملك بالروم للتتر إلا ملك بنى أرتنا، فإنه بقى بسيواس.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

كمال الدين أحمد بن جمال الدين أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الكبرى الوائلى الشريشى[٤] الفقيه الشافعى. قدم مصر وسمع بها وبالإسكندرية، وبرع فى الأصول والنحو، وناب بدمشق فى الحكم عن البدر محمد بن جماعة[٥]، وولى

(١) محمد بن زكرياء بن أحمد بن محمد اللحيانى الحفصى، الملقب بأبى ضربة. من ملوك الدولة الحفصية فى تونس. كان فى عهد استقرار أبيه بتونس معتقلا فيها. ولما خرج أبوه نفض يده من الخلافة ولكن رجال الدولة بايعوه سنة ٧١٧هـ ونشبت حروب طاحنة بينه وبين المتوكل الحفصى خرج أبو ضربة فى خلالها من تونس، بعد تسعة أشهر ونصف من بيعة أهلها له. ثم استقر فى تلمسان منهزما ومات فيها. انظر الخلاصة النقيه ٧٠ والأعلام ٦ / ١٣١.

(٢) أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم الحفصى، المتوكل على الله: من ملوك الحفصيين فى تونس. نشبت بينه وبين محمد بن زكرياء حروب انتهت بفوزه. ثم ثار عليه آخرون ولم تصف له الخلافة إلا عام ٧٣٠ هـ. توفى بتونس. انظر الخلاصة النقية ٧٠ والأعلام ٢ / ٧١.

(٣) المقصود هنا دولة السلاجقة بأسيا الصغرى (دولة السلاجقة الروم) ومؤسسها سليمان بن قطلمش بن أرسلان - أو إسرائيل - بن سلجوق، سنة ٤٧٠هـ ١٠٧٧هـ.

(٤) نسبة إلى بلدة شريشى، وهى مدينة كبيرة من كورة شذونة، وهى قاعدة هذه الكورة، واليوم يسمونها شرشى. انظر معجم البلدان ٣/٣٤٠.

(٥) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاضى، من العلماء بالحديث وعلوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس، فقضاء=

وكالة بيت المال مرتين، ومشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، وعلق تعاليق[١]، وقال الشعر. ومولده فى رمضان سنة ثلاث وخمسين وستمائة بسنجار، وتوفى بمنزلة الحسا[٢] من طريق الحجاز عن ست وستين سنة، فى سلخ شوال.

ومات جمال الدين أبو بكر بن إبراهيم بن حيدرة بن على بن عقيل الفقيه الشافعى المعروف بابن القماح، فى سابع عشر ذى الحجة، وهو عم القاضى شمس الدين محمد بن أحمد بن القماح[٣].

ومات شرف الدين أبو الفتح أحمد بن سليمان بن أحمد بن أبى بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله السيرجى الأنصارى الدمشقى، فى سابع عشرى ربيع الأول. وهو من بيت جليل، وولى عدة مناصب، وكان دينا صاحب مروءة وسعة، ومات يوم الإثنين سابع عشرى ربيع الأول.

ومات فخر الدين أحمد بن تاج الدين بن أبى الخير سلامة بن أبى العباس أحمد بن سلامة السكندرى المالكى، قاضى القضاة المالكية بدمشق، ولد سنة إحدى وأربعين وستمائة، ومات مستهل ذى الحجة، وكان مشكور السيرة، بصيرا بالعلم ماهرًا فى الأصول حشما.

ومات أحمد بن المغربى الإشبيلى، كان يهوديا يقال له سليمان، فأسلم فى أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون[٤]، سنة تسعين وستمائة، وتسمى أحمد، ومات فى ليلة العشرين من صفر. وكان بارعًا فى عدة علوم، إماما فى الفلسفة والنجامة، ولى رياسة الأطباء بديار مصر.

=الشام، ثم قضاء مصر، وتوفى بمصر. انظر فوات الوفيات ٢ / ١٧٤ ونكت الهميان ٢٣٥ والبداية والنهاية ١٤ / ١٦٣ والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٩٨ والدرر الكامنة ٣ / ٢٨٠ ودار الكتب ٥ / ٥٣٥ والأعلام ٥/٢٩٧.

(١) جمع تعليق، والمقصود بها هنا ما يوضع من الحواشى والتفسيرات على المسائل الغامضة فى مختلف العلوم.

(٢) واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. انظر معجم البلدان ٢ / ٢٥٨.

(٣) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة، أبو عبد الله، بن القماح القرشى الشافعى المصرى: مفسر، من فقهاء الشافعية ناب فى الحكم بجامع الصالح بالقاهرة. أقبل على تدريس الفقه قبل أن مات. انظر الدرر الكامنة ٣/٣٠٣ والأعلام ٥/٣٢٥.

(٤) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ. قتله بعض المماليك غيلة بمصر. انظر فوات الوفيات ١/١٥١ وابن الوردى ٢/٢٣٨ والنجوم الزاهرة ٨/٣ وابن إياس ١/١٢١ والأعلام ٢/٢٣١.

ومات مجد الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسى المقرئ المالكى النحوى. قدم فى صباه إلى القاهرة، وأخذ بها القراءات والنحو حتى برع فيهما، وسكن دمشق وأقرأ بها، واشتغل فى عدة علوم من أصول وفقه وغير ذلك، وكان دينا رصينا مفرط الذكاء، فيه تودد ويحب الانفراد، وتخرج به الفضلاء. ومات يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة بدمشق، عن اثنتين وستين سنة.

ومات مسند الوقت زين الدين أبو بكر أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسى الصالحى[١]،سمع سنة ثلاثين وستمائة على الفخر الإربلى، وسمع الصحيح كله على ابن الزبيدى، وسمع من الناصح ابن الحنبلى وسالم بن صصرى وجعفر الهمذانى وجماعة، وأضر قبل موته بثلاثة أعوام، وثقل سمعه، وكان له همة وجلادة وفهم، وحدث وعاش ثلاثًا وتسعين سنة. ومات ليلة الجمعة تاسع عشرى رمضان، ومولده فى سنة خمس - أو ست - وستمائة.

ومات زين الدين أبو الحسن على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويرى الجزولى المالكى، قاضى القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، فى ليلة الأربعاء ثانى عشر جمادى الآخرة، وأقام قاضيًا نحوًا من أربع وثلاثين سنة، ومولده سنة عشرين وستمائة. وكان مشكور السيرة، خبيرًا بتدبير أموره الدنيوية، كثير المداراة سيوسًا، محبًا لقضاء الحوائج، وولى بعده نائبه تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عتيق الأخنائى[٢].

ومات محمد بن قاضى الجماعة أبى القاسم - وقيل أبى عمر - أحمد ابن القاضى أبى الوليد محمد بن محمد بن الحاج - وقيل أحمد بن محمد بن عبد الله ابن القاضى أبى جعفر بن الحاج - أبو الوليد التجيبى الأندلسى القرطبى الإشبيلى[٣]، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة، ومات أبوه وجده فى سنة إحدى وأربعين وستمائة، وورث مالا

---

(١) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى، أبو العباس، زين الدين: نساخ، من شيوخ الحنابلة. عالم بالحديث. ولد بفندق الشيوخ من أرض نابلس، وانتقل إلى دمشق، وتوفى بها. له كتاب «مشيخة». انظر فوات الوفيات ١/٤٦ ونكت الهميان ٩٩ والأعلام ١/١٤٥.

(٢) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقى الدين الأخنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية فى مؤلفات أحدها بكتاب «الرد على الأخنائى» فى زيارة القبور. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٦/ ٥٦.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الوليد، بن الحاج التجيبى القرطبى ثم الإشبيلى: إمام محراب المالكية بدمشق ووالد إمامه. اشتغل بالفقه والأدب واللغة. انتقل إلى شرشى فغرناطة ورحل إلى المشرق، فسكن دمشق سنة ٦٨٤هـ. وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ٣/٣٥٠ والبداية والنهاية ١٤/٩١ والدارس ٢/٦ والشذرات ٦/٥١ والأعلام ٥/٣٢٤.

كثيرًا، فصادره ابن الأحمر[١]، وأخذ منه عشرين ألف دينار، ونشأ يتيما فى حجر أمه، ونقلته إلى شريش ثم إلى غرناطة، فلما شب قدم تونس، ثم رحل منها بابنيه إلى القاهرة، وسكن دمشق حتى مات بها فى رجب. وكان فاضلا دينًا، أم بمحراب الجامع، وامتنع من ولاية الحكم.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب، بمحبسه من القلعة، فى ربيع الآخر، وكان فى ولايته مشكورًا حشما صين اللسان.

ومات الأمير علاء الدين أقطوان الظاهرى، بدمشق فى عاشر رمضان، وقد تجاوز الثمانين سنة.

ومات الأمير سيف الدين طغاى، بمحبسه بالإسكندرية أول شعبان.

ومات الأمير شمس الدين الدكز الأشرفى، أحد المماليك المنصورية قلاوون، بمحبسه بالقلعة.

ومات الأمير سيف الدين منكوتمر الطباخى.

ومات أركتمر بالجب من القلعة.

وأشيع موت الأمير موسى ابن الملك الصالح على بن قلاوون بقوص[٢].

ومات الأمير عز الدين طقطاى نائب الكرك.

ومات ركن الدين بيبرس نائب عجلون.

وفيه قدم الخبر بموت الوزير رشيد الدولة أبو الفضل فضل الله بن أبى الخير بن عالى الهمذانى الطبيب، فى تاسع رمضان. وكان قد علت منزلته عند غازان، وقدم معه الشام، وتقدم فى أيام خربندا. فلما مات خربندا عزل عن وظائفه، فصانع عن نفسه بمال كبير، فلم يغنه شيئًا، واتهم أنه قتل خربندا بالسم، وشهد عليه الأطباخى، وقتل وحمل رأسه إلى تبريز[٣]، ثم قطعت أعضاؤه وحمل إلى كل بلد عضو.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الشمسى، بقلعة دمشق فى ذى الحجة.

---

(١) على هامش ط: المقصود بذلك ملك غرناطة من بنى نصر، واسمه أبو الوليد إسماعيل بن فرج.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

(٣) من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ٢/ ١٣.

وفيه قدم من العراق محمل إلى مكة وكسوة للكعبة، فلم يمكنوا من الكسوة، وكان القان أبو سعيد قد جهز الركب، وقدم عليهم رجلا شجاعا، فلم يمكن العربان أن يأخذ شيئًا من الحجاج. فلما كان العام القابل خرجت العيون على الركب ونهبوه، وأخذوا من الحاج شيئًا كثيرًا، فسأل أبو سعيد كم قدر ما أخذوا من الركب، فقيل له نحو الثلاثين ألف دينار، فرتب لهم ستين ألف دينار، فمات من سنته.

* * *

سنة تسع عشرة وسبعمائة

فى خامس المحرم: قدم مبشر الحاج بسلامة الحاج والقبض على الشريف رميثة بن أبى نمى، وأنه استقر عوضه فى إمرة مكة أخوه الشريف عطيفة[١]. وقدم الحاج مع مغلطاى الجمالى، وصحبته الشريف رميثة، فسجن من سابع عشره إلى أن دخل المحمل فى ثانى عشريه. فشق الجمالى على الناس بكثرة عجلته فى السير - وكانت العادة أولا بقدوم المحمل فى ثامن عشرى المحرم، ثم استقر دخوله فى الأيام الناصرية يوم الخامس أو الرابع والعشرين منه - ، فأنكر عليه السلطان ما فعله، وجهز محمد بن الردينى بمائتى جمل عليها الزاد والماء برسم حمل من انقطع من الحاج، فسافر من يومه.

وفيه قدم كتاب الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانى من مكة بأنه منع العبيد من حمل السلاح بمكة، وأنه أخرج المفسدين ونادى بالعدل، وأنه مقيم لأخذ الشريف حميضة.

وفيه جهز الأمير أيتمش المحمدى على عسكر إلى برقة[٢]، ومعه فايد وسليمان أمراء العربان لجباية زكاة الأغنام على العادة، فسار فى ثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة - ومعه من الأمراء بلبان الخاص تركى، وبلبان الحسنى، وسنقر المرزوقى، وصمغار بن سنقر الأشقر، ومنكلى الجمدار، وغرلوا الجوكندار، ونوغاى - ، آخر يوم من المحرم، ونزل بالإسكندرية.

ثم سار أيتمش يريد بلاد جعفر بن عمر من برقة، ومسافتها من الإسكندرية على الجادة نحو شهرين. فدله بعض العرب على طريق مسافتها ثلاثة عشر يومًا يفضى به إلى القوم من غير أن يعلموا به، وطلب فى نظير دلالته على هذه الطريق مائة دينار وإقطاعات من السلطان بعد عود العسكر إلى القاهرة ، فعجل له أيتمش المائة، والتزم له

---

(١) عطيفة بن أبى نمى محمد بن على الحسنى: من أمراء مكة. ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ. وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر. فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٢/٤٥٥ والدول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠، ٣١ والأعلام ٤ / ٢٣٧.

(٢) اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٨٨/ ٣٨٩.

بالإقطاع من السلطان، وكتب له بعشرة أرادب قمحًا لعياله، وأركبه ناقة، وكتم ذلك كله عن العسكر من الأمراء والأجناد والعربان، وسار بمسيره. فأنكر سليمان وفايد على أيتمش مسيره فى غير الجادة، وخوفوه العطش وهلاك العسكر، فلم يعبأ بكلامهما، فمضيا إلى الأمراء وشنعا القول وأكثرا من الإرجاف[1]، فاجتمعوا بأيتمش ليردوه إلى الجادة فلم يفعل ومضى، فلم يجدوا بدا من اتباعه حتى إذا مضت ثلاث عشرة ليلة أشرف على منازل جعفر بن عمر وعربانه، فدهشوا لرؤية العسكر. وأرسل إليهم أيتمش بسليمان وفايد يدعوهم إلى الطاعة، فأجابوا مع رسلهم: «إنا على الطاعة! ولكن ما سبب قدوم هذا العسكر على غفلة من غير أن يتقدم لنا به علم؟». فقال لهم أيتمش: «حتى يحضر الأمير جعفر ويسمع مرسوم السلطان»، وأعادهم. وتقدم أيتمش إلى جميع من معه ألا ينزل أحد عن فرسه طول ليلته، فباتوا على ظهور الخيل.

فلما كان الصباح حضر أخو جعفر ليسمع المرسوم، فنهره أيتمش وقال له ولمن معه: «ارجعوا إلى جعفر فإن كان طائعًا فليحضر، وإلا فليعرفنى!»، وبعث معه ثلاثة من مقدمى الحلقة، فامتنع جعفر من الحضور. فللحال لبس العسكر السلاح وترتب، وأفرد سليمان وفايد بمن معهما من العسكر ناحية، واستعد جعفر أيضًا وجمع قومه وحمل بهم على العسكر. فرموهم بالنشاب فلم يبالوا به، ودقوا العسكر برماحهم، وصرعوا الأمير شجاع الدين غرلوا الجوكندار بعدما جرحوه ثلاث جراحات، فتداركه أصحابه وأركبوه. وحملوا على العرب فكانت بين الفريقين تسع عشرة وقعة آخرها انهزم العرب إلى بيوتهم، فقاتلهم العسكر عند البيوت ساعة وهزموهم إليها، - وكانت تلك البيوت فى غاية قصب. فكف العسكر عن الدخول إليهم، ومنعهم أيتمش عن التعرض إلى البيوت وحماها، وأباح لهم ما عداها، فامتدت الأيدى، وأخذت من الجمال والأغنام ما لا ينحصر عدده. وبات العسكر محترسين، وقد أسروا نحو الستمائة رجل سوى من قتل. فلما أصبح الصبح منَّ أيتمش على الأسرى وأطلقهم، وتفقد العسكر فوجد فيه اثنى عشر جريحًا، ولم يقتل غير جندى واحد، فرحل عائدًا عن البيوت بأنعام تسد الفضاء، وأبيع معهم فيما بينهم الرأس الغنم بدرهم، والجمل ما بين عشرين إلى ثلاثين درهما، وسار أيتمش ستة أيام فى الطريق التى سلكها والعسكر بالسلاح، خشية من عود العرب إليهم.

وبعث أيتمش بالبشارة إلى السلطان، فبعث الأمير سيف الدين ألجاى الساقى لتلقى العسكر بالإسكندرية وإخراج الخمس مما معهم للسلطان، وتفرقة ما بقى فيهم، فخص

---

(١) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب. انظر المعجم الوجيز ٢٥٧.

الجندى ما بين أربعة جمال وخمسة، ومن الغنم ما بين العشرين إلى الثلاثين. وحضروا إلى القاهرة، فخلع السلطان على أيتمش، وبعد حضورهم بأسبوع قدم جعفر بن عمر إلى القاهرة، ونزل عند الأمير بكتمر الساقى مستجيرًا، فأكرمه ودخل به على السلطان، فاعترف بالخطأ، وسأل العفو، وأن يقرر عليه ما يقوم به، فقبل السلطان قوله وعفا عنه، وخلع عليه ومضى، وصار يحمل القود فى كل سنة.

وفى ليلة أول المحرم: هبت ريح بدمشق شديدة رمت عدة منازل وخربت كثيرًا من البيوت، فهلك تحت الردم[١] خلق كثير، وقلعت أشجار كثيرة من أصولها. ثم سكنت الريح، ثم ثارت ليلة التاسع عشر منه، ولم تبلغ شدة الأولى.

وفى صفر: استقر الأمير سيف الدين بهادر البدرى نائب السلطنة بحمص، عوضًا عن بدر الدين بكتوت القرمانى، فتوجه إليها فى رابع ربيع الأول، واستقر القرمانى من جملة أمراء دمشق. واستقر شرف الدين محمد بن معين الدين أبى بكر ظافر بن عبد الوهاب الهمذانى المالكى ابن خطيب الفيوم[٢] فى قضاء المالكية بدمشق، عوضًا عن فخر الدين أحمد بن سلامة، فى تاسع عشرى ربيع الأول. واستقر تاج الدين أحمد بن القلانسى فى وكالة بيت المال بدمشق، وكتب بمنع ابن تيمية من الفتوى بالكفارة فى اليمين بالطلاق.

وفيه قل المطر ببلاد الشام حتى أيس[٣] الناس، واستسقوا بدمشق فسقوا، ومر دمشق سيل عظيم قل ما عهد مثله.

وفيه استجد السلطان القيام فوق الكرسى للأميرين جمال الدين آقوش نائب الكرك وسيف الدين بكتمر البوبكرى السلاح دار، إذا دخلا عليه. وكان نائب الكرك يتقدم على البوبكرى عند تقبيل يد السلطان، فعتب الأمراء على البوبكرى. وسئل السلطان عن تقديمه نائب الكرك وتأخيره البوبكرى، فإن العادة جرت أن يتأخر الكبير فى تقبيل اليد ويتقدم الصغير قبله، فقال: لأنه أكبر. فكشف عن ذلك، فوجد أن نائب الكرك قد أمره الملك المنصور قلاوون إمرة عشرة، وجعله أستادار ابنه الملك الأشرف فى سنة خمس وثمانين وستمائة، ووجد أن البوبكرى تأمر بعد مسك سنقر الطويل، عندما طلب من مماليك البرج هو والخطيرى وسنجر الجمقدار وطشتمر الجمقدار، فى سنة تسعين وستمائة.

---

(١) ما يسقط من الجدار المتهدم. انظر المعجم الوجيز ٢٦١.

(٢) بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٨٦.

(٣) أيس منه – أيسا وإياسا: يئس وانقطع رجاؤه. فهو آيس، وأيس. انظر معجم الوجيز ٣١.

وفى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: قدم شمس الدين غبريال على البريد من دمشق باستدعاء، وخلع عليه بنظر الشام.

وفى يوم الإثنين رابع عشر ربيع الآخر: فر الشريف رميثة آخر النهار، فبعث السلطان فى طلبه الأمير قطلوبغا المغربى والأمير أقبغا آص الجاشنكير على الهجن السلطانية، فى ليلة الخميس سابع عشره، فقبض عليه بمنزلة حقل[١] فى يوم الإثنين حادى عشريه، وقدم فى خامس عشريه، فسجن فى الجب من القلعة.

وفى يوم الخميس سابع عشرى رجب: قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من مكة بكتاب الشريف عطيفة، وأخبر بأن القواد فى طاعته، وأن حميضة نزح إلى اليمن، وذلك بعد أن فارقه بنو شعبة وغيرهم.

وفيه قدم الخبر بإفساد العرب بثغر عيذاب[٢] وقتلهم الشاد المقيم بها. فجرد إليهم السلطان من الأمراء آقوش المنصورى - وهو المقدم، ومحمد بن الشمسى، وعلى بن قراسنقر، وطقصباى الحسامى، وبيبرس الكريمى، وآقوش العتريس؛ وأنعم على آقوش المنصورى بإمرة طبلخاناه، وأقطع ثغر أسوان ليقيم بعيذاب.

وفى جمادى الآخرة: قدم سليمان بن مهنا[٣] طائعًا، بعد دخوله إلى الأردو ملتجئًا إلى المغل، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم من دمشق، وأعطاه قماشا بثلاثين ألف درهم، وعاد.

وفيه استقر فى نقابة الجيوش أحمد بن آقوش العزيزى المهمندار، بعد وفاة الأمير طيبرس الخزندارى.

وفيه قدم كتاب أبى يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحيانى الزاهد بن عبد الواحد ابن أبى حفص المعروف باللحيانى[٤]، يسأل الإسعاف بتجريد طائفة من العسكر إليه

---

(١) مكان على ساحل تيماء، دون أربعة عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٢ / ٢٧٨.

(٢) بلدة على ضفة بحر القلزم هى مرسى المراكب، التى تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر معجم البلدان ٤، ١٧١.

(٣) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب الدين: أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات. استمر فى الإمارة إلى أن مات بسلمية. انظر الدرر الكامنة ١٦٣/٢ والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٠٣ وابن خلدون ٥ / ٤٣٩ والقلقشندى ٤ / ٢٠٧ وإعلام النبلاء ٢ / ٤٠٦ والأعلام ٣ / ١٣٥.

(٤) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى النهتاف أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية. ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة-

ليحضر معهم إلى مصر. فخرج إليه الأمير طقصباى الحسامى والأمير بدر الدين بيليك المحسنى فى طائفة من الأجناد، وأحضراه بحرمه.

وفيه أنزلت خوند أردوكين بنت نوكاى من القلعة إلى القاهرة، بعدما أخذ السلطان منها كثيرًا من الجواهر، ورتب لها عدة رواتب.

وفيه عمل إيرنجى خال القان أبى سعيد على قتل جوبان، وواعد قرمشى ودقماق وغيرهما من المقدمين على ذلك. فنقل الخبر لجوبان، ففر ونهبت أثقاله، وقتل له نحو ثلاثمائة رجل. ولحق جوبان بتبريز، وقدم ومعه على شاه إلى بوسعيد، فتبرأ مما جرى عليه. وجهز له بوسعيد عسكرًا وركب معه حتى لقوا إيرنجى ومن معه، فقاتلوهم وأخذوا إيرنجى وقرمشى ودقماق، فقتلوا وأمسك أمراؤهم. وتمكن جوبان من أعدائه، وقتل خلائق من المغل، واتهم القان بوسعيد بأنه كان أمر إيرنجى بقتل جوبان لكثرة تحكمه عليه.

وفيه اهتم السلطان بالحركة إلى الحجاز ليحج، وتقدم إلى كريم الدين الكبير بتجهيزه والسفر إلى الإسكندرية لعمل ثياب أطلس برسم كسوة الكعبة. فطلب كريم الدين أكرم الصغير وغيره من المباشرين، وأمرهم بتجهيز الإقامات والمعلوات والحوائج خاناه، وكتب لنائب الشام ونائب غزة[1] بتجهيز ما يحتاج إليه. فتوالت تقادم الأمراء والنواب من سائر البلاد الشامية. وكانت أول تقدمة وصلت من الأمير تنكز نائب الشام، وفيها الخيل والهجن بأكوار[2] ذهب، وسلاسل ذهب وفضة، ومقاود حرير، ثم تقدمة الملك المؤيد صاحب حماة. وتولى كريم الدين بنفسه تجهيز ما يحتاج إليه، وعمل عدة قدور من ذهب وفضة ونحاس تحمل على البخاتى ويطبخ فيها، وأحضر الخولة لعمل مباقل[3] ورياحين فى أحواض من خشب تحمل على الجمال، فتصير مزروعة وتستقى ويحصد منها ما تدعو الحاجة إليه، فيها من البقل والكراث والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شىء كثير، ورتب لها الخولة لتعهدها، وجهزت الأفران وصناع الكماج[4]

=٩ / ٦٢٨ وابن خلدون ٦ / ٣٢٥ والدرر الكامنة ٢ / ١١٣ والبداية والنهاية ١٤ / ١٢٩ والأعلام ٣ / ٤٥، ٤٦.

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢.

(٢) الأكوار جمع كور وهو الرحل يوضع على ظهر الإبل.

(٣) على هامش: المباقل مبقلة، وهى هنا أنواع البقول.

(٤) على هامش: الكماج جمع كماجة، وهى كلمة فارسية الأصل، ومعناها الخبز الشديد البياض.

والجبن المقلى وغيره. ودفع كريم الدين إلى العربان أجرة الأحمال من الشعير والدقيق والبقسماط، وجهز فى بحر الملح مركبين إلى ينبع ومركبين إلى جدة، وكتب أوراق العليق للسلطان والأمراء وعدتهم اثنان وخمسون أميرا، لكل أمير ما بين مائة عليقة فى كل يوم إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة، فكانت جملة العليق فى مدة الغيبة مائة ألف وثلاثين ألف أردب من الشعير. وحمل من دمشق خمسمائة حمل على الجمال، ما بين حلوى وسكردانات[1] وفواكه، ومائة وثمانون حمل حب رمان ولوز وما يحتاج إليه من أصناف المطبخ. وجهز كريم الدين من الأوز ألف طائر، ومن الدجاج ثلاثة آلاف طائر.

وعين السلطان الأمير أرغون النائب بديار مصر للإقامة بقلعة الجبل، ومعه الأمير أيتمش وغيره، ورَسَم لمن تأخر من الأمراء أن يتوجهوا إلى نواحى إقطاعهم، فيكون كل منهم ببلاد إقطاعه إلى حين عود السلطان، ولا يجتمع أمير بأمير فى غيبته. وكَتَبَ إلى النواب بالشام أن يستقر كل نائب بمقر مملكته، ولا يتوجه إلى صيد إلى حين عوده، فامتثلت أوامره.

وفيه قدم الملك المؤيد من حماة، فتوجه المحمل على العادة فى يوم الأحد ثامن عشر شوال، مع الأمير سيف الدين طرجى أمير مجلس. وركب السلطان من القلعة فى أول ذى القعدة، وسار من بركة الحاج فى سادسه، ومعه صاحب حماة والأمراء وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وأهل الدولة.

وقدم السلطان مكة بتواضع وذلة، بحيث قال الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا: «لازلت أعظم نفسى إلى أن رأيت الكعبة، وذكرت بوس[2] الناس الأرض لى، فدخلت فى قلبى مهابة عظيمة مازالت حتى سجدت لله تعالى». وحسن له بدر الدين محمد بن جماعة أن طوف راكبًا، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم، فقال له: «ومن أنا حتى أتشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم!! والله لا طفت إلا كما يطوف الناس». ومنع السلطان الحجاب من منع الناس أن يطوفوا معه، وصاروا يزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد من الناس، فى مدة طوافه وفى تقبيله الحجر. وبلغه أن جماعة من المغل ممن حج قد اختفى خوفا منه، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالغ فى إكرامهم. وغسل الكعبة بيده، وأخذ أزر إحرام وغسلها لهم بنفسه. وأبطل سائر المكوس من الحرمين، وعوض أميرى

---

(١) على هامش ط: السكردانات جمع سكردان، وهى لفظ فارسى مركب، ومعناه الوعاء المستعمل لحفظ الحلوى المحفوظة، أو هو الوعاء عامة.

(٢) بوس: باسه - بوسا: قبله. انظر المعجم الوجيز ٦٧.

مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام. وأحسن إلى أهل الحرمين، وأكثر من الصدقات.

وفى يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة: ظهر بعد الظهر القمر فى السماء مقارنا لكوكب، وأقاما ظاهرين إلى بعد العصر.

وفيه مهد السلطان ما كان فى عقبة أيلة[١] من الصخور، ووسع طريقها حتى أمكن سلوكها بغير مشقة.

وفيه اتفقت موعظة: وهى أن السلطان بالغ فى تواضعه بمكة، فلما أخرجت الكسوة لتعمل على البيت صعد كريم الدين الكبير إلى أعلا الكعبة بعدما صلى بجوفها، ثم جلس على العتبة ينظر إلى الخياطين، فأنكر الناس استعلاءه على الطائفتين، فبعث الله عليه نعاسًا سقط منه على أم رأسه من علو البيت، فلو لم يتداركوه من تحته لهلك. وصرخ الناس فى الطواف تعجبا من ظهور قدرة الله فى إذلال المتكبرين، وانقطع ظفر كريم الدين، وعلم بذنبه فتصدق بمال جزيل.

وفى هذه السنة: حَشَدَ الفرنج، وأقبلوا يريدون استئصال المسلمين من الأندلس فى عدد لا يحصى، فيه خمسة وعشرون ملكا، فقلق المسلمون بغرناطة، واستنجدوا بالمرينى ملك فاس فلم ينجدهم، فلجُّوا إلى الله وحاربوهم وهم نحو ألف وخمسمائة فارس وأربعة آلاف راجل، فقتلوا الفرنج بأجمعهم. وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسون ألفًا، وأكثر ما قيل ثمانون ألفًا، ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارسًا، وغنم المسلمون ما لا يدخل تحت حصر، وسلخ الملك دون بترو[٢] وحشى قطنًا، وعلق على باب غرناطة، فطلب الفرنج الهدنة فعقدت، وبقى دون بترو معلقًا عدة سنين.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين كراى المنصورى، فى سادس عشر المحرم بسجن القلعة، وكان مقدمًا قليل السياسة.

ومات الأمير شجاع الدين أغرلوا العادلى، أحد مماليك العادل كتبغا[٣]، بدمشق سلخ جمادى الأولى، وكان شجاعا كريمًا.

---

(١) مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام. انظر معجم البلدان ١ / ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) على هامش: المقصود به أحد أوصياء ألفونسو الحادى عشر ملك قشتاله.

(٣) كتبغا بن عبد الله المنصورى، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام ولى السلطنة سنة ٦٩٤هـ وتلقب بالملك العادل. انظر ابن إياس ١ / ١٣٣ والنجوم الزاهرة ٨ / ٥٥ وفوات الوفيات ٢ / ١٣٨ والأعلام ٥ / ٢١٩.

ومات الأمير علاء الدين طيبرس الخزندارى، نقيب الجيش وأحد أمراء الطبلخاناه، فى عشرى ربيع الآخر، ودفن بمدرسته المجاورة للجامع الأزهر، وكان قد أقام فى نقابة الجيش نحو أربع وعشرين سنة، لم يقبل فيها لأحد هدية، وكان دينا صاحب مال كبير، وهو أول من عمر فى أرض مصر بستان الخشاب والجامع والخانكاه على النيل، وبنى المدرسة المجاورة للجامع الأزهر، وعمل لذلك أوقافا كثيرة، ولما كملت وجاءه مباشروه بحساب مصروفها لم ينظر فيه وغسله بالماء، وقال: «شىء خرجنا عنه الله لا نحاسب عليه».

ومات الأمير ملكتمر السليمانى الجمدار، فجأة.

ومات الشيخ أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجى، ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة، ومولده فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وكان معتقدًا عارفا بالقراءات، محدثًا فقيهًا حنفيا، وأقام عدة سنين لا يأكل اللحم، وحصل له حظ وافر فى الدولة المظفرية بيبرس.

ومات القاضى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن على بن يحيى بن هبة الله الأنصارى الشافعى - عرف بابن بنت أبى سعد - ، فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، ومولده فى حادى عشرى رجب سنة تسع وعشرين وستمائة بداريا ظاهر دمشق، واستقر عوضه فى تدريس الجامع الطولونى عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة[1].

ومات الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن المجاهد أسد الدين شيركوه ابن القاهر محمد ابن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى، بالقاهرة فى ثانى ذى القعدة، وقد حضر من دمشق فى طلب إمرة، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق، فمات قبل عوده إليها. ومولده بدمشق فى سنة خمس وخمسين وستمائة.

ومات بدمشق شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين محمد ابن الملك الأمجد مجد الدين حسن ابن الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب، فى رجب يوم الإثنين لِستّ بقين منه.

ومات الصدر بدر الدين محمد بن ناصر الدين منصور بن الجوهرى الحلبى، بدمشق

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل، الدمشقى المولد. ثم المصرى عز الدين الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء مصر سنة ٧٣٩هـ. وجاور بالحجاز فمات بمكة. انظر الدرر الكامنة ٢ / ٣٧٨ والكتبخانة ٧ / ١٨١ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٥ / ٢٦.

فى سادس عشر جمادى الآخرة، ومولده بحلب فى ثالث عشر صفر سنة اثنين وخمسين وستمائة، وكان من رؤساء الدولة العادلية كتبغا، وعُرضت عليه وزارة دمشق فأبى.

* * *

سنة عشرين وسبعمائة

فيها عاد السلطان من الحجاز بعدما منَّ بخليص[1]، وقد جرى الماء إليها. وكان قد ذكر له وهو بمكة أن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خليص، ليجرى الماء من عين بها إلى بركة يردها الحاج، وقد انقطع ذلك منذ سنين، وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء بخليص، فرسم بمبلغ خمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة، وجعلها مقررة فى كل سنة لصاحب خليص. فأجرى صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان إليها، واستمر حمل المال إليه فى كل سنة، ووجد الماء فى البركة دائمًا.

ولقى السلطان فى هذه السفرة جميع العربان: من بنى مهدى وأمرائها، وشطى وأخيه عساف وأولاده، وأشراف مكة من الأمراء وغيرهم، وأشراف المدينة والينبع[2] وخليص، وبنى لام وعربان حوران، وأولاد مهنا موسى[3] وسليمان وفياض[4]، وأحمد وجبار، بعربهم، ولم يتفق اجتماع هؤلاء لملك قبله. وأكثروا من الدالة على السلطان، وجَرَوا على عوائدهم العربية من غير مراعاة الآداب الملوكية وهو يحتملهم، بحيث أن موسى بن مهنا كان ولد صغير، فقام فى بعض الأيام ومد يده إلى لحية السلطان وقال له: «يا أبا على! بحياة هذى! - ومسك منها شعرات - إلا ما أعطيتنى الضيعة الفلانية إنعامًا على؟». فصرخ فيه الفخر ناظر الجيش وقال له: «شِلْ يدك! قطع يدك! والك! تمد يدك إلى السلطان؟»، فتبسم له السلطان وقال: «يا قاضى! هذه عادة العرب، إذا قصدوا كبيرًا فى شىء فيكون عظمته عندهم مسك لحيته، يريدون أنهم قد استجاروا بذلك الشىء، فهو سنة عندهم». فغضب الفخر، وقام وهو يقول: «والله إن هؤلاء مناحيس، وسنتهم أنحس».

---

(١) حصن بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٨٧.

(٢) بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٥ / ٤٤٩، ٤٥٠.

(٣) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل من أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمير. انظر ابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤ / ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠ / ٧٦ والأعلام ٧ / ٣٢٩.

(٤) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا المفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل ولى الإمرة بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ. انظر الدرر الكامنة ٣ / ٢٣٤ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ وابن خلدون ٥ / ٤٣٩ والأعلام ٥ / ١٦٤.

وفيها قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب مبشرًا إلى القاهرة، ومعه الأمير قطلوبغا المغربى. وقدم الأمير بدر الدين بدرجك إلى دمشق مبشرًا.

وقدم السلطان فى يوم السبت ثانى عشر المحرم، فخرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحاج، وركب بعد انقضاء أمر السماط فى موكب جليل، وقد خرج سائر الناس لرؤيته، وسار إلى القلعة، فكان يومًا مشهودًا، وزينت القاهرة ومصر زينة عظيمة.

وفى يوم الخميس خامس عشره: جلس السلطان، وخلع على سائر الأمراء والقضاة وأرباب الدولة، وعلى الأمير شطى بن عبية وحسن بن درينى، وألبس كريم الدين الكبير أطلسين، ولم يتفق ذلك لمتعمم قبله.

وفيه بعث السلطان بالجمال والزاد لتلقى المنقطعين من الحاج، فتواصَلَ قدوم الحاج إلى أن وصل المحمل يوم الأحد سابع عشريه، وصحبته قاضى القضاة بدر الدين وغيره، فاتفق فيه مطر عظيم قل ما عهد مثله بمصر. وكانت الأسعار قد تزايدت، فانحطت منذ قدم السلطان.

وفيه خلع على الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة، وركّب بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين القصرين، وحَمَل وراءه الأمير قجليس السلاح، والأمير ألجاى الدواة، ورتب معه الأمير بيبرس الأحمدى أمير جندار وأمير طبر، وسار بالغاشية والعصائب وسائر دست السلطنة - وهم بالخلع معه - إلى أن صعد القلعة، فكانت عدة التشاريف مائة وثلاثين تشريفًا: فيها ثلاثة عشر أطلس، والبقية كنجى وعمل الدار وطرد وحش. وجلس صاحب حماة رأس الميمنة، ولقبه السلطان بالملك المؤيد، وسافر من يومه بعدما جهزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر البروانى، والأمير علاء الدين أيتغلى الشيخى، وصارم الدين العينتابى، وعز الدين أيدمر الشيخى، وعلاء الدين مغلطاى السيواسى، والحاج بدر الدين بيليك، وشمس الدين سنقر الكمالى الصغير، والشيخ على التبريزى[1]، وسيف الدين منكجار، وسيف الدين طوغان، نائب البيرة[2]، وناصر الدين منكلى، وطاشار، وموسى وغازى أخوى حمدان بن صلغاى، وعن الشريف رميثة بن أبى نمى.

---

(١) نسبة إلى تبريز، وهى من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ١ / ٥١٦، ٥١٧.

(٢) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١.

وفيه هرب من سجن الإسكندرية الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى النقيب، - ويقال له زيرامو - ، وبهادر التقوى الزراق، فأدركهما الطلب، وأخذا وحملا إلى القلعة بعد ما خرج الأمير أيتمش المحمدى والأمير أصلم للقبض عليهما. فلما أحضرا كتب بعود الأميرين أيتمش المحمدى وأصلم، فرجعا ثالث يوم سفرهما، وأنزل بالأميرين الهاربين ليوسطا[١] تحت القلعة، فشفع فيهما الأمراء، فأعفى السلطان عنهما من القتل، وكحلهما بالحديد المحمى مرتين حتى فقدا البصر.

وفيه رسم بالإفراج عمن فى سجن الإسكندرية، فقدموا القاهرة وأنعم عليهم بالإقطاعات، من أجل أنهم لم يوافقوا على الهروب.

وفيه كتب بإعفاء الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر طرابلس، وأن يقيم بالقدس، ورتب له فى كل شهر ألف درهم، وبعث إليه كريم الدين الكبير هدية حسنة.

وفى يوم الأربعاء سادس ربيع الأول: سار الأمير بيبرس الحاجب بطائفة من الأجناد إلى مكة؛ ليقيم بها بدل الأمير آقسنقر شاد العمائر الذى استخلفه السلطان بمكة، ومعه عدة أجناد تخوفا من هجوم الشريف حميضة على مكة.

وفيه كتب بخروج عساكر الشام إلى غزو بلاد متملك سيس[٢]، لمنعه الحمل.

وفيه أبطل مكس الملح بديار مصر، فأبيع الأردب الملح بثلاثة دراهم بعدما كان بعشرة، فإنه كتب إلى الأعمال ألا يمنع أحد من شيل الملح من الملاحات، وأبيحت لكل أحد، فبادر الناس إليها وجلبوا الملح.

وفيه وصلت الستر الرفيع الخاتونى طلنباى - ويقال دلنبية، ويقال طولونية - بنت طغاى بن هندو بن باطو بن دوشى‌خان بن جنكزخان. وسبب ذلك أن السلطان كان قد بعث إلى أزبك يخطب بعض الجهات الجنكزية، فاشتط به أزبك فى طلب المهر وطول المدة وكثرة الشروط، فأعرض السلطان عن الخطبة وسير إليه الهدية كما تقدم. وكان أزبك قد عين المذكورة، فاستدعى التجار واقترض منهم ثلاثين ألف دينار بمعاملتهم، صرف كل دينار ستة دراهم، وجهزها مع بعض أمرائه فى مائة وخمسين رجلا وستين جارية وقاضى سراى، ومعهم هدية سنية، فقدموا فى البحر إلى الإسكندرية فى عشرى ربيع الأول. وخرج الأمير أقبغا عبد الواحد فى عدة من الأمراء

---

(١) التوسيط إحدى العقوبات الكبرى بمصر فى العصور الوسطى.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

ومعه الحراريق إلى لقائها، وخرج كريم الدين الكبير ومعه عربان وبخاتى وبغال، وضرب الخيام الحرير الأطلس بالميدان. فحملت الخاتون فى الحراريق إلى ساحل مصر، وركبت فى العربة إلى الميدان، والحجاب تمشى قدام العربة، فأقامت بالخيام ثلاثة أيام. ثم حملت إلى القلعة ليلة السبت سلخه فى عربة تجرها العجل، وهى كالقبة مغطاة بالديباج، وفى خدمتها الأمير أرغون النائب، والأمير بكتمر الساقى، والقاضى كريم الدين الكبير.

وفى يوم الإثنين ثانى ربيع الآخر: جلس السلطان للرسل، وحضر كبيرهم باينجار، وكان مقعدًا لا يقدر على القيام ولا المشى وإنما يحمل، ودخل معه إيتغلى وطقبغا، ومنغوش، وطرجى، وعثمان خجا، والشيخ برهان الدين إمام القان، ورسل الأشكرى. فأجلس باينجار، وأخذ منه كتاب أزبك، فبلغ السلام وقال: «أخوك أزبك، أنت سيرت طلبت من عظم القان بنتا، فلما لم يسيرها لم يطب خاطرك، وقد سيرنا لك من بيت كبير، فإن أعجبتك خذها بحيث لا تخلى عندك أكبر منها، وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾[1]. فقال السلطان: «نحن ما نريد الحسن، وإنما نريد كبر البيت والقرب من أخى، ونكون نحن وإياه شيئًا واحدًا». وبلغه أيضا برهان الدين مشافهة من قبل أزبك. فتولى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة العقد على ثلاثين ألف دينار، الحال منها عشرون ألفًا، والمؤجل عشرة آلاف، وقبله السلطان بنفسه. وكتب علاء الدين على بن الأثير كاتب السر العقد بخطه، وصورته بعد البسملة: «هذا ما أصدق مولانا السلطان الأجل الملك الناصر على الخاتون الجليلة بنت أخى السلطان أزبك خان طولو ابنة طغاى بن بكر بن دوشى خان بن جنكزخان». وخلع السلطان يومئذ خمسمائة خلعة، وكان يوما مشهودًا. وبنى عليها من ليلتها، فلم تلق بخاطره. وأصبح السلطان فتقدم إلى كريم الدين أكرم الصغير بالتوجه إلى الصعيد وتعبية الإقامات إلى قوص، وجهز الرسل بالهدايا والإنعامات وسفرهم، وركب للصيد.

وفيها توقف حال الناس بسبب الفلوس وما كثر فيها من الزغل[2]، وكانت المعاملة بها عددا عن كل درهم فضة عدة ثمانية وأربعين فلسًا من ضرب السلطان، فعملها الزغلية، وخفوا وزنها حتى صار الفلس زنته سدس درهم. وكانت معاملة دمشق بالفلوس التى يقال لها القراطيس[3]، والقرطاس ستة فلوس، ويعد فى الدرهم الفضة

---

(١) سورة النساء آية ٥٨.

(٢) على هامش ط: الزغل النقود المزيفة عامة، ويسمى مزيفوها باسم الزغلية.

(٣) على هامش ط: القراطيس نوع من الفلوس النحاسية، وهى دراهم ملفوفة على شكل إصبع.

أربعة وعشرون قرطاسا، فأبطل السلطان القراطيس من دمشق، وضرب بها كل فلس زنته درهم، وصار الدرهم بثمانية وأربعين فلسًا مثل معاملة مصر، فنقلت هذه الفلوس الخفاف القراطيس إلى مصر، وخلطت بفلوس المعاملة[١] حتى كثرت، وقلت الجياد[٢]. فتعبت الناس فيها، وزادت الأسعار كلها، حتى غلقت الباعة الحوانيت عندما نودى أن يكون الفلوس بالميزان، على أن كل رطل منها بثلاثة دراهم فضة. فركب والى القاهرة، وضرب كثيرًا من أرباب المعايش بالمقارع، وشهرهم ولم يرجعوا، فنودى أن الفلس الذى عليه بقجة[٣] من ضرب دار الضرب يؤخذ، والفلس الخفيف يرد، فلم يفد ذلك شيئًا. وعمل الزغلية فلوسًا خفافا عليها بقجة، فنودى أن يؤخذ الجميع بحساب درهمين ونصف الرطل، فمشى الحال قليلا، واستمر عنت العامة، وكثر تعطيلهم الحوانيت وغلقها.

وكان السلطان غائبًا، فلما نزل بالجيزة وخرج كريم الدين إلى لقائه صاحت به العامة وفاجأوه بما لا يليق، وتكاثروا عليه من كل جهة، وشكوا ما بهم من أمر الفلوس ورد الباعة لها وقلة الخبز وغيره، فوعدهم بخير، وعرف كريم الدين السلطان ذلك. فاستدعى السلطان الأمراء، وأنكر عليهم رد مباشريهم الفلوس وعدم بيعهم القمح من الشون للطحانين والموانة[٤]، وقرر ضرب فلوس جدد زنة الفلس منها درهم، وعلى أحد وجهيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الآخر اسم السلطان، فضرب منها نحو ثمانين ألف رطل. واستقر الفلوس العتق[٥] كل رطل بثلاثة دراهم إلى أن تخرج الفلوس الجدد من دار الضرب. فاستمر ذلك، ومشت الأحوال، إلا أنه صار فيها غبن زائد، وذلك أن الرطل من العتق يبلغ سبعة دراهم بالعدد.

وفيها قدمت رسل متملك اليمن بالهدية، وأحضروا بالقلعة يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الآخرة.

وفى ليلته: خسف القمر.

وفيها بعث السلطان ثلاثين فداويا من أهل قلعة مصياب[٦] للفتك بالأمير قراسنقر،

---

(١) الفلوس المعاملة المضروبة حسب قوانين الدولة القائمة.

(٢) المقصود بذلك الجيدة.

(٣) مفرد بقج، وهى علامة سلطانية خاصة بدار الضرب.

(٤) الموانة، مفردها موان - وهم المشتغلون بتموين الناس بما يحتاج إلى جون من غلال أو دقيق.

(٥) الفلوس العتق هى التى تكون أقدم من غيرها من الفلوس فى التداول بين الناس.

(٦) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس، وبعضهم يقول مصياف. انظر معجم البلدان ٤ / ٤١٣.

فنعدما وصلوا إلى تبريز نم بعضهم لقراسنقر عليهم، فتتبعهم وقبض على جماعة منهم، وقتلهم. وانفرد به بعضهم وقد ركب من الأردو، فقفز عليه فلم يتمكن منه، وقتل. واشتهر فى الأردو خبر الفداوية، وأنهم حضروا لقتل السلطان أبى سعيد وجوبان والوزير على شاه وقراسنقر وأمراء المغل، فاحترسوا على أنفسهم، وقبضوا عدة فداوية. فتحيل بعضهم وعمل حمالا، وتبع قراسنقر ليقفز عليه فلم يلحقه، ووقع على كفل الفرس فقتل، فاحتجب أبو سعيد بالخركاه(١) أحد عشر يوما خوفا على نفسه. وطلب المجد إسماعيل، وأنكر عليه جوبان وأخرق به، وقال له: «والك! أنت كل قليل تحضر إلينا هدية، وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر، لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية»، وهدده أنه يقتله شر قتلة، ورسم عليه، فقام معه الوزير على شاه حتى أفرج عنه.

ثم قدم الخبر من بغداد بأن بعض الإسماعيلية قفز على النائب بها ومعه سكين فلم يتمكن منه، ووقعت الضربة فى أحد أمراء المغل، وأن الإسماعيلى فر، فلما أدركه الطلب قتل نفسه. فتنكر جوبان لذلك، وجهز المجد السلامى إلى مصر ليكشف الخبر، وبعثوا فى أثره رسولا بهدية.

وفيها عادت العساكر من غارة سيس(٢) إلى أبيات مهنا، وطردوه من مكانه، وفرقوا جمعه فى نواحى العراق.

وفيها كثرت كتابة الأوراق للسلطان فى أمرائه وأهل دولته، وإلقائها من غير أن يعلم من أين هى، أو ربطها بجناح طائر حمام وحذفه خارج حائط الميدان تحت القلعة إلى داخله، فتأذى بذلك جماعة كثيرة. فاتفق أن السلطان ركب إلى مطعم الطيور بالمسطبة التى أنشأها قريبًا من بركة الحبش، فوجد ورقة مختومة فقرأها ولم يعلم أحدًا فيها، وعاد إلى القلعة وقد اشتد حنقه، ووقف عند دار النيابة وأمر بهدم المساطب والرفرف وغلق الشباك. ثم بعث السلطان أمير جاندار الأمير سيف الدين البوبكرى أن يتحول من داره بالقلعة ويسكن بالقاهرة، فنزل من يومه وسكن بدار كراى المنصورى، وهدمت الدار التى كان البوبكرى يسكنها، وعمرت قاعات وطباق للخاصكية. وامتنع السلطان من ركوبه إلى المطعم المذكور، وصار يركب إلى ميدان القبق. وكانت الورقة تتضمن سب السلطان وسوء تصرفه، وتسليطه الكتاب النصارى على المسلمين، وصلحه مع المغل.

---

(١) الخركاه بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة، ويغش بالجوخ ونحوه، تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء لوقاية البرد.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ١ /٧٥.

واتفق أن بعض العامة أخبر عن شخص غريب، فأفضى الأمر إلى حملهما إلى الخازن والى القاهرة، فقال العامي: «هذا الغريب قاصد ومعه فداوية»، فقرره الوالى فاعترف أن معه أربعة من جهة قراسنقر بعثهم لقتل السلطان؛ فقبض منهم على رجلين، وفر الآخران. وحمل الوالى إلى السلطان، فأقرا بأنهما من جهة قراسنقر؛ فأمر بهما فقتلا. وأخذ السلطان يحترس على نفسه، ومنع عند ركوبه إلى الميدان المتفرجين من الجلوس فى الطرقات، وألزم الناس بغلق طاقات البيوت.

وفيها قبض على الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة[1]، وسجن بالإسكندرية، ووقعت الحوطة على موجوده يوم الجمعة ثامن عشرى رمضان. وكان ذلك لقلة اكتراثه بالأمير نائب الشام، وموافقة بعض مماليكه على ما قيل فيه أنه يريد التوجه إلى اليمن.

وفيها قدم الخبر من الأمير بيبرس الحاجب بقتل الشريف حميضة بن أبى نمى؛ ثم قدم الأمير بيبرس الحجاز ومعه المماليك الذين اتفقوا على قتل الشريف حميضة، فقتل السلطان قاتله.

وفيها قدم المجد السلامى على البريد من عند الملك أبى سعيد بن خربندا فى طلب الصلح، فخرج القاضى كريم الدين الكبير إلى لقائه، وصعد به إلى القلعة، فأخبر المجد السلامى برغبة جوبان وأعيان دولة أبى سعيد فى الصلح، وأن الهدية تصل مع الرسل، فكتب إلى نائبى حلب ودمشق بتلقى الرسل وإكرامهم. فقدم البريد بأن سليمان بن مهنا عارض الرسل، وأخذ جميع ما معهم من الهدية، وقد خرج عن الطاعة لإخراج أبيه مهنا من البلاد وإقامة غيره فى إمرة العرب. ثم قدمت الرسل بعد ذلك بالكتب، وفيها طلب الصلح بشروط: منها ألا تدخل الفداوية إليهم، وأن من حضر من مصر إليهم لا يطلب، ومن حضر منهم إلى مصر لا يعود إليهم إلا برضاه، وألا يبعث إليهم بغارة من عرب ولا تركمان، وأن تكون الطريق بين المملكتين مفسوحة تسير تجار كل مملكة إلى الأخرى، وأن يسير الركب من العراق إلى الحجاز فى كل عام بمحمل ومعه سنجق فيه اسم صاحب مصر مع سنجق أبى سعيد ليتجمل بالسنجق السلطانى، وألا يطلب الأمير قراسنقر. فجمع السلطان الأمراء، واستشارهم فى ذلك، بعد ما قرأ عليهم الكتاب، فاتفق الرأى على إمضاء الصلح بهذه الشروط، وجهزت الهدايا لأبى سعيد: وفيها خلعة

---

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/٢٢.

أطلس بداير باولى زركش، وقباء تترى وقرقلات وغير ذلك، مما بلغت قيمته أربعين ألف دينار. وأعيد الرسل بالجواب، وفيه ألا يمكن عرب آل عيسى من الدخول إلى العراق، فإن العسكر واصل لقتالهم، وسافر السلامى على البريد يبشر بعود الرسل بالهدية.

وفيها أنشأ السلطان ميدان المهار(١) بجوار قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر، ونقل إليه الطين، وزرع فيه النخل، ولعب فيه بالكرة مع الأمراء، ورتب فيه الحجورة(٢) للنتاج، فاستمر ذلك، وصار يتردد إليه، ثم أنشأ السلطان بجوار جامع الأمير علاء الدين طيبرس زريبة (٣) على النيل، ليبرز بمناظر الميدان الكبير إلى قرب شاطئ النيل، وكان قد أخر عمل ذلك بسبب قرب سفره إلى الصعيد.

وفيها مرض كريم الدين الكبير نحو أسبوعين، فكان يحضر عليه فى كل يوم جمدار فيخلع عليه بكرة النهار، ويعود فيأتيه آخر العصر فيخلع عليه، وكلما أتاه مملوك من جهة أحد الأمراء للسلام عليه خلع عليه، فلما عوفى وركب زينت القاهرة، وأوقدت فيها الشموع، وجلست المغانى، واجتمع الناس لرؤيته، فكان يوما مشودا. ولما قدم إلى المدرسة المنصورية بين القصرين بمال، فتصدق فمات فى الازدحام ستة أنفس، وصعد كريم الدين إلى القلعة، ثم ركب من الغد إلى مدينة مصر، فزينت لركوبه أيضا، وزينت الحراريق ولعبت فى النيل، فخلع على رؤساء الحراريق، وفرق فى رجالها مالا، وعمل لهم مائة خروف شواء، وكان عدة الشموع التى اشتعلت له فى مصر ألفا وستمائة شمعة، ونثر الناس على رأسه الذهب والدراهم، وعمل له الفخر ناظر الجيش ضيافة عظيمة، فكانت تلك الأيام من الأيام المشهودة.

وفيها قدم الخبر بأن أبا سعيد أراق الخمور فى سائر مملكته، وأبطل منها بيوت الفواحش ، وأبعد أرباب الملاهى، وأغلق الخانات، وأبطل المكوس(٤) التى تجبى من التجارة الواردة إليهم من البلاد، وهدم كنائس بالقرب من توريز، ورفع شهادة الإسلام، ونشر العدل، وعمر المساجد والجوامع، وقتل من وجد عنده الخمر بعد إراقته، فكتب السلطان لسائر نواب الشام بإبطال ضمان الخمارات وإراقة الخمور، وغلق الخانات واستتابة أهل الفواحش، فعمل ذلك فى سائر مدن البلاد الشامية وضياعها وجبالها،

---

(١) المهار - جمع مهر وهو ولد الفرس - وقد أنشأ السلطان الناصر محمد هذا الميدان ليكون به جميع خيوله.

(٢) الحجورة جمع حجر، وهى الأنثى من الخيل.

(٣) الزريبة حظيرة الغنم، وهى عبارة عن كوخ يصنع حيطانه من جرائد النخل السلطان أو الأمير ليأوى إليه طلبا للراحة.

(٤) المقصود بها الضرائب.

واجتهد النواب فى إزالة المناكير حتى طهر الله منها ومن أهلها البلاد.

وفيها قدم مملوك المجد السلامى ورسول أبى سعيد وجوبان، وأخبروا بوصول الهدية السلطانية، وسألوا تجهيز السنجق السلطانى ليسير مع الركب إلى الحجاز، فسير سنجق حرير أصفر بطلعة ذهب، وكتب لصاحب مكة بإكرام حاج العراق.

وفيها قدم البريد من حلب بأن أبا سعيد قد نادى فى مملكته بالحج، فتجهز عالم عظيم ، وأن فياضا وسليمان ابنى مهنا قد كثر فسادهما وقطعهما الطريق على التجار، ويخاف على الراكب العراقى من عرب مهنا. فاقتضى رأى السلطان أن استدعى سيف ابن فضل[١] أخى مهنا من البلاد، وقرر معه أن أباه فضلا يمنع مهنا وأولاده من التعرض لركب العراق، فقام فى ذلك فضل، وخدع أخاه مهنا حتى كف عنهم، ولم يتعرض لأحد منهم، وبعث مهنا بابنه موسى إلى السلطان بأنه لم يتعرض للركب، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى من معه.

وفيها أخرج الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى[٢] إلى الشام على إمرة لتغير كريم الدين الكبير منه.

وفى ثانى عشرى رجب: عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق، ثم اعتقل بالقلعة إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين، فأفرج عنه.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى بن أبى إسحاق قاضى شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى بن أبى إسحاق السروجى الحنفى[٣]، فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب، بعد عزله فى رابع ربيع الآخر بشمس

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا أمير عرب الفضل، فى بادية الشام. ولى إمرة قومه عدة مرات بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤هـ، ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤. والدرر الكامنة ٢ / ١٨٣ والأعلام ١٥٠/٣.

(٢) محمد بن عيسى، بدر الدين التركمانى: بانى «جامع المقياس» بمصر. كان وزيرا بها. وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميرا إلى الشام. ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوقف بها. انظر البداية والنهاية ١٨١/١٤ والدرر الكامنة ١٣٢/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

(٣) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى، أبو العباس، شمس الدين. فقيه، كان حنبليا وتحول-

الدين محمد بن عثمان الحريرى، ومولده سنة سبع وثمانين وستمائة، وكان من أئمة الحنفية، ولم يسمع عنه ما يشينه، ولا راعى صاحب جاه قط، مع السماح والجود.

ومات الشيخ أبو العباس أحمد بن أبى بكر بن عرام بن إبراهيم بن ياسين بن أبى القاسم بن محمد بن إسماعيل الشيخ بهاء الدين أبى العباس بن أبى الفضائل بن أبى المجد ابن أبى إسحاق الربعى الشافعى، سبط أبى الحسن على الشاذلى، فى ليلة سابع شوال، ومولده سنة أربع وستين وستمائة. سمع الحديث وقرأ النحو وتصوف، وتصدر بالإسكندرية لإقراء العربية، وولى نظر الأحباس بها، وصنف فى الفقه وغيره.

ومات الصاحب قوام الدين الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن أبى سعيد - المعروف بابن الطراح[1] - ، فى أول المحرم ببغداد، ومولده فى ربيع الأول سنة خمسين وستمائة، وهو من بيت علم ورياسة، وكان يعرف النحو واللغة والحساب والنجوم والأدب.

ومات الصدر فخر الدين أبو الهدى أحمد بن إسماعيل بن على بن الحباب الكاتب، يوم الخميس تاسع رمضان، عن سبع وتسعين سنة.

وقتل إسماعيل بن سعيد الكردى على الزندقة، يوم الإثنين سادس عشرى صفر، وكان عارفا بالقراءات والفقه والنحو والتصريف، ويحفظ كثيرًا من التوراة والإنجيل، ويحل فى الفقه، ويحفظ العمدة فى الحديث، غير أنه حفظت عنه عظائم فى حق الأنبياء، وكان يتجاهر بالمعاصى، فاجتمع القضاة وضربوا عنقه بين القصرين.

ومات الحسن بن عمر بن عيسى بن الخليل الكردى الدمشقى، بناحية الجيزة تجاه مصر فى ثالث ربيع الآخر، وقد أناف على التسعين، قرأ على السخاوى، وسمع الحديث.

ومات كمال الدين عبد الرحيم بن عبد المحسن بن ضرغام الكنانى الحنبلى، خطيب جامع المنشاة فيما بين القاهرة ومصر، فى ربيع الآخر عن ثلاث وتسعين سنة.

=حنفيا. وأشخص من دمشق إلى مصر، فولى الحكم الشرعى فيها مدة ونعت بقاضى القضاة. وعزل قبل موته بأيام. انظر البداية والنهاية ١٤/٦٠ والدرر الكامنة ١/٩١ والطبقات السنية ١/٣٠٠ الأعلام ١/٨٦.

(١) حسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم، قوام الدين، بن الطراح الشيبانى الصاحب: أديب عراقى. كانت له نيابة عن السلطنة فى بعض البلدان. انظر الدرر الكامنة ٢/٣٤ الأعلام ٢/٣٤ والأعلام ٢/٢١٥.

ومات كمال الدين أبو الحفص عمر بن عز الدين أبى البركات عبد العزيز بن محيى الدين أبى عبد الله بن محمد بن نجم الدين أبى الحسن أحمد بن جمال الدين هبة الله أبى الفضل بن مجد الدين أبى غانم محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة العقيلى الحلبى الحنفى، قاضى القضاة الحنفية بحلب، وكان مشكورًا.

ومات زين الدين أبو القاسم محمد بن العلم محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق الإسكندرى الفقيه المعمر المالكى، بمصر فى ليلة الجمعة حادى عشر المحرم، عن اثنتين وتسعين سنة، ولى قضاء الإسكندرية مدة اثنتى عشرة سنة، وعرض عليه قضاء دمشق فامتنع، وله نظم.

ومات شرف الدين يعقوب بن أحمد بن الصابونى الحلبى، بالقاهرة فى يوم الخميس تاسع عشرى رجب، كان محدثًا عدلا، ودرس بالمنكوتمرية من القاهرة، وتميز فى كتابة السجلات.

ومات القاضى زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن بن حسين الأسعردى، محتسب القاهرة ووكيل بيت المال، فى يوم الإثنين سادس عشرى رمضان، واستقر فى الوكالة بعده قطب الدين محمد بن على بن عبد الصمد السنباطى، وفى حسبة القاهرة ابن عمه نجم الدين محمد بن الحسين.

ومات على بن عبد الصمد الأسعردى، فى سابع شوال.

ومات الشيخ نجم الدين أبو الحسن على بن الأسيوطى المقرئ الواعظ، فى يوم الجمعة سادس عشر ذى الحجة.

وقتل أقبجا مملوك ركن الدين بيبرس التاجى بدمشق؛ لدعواه النبوة، فى خامس عشرى ربيع الأول.

ومات بهاء الدين السنجارى محتسب مصر، يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى القعدة، فولى بعد نجم الدين أحمد بن محمد بن أبى الحزم القمولى خليفة الحكم، فى ثامن ذى الحجة.

ومات صاحب غرناطة من بلاد الأندلس الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن

إسماعيل بن يوسف بن نصر[١]، فى ذى القعدة، وأقيم بعده ابنه أبو عبد الله محمد[٢]، فكانت مدته ثلاث عشرة سنة.

* * *

---

(١) إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر بن الأحمر، أبو الوليد السلطان الغالب= =بالله: أمير المؤمنين، خامس ملوك دولة بنى نصر بن الأحمر. انظر الإحاطة ٢٢١/١ والنجوم الزاهرة ٢٥٠/٩ والدرر الكامنة ٣٧٥/١ والأعلام ٣٢١/١.

(٢) محمد بن إسماعيل بن فرج، من بنى نصر بن الأحمر، أبو عبد الله: أحد ملوك بنى الأحمر فى الأندلس وهو سادسهم. انظر اللمحة البدرية ٣٩٠/٣ والأعلام ٣٦/٦

سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثالث المحرم: قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز، وكان قد سافر إلى مكة فى مدة اثنى عشر يومًا، وغاب - حتى قدم - نحو شهر، وتصدق فى الحرمين باثنى عشر ألف دينار.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: قدم الأمير أرغون النائب من الحجاز، وكان قد سافر أول ذى القعدة، ومشى من مكة إلى عرفات على قدميه بهيئة الفقراء. ثم قدم الأمير بهاء الدين أصلم أمير الركب بالحاج، ولم ير فيما تقدم مثل كثرة الحاج فى موسم الحالية. وكانت الوقفة يوم الجمعة. وكان حاج مصر سبعة ركوب: ركب فى شهر رجب، وأربعة فى شوال أولها رحل فى يوم الإثنين سادس عشره، ورحل آخرها يوم الجمعة تاسع عشره. وسار الأمير أرغون النائب أول ذى القعدة فى جماعة، ثم توجه الفخر فى جماعة، وركب البحر خلائق، واجتمع بعرفة ما يزيد على ثلاثين ركبا. ووقف محمل العراق خلف محمل مصر، ومن خلفه محمل اليمن.

واعتنى أبو سعيد بأمر حاج العراق عناية تامة، وغشى المحمل بالحرير ورصعه باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر، وجعل له جترًا ينصب عليه إذا وضع. فلما مر ركب العراق بعرب البحرين خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم، فتوسط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة آلاف دينار، فلما قيل لهم إنما جئنا من العراق بأمر الملك الناصر صاحب مصر وكتابه إلينا بالمسير إلى الحجاز أعادوا المال، وقالوا: «لأجل الملك الناصر نخفركم بغير شىء»، ومكنوهم من المسير. فبلغ ذلك السلطان فسر به، وبالغ فى الإنعام على العربان. وكان السلطان قد بعث إلى أمراء المغل وأعيانهم الخلع، فلما انقضى الحج خلع عليهم الأمير أرغون النائب، ودعا لأبى سعيد بعد الدعاء للسلطان بمكة.

وفيه قدم كتاب نائب الشام فى الشفاعة فى ابن تيمية[1]، وكان قد سجن فى السنة

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى، تقى الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق، ثم أعيد،=

الماضية، فأفرج عنه بعدما سجن خمسة أشهر، وشرط عليه ألا يفتى بمسألة الطلاق.

وفيه استقر كريم الدين الكبير فى نظر الجامع الطولونى، فنمت أوقافه.

وفيه قدم البريد من دمشق بهدم كنيسة لليهود بدمشق، على يد العامة.

وفيها أخرج الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر إلى دمشق. وسببه أنه لما أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره فى بر الخليج الغربى، وعمل القنطرة، أراد أن يفتح فى سور القاهرة خوخة[1] تنتهى إلى حارة الوزيرية، فأذن له السلطان فى فتحها، فخرق بابًا كبيرًا وعمل عليه رنكه[2]، فسعى به علم الدين سنجر الخياط متولى القاهرة أنه فتح بابًا قدر باب زويلة وعمل عليه رنكه، فشق عليه ذلك وأخرجه من يومه على إقطاع الأمير جوبان، ونقل جوبان إلى الإمرة بديار مصر.

وفيه قدم الأمير سيف الدين طقصباى من بلاد أزبك. وقدم من الأردو الأمير باورر ابن براجوا أحد أعيان المغل، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بمصر.

وفيه قدم أبو يحيى اللحيانى[3] من الغرب، ولم يمكن من البلاد، فرتب له بالإسكندرية ما يكفيه، وأقام بها. وفيه أخرج الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى حاجبًا بالشام.

وفى يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر: ثارت العامة يدًا واحدة، وهدموا كنيستين متقابلتين بالزهرى، وكنيسة بستان السكرى - وتعرف بالكنيسة الحمراء - ، وبعض كنيستين بمصر. وكان ذلك من غرائب الاتفاق ونوادر الحوادث: والخبر عنه أنّ السلطان لما عزم على إنشاء الزريبة بجوار جامع الطيبرسى على النيل احتاج إلى طين كثير، فنزل بنفسه وعين مكانًا من أرض بستان الزهرى قريبًا من ميدان المهارة ليأخذ منه الطين، ولينشئ فى هذا المكان بركة[4]، وعوض مستحقى وقفه بدله، وكتب أوراقًا

-ومات معتقلا بقلعة دمشق. انظر فوات الوفيات ١/٣٥٠٤٥ والدرر الكامنة ١/١٤٤ والبداية والنهاية ١٤/١٣٥ وابن الوردى ٢/٢٨٤ وآداب اللغة ٣/٢٤٣ والنجوم الزاهرة ٩/٢٧١ والأعلام ١/١٤٤.

(١) الخوخة باب صغير فى بوابة كبرى لسور أو حصن أو فندق.

(٢) الرنك: شعار للملوك والأمراء الأتراك والمماليك بمصر. انظر المعجم الوجيز ٢٢٧٩٩.

(٣) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتاتى. أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية. ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٩/٦٢٨ وابن خلدون ٦/ ٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/١١٣ والبداية والنهاية ١٤/١٢٩ والأعلام ٣/٤٥،٤٦.

(٤) هذه البركة هى بركة الناصرية التى جعل السلطان الناصر مساحتها سبعة أفدنة.

بأسماء الأمراء، وأفزر لكل منهم قياسًا معلومًا، فتولى قياس ذلك عدة من المهندسين مع الأمير بيبرس الحاجب. وابتدأ الأمراء فى الحفر يوم الثلاثاء تاسع عشرى ربيع الأول، ورفعوا الطين على بغالهم ودوابهم إلى شاطئ النيل حيث عمل الزريبة. فلم يزل الحفر مستمرا إلى أن قرب من كنيسة الزهرى، وأحاط بها الحفر من دايرها وصارت فى الوسط، بحيث تمنع من اتساع البركة. فعرف الأمير آقسنقر شاد العمائر السلطان بذلك، فأمره أن يبالغ فى الحفر حولها حتى تتعلق، وإذا دخل الليل فيدع الأمراء تهدمها، ويشيع أنها سقطت على غفلة منهم، فاعتمد الحفر فيما حولها، وكتم ما يريده، وصارت غلمان الأمراء تصرخ وتريد هد الكنيسة، وآقسنقر يمنعهم من ذلك.

فلما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر: بطل العمل وقت الصلاة لاشتغال الأمراء بالصلاة، فاجتمع من الغلمان والعامة طائفة كبيرة، وصرخوا صوتًا واحدًا الله أكبر، ووقعوا فى أركان الكنيسة بالمساحى والفوس حتى صارت كوما، ووقع من فيها من النصارى، وانتهب العامة ما كان بها. والتفتوا إلى كنيسة الحمراء المجاورة لها، وكانت من أعظم كنائس النصارى، وفيها مال كبير، وعدة من النصارى ما بين رجال ونساء مترهبات، فصعدت العامة فوقها، وفتحوا أبوابها ونهبوا أموالها وخمورها. وانتقلوا إلى كنيسة بومنا بجوار السبع سقايات، وكانت معبدًا جليلا من معابد النصارى، فكسروا بابها ونهبوا ما فيها، وقتلوا منها جماعة، وسبوا بنات كانوا بها تزيد عدتهن على ستين بكرا. فما انقضت الصلاة حتى ماجت الأرض، فلما خرج الناس من الجامع رأوا غبارًا ودخان الحريق قد ارتفعا إلى السماء، وما فى العامة إلا من بيده بنت قد سباها أو جرة خمر أو ثوب أو شيء من النهب، فدهشوا وظنوا أنها الساعة قد قامت.

وانتشر الخبر من السبع سقايات إلى تحت القلعة، فأنكر السلطان ارتفاع الأصوات بالضجيج، وأمر الأمير أيدغمش بكشف لخبر. فلما بلغه ما وقع انزعج لذلك انزعاجًا زائدًا، وتقدم إلى أيدغمش أمير آخور، فركب بالوشاقية ليقبض على العامة ويشهرهم. فما هو إلا أن ركب أيدغمش إذا بمملوك الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة حضر وأخبر بأن العامة ثارت بالقاهرة، وأخربوا كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة، وأنه ركب خوفًا على القاهرة من النهب. وقدم مملوك والى مصر وأخبر بأن عامتها قد تجمعت لهدم كنيسة المعلقة حيث مسكن البترك وأموال النصارى، ويطلب نجدة. فلشدة ما نزل بالسلطان من الغضب هم أن يركب بنفسه، ثم أردف أيدغمش بأربعة أمراء ساروا إلى مصر، وبعث بيبرس الحاجب، وألماس الحاجب إلى موضع الحفر، وبعث طينال إلى القاهرة؛ ليضعوا السيف فيمن وجدوه. فقامت القاهرة ومصر على

ساق، وفرت النهابة، فلم تدرك الأمراء منهم إلا من غلب على نفسه بالسكر من الخمر. وأدرك الأمير أيدغمش والى مصر وقد هزمته العامة من زقاق المعلقة، وأنكوا مماليكه بالرمى عليهم، ولم يبق إلا أن يحرقوا أبواب الكنيسة، فجرد هو ومن معه السيوف ليفتك بهم، فرأى عالمًا عظيمًا لا يحصيهم إلا خالقهم، فكف عنهم خوف اتساع الخرق، ونادى من وقف فدمه حلال، فخافت العامة أيضًا وتفرقوا. ووقف أيدغمش يحرس المعلقة إلى أن أذن العصر، فصلى بجامع عمرو، وعين خمسين أوشاقيا للمبيت مع الوالى على باب الكنيسة، وعاد.

وكان كأنما نودى فى إقليم مصر بهدم الكنائس، وأول ما وقع الصوت بجامع قلعة الجبل: وذلك أنه لما انقضت صلاة الجمعة صرخ رجل موله[١] فى وسط الجامع: «اهدموا الكنيسة التى فى القلعة»، وخرج فى صراخه عن الحد واضطرب. فتعجب السلطان والأمراء منه، وندب نقيب الجيش والحاجب لتفتيش سائر بيوت القلعة، فوجدوا كنيسة فى خرائب التتر قد أخفيت، فهدموها. وما هو إلا أن فرغوا من هدمها والسلطان يتعجب إذ وقع الصراخ تحت القلعة، وبلغه هدم العامة للكنائس كما تقدم، وطلب الرجل الموله فلم يوجد.

وعندما خرج الناس من صلاة الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة رأوا العامة فى هرج عظيم، ومعهم الأخشاب والصلبان والثياب وغيرها، وهم يقولون: «السلطان نادى بخراب الكنائس»، فظنوا الأمر كذلك. وكان قد خرب من كنائس القاهرة سوى كنيستى حارة الروم وحارة زويلة وكنيسة بالبندقانيين كنائس كثيرة، ثم تبين أن ذلك كان من العامة بغير أمر السلطان.

فلما كان يوم الأحد حادى عشره: سقط الطائر من الإسكندرية بأنه لما كان الناس فى صلاة الجمعة تجمع العامة وصاحوا هدمت الكنائس، فركب الأمير بدر الدين المحسنى متولى الثغر بعد الصلاة ليدرك الكنائس، فإذا بها قد صارت كومًا، وكانت عدتها أربع كنائس. ووقعت بطاقة من والى البحيرة بأن العامة هدمت كنيستين فى مدينة دمنهور[٢]، والناس فى صلاة الجمعة. ثم ورد مملوك والى قوص فى يوم الجمعة سابع عشره، وأخبر بأنه لما كان يوم الجمعة هدم العامة ست كنائس بقوص فى نحو نصف ساعة. وتواترت الأخبار من الوجه القبلى والوجه البحرى بهدم الكنائس وقت صلاة الجمعة، فكثر التعجب من وقوع هذا الاتفاق فى ساعة واحدة بسائر الأقاليم.

---

(١) المقصود بالموله الذى ذهب عقله.

(٢) بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٢.

وصار السلطان يشتد غضبه من العامة، والأمراء تسكن غضبه وتقول: «يا مولانا! هذا إنما هو من فعل الله. وإلا فمن يقدر من الناس على هدم كنائس الإسكندرية ودمياط[١] والقاهرة ومصر وبلاد الصعيد فى ساعة واحدة؟»، وهو يشتد على العامة ويزيد البطش بهم، فهرب كثير منهم.

وكان الذى هدم فى هذه الساعة من الكنائس ستون كنيسة: وهى كنيسة بقلعة الجبل، وكنيسة بأرض الزهرى موضع البركة الناصرية، وكنيسة بالحمراء، وكنيسة بجوار السبع سقايات، وكنيسة أبى المنا بجوارها، وكنيسة الفهادين بحارة الحكر، وكنيسة بحارة الروم من القاهرة، وكنيسة البندقانيين منها، وكنيسة بحارة زويلة، وكنيسة بخزانة البنود، وكنيسة بالخندق خارج القاهرة، وأربع كنائس بالإسكندرية، وكنيستان بدمنهور الوحش، وأربع كنائس بالغربية، وثلاث كنائس بالشرقية، وست كنائس بالبهنساوية[٢]، وبسيوط[٣] ومنفلوط[٤] ومنية بن خصيب[٥] ثمانى كنائس، وقوص[٦] وأسوان[٧] إحدى عشرة كنيسة، والإطفيحية[٨] كنيستان، وبمدينة مصر بخط المصاصة[٩]وسوق وردان وقصر الشمع ثمانى كنائس، ومن الأديرة شىء كثير.

وكان عقيب هدم الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى، وتواتر إلى سلخه. وكان من خبره أن الميدان الكبير المطل على النيل

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٣/٤٧٢/٢.

(٢) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٧/٥١٦/١.

(٣) مدينة فى غربى النيل نواحى صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١٩٣/١، ١٩٤.

(٤) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢١٥

(٥) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٨.

(٦) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١٣٣.

(٧) مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ١٩١/١.

(٨) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

(٩) من أكبر خطوط الفسطاط – أى مصر، وموقعه بجوار خط تجيب.

لما فرغ العمل فيه ركب السلطان إليه فى يوم السبت المذكور، وكان أول لعبه فيه بالأكرة، فبلغه الخبر بعد عوده إلى القلعة بأن الحريق وقع فى ربع من أوقاف المارستان المنصورى، بخط الشوايين[1] من القاهرة. واشتد الأمر، والأمراء تطفئه إلى عصر يوم الأحد، فوقع الصوت قبل المغرب بالحريق فى حارة الديلم بزقاق العريسة، قريب من دار كريم الدين الكبير. ودخل الليل واشتد هبوب الرياح، فسرت النار فى عدة أماكن. وبعث كريم الدين بولده علم الدين عبد الله إلى السلطان يعرفه، فبعث عدة من الأمراء والمماليك لإطفائه خوفًا على الحواصل السلطانية. ثم تفاقم الأمر، واحتاج آقسنقر شاد العمائر إلى جمع سائر السائقين والأمراء، ونزلت الحجاب وغيرهم، والنار تعظم طول نهار الأحد، وخرجت النساء مسبيات من دورهن. وباتوا على ذلك، وأصبحوا يوم الإثنين والنار تتلف ما تمر به، والهد واقع فى الدور التى تجاور الحريق خشية من تعلق النار فيها وسريانها فى جميع دور القاهرة.

فلما كانت ليلة الثلاثاء خرج أمر الحريق عن القدرة البشرية، وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرقت المراكب، ونشرت النار، فما شك الناس فى أن القيامة قد قامت. وعظم شرر النيران، وصارت تسقط فى عدة مواضع بعيدة، فخرج الناس وتعلقوا بالمآذن، واجتمعوا فى الجوامع والزوايا، وضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وصعد السلطان إلى أعلا القصر، فهاله ما شاهد.

وأصبح الناس يوم الثلاثاء فى أسوأ حال، فنزل النائب بسائر الأمراء وجميع من فى القلعة وجميع أهل القاهرة، ونقل الماء على جمال الأمراء، ولحقه الأمير بكتمر الساقى. وأخرجت جمال القرى السلطانية، ومنعت أبواب القاهرة أن يخرج منها سقاء، ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار. وجمعت سائر البنائين والنجارين، فهدت الدور من أسفلها والنار تحرق فى سقوفها. وعمل الأمراء الألوف - وعدتهم أربعة وعشرون أميرًا - بأنفسهم فى طفى الحريق، ومعهم سائر أمراء الطبلخاناه والعشراوات، وتناولوا الماء بالقرب من السقائين، بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحرًا، وحضر كريم الدين أكرم الصغير بمائتى رجل. فكان يومًا لم ير أشنع منه، بحيث لم يبق أحد إلا وهو فى شغل. ورؤى سائر الأمراء وهى تأخذ القرب من مماليكها، وتطفئ النار بأنفسها، وتدوس الوحل بأخفافها. ووقف الأمير بكتمر الساقى والأمير أرغون النائب حتى نقلت الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده علم الدين عبد الله بدرب الرصاصى، وهدم لأجل نقل الحواصل ستة عشر دارًا. وخمدت النار وعاد الأمراء.

---

(١) هو أول سوق أنشئ بالقاهرة.

فوقع الصياح فى ليلة الأربعاء بربع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقيسارية الفقراء، وهبت الرياح مع ذلك. فركب الحجاب والوالى وعملوا فى طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء وهدموا دورًا كثيرة مما حوله. فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار فى بيت الأمير سلار بخط القصرين، فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادهنج[١] - وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل - ورأوا فيه نفطًا قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فمازالوا بالنار حتى أطفئت، من غير أن يكون لها أثر كبير. ونودى بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهرة ومصر زير ودن ملآن ماء، وكذلك بسائر الحارات والأزقة، فبلغ ثمن كل دن من ثلاثة دراهم إلى خمسة، وكل زير إلى ثمانية دراهم؛ لكثرة طلبها.

فلما كانت ليلة الخميس: وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة، وتمادى الحال كذلك، ولا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر، وامتنع والى القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم. فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أنكاهم هدم الكنائس ونهبها، وصارت النيران توجد تارة فى منابر الجوامع وتارة فى حيطان المدارس والمساجد. ووجدت النار بالمدرسة المنصورية، فزاد قلق الناس وكثر خوفهم، وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء فى أسطحة الدور وغيرها. وأكثر ما كانت النار توجد فى العلو، فتقع فى زروب الأسطحة والبادهنجانات، ويوجد النفط قد لف فى [الخرق] [٢] المبللة بالزيت والقطران.

فلما كانت ليلة الجمعة حادى عشريه: قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة، وقد أرميا النار، وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة، فشم منهما رائحة الكبريت والزيت، فأحضرهما من الغد إلى السلطان، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا. فلما نزل الأمير علم الدين بهما وجد العامة قد قبضت على نصرانى من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية، ومعه كعكة خرق بها نفط وقطران، وقد وضعها بجانب المنبر، فلما فاح الدخان وأنكروه وجد النصرانى وهو خارج والأثر فى يديه، فعوقب قبل صاحبيه. فاعترف النصرانى أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط، وفرقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع. ثم عاقب الأمير علم الدين الراهبين، فأقرا أنهما من دير البغل[٣]، وأنهما هما اللذان أحرقا سائر الأماكن التى تقدم

---

(١) على هامش ط: البادهنج - منفذ للتهوية فى البيوت.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط فى الأصل.

(٣) موضع هذا الدير بأعلى جبل المقطم شرقى طرا وحلوان.

ذكرها. وذلك أنه لما مر بالكنائس ما كان، حنق النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليها، واتفقوا على نكاية المسلمين، وعملوا النفط وحشوه بالفتائل وعملوها فى سهام ورموا بها، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع. فلما أنفقوا ذلك فرقوه فى جماعة، فصاروا يدورون فى القاهرة بالليل، وحيث وجدوا فرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة، حتى كان ما كان. فطالع الأمير علم الدين السلطان بذلك.

واتفق وصول كريم الدين الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال كريم الدين: «النصارى لهم بطرك يرجعون إليه، وهو الذى يعرف أحوالهم». فأمر السلطان كريم الدين بطلب البطرك إلى بيته واستعلام الخبر منه، فأتاه ليلا فى حماية والى القاهرة خوفا من العامة، فبالغ كريم الدين فى إجلاله، وأعلمه بما ذكر الرهبان وأحضرهم إليه، فذكروا له كما ذكروا للوالى، فبكا وقال: «هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلوا سفهاؤكم، والحكم للسلطان. ومن أكل الحامض ضرس، والحمار العثور يلقى الأرض بأسنانه». وأقام البطرك ساعة، وقام فركب بغلة كان قد رسم له منذ أيام بركوبها، فشق ذلك على الناس، وهموا به لولا الخوف ممن حوله من المماليك.

فلما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة به: «ما يحل لك يا قاضى تحامى للنصارى، وقد أخربوا بيوت المسلمين، وتركبهم البغال»، فانتكى كريم الدين منهم نكاية بالغة، وأخذ يهون من أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء، وعرف السلطان ما كان من أمر البطرك، وأنه اعتنى به. فأمر السلطان الوالى بعقوبة النصارى، فأقروا على أربعة عشر راهبًا بدير البغل، فقبض عليهم من الدير. وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة، وأحرق فيها أربعة منهم فى يوم الجمعة، وقد اجتمع من الناس عالم عظيم. فاشتدت العامة عند ذلك على النصارى، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم، وألقوهم من الدواب إلى الأرض.

وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثانى عشريه، وقد اجتمع عالم عظيم، وصاحوا: «نصر الله الإسلام، انصر دين محمد بن عبد الله». فلما استقر السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن والى القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما، فأحرقا خارج الميدان. وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه التشريف، فصاحت به العامة: «كم تحامى للنصارى؟»، وسبوه ورموه بالحجارة، فعاد إلى الميدان. فشق ذلك على السلطان،

واستشار الأمراء فى أمر العامة، فأشار عليه الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك[١] بعزل الكتاب النصارى، فإن الناس قد أبغضوهم، فلم يرضه ذلك. وتقدم السلطان إلى ألماس الحاجب أن يخرج فى أربعة أمراء ويضع السيف فى العامة حتى ينتهى إلى باب زويلة، ويمر إلى باب النصر وهو كذلك، ولا يرفع السيف عن أحد، وأمر والى القاهرة أن يتوجه إلى باب اللوق والبحر، ويقبض من وجده، ويحملهم إلى القلعة، وعين لذلك مماليك تخرج من الميدان. فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو، فقبل شفاعته، ورسم بالقبض على العامة من غير قتلهم.

وكان الخبر قد طار، ففرت العامة حتى الغلمان، وصار الأمير لا يجد من يركبه. وانتشر ذلك، فغلقت جميع أسواق القاهرة، فما وصل الأمر إلى باب زويلة حتى لم يجدوا أحدًا، وشقوا القاهرة إلى باب النصر، فكانت ساعة لم يمر بالناس أعظم منها. ومر الوالى إلى باب اللوق وبولاق وباب البحر، وقبض كثيرًا من الكلابزة[٢] والنواتية وأراذل العامة، بحيث صار كل من رآه أخذه. وجفل الناس من الخوف، وعدوا فى المراكب إلى بر الجيزة.

فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحدًا فى طريقه، وأحضر إليه الوالى بمن قبض عليه وهم نحو المائتين، فرسم أن يصلبوا، وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط وجماعة لقطع الأيدى. فصاحوا: «يا خوند! ما يحل لك! فما نحن الغرماء!»، وتباكوا. فرق لهم بكتمر الساقى، وقام معه الأمراء، ومازالوا بالسلطان حتى رسم بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى سوق الخيل، وأن يعلقوا بأيديهم. فأصبحوا يوم الأحد صفا واحدًا من باب زويلة إلى سوق الخيل تحت القلعة، فتوجع لهم الناس، وكان منهم كثير من بياض[٣] الناس؛ ولم تفتح القاهرة.

وخاف كريم الدين على نفسه، ولم يسلك من باب زويلة، وصعد القلعة من خارج السور، فإذا السلطان قد قدم الكلابزة وأخذ فى قطع أيديهم. فكشف كريم الدين رأسه وقبل الأرض، وباس رجل السلطان، وسأله العفو. فأجابه السلطان بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل فى الحفير بالجيزة. ومات ممن قطع يده رجلان، وأمر بحط من علق على الخشب.

---

(١) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣.

(٢) على هامش ط: الكلابزة جمع كلابزى، وهو الشخص الذى يركب بكلاب الصيد عند سلطان أو أمير من الأمراء.

(٣) المقصود ببياض الناس كرماؤهم وأنقياؤهم.

فللحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع ابن طولون، وبوقوع الحريق فى القلعة وفى بيت الأحمدى بحارة بهاء الدين من القاهرة، وبفندق طرنطاى خارج باب البحر؛ فدهش السلطان. وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت الوارد من الشام، فعمت النار كل ما فيه حتى العمد الرخام، وكانت ستة عشر عمودًا، طول كل منها ستة أذرع باعمل، ودوره نحو ذراعين، فصارت كلها جيرًا، وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم، وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم فتائل النفط، اعترفوا أنهم فعلوا ذلك.

فلما كان يوم السبت تاسع عشريه: ركب السلطان إلى الميدان، فوجد نحو العشرين ألفا من العامة قد صبغوا خرقا بالأزرق والأصفر، وعملوا فى الأزرق صلبانًا بيضاء، ورفعوها على الجريد، وصاحوا عليه صيحة واحدة: «لا دين إلا دين الإسلام! نصر الله دين محمد بن عبد الله! يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام، انصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى». فخشع السلطان والأمراء، ومر إلى الميدان وقد اشتغل سره. وركبت العامة أسوار الميدان، ورفعت الخرق وهى تصيح: «لا دين إلا دين الإسلام». فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم، وتقدم إلى الحاجب بأن يخرج وينادى: «من وجد نصرانيا فدمه وماله حلال». فلما سمعوا النداء صرخوا صوتًا واحدًا: «نصرك الله يا ناصر دين الإسلام»، فارتجت الأرض.

ونودى عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: «من وجد من النصارى بعمامة بيضاء حل دمه. ومن وجد من النصارى راكبا باستواء حل دمه». وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق، وألا يركبوا فرسا ولا بغلا، وأن يركبوا الحمير عرضًا، ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس فى أعناقهم، ولا يتزيوا بزى المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم. ورسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال، وغلقت الكنائس والأديرة، وطلب السنى ابن ست بهجة، والشمس بن كثير فلم يوجدا.

وتجرأت العامة على النصارى، بحيث إذا وجدوهم ضربوهم وعروهم ثيابهم، فلم يتجاسر نصرانى أن يخرج من بيته. ولم يتحدث فى أمر اليهود، فكان النصرانى إذا طرأ له أمر يتزيا بزى اليهود، ويلبس عمامه صفراء يكتريها من يهودى ليخرج فى حاجته. واتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودى له عليه مبلغ ألف درهم ليأخذ منه شيئًا، فأمسكه اليهودى وصاح: «أنا بالله وبالمسلمين»، فخاف النصرانى، وقال له:

«أبرأت ذمتك»، وكتب له خطه بالبراءة وفر. واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام، فأسلم السنى ابن ست بهجة فى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة، وخلع عليه، وأسلم كثير منهم، واعترف بعضهم على راهب بدير الخندق أنه كان ينفق المال فى عمل النفط للحريق ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا.

وانبسطت ألسنة الأمراء بسبب كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بكتمر الساقى بسبب كريم الدين الكبير، فإن بكتمر كان يعتنى به وبالدواوين، والفخرى يضع منه ومنهم، وصار مع كل من الأميرين جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وأن الأمراء تترقب وقوع الفتنة.

وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى أحدًا فى طريقه من العامة لكثرة خوفهم من أن يبطش بهم، فلم يعجبه ذلك، ونودى بخروج الناس للفرجة على الميدان، فخرجوا على عادتهم. فلما كانت ليلة الأحد ثانى عشريه وقع الحريق بالقلعة، وعظم أمره حتى اشتد القلق إلى أن طفى.

وفى رابع عشريه: توجه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية، ونادى فيها بلبس النصارى العمائم الزرق، ومنعهم من المباشرة فى الديوان. فوردت مراكب تحصل منها للديوان نحو الخمسين ألف دينار، فسر كريم الدين بذلك. وعاد كريم الدين إلى القاهرة، فشفع فى إطلاق المقيدين الذين قبض عليهم فأطلقوا، وأعطى كل واحد منهم عشرة دراهم فضة وعشرة فلوسا وقميصا، وفرق ألف قميص، ثم استدعى المسجونين على الديوان، وصالح غرماءهم عنهم، وخلى سبيلهم بحيث لم يبق أحد بسجن القضاة وأغلق.

وفيها ألقيت ورقة فى جناح طائر وجد بالإسطبل تتضمن الإنكار على السلطان، وأنه فرط فى ملكه ومماليكه، والعسكر قد تلف، وقد باع أولاد الناس الإقطاعات التى بأسمائهم، وصاروا يسألون الناس من الحاجة. فغضب السلطان من ذلك، وتقدم إلى نقيب الجيش بكتابة أسماء من باع خبزه، وكشف حال الأجناد ومعرفة من فيهم بغير فرس، وعرض مماليك السلطان، وأخرج منهم مائة إلى الكرك.

وفيه سافر كريم الدين الكبير إلى دمشق على البريد، فتلقاه النائب على العادة، وقدم الناس إليه تقادم جليلة، فلم يقبل منها لأحد منهم شيئًا، بل عمهم بالإنعامات والصدقات، وعاد إلى القاهرة.

وفيها جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، فضرب جماعة وحبس جماعة، وقطع

أخباز أربعة عشر من أولاد الأمراء، ثم أفرج عن المحبوسين بعد شهرين، وبعثهم إلى الشام.

وفيه قدم عرب البحرين بأربعين فرسًا، فقومت بخمسمائة ألف درهم فضة، وأنعم عليهم بعشرة آلاف دينار مصرية زيادة على ذلك، وخلع على الجميع.

وفيها خرج الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائب الكرك بعسكر إلى أياس، وخرجت معه عساكر الشام وحلب بالآلات، فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق، وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها، وغنموا منها مالاً كثيرًا وقتلوا عدة كثيرة منهم، وفر من بقى فى البحر، وذلك فى حادى عشرى ربيع الآخر. وعادت العساكر فأغارت على بلاد تكفور(١)، وأخذت مالا كبيرًا، وقدم الأمير جمال الدين أقوش إلى القاهرة. فبلغ الأمير ألطنبغا نائب حلب أن أهل أياس قد عادوا إليها، فأمسك إلى أن كانت أيام عيد لهم، وركب بعسكر حلب وطرقهم على غفلة، وقتل منهم نحو ألفى رجل وأسر ثلاثمائة، وغنم مالا جزيلا وعاد.

وفيه تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير، لتأخر جوامكهم شهرين، ثم تجمعوا فى يوم الخميس ثامن عشرى صفر قبل الظهر، ووقفوا بباب القصر. وكان السلطان وقتذاك عند الحريم، فلما بلغه ذلك خشى منهم، وبعث بخروج الأمير بكتمر الساقى إليهم، فلم يرضوه، فخرج إليهم السلطان وقد صاروا ألفا وخمسمائة، فعندما رآهم سبهم وأهانهم، وأخذ العصا من المقدم وضرب بها رءوسهم وأكتافهم، وصاح فيهم: «اطلعوا مكانكم»، فعادوا بأجمعهم إلى الطباق، فعدت سلامته من العجائب. ثم إنه أمر النائب بعرضهم، فعرضهم فى يوم السبت آخر صفر، وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية، وأخرج بعد ذلك منهم جماعة من الطباق إلى خرائب تتر، وضرب واحدًا منهم بالمقارع هو وغلامه؛ لكونه شرب الخمر، فمات بعد يومين من ضربه، وأخرج جماعة من الخدام وقطع جوامكهم، وأنزلهم من القلعة.

وفيه قدم رسول جوبان من الأردو يسأل أن يعطى ضيعة من ضياع مصر الخراب؛ ليعمرها ويقفها على الحرم، فأعيد رسوله بأنه يسير إليه مكاتيب ضيعة بعد ذلك.

وفيه أنعم السلطان على جماعة من المماليك بإمريات: منهم علاء الدين أيدغدى التيليلى الشمسى أحد مماليك سنقر الأشقر، وكان قد أمّر فى أيام المنصور لاجين(٢)،

---

(١) المقصود بذلك بلاد أرمينية الصغرى قليقية.

(٢) لاجين المنصور حسام الدين بن عبد الله المنصورى: من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر=

وأنعم على كل من بيبرس الكريمى، وقطلوبغا طاز الناصرى، وعبد الملك المنصورى والى القلعة، وأبو بكر ابن الأمير أرغون النائب، وملكتمر السرجوانى، وطيبغا القاسمى، وطقبغا، وبيدمر، وطغاى تمر من الخاصكية، بإمرة. ونزلوا إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وقد أشعلت لهم القاهرة، وجلس المغانى بالحوانيت فى عدة أماكن، وعمل لهم كريم الدين سماطا جليلا وفواكه ومشارب بالمدرسة، فكان يوما مشهودا.

وفيه نزل السلطان لصيد الكراكى من بركة الحاج، وتقدم لكريم الدين الكبير أن يعمل بها أحواشا للخيل والجمال وميدانًا، ويبنى الأمير بكتمر الساقى مثل ذلك. فجمع كريم الدين من الرجال للعمل نحو ألفى رجل ومائة زوج من البقر حتى فرغ فى أيام يسيرة، وجعل فى الميدان عدة من الحجورة المستولدة، وركب السلطان لمشاهدة ذلك، واستمر يتعاهد الركوب إليها.

وفيه شكا طائفة من أجناد الحلقة من زايد القانون[1] فى البلاد، فرسم للفخر ناظر الجيش ألا يتحدث فى ذلك. وزايد القانون شىء حدث فى الأيام الناصرية: وذلك أن السلطان لما عمل الجسور، واتفق أمرها، وأنشأ عليها القناطر، صار الماء إذا أروى بلاد البحيرة يجد ما يمنعه من الخروج إلى البحر فيتراجع، ثم خرق من موضع خرقًا كالمجراة، واتسع حتى صار خليجًا صغيرا يمر على أراض لم يكن من عادتها أن يعلوها الماء. فطالع الأمير ركن الدين القلنجقى كاشف البحيرة السلطان بأن عدة من الأراضى التى فى بلاد المقطعين قد شملها الرى، وسأل أن يقتطع ولده منها خبزًا بعشرة أرماح[2]، فإنها زايدة عن قانون المقطعين. فندب السلطان الأمير أيتمش المحمدى والموفق مستوفى الدولة لكشف هذه الأراضى وقياسها، فتوجها إلى البحيرة[3] وكشفا عنها، فبلغت خمسة وعشرين ألف فدان، فكتبت مشاريحها[4]، ولم يذكر منها غير خمسة عشر ألف فدان

=والشام. وهو الحادى عشر من ملوك الترك. ويسمى الروك الحسامى. كان مملوكا للمنصور قلاوون، وإليه نسبته.وتقدم إلى أن ولى نيابة السلطنة فى أيام العادل كتبغا ثم خلع العادل وولى السلطنة سنة ٦٩٥هـ وتلقب بالملك المنصور. ثم قتل فى قصره. كانت مدته سنتان وأحد عشر شهرا. انظر مورد اللطافة ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨٥/٨ والأعلام ٢٣٨/٥.

(١) المقصود بذلك ما زاد من الأرض عن المساحة الأصلية للإقطاع المقرر بمكاتيبه.

(٢) الأرماح جمع رمح، والمقصود هنا أن تكون المساحة قدر رمية الرمح عشر مرات.

(٣) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٤) المشاريح جمع مشروح، والمقصود به هنا ما يكتبه الموظف المكلف بعمل من الأعمال بمثابة تقرير وشرح لما كلف به من عمل.

فقط، فإنها كانت أراضى متفرقة فى بلاد المقطعين. فكتب السلطان بها مثالات ما بين ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار، وفرقها على أرباب الجوامك من المماليك، فشق هذا على الأجناد، فإنها كانت من أراضى إقطاعاتهم.

وفى نصف جمادى الآخرة: ولد للسلطان من خوند[(١)] طغاى ولدًا أسماه آنوك. وكانت طغاى هذه جارية تركية اشتراها تنكز نائب الشام من دمشق بتسعين ألف درهم، وبعثها إلى السلطان. فشق على سيدها ذلك لشغفه بها، وحضر إلى السلطان، فأنعم عليه بألفى دينار مصرية، وكتب له مسموحا بألفى دينار. وحظيت الخاتون طغاى عند السلطان، وكانت بارعة الجمال، فعمل السلطان عند ولادتها مهما عظيما إلى الغاية، وأنعم لها بالسفر إلى الحجاز لتحج، فشرع كريم الدين فى تجهيزها، وبعث الأمير تنكز أيضًا يستأذن فى الحج، فأذن له.

وفيها قبض على الأمير صلاح الدين بن البيسرى، وأرخى فى الجب مقيدًا، ثم أخرج بعد يومين إلى الإسكندرية. وسببه أنه كان يتورع عن الأكل من سماط السلطان، وكانت أخته تحت الحاج آل ملك، فشكا منه أنه قد أكل مالها، فقال السلطان: «متورع عن الأكل من السماط، ويأكل مال اليتيم!»، وأمر به فقيد.

وفيها قدم البريد من حلب بمسير جوبان بعساكر المغل لحرب الملك أزبك.

وفيها أنشأ السلطان على بركة الفيل دارًا بجوار دار الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا، وأقام آقسنقر شاد العمائر على عملها، وأدخل فيها كثيرًا من دور الناس وأراضى ملاكها، ورسم بنقل كريم الدين الكبير إليها.

وفيها قدمت تقادم نواب الشام برسم سفر الخاتون[(٢)] طغاى إلى الحجاز، وعمل الأمير أرغون النائب برسمها ثمانى عربات كعادة بلاد الترك لتسافر فيها، وجرها إلى الإسطبل، فأعجب بها السلطان وخلع عليه. وعين للسفر مع الخاتون الأمير قجليس والقاضى كريم الدين الكبير، وخرج النائب والحجاب فى خدمتها إلى بركة الحاج حتى رحلت فى يوم الأربعاء سابع عشرى شوال، ومعها من النقباء صاروجا وبكتاش، ورفعت عليها العصائب السلطانية، ودقت الكوسات وراءها، وحملت الخضراوات والبقول والرياحين فى المحابر[(٣)] مزروعة فى الطين، ولم يعهد سفر امرأة من نساء الملوك مثل سفرها.

---

(١) على هامش ط: كان هذا اللفظ يستعمل لقبا للملوك فقط.

(٢) على هامش ط: كان هذا اللفظ يطلق على الملكات والأميرات.

(٣) المحابر جمع محبرة، وهو صندوقان يشدان إلى جانبى الرحل.

وفيها خرج السلطان إلى الصيد، وقد توقف حال الناس فى أمر الفلوس لكثرة الزغل فيها، وتحسنت البضائع. فلما قدم السلطان من الصيد رسم أن تكون الفلوس بالميزان، بعدما ضرب كثيرًا من الباعة.

وفيها سقط نجم عظيم بعد العصر، فطبق شعاعه الأرض، ورآه كل أحد.

وفيها ولدت كلبة بالقاهرة ثلاثين جروا، وأحضرت بجراها إلى السلطان.

وفى يوم الإثنين سادس عشرى رمضان: شكا طلبة زاوية الشافعى بجامع عمرو من مدرسهم شهاب الدين الأنصارى، وأبدوا فيه قوادح، فصرف عنهم، وولى عوضه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة[١]، ونزلت إليه الخلعة يوم الجمعة سلخه، فلبسها يوم العيد.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

نور الدين إبراهيم بن هبة الله بن على الحميرى الإسنائى[٢] الفقيه الشافعى، قاضى قوص[٣]، بالقاهرة يوم الثلاثاء سادس عشرى صفر، أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطى[٤]، والأصول عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمود

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، وتوفى بمصر. انظر فوات الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ ودار الكتب ٥٣٥/٥ والأعلام ٢٩٧/٥.

(٢) إبراهيم بن هبة الله بن على الحميرى، نور الدين الإسنوى: قاض، شافعى، من أهل إسنا بصعيد مصر ويقال له الإسنائى أيضا نسبة إليها. تنقل فى القضاء، وتوفى بالقاهرة معزولا. له «شرح المنتخب» فى أصول الفقه، و«نثر ألفية ابن مالك» فى النحو. انظر طبقات الشافعية ٨٣/٦ والدرر الكامنة ٧٤/١ وبغية الوعاة ١٨٩ والأعلام ٧٨/١.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤٣/٤.

(٤) هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل، أبو القاسم، بهاء الدين القفطى: باحث مصرى. عارف بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. ولد بقفط فى الصعيد المصرى وتفقه بقوص وولى فيها أمانة الحكم وتوجه إلى إسنا حاكما وسعيدا بالمدرسة الغزية، فمدرسا. وترك القضاء أخيرا، فعكف على العبادة والعلم، إلى أن توفى بإسنا. انظر الطالع السعيد ٣٩٦ - ٤٠١ وطبقات السبكى ١٦٣/٥ والكتبخانة ٤٤٣/١ وبغية الوعاة ٤٠٨ وطبقات المفسرين والأعلام ٧٣/٨.

الأصبهانى[١]، والنحو عن ابن النحاس[٢]. وبرع فى ذلك وصنف.

ومات تاج الدين أبو الهدى أحمد بن محمد بن الكمال أبى الحسن على بن شجاع القرشى العباسى، بمنشاة المهرانى خارج مدينة مصر، عن تسع وسبعين سنة، فى سابع جمادى الأولى.

ومات مجد الدين أحمد بن معين الدين أبى بكر الهمذانى المالكى، خطيب الفيوم[٣]، يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول، وكان يضرب به المثل فى المكارم والسودد، وهو أخو قاضى القضاة شرف الدين المالكى، وصهر الصاحب تاج الدين محمد بن حنا[٤].

ومات بمكة الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن محمد الأصبهانى، فى جمادى الآخرة.

ومات الأمير زين الدين كتبغا العادلى حاجب دمشق بها، فى يوم الجمعة ثامن عشرى شوال، واستقر عوضه الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى، وكان شجاعا كريما.

ومات تقى الدين محمد بن عبد الحميد بن عبد الغفار الهمذانى الحلبى الضرير بمصر، وجد ميتًا فى حادى عشر ذى الحجة، وقد أناف على السبعين، وحدث بأشياء.

---

(١) محمد بن محمود بن محمد بن عياد السلمانى، أبو عبد الله، شمس الدين الأصبهانى: قاض، من فقهاء الشافعية بأصبهان. ولد وتعلم بها. رحل إلى بغداد ثم إلى الروم ودخل الشام بعد سنة٦٥٠هـ فولى قضاء «منبج» ثم توجه إلى مصر. وولى قضاء قوص. فقضاء الكرك واستقر آخر أمره فى القاهرة، مدرسا، وتوفى بها. له كتب منها «شرح المحصول للرازى» فى أصول الفقه. انظر فوات الوفيات ٢/٢٦٥ والبداية والنهاية ١٣/٣١٥ وبغية الوعاة ١٠٣ وطبقات الشافعية ٥/٤١ وحسن المحاضرة ١/٣١٣ والأعلام ٧/٨٧.

(٢) محمد بن إبراهيم بن محمد، بهاء الدين، بن النحاس الحلبى: شيخ العربية بالديار المصرية فى عصره. ولد فى حلب، وسكن القاهرة وتوفى بها. له «إملاء على كتاب المقرب» لابن عصفور، و«هدى أمهات المؤمنين» و«التعليقة». انظر فوات الوفيات ٢/١٧٢ وبغية الوعاة ٦ وغاية النهاية ٢/٤٦ أعلام النبلاء ٤/٥٣٣ والوافى ٢/١٠ والأعلام ٥/٢٩٧.

(٣) بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦.

(٤) محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم، أبو عبد الله، تاج الدين، ويلقب بالصاحب كأبيه فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين، من آل حنا: وجيه مصرى. انتهت إليه رياسة عصره فى بلده. اشتغل بالحديث والأدب ونظم الشعر والتوشيح وحدث بمصر ودمشق. انظر الوافى ١/٢١٧ والدرر ٤/٢٠١ والفوات ٢/١٥٣ والضوء اللامع ١١/٢٤٤ والأعلام ٧/٣٢.

ومات الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر شمس الدين يوسف ابن المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول التركمانى[1] ملك اليمن، فى مستهل ذى الحجة، وكانت مدته خمسا وعشرين سنة، وقام من بعده ابنه الملك المجاهد سيف الدين على[2].

ومات كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الدست، يوم الإثنين خامس عشر ذى الحجة بالقاهرة، وكان حشما رئيسا عاقلا.

ومات الطواشى صفى الدين جوهر مقدم المماليك السلطانية، فاستقر بعده الطواشى صفى الدين صواب الركنى، وكان صواب الركنى هذا يلى تقدمة المماليك فى الأيام الركنية بيبرس، فلما قدم السلطان من الكرك عزله، ثم أعاده بعد موت جوهر.

ومات حميد الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود بن نصر النيسابورى، شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فى تاسع عشر جمادى الآخرة، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الشيخ تاج الدين يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمنهورى الشافعى، فى ثالث عشر جمادى الأولى. كان يتصدر لإقراء النحو، وصنف.

ومات بمكة الإمام المقرئ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله ابن عبد الأحد المخزومى الدلاصى، فى ليلة رابع عشر المحرم.

* * *

---

(١) داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول: صاحب اليمن، السلطان الملك المؤيد، هزبر الدين ابن الملك المظفر، التركمانى الأصل. مولده ونشأته ووفاته باليمن. ولى الملك بعد وفاة أخيه الأشرف سنة ٦٩٥هـ واتسقت له الأمور. توفى فى قصر الشجرة ودفن فى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٤٤٠/١ وفوات الوفيات ١٥٨/١ وابن خلدون ٥١١/٥ ومرآة الجنان ٢٦٦/٤ والنجوم الزاهرة ٢٥٣/٩ وأبو الفداء ٩١/٤ والدرر الكامنة ٩٩/٢ والأعلام ٣٣٦/٣.

(٢) على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى زبيد، وولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢١هـ فأقام سنة، وخلعه الأمراء والمماليك، فمكث أشهرا. ثم عاد إلى الحكم. توفى بعدن ونقل إلى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢، ٨٣، ١٢٣ والدرر الكامنة ٤٩/٣ والبدر الطالع ٤٤٤/١ وابن خلدون ٥١٣/٥ والبداية والنهاية ٢٣٧/١٤، ٢٤٠ والأعلام ٢٨٦/٤، ٢٨٧.

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأربعاء:

ففى يوم الأربعاء خامس عشره: وصل أوائل الحجاج.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه: وصل القاضى كريم الدين الكبير، والأمير قجليس صحبة الخاتون طغاى. وخرج السلطان إلى لقائها ببركة الحاج، ومد سماطًا عظيما، وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف وجميع القهرمانات: مثل الست حدق[1] المعروفة بالست مسكة، ونساء الأمراء، ودخل الجميع إلى منازلهم، فكان يوما مشهودا. ولم يسمع بمثل هذه الحجة فى كثرة خيرها وسعة العطاء، ويقال إن السلطان أنفق على حجة طغاى مبلغ ثمانين ألف دينار وستمائة وثمانين ألف درهم، سوى كرى الحمول وثمن الجمال ومصروف الجوامك، وسوى ما حمل من أمراء الشام وأمراء مصر.

وفى تاسع عشريه: قدم المحمل ببقية الحاج.

وفى يوم السبت ثانى صفر: خرج الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، والأمير علم الدين سنجر الجمقدار، والأمير سيف الدين ألماس الحاجب، والأمير سيف الدين طرجى أمير مجلس، والأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار، بمضافيهم وطائفة من أجناد الحلقة، إلى غزو بلاد متملك سيس[2]، لمنعه الحمل. ولم يكن الأمر كذلك، بل مسيرهم إنما كان لأجل توجه الملك أزبك إلى بلاد أبى سعيد. وكتب بخروج عساكر الشام أيضا.

وفيه هدم موضع دار العدل الذى أنشأه الملك الظاهر بيبرس[3]، وعمل طبلخاناه، فى

---

(١) الست حدق هى قهرمانية ناصرية، كان الناصر يجعل إليها أمور نسائه، فتحكمت فى داره تحكما عظيما، حتى صارت لا يقال لها إلا الست حدق، وحجت مرة فضرب المثل بما فعلته من الخيرات، وعمرت جامعا ظاهر القاهرة.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٣) بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات ومولده بأرض البقجاق. وأسر فبيع فى سيواس ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار. وبقى عنه ثم أخذه الملك الصالح ثم أعتقه، ولم تزل همته تصعد به حتى تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ. انظر فوات الوفيات ٨٥/١ والنجوم الزاهرة ٩٤/٧ وابن إياس ٩٨/١ وابن الوردى ٢٢٤/٢ والنعيمى ٣٤٩/١ والأعلام ٧٩/٢.

شهر رمضان، فاستمر موضع الطبلخاناه إلى اليوم، ولما هدم وجد فى أساسه أربعة قبور، فلما نبشت وجد بها رمم أناس طوال عراض، وإحداها مغطاة بملاءة دبيقى ملونة إذا مس منها شىء تطاير، وعليهم عدة القتال، وبهم جراحات، وفى وجه أحدهم ضربة سيف بين عينيه عليها قطن، فلما رفع القطن نبع من تحته دم، وشوهد الجرح كأنه جديد، فنقلوا إلى العروستين، وعمل عليهم مسجد.

وفى مستهل ربيع الآخر: قدم الأمير سيف الدين طقصبا الظاهرى، ومعه رسل الملك أزبك بكتابه، فأحضروا، ولم يعبأ السلطان بهم لكثرة شكوى طقصبا من تغير أزبك عليه وإطراحه له، وأعيد الرسل بالجواب.

وفيه قدم عرب البحرين[١] بمائة وثلاثين فرسا، فقومت بأثمان غالية ما بين عشرة آلاف درهم الفرس إلى خمسين ألفا، فلما أخذت أثمانها أنعم السلطان عليهم بخلع وتفاصيل وغير ذلك، وسفروا إلى بلادهم.

وفيه عوض السلطان أمير مكة عن نظير ما كان يستأديه من مكس[٢] الغلال، وأقطعه ثلثى دمامين[٣] بالوجه القبلى.

وفيه قدم البريد من دمشق بحضور أخت الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا من الشرق، وصحبتها جماعة كثيرة إلى دمشق، وأنها ماتت بعد قدومها بثلاثة أيام، فاستدعى من حضر معها إلى مصر، فلما وصلوا أنعم عليهم السلطان بالإقطاعات وغيرها.

وفى مستهل جمادى الأولى: قدم البريد بأن العسكر أغار على بلاد سيس، وأخرب وغنم وقتل جماعة، وأن أوشين متملك سيس هلك، وقام من بعده ابنه ليفون، وله من العمر نحو اثنتى عشرة سنة، وأن العساكر نازلت أياس وأخذوها عنوة بعد حصار، وقتلوا أهلها وخربوها، وعادوا على الأرمن فغنموا وأسروا منهم كثيرًا، وتوجهوا عائدين. فقدم الأمير جمال الدين أقوش بالعسكر إلى القاهرة فى سابع عشرى جمادى الآخرة، وخلع عليه.

وفى يوم الأربعاء تاسع رجب: قدم الأمير تنكز نائب الشام باستئذان، فأنعم عليه

---

(١) اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. انظر معجم البلدان ١/٣٤٦، ٣٤٩.

(٢) ضريبة.

(٣) مركز الأقصر بمدينة قنا، وموقعها على الشاطئ الغربى للنيل.

السلطان إنعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف دينار؛ ورسم لسائر الأمراء بحمل تقادمهم إليه، وأن من أحضر تقدمة يخلع على محضرها من الخزانة السلطانية، فحملت إليه تقادم جليلة، منها أربعون سلسلة ما بين ذهب وفضة، وحمل كريم الدين الكبير تقدمة بعشرة آلاف دينار. وعاد تنكز - بعد إقامته خمسة أيام - على البريد، في يوم الإثنين رابع عشريه، ودخل دمشق أول شعبان.

وفيه توجه الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى إلى السلطان أبى سعيد بن خربندا لعقد الصلح، وعلى يده هدية سنية، وسفر بألفى دينار.

وفى ثانى شعبان: عقد على الأمير أبى بكر بن الأمير أرغون النائب عقد خوند بنت السلطان، وتولى العقد قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى، على أربعة آلاف دينار. وختن السلطان أولاد ثلاثة من الأمراء: وهم بكتمر الساقى، وطشتمر حمص أخضر، ومنكلى بغا الفخرى، وعمل لهم مهمًا عظيما مدة أربعة أيام. ورمى الأمراء الذهب فى الطشت، فبلغ ما فى طشت ابن الأمير بكتمر الساقى أربعة آلاف وثلاثمائة وثمانين دينارًا، وفى طشت ابن طشتمر حمص أخضر ثلاثة آلاف دينار ونيف، وفى طشت ابن منكلى بغا ألف دينار وثمانمائة دينار.

وفى يوم الخميس عاشر رمضان: قبض على الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى وولديه، ثم وقعت الشفاعة فى ولديه فأطلقا. وسبب ذلك كثرة معارضته للسلطان، فعينه السلطان لنيابة صفد(١)، فاستعفى من ذلك، فبعث إليه كريم الدين الكبير بألفى دينار وتشريف نيابة صفد ومثالين بإمرتين لولديه بها، فلم يعبأ بكريم الدين وفارقه وهو متغير. فركب الأمير بكتمر وسأل السلطان الإعفاء، فغضب وقبضه وولديه، وسجنهم بالبرج إلى ليلة عيد الفطر، ثم أفرج عن الولدين.

وفيه قدم الشريف عطيفة بن أبى نمى(٢) صاحب الحجاز، وأخبر بقحط مكة لعدم المطر، وأنهم استسقوا ثلاثًا فلم يسقوا، ووصل القمح إلى مائتين وخمسين درهمًا الأردب. فرسم السلطان أن يحمل إلى مكة ألفا أردب، وحمل النائب ألف أردب، والحاج آل ملك ألف أردب. فلما وصلت الغلال تصدق بها، فانحل السعر، وأبيع الأردب القمح بمائة درهم، وأغيث أهل مكة عقيب ذلك.

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) عطيفة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى: من أمراء مكة. ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٧٠١هـ. وعزله سنة ٧٠٤ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠، ٣١ والأعلام ٢٣٧/٤.

وفيه قدم الملك المؤيد صاحب حماة[1]، وسار مع السلطان إلى قوص.

وفيه نقل البوبكرى إلى الإسكندرية عند سفر السلطان إلى بلاد الصعيد، فسجن بها.

وفيه ورد الخبر بخلع الملك المجاهد عليّ صاحب اليمن، وإقامة الناصر جلال الدين.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الشيخ نجم الدين الحسين بن محمد بن عبود، ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال. وكان قد عظم قدره فى الدولة المنصورية لاجين، وعمر زاويته بالقرافة، وقصده الناس لقضاء حوائجهم.

ومات الشيخ جلال الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود القلانسى، بالقدس فى ذى القعدة. وكان قدم إلى مصر فى سنة تسع وتسعين وستمائة، وأقام بها وحصل له بها رياسة، واعتقده الأمراء وأهل الدولة، وترددوا إلى زاويته على بركة الفيل، ثم أخرج إلى القدس، وكان كاتبًا فاضلا معتقدًا.

ومات الشيخ حسن الجوالقى القلندرى، صاحب زاوية القلندرية، خارج باب النصر من القاهرة، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الآخرة بدمشق. وكان قد تقدم فى دولة العادل كتبغا.

ومات الرئيس الكاتب زين الدين عبد الرحمن بن أبى صالح رواحة بن على بن الحسين بن مظفر بن نصر بن رواحة الأنصارى الحموى، بسيوط من بلاد الصعيد، فى ذى القعدة من أربع وتسعين سنة، ورحل إليه الناس لسماع الحديث.

ومات محيى الدين عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة بن رجاء الربعى الإسكندرانى المالكى مسند الإسكندرية، بها فى يوم الثامن من ذى الحجة عن ثلاث وتسعين سنة.

ومات تقى الدين عتيق بن عبد الرحمن بن أبى الفتح العمرى المحدث الزاهد، فى ذى القعدة بمصر.

ومات أبو عبد الله محمد بن على بن حريث القرشى البلنسى السبتى، بمكة فى

---

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠، ٣٠١.

جمادى الآخرة عن إحدى وثمانين سنة، وأقام بها مجاورًا سبع سنين، وكان خطيبًا بسبتة ثلاثين سنة، وبرع فى فنون.

ومات شمس الدين محمد بن الحسن بن سباع[1] - المعروف بابن الصائغ - بدمشق، وقدم إلى مصر، وبرع فى الأدب، وصنف.

ومات أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن الأصفونى الشافعى، بسيوط.

ومات تاج الدين محمد بن الجلال أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوى الشافعى بقوص.

وماتت زينب بنت أحمد بن عمر بن ابى بكر بن شكر أم محمد المقدسية المعمرة الرحلة، فى ذى الحجة بالقدس، عن أربع وتسعين سنة، حدثت بمصر والمدينة النبوية.

ومات بدمشق الأمير غلبك العادلى، والأمير فخر الدين أياز شاد الدواوين، والأمير أيدمر الساقى - المعروف بوجه الخشب.

ومات أقجبا البدرى والى الفيوم.

ومات بدر الدين والى قوص.

ومات الأمير عز الدين أيبك البغدادى بمحبسه من قلعة الجبل، فى سابع عشر جمادى الآخرة.

ومات بمصر القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن المكين بن رابعة، فى ثالث عشرى المحرم.

ومات أقضى القضاة نور الدين أبو الحسين على بن إسماعيل بن يعقوب الزواوى المالكى، يوم الأربعاء سابع عشرى صفر.

ومات القاضى سعد الدين مسعود بن نفيس الدين موسى بن عبد الملك القمنى الشافعى، يوم الثلاثاء ثالث عشرى شعبان.

ومات أقضى القضاة قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى، خليفة الحكم الشافعى ووكيل بيت المال بالقاهرة، سحر يوم الجمعة رابع عشرى ذى الحجة.

* * *

---

(١) محمد بن حسن بن سباع بن أبى بكر الجذامى، أبو عبد الله شمس الدين، المعروف بابن الصائغ: أديب، عالم بالعربية مصرى الأصل، دمشقى المولد والوفاة. وكان له حانوت بالصاغة. له «المقامة الشهابية» و«شرح ملحة الإعراب». انظر النجوم الزاهرة ٢٢٤٨/٩ والدرر الكامنة ٤١٩/٣ وفوات الوفيات ١٨٨/٢ وبغية الوعاة ٣٤ وابن الوردى ٢٧٠/٢ والبداية والنهاية ٩٨/١٤ والأعلام ٨٦/٦.



سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الأحد الموافق له رابع عشر طوبة: سقط بالدقهلية[١] والمرتاحية[٢] من بلاد الغربية - بعد مطر عظيم وريح قوية جدًا - برد وزن الحبة منه ما ينيف على خمسين درهما، أتلف كثيرًا من الزرع ومن الغنم والبقر، ووجد فيه حجارة منها ما وزنه من سبعة أرطال إلى ثلاثين رطلاً، وتلف من البلاد أحد وسبعون بلدًا بالغربية، واثنان وثلاثون بلدًا بالبحيرة.

وفيها نزل السلطان بالجيزة عائدًا من بلاد الصعيد، وخلع على نائب حماة، ورسم له بالعود إلى بلده. واستدعى السلطان بالحريم من القلعة إلى عنده، وكان الوقت شتاء، فطرد سائر الناس من الطرقات، وغلقت الحوانيت، ونزلت خوند طغاى، والأمير أيدغمش أمير آخور ماش يقود عنان فرسها بيده، وحولها سائر الخدام مشاة منذ ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل، فعدت فى الحراقة. واستدعى الأمير بكتمر الساقى وغيره من الأمراء الخاصكية حريمهم، وأقاموا فى أهنأ عيش وأرغده.

وفيها قدم من عند صاحب ماردين[٣] الجارية التى طلبت: وكان المجد السلامى قد بعث بأنه أراد شراء جارية جنكية من الأردوا، فبذل صاحب ماردين فيها الرغائب لصاحبها حتى اشتراها، وأن المجد سير يعلمه بأنه قد عينها للسلطان، فلم يعبأ بقوله وشغف بها. فكتب السلطان لصاحب ماردين بالإنكار عليه، وأن يحملها إلى مصر، فسير جارية غيرها من مملوكين، فلم يخف ذلك على السلطان، ورد الثلاثة، وقال لقاصده شفاهًا: «متى لم يبعث بالجارية، وإلا أخربت ماردين على رأسه»، فلم يجد بدا من إرسالها، فلما حضرت أنعم السلطان عليه بإنعامات جليلة.

وفيه عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة، وقد توعك كريم الدين الكبير.

وفى خامس عشره: قدمت بوادر الحجاج، وقدم المحمل ببقية الحاج فى يوم الخميس سادس عشره.

---

(١) بلدة بمصر على شعبة من النيل، بينها وبين دمياط أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان ٢/٤٥.

(٢) من كور مصر البحرية. انظر معجم البلدان ٥/١٠٠.

(٣) قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر معجم البلدان ٥/٣٩.

وفيه تكرر إرسال السلطان الأمراء وغيرهم لتفقد حال كريم الدين، فلم ينزل إليه أحد إلا وخلع عليه أطلس بطراز وكلفتاه زركش وحياصة ذهب، حتى استعظم الناس ذلك. وبالغ السلطان فى كثرة الإنعام على الأمراء والحكماء إلى يوم الخميس ثالث ربيع الأول. ثم ركب كريم الدين إلى القلعة، وتوجه بعد اجتماعه بالسلطان إلى القرافة، فكان يومًا مشهودًا، زينت فيه القاهرة زينة عظيمة، وصفت بها المغانى، وأشعلت الشموع، واجتمع الناس بالمدرسة المنصورية بين القصرين لأخذ الصدقات، فمات فى الزحمة أربعة عشر إنسانًا، وتأذى أناس كثيرة، ولم يفرق فيهم شىء. وخلع على جميع الأطباء، أخرج أهل السجون، وتصدق بأموال جزيلة.

وفيه قدم الخبر باجتماع الأمير أيتمش بالسلطان أبى سعيد، وأنه أكرم غاية الإكرامة، وعاد إلى ماردين.

وفى عشريه: قتل الشيخ ضياء الدين عبد الله الدربندى الصوفى. وكان قد قدم من دمشق فى أوائل هذه السنة على هيئة الفقراء اليونسية، ولايزال فى يده طبر، وشهر بدين وعلم. فلما كان هذا اليوم تحزم وقال: «أنا رايح أجاهد فى سبيل الله وأموت شهيدا»، وسار من خانكاه سعيد السعداء إلى قلعة الجبل، والأمراء جلوس على باب القلة، فرأى رجلا من المسلمين قد تبع بعض الكتاب النصارى وقبل يده والنصرانى لا يعبأ به، فحنق منه وضرب النصرانى بالطبر فهدل كتفه وثنى عليه. فارتجت القلعة، واجتمع الناس وقبضوه، فاشتد غضب السلطان، وأمر به فضرب عنقه على باب القلعة.

وفى ثالث عشريه: قدم البريد بوفاة نجم الدين أحمد بن محمد بن صصرى[1] قاضى القضاة الشافعية بدمشق، فاستقر عوضه قاضى القضاة جمال الدين سليمان بن عمر الزرعى[2]، واستقر عوضه فى تدريس المدرسة المنصورية القاضى تقى الدين السبكى،

(١) أحمد بن محمد بن سالم، أبو المواهب، نجم الدين بن صصرى: قاض من الكتاب له نظم. وكان من العلماء بالحديث. من أهل دمشق. عمل فى دار الإنشاء وولى قضاء القضاة سنة ٧٠٢هـ إلى أن مات بحماة. انظر فوات الوفيات ٦٢/١ والدرر الكامنة ٢٦٣/١ والبدر الطالع ١٠٦/١ والأعلام ٢٢٢/١.

(٢) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاض القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعات وتعلم بدمشق وولى قضاء أذرع ثلاث عشرة سنة. ثم ناب فى الحكم بدمشق سبع سنين وانتقل إلى مصر فناب فى الحكم سبعا أيضا، ثم ولى القضاء استقلالا، نحو سنة، وعاد إلى دمشق فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة ثم عزل فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر، وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ والأعلام ١٣١/٣.

وفى تدريس الجامع الحاكمى الشيخ شمس الدين محمد بن عدلان [١].

وفيه قدم الأمير أيتمش المحمدى من عند أبى سعيد، وقد عقد الصلح بينه وبين السلطان، وخطب بذلك فى يوم الجمعة بمدينة توريز على منبر الجامع، وقد حمل الأمير أيتمش معه نسخة الأيمان التى تتضمن حلف أبى سعيد وجوبان والوزير، وما أنعم به عليه أبو سعيد: وهو ما قيمته نحو المائتى ألف درهم، ولؤلؤًا اشتراه بأربعين ألف درهم قوم بمائة ألف. وقدم أيتمش ذلك كله للسلطان، وحلف ألا يدخل فى ملكه، فقبله منه وأنعم عليه بمائة ألف درهم، وحمل له كريم الدين عشرين ألف درهم من عنده.

وفى يوم الخميس سلخ ربيع الأول: قبل الظهر ولد للسلطان ولد ذكر من حظيته طغاى سماه آنوك.

وفيه وقف بعض بزدارية السلطان وشكا أن أحد أجناد الأمير بكتمر الحاجب تزوج بامرأته من غير أن يكون قد طلقها، وأنه رشا الشهود حتى فعلوا له ذلك. فكشف علم الدين الخازن والى القاهرة عن قوله فتبين كذبه، وأنه طلق المرأة وانقضت عدتها ثم تزوجت بالجندى. فتعصب الأمير بكتمر على البازدار لظهور كذبه، فحنق السلطان وأمر الوالى بتعزير[٢] الشهود ومنعهم من تحمل الشهادة، وإلزام الجندى بطلاق المرأة وردها إلى البازدار، فكان هذا من الأمور الشنيعة.

وفيه قبض على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن العلم بن هبة الله بن السديد[٣] ناظر الخاص ووكيل السلطان، فى يوم الخميس رابع عشره ربيع الآخر، بعدما تجهز ليسافر فى يوم الجمعة خامس عشره إلى الشام. فعندما طلع إلى القلعة على العادة، ووصل إلى الدركاه، منع من الدخول إلى السلطان، وعوّق بدار النيابة هو وولده علم الدين عبد الله وكريم الدين أكرم الصغير ناظر الدولة. ووقعت الحوطة على دور كريم

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكنانى: فقيه شافعى مصرى. ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون. وتوفى بالطاعون بمصر. له «شرح مختصر المزنى، فى فقه الشافعية».

(٢) التعزير تأديب المذنب على ذنب لم تشرع فيه الحدود بعقوبة ثابتة.

(٣) عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصرى، كريم الدين، أبو الفضائل: مدبر دولة الناصر القلاوونى. قبطى الأصل، كان اسمه «أكرم» وأسلم كهلا فتسمى «عبد الكريم» وقرره الناصر فى نظر شؤونه الخاصة، وهو أول من سمى «ناظر الخاص» وأطلقت يده فى جميع أعمال الدولة، فتجاوز حده، وانتهى أمره بالنفى إلى «أسوان» وشنق فيها بعمامته، وقد قارب السبعين. انظر الدرر الكامنة ٤٠١/١ وفوات الوفيات ٤/٢ والأعلام ٥٧/٤.

الدين الكبير خاصة التى بالقاهرة وبركة الفيل، ونزل شهود الخزانة بولده إلى داره ببركة الفيل، وحملوا ما فيها إلى القلعة. وتوالت مصادرته، فوجد له شىء كثير جدًا: من ذلك قماش وبرد وطرز وحوايص قيمتها زيادة على ستين ألف دينار، وقند وسكر زنته ثمانون ألف قنطار، وعسل عدة ثلاثة وخمسين ألف مطر[١]، وصناديق بها مسك وزعفران وعنبر وعود ولبان وغير ذلك عدة أحد وأربعين صندوقًا. وأبيعت داره التى على بركة الفيل للأمير سيف الدين طقتمر بثلاثة عشر ألف دينار. وحمل ماله فى الإسكندرية، وكان خمسين ألف دينار، ومن أصناف المتجر شىء كثير جدًا، ومنه ثمانون ألف قطعة خشب، ومائة وستون ألف قنطار رصاص، وبلغت قيمة الأصناف التى له فى الإسكندرية خمسمائة ألف دينار. ووجد له بدمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم، وخمسة وعشرون ألف دينار. وبلغت قيمة أوقافه ستة آلاف ألف درهم.

وفى يوم السبت سلخه: قبض على كريم الدين الصغير، وسبب أنه امتنع من أن يتحدث فى الخاص والمتجر ويدبر الأمور كلها بعد القبض على خاله كريم الدين الكبير.

وفيه نقل كريم الدين الكبير وولده علم الدين إلى البرج المرسوم للمصادرين بباب القرافة من القلعة، وطولب بالحمل. وعوق بالقلعة ناصر الدين شاد الخاص، والمهذب العامل[٢]، وغيره لعمل حساب كريم الدين. وكان سبب نكبته حسد الأمراء وغيرهم له على تمكنه من السلطان وسعة ماله وكثرة عطائه، فوشوا به إلى السلطان أنه يتلف الأموال السلطانية بتفريقها؛ ليقال عنه إنه كريم. واتفق مع ذلك أن كريم الدين أكرم الصغير كان له اختصاص بالأمير أرغون النائب، فأكثر من شكاية كريم الدين الكبير، وأنه يمنعه من تحصيل الأموال. وكان أكرم الصغير ظلوما غشومًا، يريد أن يمد يده إلى ظلم الناس، فيمنعه كريم الدين. فبلغ النائب السلطان شكوى أكرم الصغير مرارًا، فأثر فى نفسه ذلك. وصار السلطان يرى عند الخاصكية من الملابس الفاخرة والطرز الزركش، وعند نسائهم من الملابس والحلى ما يستكثره، فإذا سأل عنه قيل له هذا من كريم الدين، فتصغر نفسه عندهم لأنه لا يعطيهم قط مثل ذلك. ولما حضر عرب البحرين بالخيل قومت بألف ألف ومائتى ألف درهم، سلمها كريم الدين إليهم بجملتها فيما بين بكرة النهار إلى الظهر، وعادوا إلى السلطان وقد دهشوا، فإنه كان أخرج إليهم

---

(١) على هامش ط: المطر - مكيال للسوائل عامة.

(٢) العامل هو الذى ينظم الحسنات ويكتبها.

شكائر[1] ما بين ذهب وفضة. فلما قال لهم السلطان: «قبضتم». قالوا: «نعم!»، قال: «لعله تأخر لكم شيء؟»، فقالوا: «وحياتك! عند كريم الدين مال فى خزانة إذا أخرج منه مدة شهر ما يفرغ». فتحرك السلطان لذلك، وقال لبكتمر الساقى: «سمعت قول العرب أنه دفع هذا القدر فى يوم واحد، والخزانة ملآنة ذهبا وفضة؟ وأنا أطلب منه ألفى دينار فيقول ما تم حاصل!». وتبين الغضب فى وجه السلطان، فأخذ بكتمر يتلطف به وهو يحتد إلى أن قبض عليه.

وفى يوم السبت سابع جمادى الآخرة: نقل تاج الدين بن عماد الدين بن السكرى من شهادة الخزانة إلى نظر بيت المال، وخلع عليه بطرحة.

وفيه نقل علاء الدين بن البرهان البرلسى من نظر بيت المال إلى نظر خزائن السلاح، وخلع عليه.

وفى رابع عشره: قدمت رسل أبى سعيد لتحليف السلطان على الصلح، ومعهم هدية ما بين بخاتى وأكاديش وتحف، فقرئ كتابه بوقوع الصلح، ثم سفروا بهدية سنية - بعدما غمرهم إحسان السلطان - فى ثانى عشريه.

وفيه قدم الحمل من عند متملك سيس صحبة رسوله، ومعه جواهر ثمينة، واعتذر الرسول عما كان من متملك سيس، واستأذن فى عمارة أياس، على أن يحمل فى كل سنة مائة ألف درهم، فأجيب إلى ذلك.

وفيه قدم موسى بن مهنا[2] وعمه محمد بالقود على العادة، وخيول كان السلطان استدعى بها. وسبب ذلك وقوع الصلح مع أبى سعيد، فضاقت بهم البلاد، فأكرمهما السلطان وأنعم عليهما، وأعادهما إلى بلادهما.

وفيه وقعت مرافعة بين فرج وعلى ولدى قراسنقر، بسبب دخيرة لأمهما تبلغ نحو المائتى ألف ألف درهم، فأخذها السلطان منهما.

وفيه قدم المجد السلامى من الشرق، وقدم تقدمة جليلة، فرتبت له الرواتب السنية، وكتب له مسموح بمبلغ خمسين ألف درهم فى السنة، ومرسوم بمسامحة نصف المكس عن تجاراته، وعاد إلى توريز.

---

(١) على هامش ط: جمع شكارة وهى كيس النقود.

(٢) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل من أمراء بادية الشام ويلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه واستمر إلى أن توفى بتدمر. قال: بن تغرى بردى: كان من أهل ملوك القرب. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

وفيه قبض على جماعة من المماليك، وعوِّقوا بسبب ورقة وجدت تحت كرسى السلطان فيها سبه وتوبيخه، وأخرج منهم عدة إلى بلاد، وسجن منهم جماعة.

وفى سادس عشره: استقر الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى أستادارًا، عوضا عن الأمير سيف الدين بكتمر العلائى، وخرج بكتمر إلى دمشق. وكان ذلك بسبب أنه استخدم طباخ كريم الدين الكبير فى مطبخ السلطان، فأنكر عليه السلطان ذلك وقال له: «تستخدم طباخ رجل قد عزلته وصادرته فى مطبخى؟» وأخرج أيضا الأمير سنقر السعدى نقيب المماليك إلى طرابلس[1].

وفيه أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ورسم له أن يتحدث فى الأموال السلطانية كلها بغير مشارك، فامتنع من ذلك، فعزل عن نظر الدواوين. ثم خلع عليه واستقر صاحب ديوان الجيش، عوضا عن معين الدين بن حشيش، وخلع على معين الدين بنظر الجيش بالشام.

وفيه ولى السلطان نظر الخاص تاج الدين إسحاق أحد نظار الدواوين، وتسمى لما أسلم عبد الوهاب، ورسم ألا يتحدث فى متجر. وكان سبب ولايته أن السلطان لما قبض كريم الدين الكبير بعث إليه أن يعين من يصلح لنظر الخاص، فعين التاج، وباشر التاج الخاص بسكون زائد وسياسة جيدة إلى أن مات.

وفيه طلب الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القدس.

وفى ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة: سفر كريم الدين أكرم الصغير على البريد إلى صفد.

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه: أفرج عن كريم الدين الكبير وولده، وألزم بالإقامة فى تربته من القرافة، وكان له يوم عظيم جدا، وأتاه الناس من كل مكان.

وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك[2] فى نظر المارستان، عوضا عن كريم الدين الكبير، فوجد حاصله أربعمائة ألف درهم، سوى سكر وغيره قيمته مائة ألف درهم.

وفيه استقر الأمير سيف الدين قجليس فى نظر جامع ابن طولون، عوضا عن كريم الدين الكبير أيضا.

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٥، ٢٦.

(٢) قرية فى أصل جبل لبنان. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٢.

وفيه خرج الطلب لإحضار شمس الدين غبريال من دمشق، فركب ومعه أموال كثيرة، ثم خول أموال كريم الدين الكبير، وعاد إلى دمشق مكرما.

ثم قدم الصاحب أمين الدين يوم الأحد رابع عشرى ربيع الآخر، وقرر فى الوزارة، وجلس بقلعة الصاحب من القلعة، ونزل إلى داره، فكان يوما مشهودا. واستقر فى نظر النظار شرف الدين إبراهيم بن زنبور، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة شمس الدين إبراهيم بن قروينة صهر الصاحب أمين الدين، فصار نظر النظار بين القاضى موفق الدين هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم وبين ابن زنبور. وشفى الصاحب أمين الدين نفسه من كريم الدين أكرم الناظر، وأخرق به.

وفى يوم السبت سلخ ربيع الآخر: قبض على كريم الدين الصغير، واعتقل ببرج فى القلعة، فشرع فى حمل المال، ثم أفرج عنه سلخ جمادى الأولى، ورسم له بنظر صفد، فتوجه إليها ليلة الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة.

وفيه قدم شمس الدين غبريال، ومعه حمل دمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم، ومن الذهب مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار من حاصل كريم الدين ومتاجره.

وفى يوم السبت تاسع عشرى جمادى الآخرة: أخرج كريم الدين الكبير وولده إلى الشوبك، بعدما أشهد عليه أن جميع ما وقفه من الأملاك وغيرها إنما اشتراه من مال السلطان دون ماله. فأبقى السلطان أوقاف الخانكاه بالقرافة، وأوقاف الجامع بدمشق، وأعيد غبريال إلى دمشق على عادته.

وفيه توجه التاج إسحاق والأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى إلى الإسكندرية، واحتاطا على أموال كريم الدين الكبير، وكانت تحت يد مكين الترجمان، وقد أخذ المكين منها ثلاثة وخمسين ألف دينار، فاستقر التاج إسحاق يتحدث فى متجر الخاص. وعاد التاج إسحاق - ومعه الأمير مغلطاى - فأوقع الحوطة على أموال التجار، وألزم ابن المحسنى متولى الثغر بخمسين ألف دينار، ورسم على سائر المباشرين، وصادر الناس، فغلقت المدينة وبلغ السلطان ذلك فأنكره، وأفرج عن ابن المحسنى بعدما أخذ منه مبلغ اثنى عشر ألف دينار، وعاد الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى بستين ألف دينار من المصادرات.

وفيه كان عرس أمير على بن أرغون النائب على ابنة السلطان، فى يوم الإثنين ثامن عشر شعبان. وقد اعتنى السلطان بجهازها عناية عظيمة، وعمل لها بشخاناه وستارة وداير بيت زركش بمبلغ ثمانين ألف دينار، وآلات ذهب وفضة بما ينيف على عشرة

آلاف دينار. وعمر السلطان لها مناظر الكبش عمارة جديدة، ونقل الجهاز إليها، ثم نزل بنفسه حتى نصب الجهاز. وعمل المهم مدة ثلاثة أيام، حضره نساء الأمراء بتقادمهم: وهى ما بين أربعمائة دينار - سوى تعابى القماش - إلى مائتى دينار. وكان فيه ثمانى جوق من مغانى القاهرة، وعشرون جوقة من جوارى السلطان والأمراء، خص كل جوقة من جوق القاهرة خمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير، ولم يحصر ما حصل لجوارى السلطان والأمراء لكثرته. فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء تعبية قماش على قدرها، وعم جميع الأمراء بالخلع، وفضل من الشمع بعدما استعمل منه مدة العرس ألف قنطار مصرى. وأنعم السلطان على الأمير أرغون النائب بمنية بنى خصيب، زيادة على إقطاعه.

وفيه قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى، وفرج بن قراسنقر، وكرت، وعدة من المماليك. ثم أفرج عن طشتمر من يومه، ونفى كرت إلى صفد[1]، وبقى فرج ابن قراسنقر بالجب.

وفيه هبت ريح سوداء حارة بدمشق، مات منها جماعة من الناس فجأة، وفسدت الثمار وجفت المياه، فتحسن سعر الغلال. ثم وقع مثل ذلك بالقاهرة ومصر، فتغيرت أمزجة الناس، وفشت الأمراض، وكثر الموت مدة شهر، وفسدت الثمار، وتحسن السعر لهيف الغلة وقلة وقوعها.

وفيه قدم الأمير بكتمر الحسامى من دمشق، فولى الإسكندرية وتوجه إليها، فأراق الخمور بها، ومنع من بيعها، وجعل أجرة النقيب نصف درهم، وتثبت فى البينات، وحمل الناس على الأمور الشرعية. فاستخفوا به وطمعوا فيه، وكثر فسادهم، فأحدث عليهم غرامات يقومون بها إذا تبين الحق عليه، فكان الرجل إذا شكا يجبى منه من مائتى درهم إلى ما دونها، وضرب جماعة منهم فخضعوا له.

وفيه توجه قاضى القضاة بدر الدين محمد[2] بن جماعة والأمير آل ملك إلى الحج، فى سادس شوال. وتوجه الأمير بيبرس الدوادار نائب السلطنة فى حادى عشره، ومعه حاج كثير، ورحل المحمل ببقية الحاج فى ثامن عشره من البركة. وتوجه الفخر ناظر الجيش

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/٤١٢.

(٢) محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد أبو عبد الله عز الدين الكنانى الحموى ثم المصرى، الشافعى المعروف كسلفه بابن جماعة عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان. أصله من الحماه ومولده فى ينبع وانتقل إلى القاهرة وسكنها وتتلمذ لابن خلدون وتوفى بالطاعون. وله كتب منها «إعانة الإنسان أحكام السلطان».

فى ثانى عشريه إلى القدس؛ ليتوجه منه إلى الحج. وكانت عدة ركوب الحاج من مصر ستة ركوب، على كل ركب أمير.

وفيه استقر بلبان العتريس فى ولاية البحيرة، عوضًا عن أسندمر القلنجقى.

وفيه استقر قدادار مملوك برلغى فى ولاية الغربية.

وفى أول ذى الحجة: خرج الأمير علاء الدين على بن قراسنقر، والأمير سيف الدين أيدمر الكبكى، والأمير طقصباى المرتبة فديته بقوص، وخمسمائة من أجناد الحلقة إلى بلاد النوبة، ومعهم كرنبس. فانتهوا إلى دمقلة[1] - وكان قد تغلب كنز الدولة عليها، ونزع كرنبس - ، ففر كنز الدولة منهم، وجلس كرنبس على سرير ملكه وعادوا، فحارب كنز الدولة كرنبس بعد عود العسكر، وملك منه البلاد.

وفيه صرف معين الدين بن حشيش عن ديوان الجيش، ونقل إلى دمشق، وأشرك بينه وبين القطب ابن شيخ السلامية فى نظر الجيش بها.

وفيه ابتدأ السلطان بعمارة القصور بناحية سرياقوس فى آخر ذى الحجة.

وكان قاع النيل فى هذه السنة ستة أذرع ونصف، وكان الوفاء يوم الأربعاء سادس شعبان، وسابع عشر مسرى، وانتهت الزيادة فى سابع عشر رمضان إلى ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع. وخرق الماء ناحية بستان الخشاب، ودخل إلى بولاق، وغرق بساتين. وانقطعت الطريق من جهة اللوق، وغرق الخور، وانهدمت عدة بيوت، وغرقت المنية وجزيرة الفيل، فركب السلطان بنفسه لعمل جسر. ثم قويت الزيادة، وفاض الماء على منشاة المهرانى ومنشاة الكتبة، وصار ما بين بولاق ومصر بحرًا واحدًا. وأمر الناس برمى التراب فى ناحية بولاق، وكثر الخوف من غرق القاهرة، واشتد الاحتراس. وطلب الفقراء للعمل، فبلغت أجرة الرجل فى كل يوم ما بين درهم إلى ثلاثة دراهم، لعزة وجود الرجال واشتغالهم عند الناس فى نقل التراب. ونزت أماكن كثيرة، وغرقت الأقصاب ببلاد الصعيد، وتلف القلقاس والنيلة وعدة مطاير بها الغلال. وكتب لسائر الولاة بكسر جميع الترع والجسور وتصريفها إلى البحر الملح، فثبت الماء ثلاثة وأربعين يومًا، ثم نزل قليلا قليلا. فاستدعى السلطان المهندسين، ورسم بعمل جسر يحجز الماء عن القاهرة لئلا تغرق فى نيل آخر، وألزم أرباب الأملاك المطلة على النيل بعمارة الزرابى[2]، فعمل كل أحد تجاه داره زربيَّة. واستدعى الأمراء فلاحيهم من

---

(١) بضم أوله وسكون ثانيه وهى مدينة كبيرة فى بلاد النوبة. انظر ٢/ ٤٧٠.

(٢) جمع زربية وهى هنا - فيما يظهر - ما يبنيه أصحاب البيوت المطلة على النيل من حوائط=

النواحى، فحضروا بالأبقار والجراريف. وعمل الجسر من بولاق إلى منية الشيرج، ووزع بالأقصاب على الأمراء، فنصب كل أمير خيمة وخرج برجاله للعمل. ونصبت لهم الأسواق، حتى كمل الجسر فى عشرين يوما، وكان ارتفاعه أربع قصبات فى عرض ثمانية.

وفيه قدم البريد بموت تكفور متملك سيس، وإقامة ولده بعده، ثم قدمت رسله بالهدية.

وفيه قدم الشريفان عطيفة أمير مكة وقتادة أمير ينبع[١].

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

المجاهد أنص ابن العادل كتبغا، بعد ما عمى من سهم أصابه، فى يوم الإثنين ثانى المحرم، وكان سمحا ذكيا متقدما فى رمى البندق.

ومات تاج الدين أحمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع بن دقيق العيد الشافعى، فى عشرى ذى الحجة، ومولده فى ربيع سنة ست وثلاثين وستمائة. وكان فقيها فاضلا فى مذهبى الشافعى ومالك، سمع الحديث وحدث، وولى الحكم بغرب قمولا[٢] وبقوص، وكان كثير العبادة.

ومات قاضى القضاة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن العماد[٣] محمد ابن الأمير سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى الشافعى، فى ليلة السبت سادس عشرى ربيع الأول، ومولده فى سابع عشرى ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة، وولى القضاء إحدى وعشرين سنة، وقدم القاهرة

=لحماية بيوتهم من فعل الماء ومن سلالم لتسهيل الوصول من تلك البيوت إلى النهر كما هو متبع فى البيوت الباقية على شواطئ النيل بدمياط وسمنود ورشيد. هذا وقد عرفت الزربية بأنها باب السر.

(١) ينبع بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٥/٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) هى بليدة بأعلى الصعيد من غربى النيل. كثيرة النخل. انظر معجم البلدان ٤/٣٩٨.

(٣) أحمد بن محمد بن سالم أبو المواهب نجم الدين بن صخرى: قاض من الكتاب له نظم وكان من العلماء بالحديث. ومن أهل دمشق. عمل فى دار الإنشاء، وولى قضاء القضاة سنة ٧٠٢هـ إلى أن مات بحماة. ولشعراء عصره مدائح فيه كثيرة ورثاه بعد موته شهاب الدين محمود وآخرون، وأورد ابن شاكر أبياتا منسوبة إليه، فيها رقة وخرج له العملائى «وشيخه». انظر فوات الوفيات ١/٦٢ والدرر الكامنة ١/٢٦٣ والبدر الساطع ١/١٠٦ والأعلام ١/٢٢٢.

مرارا، وقرأ القراءات السبع، وسمع الحديث، وكتب الخط المليح، وبرع فى الأدب والتاريخ، وقال الشعر، وشارك فى فنون من فقه وتفسير وغيره.

ومات أحمد بن محمد بن على بن أبى بكر بن خميس الأنصارى المغربى، فى يوم الأحد سابع عشر شعبان بمصر، ومولده بالجزيرة الخضراء من الغرب، فى المحرم سنة ست وأربعين وستمائة. وكان صاحب فنون وصلاح ودين وشعر جيد.

ومات نجم الدين محمد بن عثمان بن الصفى البصروى الحنفى الوزير الصاحب. ولى حسبه دمشق ثم وزارتها، ثم صار من الأمراء.

ومات كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطى[١] البغدادى المؤرخ، فى المحرم ببغداد.

ومات تاج الدين ناهض بن مخلوف، أخو قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، فى يوم الأربعاء ثامن عشر المحرم بمصر.

ومات السنى ابن ست بهجة، يوم الأحد خامس عشرى ذى الحجة، وكان من أعيان الكتاب بمصر.

ومات بهاء الدين القاسم بن مظفر بن محمود بن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر، فى خامس عشرى شوال، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة. سمع وحدث وصار مسند الشام.

* * *

---

(١) عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابونى المعروف بابن الفوطى المروزى الأصل، الشيبانى البغدادى أبو الفضل كمال الدين: مؤرخ، يعد من الفلاسفة من ولد معن بن زائدة الشيبانى. ولد فى بغداد وأسر فى واقعتها مع التتار. فخلصه نصير الدين الطوسى. وقرأ على الطوسى الحكمة والآداب وباشر خزانة الرصد لمراعاة زهاء عشرة أعوام وعاد إلى بغداد سنة ٦٧٩هـ فصار خازن كتب «المستنصرية» زمنًا. وأقام مدة طويلة.

سنة أربع وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الجمعة ثالث شهر طوبة: فقدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز عشية الأحد ثالثه.

وفي يوم الأربعاء سادسه: نودى على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرطل، على أن كل رطل منها بدرهمين، ومن عنده منها شيء يحضره إلى دار الضرب، ويأخذ عنها فضة. ورسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم وثمن، فضرب منها نحو مائتى ألف درهم فرقت على الصيارف. وكان سبب ذلك كثرة ما دخل فى الفلوس من الزغل، حتى صار وزن الفلس نصف درهم. فتوقف الناس عن أخذ الفلوس، وكثر ردها وعقوبة الباعة على ذلك بالضرب والتجريس إلى أن فسد الحال، وغلقت الحوانيت، وارتفعت الأسعار، وبلغ القمح بعد عشرة دراهم الأردب إلى سبعة عشر درهما.

وفي يوم السبت تاسعه: وصل الأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقى من الحجاز، وصحبته جماعة - وكان قد سافر بعد الإفراج عنه - ، وأنعم عليه بألفى دينار وغلال كثيرة، وعمل له السلطان عند قدومه اثنتى عشرة بدلة وثلاثة حوائض وطرز زركش، وأنعم عليه بمال جزيل. وتتابع قدوم الحاج حتى قدم المحمل فى خامس عشريه.

وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى منية بنى خصيب[1]، فشكا أهلها من مباشريهم، فلم يسمع لهم وأمر بضربهم، فرجموه بالحجارة وأنكوا فى مماليكه وغلمانه. فركب عليهم أرغون ليفتك بهم، ففروا من عند الوطاق خارج البلد إلى داخل البلد، فأخذ مماليكه من عمائم الهاربين نيفا على ثلاثمائة وستين عمامة زرقاء من عمائم النصارى، فلما استكثر ذلك قيل له إن بها كثيرًا من النصارى، ولهم خمس كنائس، فهدمها فى ساعة واحدة، ورسم ألا يستخدم نصرانى فى ديوانه، وكان النصارى قد جددوا عمارة ما خرب من الكنائس بالصعيد، فهدمت أيضا.

وفي يوم الجمعة: هبت ريح والناس فى الصلاة، حتى ظن الناس أن الساعة قامت، واستمرت بقية النهار وطول الليل، فهدم بها دور كثيرة، وامتلأت الأرض بتراب أسود.

---

(١) منية بنى الخصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة من الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٥/٢١٨.

وخرجت ريح شديدة ببلاد قوص[(١)] إلى أسوان[(٢)]، واقتلعت فى ليلة واحدة أربعة آلاف نخلة، وخربت الديار.

وفيه قدمت رسل المجاهد سيف الدين بن على ملك اليمن بطلب نجدة من مصر، فلم يجب إلى ذلك.

وفيها قحطت بلاد الشرق، فقدمت طوائف إلى بلاد الشام، وكان الجراد قد أتلف زروعها، فبلغت الغرارة بدمشق إلى مائتى درهم. فجهز الأمراء من مصر الغلال الكثيرة فى البحر إلى بيروت[(٣)] وطرابلس، فكان ما حمل من جهة السلطان والأمراء نحو عشرين ألف أردب سوى ما حمله التجار، فانحط السعر حتى أبيعت الغرارة بثمانين درهما. وكتب بإبطال مكس الغلة بالشام، وهو على كل غرارة ثلاثة دراهم، وكانت تبلغ فى كل سنة ألف ألف ومائتى ألف درهم، فبطل ذلك واستمر بطلانه.

وفيه عزل جمال الدين سليمان الزرعى عن قضاء القضاة بدمشق، واستمر عوضه جلال الدين محمد القزوينى، بعد استدعائه إلى القاهرة فى يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى، وقدومه فى يوم الجمعة ثالث عشريه. فلما اجتمع القزوينى بالسلطان أقبل عليه وصلى به الجمعة، ونزل إلى خانكاه سعيد السعداء، ثم ولاه قضاء القضاة بدمشق، وخلع عليه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة وسافر القزوينى على البريد يوم الإثنين رابع عشريه، فقدم دمشق خامس رجب، وكان عليه ديون اجتمعت عليه بسبب مكارمه، وهى ألف دينار ومائة وستون دينارا، فأعطاه السلطان ما وفى به ديونه.

وفيه كتب باستقرار كمال الدين محمد بن على الزملكانى فى قضاء حلب، عوضا عن زين الدين عبد الله بن محمد بن عبد القادر الأنصارى.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد بالبحيرة، فاصطاد نحو المائتى غزال بالحياة – سوى ما قتل – ، وجرح كثيرا منها وأطلقها.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول: توجه الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربى؛ لإحضار كريم الدين الكبير وولده من المقدس، فلما كان يوم الخميس خامس عشريه حضرا على البريد تحت الحوطة، فسلما إلى الأمير قجليس، فأقاما عنده إلى يوم حادى عشر ربيع الآخر، ثم طلعا إلى قلعة الجبل، وطولبا بالمال.

---

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٢) أسوان مدينة كبيرة وكورة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ١٩١/١.

(٣) بيروت. انظر معجم البلدان جـ١.

وفيه تنكر الحال بين الأميرين تنكز نائب الشام والأمير ألطنبغا نائب حلب.

وفى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: حضر كريم الدين أكرم الصغير على خيل البريد من صفد إلى قلعة الجبل، فعوق ببرج باب القرافة.

وفى يوم الجمعة ثامن عشره: سفر كريم الدين بكتمر وولده إلى الوجه القبلى، صحبة والى قوص.

وفى يوم الإثنين ثامن عشريه: أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ونزل إلى بيته.

وفى ليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى: طلع القمر مخسوفا بالسواد.

وفيه قدم منسا موسى ملك التكرور يريد الحج، وأقام تحت الأهرام ثلاثة أيام فى الضيافة. عدى إلى بر مصر فى يوم الخميس سادس عشرى رجب، وطلع إلى القلعة ليسلم على السلطان، وامتنع من تقبيل الأرض، فلم يجبر على ذلك، غير أنه لم يمكن من الجلوس فى الحضرة السلطانية. وأمر السلطان بتجهيزه للحج، فنزل وأخرج ذهبا كثيرا فى شراء ما يريد من الجوارى والثياب وغير ذلك، حتى انحط الدينار ستة دراهم.

وفى يوم الخميس ثامن رمضان: عزل الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام عن الوزارة، ولزم بيته. واستقر عوضه الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى وزيرا، مع ما بيده من الأستادارية، فى يوم السبت عاشره.

وفيه استقر شهاب الدين بن الأقفهسى فى نظر الدواوين، عوضا عن الموفق، وعن شرف الدين بن زنبور. وولى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة نظر البيوت، عوضا عن الأقفهسى المذكور. ثم قدم شمس الدين غبريال من دمشق باستدعاء فى أثناء شهر رمضان، فاستقر ناظر الدواوين ووزير الصحبة ونائب الوزارة، فى يوم الجمعة ثانى عشرى رمضان يوم وصوله.

واستقر فى يوم الجمعة ثالث عشرى رمضان الأمير سيف الدين قدادار فى ولاية القاهرة، عوضا عن علم الدين سنجر الخازن - نقل إليها من ولاية البحيرة - ، ففتك فى العامة، ومنع من الخمور وأراقها، فعظمت مهابته.

وفيه عزل علم الدين سنجر الحمصى من شد الدواوين، وولى الجيزة نحو شهرين، ثم أخرج إلى طرابلس شاد الدواوين بها.

وفيه استقر علاء الدين أيدغدى الباشقردى بمصر، عوضا عن علاء الدين ابن أمير حاجب.

وفيه استقر ابن زنبور فى نظر خزائن السلاح، عوضا عن علاء الدين على[1] بن البرهان إبراهيم أحمد بن ظافر البرلسى. واستقر ابن البرلسى فى نظر بيت المال، عوضا عن تاج الدين بن السكرى، واستقر ابن السكرى شاهد الخزانة الكبرى.

وفيه استقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الشام، عوضا عن غبريال، فى يوم السبت رابع عشرى رمضان، وخرج على البريد يوم الإثنين سابع عشرى شوال.

وفى يوم السبت ثانى عشرى شوال: فتحت الحمام بقرب رحبة الأيدمرى، وقد جددها الأمير الحاج آل ملك.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشريه: رحل الركب من بركة الحاج إلى الحجاز.

وفى يوم الإثنين ثامن ذى القعدة: قدمت رسل أبى سعيد بسبب المصاهرة مع السلطان، فأعيدوا بعد إكرامهم.

وفيه رسم بإغلاق دكاكين النشاب، وهدم مرامى النشاب.

وفيه فشت الأمراض فى الناس بالشام ومصر والصعيد، وكثر الموت السريع. ومرض السلطان ثمانية عشر يوما وعوفى، فعملت التهانى والأفراح سبعة أيام، وكتب بالبشارة إلى الأعمال على يد الأمير قطلوبغا المغربى، فحصل له ستة آلاف دينار وثلاثون فرسا وثلاثمائة قطعة قماش وست خلع كاملة بجوائص ذهب، فلما حضر أنعم عليه السلطان بعد ذلك بتشريف.

وفيها أخرج الأقوش المنصورى أميرا بدمشق. وسبب ذلك مرافعة ولده حتى قبض عليه يوم الجمعة سادس عشرى رجب، ثم أفرج عنه فى سلخه، ورسم له بإمرة فى حلب، فخرج على البريد فى عشية نهاره.

وفى سادس عشرى رجب: استقر الأمير ألطنقش أستادارًا، عوضا عن الأمير جمال الدين يغمور بعد موته، وكانت وفاة الأمير يغمور فى خامس عشرى جمادى الآخرة.

---

(١) على بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن سليمان أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار: فاضل من أهل دمشق. وكان أبوه عطارًا وجده طبيبا باشر مشيخة المدرسة المنصورية مدة ثلاث سنوات وفلج سنة ٧٠١هـ فكان يحمل فى محفة وكتب بشماله مدة. له مصنفات منها «الوثائق المجموعة-خ» و«الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد-خ» و«آداب الخطيب-خ» و«إحكام شرح الأحكام» وكتاب فى «فضل الجهاد» وآخر فى «حكم الاحتكار عند غلاء الأسعار». انظر البداية والنهاية ١٤:١١٧ الدرر الكامنة ٣:٥ الأعلام ٤:٢٥١.

وفى ثالث شعبان: قدم المجردون إلى النوبة، وقد غابوا ثمانية أشهر.

وفيه منع الأجناد من الاجتماع بسوق الخيل.

وفيه قدم الخبر بهبوب الريح فى بلاد الصعيد، وأنها اقتلعت من ناحية عرب قمولة زيادة على أربعة آلاف نخلة فى ساعة واحدة، وأخرجت عدة أماكن بأخميم[١] وأسيوط[٢] وأسوان وبلاد السودان، وهلك منها كثير من الناس والدواب.

وفى ذى القعدة: طولب الصاحب أمين الدين والموفق ناظر الدولة بثمن كتان من خراج الجيزة قيمته مائة ألف درهم، خص الصاحب منها مبلغ خمسين ألفا، وخص الموفق مبلغ خمسة وعشرين ألفا، فاستخرج ذلك من جوامك المباشرين.

وكان قاع النيل فى هذه السنة ستة أذرع وعشرين أصبعا، وكان الوفاء فى يوم الأربعاء تاسع شعبان وثامن مسرى. وانتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا، فغرقت الأقصاب والمعاصر وكثرة من شون الغلال، وصارت المراكب لا تجد برا تضرب فيه الوتد من قوص إلى القاهرة، وغرقت الفيوم[٣]لانقطاع جسرها، وتوجه الأمير بكتمر الحسامى لعمارته.

وفيها قرر السلطان أن تعمل له كل يوم أوراق بالحاصل والمصروف، فصارت تعرض عليه كل يوم، وتحدث فى الأموال بنفسه.

ومات فى هذه السنة من الأعيان: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن ظافر، يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، كان فقيها شافعيا.

ومات الشيخ نور الدين على بن يعقوب[٤] بن جبريل البكرى الفقيه الشافعى، فى يوم الإثنين سادس ربيع الآخر.

ومات تقى الدين محمد الجمال عبد الرحيم بن عمر [٥] الباجر بقى الشافعى، فى

---

(١) أخميم بلد بالصعيد فى الإقليم الثانى . انظر معجم البلدان ١٢٣/١

(٢) أسيوط مدينة فى غرب النيل من نواحى صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١٩٣/١،١٩٤.

(٣) الفيوم موضع بمصر، ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢٧٦/٤.

(٤) على بن يعقوب بن جبريل البكرى الشافعى المصرى، أبو الحسن، نور الدين: فقيه من أهل القاهرة هاجم القبط فى إحدى كنائسهم لاستعارتهم قنديلا من جامع عمرو بن العاص فساقوه إلى السلطان فسمعه السلطان. انظر البداية والنهاية ١١٤/١٤ والدرر الكامنة ١٣٩/٣ وحسن المحاضرة ٢٣٩ والأعلام ٣٢/٥.

(٥) محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجر بقى، تقى الدين، أو سمى الدين رأس فرقة ضالة تدعى (الباجر بقية) نسبة إليه. أصله من باجريق من ثرى بنى النهرين، سكن والده الموصل وانتقل إلى دمشق وكان من علماء الشافعية. انظر البداية والنهاية ١٤:١٤ و١١٥ والنجوم الزاهرة ٢٦٢/٩=

ربيع الآخر بدمشق، قدم القاهرة وأقام بها، وله الملحمة الباجر بقية، واتهم بالزندقة.

وماتت خوند أردكين بنت نوكاى الأشرفية ثم الناصرية، يوم السبت ثالث عشرى المحرم.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الفخرى، يوم الجمعة ثامن عشرى جمادى الآخرة، وكان أحد الأمراء الألوف.

ومات الأمير سيف الدين بزلار أمير علم.

ومات الطواشى عنبر الأكبر زمام الدور، فى ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير محمد بن عيسى بن مهنا [1] من آل فضل، يوم السبت سابع رجب، قدم القاهرة مرارًا.

ومات الأمير قطليجا الزينى من أمراء مصر.

ومات الشيخ الصالح محمود الحيدرى، خارج القاهرة.

ومات الأمير بدر الدين بكتمر بدرجك، أحد الأمراء بمصر.

ومات كريم الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد بثغر أسوان، ليلة الخميس العشرين من شوال، وعاد ابنه علم الدين عبد الله فاعتقل بالقلعة، وأخذ منه مال كثير جدًا.

ومات نور الدين على بن تقى الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على القسطلانى، خطيب جامع عمرو بمصر، فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الآخر.

ومات ناصر الدين محمد بن علاء الدين النابلسى، يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى.

ومات بهاء الدين ابن الشيخ جمال الدين بن صفى الدين بن أبى المنصور، يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة.

=وشذرات الذهب ٦٤:٦ والوافى بالوفيات ٢٤٩/٣ والدرر الكامنة ١٢/٤ والأعلام ٢٠٠/٦.

(١) محمد بن عيسى بن مهنا، شمس الدين أمير العرب فى بادية الشام ورئيس آل فضل. كان عاقلا حارثا حسن الهيئة له معارك. مات فى سلمية. انظر النجوم الزاهرة ٢٩١:٩ والدرر الكامنة ١٣١:٤ والأعلام ٢٢٢/٦.

ومات الحسن بن على الأسوانى الفقيه الشافعى، فـى جمـادى الأولى بالمدينـة النبويـة، وقد أم بها واشتغل ثمانى عشرة سنة، وكان فقيها صالحا.

* * *



سنة خمس وعشرين وسبعمائة

المحرم أوله الأربعاء ثالث عشرى كيهك:

وفى يوم الجمعة عاشرة: قدم أوائل الحاج.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: قدم السلطان من الوجه القبلى.

وفى يوم السبت خامس عشريه: وصل المحمل وبقية الحاج، مع الأمير أيتمش المحمدى أمير الركب.

وفيه اجتمع بمصر من رسل الملوك مالم يجتمع مثلهم فى الدولة التركية، وهم: رسل صاحب اليمن، ورسل صاحب إسطنبول، ورسل الأشكرى، ورسل متملك سيس، ورسل أبى سعيد، ورسل ماردين، ورسل ابن قرمان، ورسل ملك النوبة، وكلهم يبذلون الطاعة. وسأل الملك المجاهد صاحب اليمن إنجاده بعسكر من مصر، وأكثر من ترغيب السلطان فى المال الذى باليمن، وكان قدوم رسله فى مستهل صفر. فرسم السلطان بتجهيز العسكر صحبة الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، وهو مقدم العسكر. وكان معه من أمراء الطبلخاناه خمسة: وهم آقول الحاجب، وقجمار الجوكندار - ويعرف باسم بشاس - ، وبلبان الصرخدى، وبكتمر العلائى أستادار، وألجاى الساقى الناصرى، ومن العشراوات عز الدين أيدمر الكوندكى، وشمس الدين إبراهيم بن التركمانى، وأربعة من مقدمى الحلقة، عليها الأمير سيف الدين طينال الحاجب، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه، وهم: الأمير ططر الناصرى، وعلاء الدين بن طغريل الإيغانى، وجرباش أمير علم، وأيبك الكوندكى، وكوكاى طاز، ومن العشراوات أيضا بلبان الدوادارى، وطرنطاى الإسماعيلى والى باب القلة، وأربعة آخرون من مقدمى الحلقة، ومن المماليك السلطانية ثلاثمائة فارس، ومن أجناد الحلقة تتمة الألف فارس. وفرقت فيهم أوراق السفر يوم الإثنين خامسه. وكتب بحضور العربان من الشرقية والغربية لأجل الجمال.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس[1]، وقبض على الأمير بكتمر الحاجب وجماعة، فى يوم الخميس ثانى ربيع الأول.

---

(١) سرياقوس بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤،٢١٥.

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام فى عاشره، فأقام عند السلطان أياما وعاد إلى دمشق مكرما.

وفيه أنفق السلطان فى الأمراء المتوجهين إلى اليمن فقط، فحمل لبيبرس ألف دينار، ولطينال ثمانمائة دينار، ولكل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم، وللأمير من العشراوات مبلغ ألفى درهم، ولمقدم الحلقة ألف درهم. وحضرت العربان، فاستقر كرا الجمل إلى مكة بمائة وستين درهما، وإلى ينبع بمائة وثلاثين، ورحل كل جندى على أربعة جمال، جملين إلى مكة، وجملين إلى ينبع، وتولى الأمير عز الدين أيدمر الكبكى أمر العربان. وأخذ العسكر فى التجهيز، وباعوا موجودهم، فانحط سعر الدنانير من خمسة وعشرين إلى عشرين درهما؛ لكثرة ما باعوا من الحلى والمصاغ. وبرزوا من القاهرة إلى بركة الحاج يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر، واستقلوا بالمسير يوم الخميس ثالث عشره.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس ومعه عدة من المهندسين، وعين موضعًا على نحو فرسخ من ناحية سرياقوس ليبتنى فيه خانكاه بها مائة خلوة لمائة صوفى، وبجانبها جامع تقام فيه الجمعة، ومكان برسم ضيافة الواردين وحمام ومطبخ، وندب السلطان آقسنقر شاد العمائر لجمع الصناع. ورتب السلطان لها أيضا قصورا برسم الأمراء الخاصكية، وعاد، فوقع الاهتمام فى العمل حتى كملت فى أربعين يوما.

ثم اقتضى رأى السلطان حفر خليج خارج القاهرة ينتهى إلى سرياقوس، ويرتب عليه السواقى والزراعات، وتسير فيه المراكب أيام النيل بالغلال وغيرها إلى القصور بسرياقوس، وفوض ذلك إلى الأمير أرغون النائب. فنزل الأمير أرغون بالمهندسين فى النيل إلى أن وقع الاختيار على موضع بموردة البلاط من أراضى بستان الخشاب، ويقع الحفر فى الميدان الظاهرى الذى صار بستانًا، ويمر على بركة قرموط إلى باب البحر، ثم إلى أرض الطبالة، ويرمى فى الخليج الكبير. فكتب إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحفير، وعين لكل واحد من الأمراء أقصاب يحفرها، وابتدأ الحفر مستهل جمادى الأولى إلى أن تم فى سلخ جمادى الآخرة. وخربت فيه أملاك كثيرة، وأخذت قطعة من بستان الأمير أرغون النائب، وأعطى السلطان ثمن ما خرب من الأملاك لأربابها، وفيهم من هدم داره وأخذ أنقاضها. والتزم الفخر ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند فمه، والتزم قدادار والى القاهرة بعمل قنطرة تجاه البستان الذى كان ميدانا للظاهر، ورسم بعمل قنطرة الأوز وقناطر الأميرية [1] فلما كانت أيام الزيادة فى ماء النيل جرت

---

(١) القناطر الأميرية آخر القناطر المقامة على هذا الخليج، من حيث موقعها من القاهرة إذ كانت تجاه الناحية المعروفة بالأميرية فيما بينها وبين المطرية.

السفن فى هذا الخليج، وعمرت السواقى عليه، وأنشئت بجانبه البساتين والأملاك.

وفى يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة: توجه السلطان إلى الخانكاه خارج ناحية سرياقوس، وقد خرجت القضاة والمشايخ والصوفية يوم الأربعاء، وعمل لهم سماط عظيم فى يوم الخميس تاسعه بالخانكاه. واستقر مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى - وهو شيخ خانكاه كريم الدين الكبير بالقرافة - فى مشيخة هذه الخانكاه، ورتب عنده مائة صوفى، وخلع السلطان عليه، وعلى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وولده عز الدين عبد العزيز، وعلى قاضى القضاة تقى الدين الأخنائى المالكى، وعلى الشيخ علاء الدين القونوى[1] شيخ خانكاه سعيد السعداء، ورسم للشيخ مجد الدين ببغلة، وأن يلقب بشيخ الشيوخ، وخلع على أرباب الوظائف، وفرق ستين ألف درهم، وخلع على الأمراء وأهل الدولة.

وفيها حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مرى البعلبكى الحنبلى أحد أصحاب ابن تيمية، مقيدًا فى سجن القاضى المالكى تقى الدين الأخنائى بالقاهرة، وضرب بالسياط ضربا مبرحا، وشهر فى تاسع عشرى جمادى الأولى، بعدما أقام فى السجن من سادس عشرى ربيع الأولى، وكان قد عرض على السلطان فى نصف ربيع الآخر، فأثنى عليه الأمير بدر الدين بن جنكلى بن البابا، والقاضى بدر الدين بن جماعة، وغيرهما من الأمراء، وعارضهم الأمير أيدمر الخطيرى، حتى كادت تكون فتنة. ففوض السلطان الأمر لأرغون النائب، فآل الأمر إلى تمكين القاضى المالكى منه كما تقدم. ثم أعيد ابن مرى إلى السجن، ثم شفع فيه، فآل أمره إلى أن أفرج عنه، وأخرج إلى القدس بعد يومين من سجنه، وكان مظلوما. فاتفق عقيب ذلك أن الفقهاء شنعوا على تقى الدين ابن شاس بأنه كفر لتصويبه بعض آراء ابن مرى، وشهدوا عليه، فدافع الأخنائى عنه وسكن القضية حتى خمدت، فقال الشيخ برهان الدين إبراهيم الرشيدى فى ذلك:

يا قاضيًا شاد أحكامه	على تقى من الله وأقوى أساس
مقالة فى ابن مرى لفقت	تجاوزت فى الحد حد القياس
وفى ابن شاس حققت ما أثرت	فهل أباح الشرع كفر ابن شاس

---

(١) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى أبو الحسن علاء الدين: فقيه، من الشافعية ولد بقونية ونزل بدمشق سنة ٦٩٣هـ وانتقل إلى القاهرة فتصوف وتلقى علوم الأدب والفقه ثم ولى قضاء الشام سنة ٧٢٧هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. له «شرح الحادى الصغير-خ» فقه ومات «الابتهاج فى انتخاب المنهاج -خ». انظر بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤٧:٢ والدرر الكامنة ٢٤:٣ ودار الكتب ٥٢١:١ والأعلام ٢٦٤/٤.

وفيها بلغ السلطان عن دمرداش بن جوبان متملك الروم ما أغضبه، فكتب يشكوه إلى أبيه جوبان، فأنكر عليه فعله، فاعتذر عما وقع منه، وبلغ جوبان ذلك إلى السلطان، فجهز إلى دمرداش تشريفا وهدية، وكتب إليه يستميله.

وفى آخر جمادى الآخرة: توجه الأمير الوزير مغلطاى الجمالى، ومكين الدين بن قروينة مستوفى الدولة، على البريد لكشف القلاع وحمل ما فيها من الحواصل، فراك الجمالى المملكة الحلبية، وعاد يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان.

وفيه استقر بهادر البدرى فى نيابة الكرك، عوضا عن بيليك الجمالى.

وفى يوم السبت العشرين من رمضان: قدم الأمير سيف الدين بكمش الجمدار الظاهرى والأمير بدر الدين بيليك السيفى السلارى - المعروف بأبى غدة - من بلاد أزبك بهدية، ومعهما كتابه، وهو يسأل أن يجهز له كتاب جامع الأصول فى أحاديث الرسول، وكتاب شرح السنة والبحر للروياني فى الفقه، وعدة كتب طلبها، فجهزت له.

وفيه خرج السلطان إلى البحيرة، فى ثالث عشر ذى الحجة، للصيد.

وفيه بعث السلطان الأمير مغلطاى الجمالى إلى الإسكندرية، فأفرج عن الأمراء المسجونين بها، وهم: طاجار المحمدى، وبلبان الشمسى، وكيتمر، وبهادر التقوى أمير جاندار، فقدموا إلى القاهرة فى ثامن عشريه.

وفيها نزل سيل عظيم فى النيل حتى اصفر ماؤه، وزاد ستة أصابع.

وأما العسكر المجرد لنجدة صاحب اليمن فإنه سار إلى مكة، وقد كتب السلطان إلى الشريف عقيل أمير ينبع، وإلى الشريفين عطيفة ورميثة أميرى مكة، وإلى قوادهما، وإلى بنى شعبة وعرب الواديين وسائر عربان الحجاز، بالقيام فى خدمة العسكر. ووصل العسكر إلى مكة فى السادس والعشرين من جمادى الأولى، ودخلها وأقام بها حتى قدمت المراكب بالغلال وغيرها من مصر إلى جدة، فأبيع الشعير بثلاثين درهما الأردب، والدقيق بعشرين درهما الويبة. وتقدم الخادم كافور الشبيلى خادم الملك المجاهد إلى زبيد؛ ليعلم مولاه العساكر، وكتب الأمير ركن الدين بيبرس بن الحاجب، وهو مقدم العسكر إلى أهل حلى بنى يعقوب بالأمان، وأن يجلبوا البضائع للعسكر.

ورحل العسكر فى خامس جمادى الآخرة من مكة، ومعه الشريف عطيفة والشريف عقيل، وتأخر الشريف رميثة. فوصل العسكر إلى حلى بنى يعقوب فى اثنى عشر يوما،

بعد عشرين مرحلة، فتلقاهم أهلها، ودهشوا لرؤية العساكر، وقد طلبت ولبست السلاح، وهموا بالفرار. فنودى فيهم بالأمان، وألا يتعرض أحد من العسكر لشىء إلا بثمنه، فاطمأنوا وحملوا إلى كل من بيبرس وطينال مقدمى الألوف مائة رأس من الغنم وخمسمائة أردب أذرة، فرداها و لم يقبلا لأحد شيئًا. ورحل العسكر بعد ثلاثة أيام، فى العشرين منه.

فقدمت الأخبار باجتماع رأى أهل زبيد على الدخول فى طاعة الملك المجاهد خوفا من معرة قدوم العسكر المصرى، وأنهم ثاروا بالمتملك عليهم وهو الملك الظاهر[1]، ونهبوا أمواله ففر عنهم، وكتبوا إلى المجاهد بذلك، فقوى ونزل من قلعة تعز يريد زبيد. فكتب أمراء العسكر المصرى إليه، وهم قرب حدود اليمن، بأن يكون على أهبة اللقاء.

ونزل العسكر على زبيد، ووافاهم المجاهد بجنده، فسخر منهم الناس من أجل أنهم عراة، وسلاحهم الجريد والخشب، وسيوفهم مشدودة على أذرعتهم، ويقاد للأمير فرس واحد مجلل، وعلى رأس المجاهد عصابة ملونة فوق العمامة. وعندما عاين المجاهد العساكر المصرية وهى لابسة آلة الحرب رعب، وهم أن يترجل عن فرسه حتى منعه الأميران بيبرس وآقول من ذلك. ومشى العسكر صفين والأمراء فى الوسط حتى قربوا منه، فألقى المجاهد نفسه ومن معه إلى الأرض، وترجل له أيضا الأمراء وأكرموه وأركبوه فى الوسط، وساروا إلى المخيم، وألبسوه تشريفًا سلطانيًا وكلفتاه زركش وحياصة ذهب. وركب المجاهد والأمراء فى خدمته بالعساكر إلى داخل زبيد، ففرح أهلها فرحا شديدًا.

ومد المجاهد لهم سماطا جليلا، فامتنع الأمراء والعسكر من أكله خوفا من أن يكون فيه ما يخاف عاقبته، واعتذروا إليه بأن هذا لا يكفى العسكر، ولكن فى غد يعمل السماط. فأحضر المجاهد إليهم ما يحتاجون إليه، وتولى طباخو الأمراء عمل السماط. وحضر المجاهد وأمراؤه، وقد مد السماط بين يدى كرسى جلس عليه المجاهد، ووقف السقاة والنقباء والحجاب والجاشنكيرية على العادة، ووقف الأمير بيبرس رأس الميمنة، والأمير طينال رأس الميسرة. فلما فرغ السماط صاحت الشاويشية على أمراء المجاهد

---

(١) الملك الظاهر عبد الله بن آيوك المنصورى بن يوسف المظفر من بنى رسول: أمير جواد عاقل ورع تعلقت نفسه بطلب الملك، ذلك أن جمعا تألب معه فى أيام الملك المجاهد وحملوه على طلب الملك وخلع المجاهد، وبايعوه، ولقبوه «الظاهرة فسار بهم إلى المجاهد وهو فى تعز، فحاصره أحد عشر شهرا وعجز فسار إلى تهامة فتبعه المجاهد واستمرت بينهما الوقائع إلى أن تفرق من كان مع الظاهر بثغر من غير تضييق عليه إلى أن مات. انظر «تاريخ ثغر عدن-ح» والأعلام ٤/٧٣.

وأهل دولته فأحضروهم، وقرئ كتاب السلطان، فباسوا بأجمعهم الأرض، وقالوا سمعا وطاعة، وكتب الأمير بيبرس لمالك اليمن بالحضور، فحضروا.

ولم يجهز الملك المجاهد للعسكر شيئًا من الإقامات، وعنفه الأمير بيبرس على ذلك، فاعتذر بخراب البلاد، وكتب لهم على البلاد بغنم وأذرة، فتوجه إليها قصاد الأمراء. وسار المجاهد إلى تعز لتجهيز الإقامات، ومعه الأميران سيف الدين ططر العفيفى السلاح الدار وسيف الدين قجمار فى مائتى فارس، وتأخر العسكر بزبيد، وعادت قصاد الأمراء بغير شيء. فرحل العسكر من زبيد فى نصف رجب يريدون تعز، فتلقاهم المجاهد، ونزلوا خارج البلد، وشكوا ما هم فيه من قلة الإقامات، فوعد بخير. وكتب الأمراء إلى الملك الظاهر المقيم بدملوة، وبعثوا إليه الشريف عطيفة أمير مكة وعز الدين الكوندكى، وكتب إليه المجاهد أيضا يحثه على الطاعة.

وأقام العسكر فى جهد، فأغاروا على الضياع، وأخذوا ما قدروا عليه، فارتفع سعر الأذرة من ثلاثين درهما الأردب إلى تسعين، وفقد الأكل إلا من الفاكهة فقط؛ لقلة الجلب، واتهم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفا من العسكر أن يملك منه البلاد.

ثم إن أهل جبل صبر قطعوا الماء عن العسكر، وتخطفوا الجمال والغلمان. وزاد أمرهم إلى أن ركب العسكر فى طلبهم، فامتنعوا بالجبل، ورموا بالمقاليع على العسكر، فرموهم بالنشاب. وأتاهم المجاهد فخذلهم عن الصعود إلى الجبل، فلم يعبأوا بكلامه، ونازلوا الجبل يومهم، ففقد من العسكر ثمانية من الغلمان، وبات العسكر تحته. فبلغ بيبرس أن المجاهد قرر مع أصحابه بأن العسكر إذا صعد الجبل يضرمون النار فى الوطاق وينهبون ما فيه، فبادر بيبرس وقبض على بهاء الدين بهادر الصقرى وأخذ موجوده، ووسطه قطعتين وعلقه على الطريق، ففرح أهل تعز[1] بقتله، وكان بهادر قد تغلب على زبيد، وتسمى بالسلطنة، وتلقب بالملك الكامل، وظل متسلطا عليها، حتى طرده أهلها عند قدوم العسكر.

وقدم الشريف عطيفة والكوندكى من عند الملك الظاهر صاحب دملوة، وأخبرا بأنه فى طاعة السلطان. وطلب بيبرس من المجاهد ما وعد به السلطان، فأجاب بأنه لا قدرة له إلا بما فى دُمْلُوَة فأشهد عليه بيبرس قضاة تعز بذلك، وأنه أذن للعسكر فى العود، لخراب البلاد وعجزه عما يقوم به للسلطان، وأنه امتنع بقلعة تعز.

ورحل العسكر إلى حلى بنى يعقوب، فقدمها فى تاسع شعبان. ورحلوا منها أول

---

(١) تعزّ قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم البلدان ٢/٣٤.

رمضان إلى مكة، فدخلوها فى حادى عشره بعد مشقة زائدة. وساروا من مكة يوم عيد الفطر، وقدموا بركة الحاج أول يوم ذى القعدة.

وطلع الأمراء إلى القلعة، فخلع عليهم فى يوم السبت ثالثه. وقدم الأمير بيبرس هدية، فأغرى الأمير طينال السلطان بالأمير بيبرس، وأنه أخذ مالا من المجاهد وغيره، وأنه قصر فى أخذ مملكة اليمن.

فلما كان يوم الإثنين تاسع عشره: رسم بخروجه إلى نيابة غزة[١]، فامتنع لأنه كان قد بلغه ما قيل عنه، وأن السلطان قد تغير عليه، فقيد وسجن فى البرج، وقبضت حواشيه، وعرقبوا على المال فلم يظهر شىء.

وفى ثالث ذى الحجة: قبض على إبراهيم ابن الخليفة أبى الربيع، وسجن بالبرج، لأنه تزوج بمغنية، وأشهد عليه بطلاقها.

وفى ثالث عشر ذى القعدة: قدم ألطنبغا نائب حلب، وسافر آخر يوم الأحد.

وفى أول ذى الحجة: خلع على الأمير بهادر البدرى السلاح دار، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن عز الدين أيبك الجمالى، ونقل الجمالى لنيابة غزة، فسار إليها فى خامس عشره.

وفى ثالث عشره: توجه السلطان إلى الصيد نحو الجيزة، وأفرج عن بلبان الشمسى، وبهادر التقوى، وأمير جاندار، وطاجار المحمدى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

حجاب بنت عبد الله شيخة رباط البغدادية فى المحرم، وكانت صالحة خيرة، ملازمة للرباط، تعظ النساء.

ومات الأمير سيف الدين قطز عند عوده من اليمن، وحمل إلى مكة فدفن بها، وكان جوادًا عفيفا.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى، فى ليلة الخميس خامس عشرى رمضان، وهو أحد مماليك المنصور قلاوون، واستنابه بالكرك، وعزله الملك الأشرف خليل بالأمير جمال الدين آقوش، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، وولى نيابة السلطنة بديار مصر، وكان عاقلا كثير البر، وإليه تنسب المدرسة الدوادارية بخط سويقة العزى خارج القاهرة، وله تاريخ سماه زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، يدخل فى أحد عشر سفرًا، أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر النصرانى، وكان يجلس رأس الميسرة، فأخذ إقطاعه الأمير

---

(١) غزة مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢.

مغلطاى الجمالى، وأخرج منه طبلخاناه لبلبان السنانى، وصار الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى بعده يجلس فى رأس الميسرة.

ومات الشريف منصور بن جماز بن شيحة فى حرب يوم الرابع والعشرين من رمضان، قتله حديثة ابن ابن أخيه، وكان له فى الإمرة ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وأيام، واستقر عوضه فى إمرة المدينة النبوية ابنه بدر الدين كبيشة بن منصور، وقدم منصور إلى القاهرة مرارًا.

ومات الشهاب محمود بن سليمان[1] بن فهد الحلبى كاتب السر، بدمشق فى شعبان، عن إحدى وثمانين سنة، وقدم القاهرة مرارًا.

ومات الشيخ تقى الدين محمد بن الجمال أحمد بن الصفى عبد الخالق - الشهير بالتقى الصائغ - شيخ القراء، بمصر فى ليلة الأحد ثامن عشر صفر.

ومات نجم الدين أبو بكر بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان الشافعى، بالقاهرة فى ثالث ذى القعدة، وكان فاضلا، إلا أنه رمى فى عقله وعقيدته بأشياء.

ومات الأمير سيف الدين بلبان التترى المنصورى، فى ذى القعدة.

ومات الخطيب جمال الدين محمد بن تقى الدين محمد بن الحسن بن على بن أحمد بن على بن أحمد القسطلانى، فى ليلة السبت مستهل ربيع الأول، واستقر ابن أخيه الخطيب تقى الدين بن نور الدين مكانه خطيبًا بجامع القلعة، ورتب ولده زين الدين أحمد بن جمال الدين فى خطابة جامع عمرو وإمامته ونظره.

ومات شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القلقشندى الفقيه الشافعى، فى خامس عشرى ربيع الآخر.

* * *

(١) محمود بن سليمان بن فهد بن محمود الحنبلى الحلبى ثم الدمشقى، أبو الثناء شهاب الدين: أديب كبير. استمر فى دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاما. ولد بحلب، وولى الإنشاء فى دمشق وانتقل إلى مصر، فكتب بها فى الديون وعاد إلى دمشق، فولى كتابة السر نحو ثمان سنين إلى أن توفى بها.

أهلت والسلطان فى الصيد بالوجه البحرى.

وفى يوم الإثنين سادس عشر المحرم: وردت رسل ملك الحبشة بكتابه يتضمن إعادة ما خرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام، ويهدد بأنه يخرب ما عنده من مساجد المسلمين، ويسد النيل حتى لا يعبر إلى مصر، فسخر السلطان منه، ورد رسله.

وفى عشرى صفر: خلع على فخر الدين أستادار ألطنبغا، واستقر والى المحلة بعد موت الشيخى.

وفى ثامن عشر صفر: صرف شمس الدين غبريال عن نظر النظار، وسفر إلى دمشق، فسار على البريد فى حادى عشريه، وقدم دمشق فى ثامن عشريه.

وفى يوم الإثنين سادس ربيع الأول: قدم كريم الدين أكرم الصغير من دمشق باستدعاء إلى ناحية سفط من الجيزة - والسلطان مخيم بها - ، فأنكر السلطان عليه إنكارًا شديدًا، وأمره بملازمة بيته. وكان قد سعى به الفخر ناظر الجيش وغيره، وأغروا به السلطان حتى أحضره من دمشق.

وفيه استقر شرف الدين الخطيرى - المعروف بكاتب سلار، وكان قد خدم عند الأمير أرغون النائب - فى نظر النظار، عوضًا عن غبريال.

وفيه رسم للوزير مغلطاى بقتل كريم الدين أكرم الصغير فى خفية، فتقدم إلى والى القاهرة بذلك، فوضع له أعينا يترقبون فرصة، إلى أن ركب من داره يريد الحمام بعد العشاء الآخرة من ليلة الإثنين رابع ربيع الآخر، فوثب عليه جماعة، وكان قد احترس على نفسه، فنجا بفرسه منهم، وقتلوا غلامه. وأصبح الناس وقد شاع خبره، وبلغ السلطان فرسم للوزير بإخراجه إلى أسوان، فقبض عليه فى يوم السبت تاسعه هو وأولاده، وأحضرهم بمجلس السلطان، وطولب بالمال، فلم يعترف بشىء، فضرب ابنه سعد الدين أبو الفرج بالمقارع. وسلم أكرم إلى والى القاهرة، فوجد فى كمه أوراقا فيها مرافعات فى جماعة من أهل الدولة، فطلبها الوزير منه، فامتنع من ذلك حتى بعث السلطان من تسلمها منه وقرأها، فأفرج السلطان عن أولاده، ورسم بعقوبته فسعّط

بالخل والجير. وأخرج أكرم وابنه سعد الدين فى ليلة الإثنين حادى عشره إلى جهة الصعيد، بعدما توجه الأمير بهاء الدين والى القلعة إلى الوزير يطلب له منه بساطًا ونفقة فأبى ذلك. ومضى أكرم وابنه فى سلورة[١] إلى أسوان، فقدما فى ليلة الإثنين خامس عشريه، وقتل ليلة الثلاثاء سادس عشريه.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الأولى: سار الأمير أيتمش المحمدى رسولا إلى القان بوسعيد، وصحبته هدايا جليلة؛ ليرغبه فى مصاهرة السلطان. فبلغ أيتمش رسالته، وعاد إلى القاهرة يوم الثلاثاء ثامن عشرى شعبان.

وفى ثانى عشرى جمادى الأولى: خرجت تجريدة إلى برقة[٢] عليها من الأمراء أسندمر العمرى، وملكتمر الإبراهيمى، وقطلوبغا الطويل، وجماعة من أجناد الأمراء. وسببها حضور فايد وسليمان أميرى العربان ببرقة، وشكواهم من العرب أنهم منعوا أداء الزكاة عن الغنم.

وفى ليلة الجمعة ثامنه: وقت الغروب ركب أحمد ابن السلطان، ومعه الأمير قجليس والأمير طقتمر الخازن، ليتوجه إلى الكرك - وعمره يومئذ ثمانى سنين - ، وسار معه عدة من المماليك وخزانة مال. واستقر فى نيابة الكرك الأمير سيف الدين بهادر البدرى، وتوجه معه ليقوم بأمره، ويودع المال بخزانة قلعة الكرك، ولا يمكن أحدًا من التصرف، بل يمرنه على الصيد والفروسية. فأوصله الأميران إلى الكرك، وعادوا فى ثانى جمادى الآخرة.

وفيه قدم كتاب نائب الشام بأنه قبض على بكتوت القرمانى، لامتناعه من التوجه لإحضار حمل سيس، فأجيب بتقييده وسجنه بقلعة دمشق، وأن يستقر شهاب الدين قرطاى الصلاحى نائب طرابلس على خبزه.

وفيه رسم للأمير طينال الحاجب بنيابة طرابلس، فسار من القاهرة فى يوم الخميس رابع جمادى الآخرة. وأمر السلطان بتقدمته على الأمير قوصون زيادة على إقطاعه، عقد له على إحدى بنات السلطان.

وفى يوم الثلاثاء ثامن رجب: ابتدأ جلوس الصوفية بخانقاه الأمير بكتمر الساقى، بآخر القرافة مما يلى بركة الحبش.

---

(١) سلورة والجمع سلالير نوع من السفن.

(٢) برقة اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية . انظر معجم البلدان ٣٨٨/٢، ٣٨٩.

وفى يوم الإثنين رابع عشر رجب: قدمت رسل جوبان حاكم دولة أبى سعيد، ومعهم طايربغا وابنه يحيى، فخلع عليهم، وأنعم على طايربغا بإمرة طبلخاناه فى سابع عشره، وعلى ابنه يحيى بإمرة عشرة، وأعيدت الرسل فى رابع عشريه. وكان طايربغا هذا يلى نيابة خلاط، وبينه وبين السلطان قرابة، فكتب إلى الأمير جوبان ليستدعيه وأهله إلى مصر، فبعثهم.

وفى سابع عشره: أيضا أنعم على أحمد بن بكتمر الساقى بإمرة.

وفى يوم الإثنين سادس شعبان: حبس تقى الدين أحمد بن تيمية، ومعه أخوه زين الدين عبد الرحمن بقلعة دمشق. وضرب شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية، وشهر على حمار بدمشق. وسبب ذلك أن ابن قيم الجوزية تكلم بالقدس فى مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء، وأنكر مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد المسجد النبوى، فأنكر المقادسة مسألة الزيارة، وكتبوا فيه إلى قاضى جلال الدين محمد القزوينى وغيره من قضاة دمشق. وكان قد وقع من ابن تيمية كلام فى مسألة الطلاق بالثلاث أنه لا يقع بلفظ واحد، فقام عليه فقهاء دمشق. فلما وصلت كتب المقادسة فى ابن القيم، كتبوا فى ابن تيمية وصاحبه ابن القيم إلى السلطان، فعرف شمس الدين الحريرى قاضى القضاة الحنفية بديار مصر ذلك، فشنع على ابن تيمية تشنيعا فاحشا حتى كتب بحبسه، وضرب ابن القيم.

وفيه أنشأ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك قاعة بالمارستان المنصورى، ونحت جدران المارستان والمدرسة المبنية بالحجر كلها داخلا وخارجا، وطر الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد. وعمل آقوش خيمة يزيد طولها على مائة ذراع، وركبها لتستر على مقاعد الأقفاص، وتستر أهلها من الحر، ونقل الحوض من جانب باب المارستان؛ لكثرة تأذى الناس برائحة النتن، وعمل موضعه سبيل ماء عذب لشرب الناس، وكان مصروف ذلك كله من ماله دون مال الوقف.

وفى يوم الإثنين سابع عشرى شعبان: أفرج عن الأمير بلبان طرنا أمير جاندار، فكانت مدة اعتقاله إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام، فلما مثل بحضرة السلطان خلع عليه وأعطاه إمرة دمشق، وبعثه إليها.

وفيه نقل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من دمشق إلى شد الدواوين بطرابلس، وأنعم على أشقتمر من أمراء حلب بخبزه.

وفيه حمل بكتوت القرمانى من قلعة دمشق إلى القاهرة مقيدًا على البريد، وحمل منها إلى الإسكندرية هو والبوبكرى والجاولى، فسجنوا بها.

وفيه قدم بازان رسول جوبان حاكم بلاد أبى سعيد، وجوبان هو الذى أجرى العين من عرفة إلى مكة. فلما قدم إلى مصر واجتمع بالسلطان، وعرفه خبر العين، شق عليه ذلك، وقال له على لسان النائب: «من أذن لك فى هذا؟ و لم لا شاورتنى؟»، فقال بازان للنائب: «عرف السلطان أن جوبان فعل ما فعل من الخير، وبقى الأمر للسلطان إن شاء يخرب أو يعمر، فهذا شىء قد فعله من فعله وخرج عنه، والأمر إليكم»، فلما بلغ النائب قوله السلطان سكت.

وكان من خبر هذه العين أنه لما كثر ترداد الحاج من العراق إلى مكة فى كل سنة شق عليهم قلة الماء بمكة، فإن الراوية كانت تبلغ فى الموسم عشرة دراهم مسعودية[1]، وفى غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة. فقصد الأمير جوبان حاكم مملكة أبى سعيد عمل خير بمكة، فدله بعض الناس على عين كانت تجرى فى القديم ثم تعطلت، فندب لذلك بعض ثقاته وأعطاه خمسين ألف دينار، وجهزه فى موسم سنة خمس وعشرين. فلما قضى حجه تأخر بمكة وشهر أمره بها، فأعلم بعين فى عرفة، فنادى بمكة: «من أراد العمل فى العين فله ثلاثة دراهم فى كل يوم». فهرع إليه العمال، وخرج بهم إلى العمل، فلم يشق على أحد منهم ولا استحثه، وإنما كانوا يعملون باختيارهم. فأتاه جمع كبير من العرب، وعمل حتى النساء، إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة، فى ثامن عشرى جمادى الأولى من هذه السنة، فكانت مدة العمل أربعة أشهر. وكثر النفع بهذه العين، وصرفه أهل مكة إلى مزارع الخضراوات.

وفيه قدم القاهرة الأمراء المجردون إلى برقة، وقد غابوا عنها ثلاثة أشهر وأربعة أيام.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير تنكز نائب الشام جمع العامة بدمشق وألزمهم بإحضار الكلاب ورميها بالخندق، فأقاموا عشرة أيام فى جمعها حتى امتلأ الخندق بها، وأكل بعضها بعضًا.

وفيه قدم الخبر بحصول سيل عظيم فى الفرات، أعقبه مطر، وأنه حدث وخم وفناء عم الناس من الفرات إلى دمشق، فلم تبق مدينة فيما بين ذلك حتى كثر بها المرض والموت، وباع بعض عطارى دمشق فى كل يوم أدوية للمرضى بنحو الألف درهم، وأبيع قدر فيه حسو شعير بزيادة على ثلاثين درهما، وأخذ حجام فى أجرة فصد وشراطة آذان فى كل يوم أربعمائة درهم، فإنه كان فصلا زموما، وكان الموت فيه بالنسبة إلى المرض قليل.

---

(١) تنسب الدراهم والدنانير المسعودية إلى الملك الأيوبى ملك اليمن.

وفى يوم الثلاثاء خامس رمضان: قدم الملك الصالح صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل سيف الدين أبى بكر بن شادى ابن الملك الأوحد تقى الدين ابن الملك المعظم غياث الدين توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين[1] أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل بن أيوب بن شادى، صاحب حصن[2] كيفا. فأقبل عليه السلطان وأكرمه، وخلع عليه تشريفا طرد وحش بحياصة، ورتب له ما يليق به من اللحم والدجاج والسكر والحلوى وغير ذلك، وبعث له عشرة آلاف درهم.

وأقام الصالح صلاح الدين إلى نصف شوال، وسار بعد ما جهزه السلطان بكل ما يحتاج إليه من خيل وجمال وسلاح وتحف، وأنعم عليه بألف دينار. فلما قدم دمشق بالغ الأمير تنكز فى الإحسان إليه، وبعثه إلى بلده فقدمها، وسر به أهلها. فلما صعد الحصن وتوسط الدهليز، وثب عليه أخوه الملك العادل محيى الدين وقتله. وكان من خبر الصالح صلاح الدين أنه ملك حصن كيفا من أعمامه وإخوته بالقوة، فإنه كان شجاعا جريئا؛ فلما تمكن منع الخراج عن أبى سعيد، وتعرض لقصاد الأمير تنكز نائب الشام، وإلى بعض التجار. فكتب إليه تنكز يهدده بأنه يقتله وسط حصنه، فخاف سوء العاقبة، وأجاب بالاعتذار، وأنه من اليوم فى خدمة السلطان ونائبه، وأنه يمتثل ما يرسم به؛ وجهز لتنكز هدية. فسر السلطان بذلك، وأكد على تنكز فى مهاداته. فلما قدم الأمير أيتمش المحمدى عليه تلقاه، وقدم له تقدمة حسنة، وعرفه أنه نائب السلطان فى الحصن تحت أوامره؛ وكتب إلى نائب الشام بذلك. فكتب تنكز يعرف السلطان بذلك، فازداد رغبة فيه، ومازال به الأمير تنكز يستميله حتى قدم إلى مصر، ذلك بعد أن استناب أخاه الملك العادل محيى الدين على الحصن مدة غيبته . فطمع محيى الدين فى الحصن وقتله بعد رجوعه من مصر، وكتب إلى جوبان وأبى سعيد أنه لم يقتله إلا لمخامرته وخروجه عن طاعتهما، وبعث إليهما بالخراج؛ فأجاباه بالشكر والثناء واستمراره على نيابة الحصن. وكتب محيى الدين أيضا لنائب الشام بأنه لم يقتله إلا لما ثبت عليه من شرب الخمر والفسق وقتل الأنفس واستباحة الأموال والتلفظ بالكفر غير مرة، وجهز إليه وترفق إليه

---

(١) تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل محمد: ثامن سلاطين الدولة الأيوبية لمصر وآخرهم وثالث من سمى الملك المعظم منهم وأحد ملوك حصن كيفا. كانت إقامته فى هذا الحصن كيفا بديار بكر نائب عن أبيه ولما توفى أبوه سنة ٦٤١هـ كتمت «شجرة الدر» خبر موته واستدعته فجاء إلى مصر. انظر ابن إياس ١:٨٥ وابن الوردى ٢/١٨١ وابن شاكر ١:٧ والأعلام ٢/٩٠.

(٢) حصن كيفا يقع على نهر دجلة فى منتصف الطريق بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر وقد استولى عليه الأيوبية وظلت هى ومدينة حماة بالشام آثارا باقية لتدل على أيام الأيوبيينى.

هدية فى كتبه، وأنه مملوك السلطان ونائبه. فعرّف تنكز السلطان ذلك، فأجابه بقبول عذره ومهاداته واستجلاب خاطره؛ ففعل ذلك.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان: تولى الأمير عماد الدين البحيرة، عوضا عن بلبان العتريس.

وفى خامس شوال: توجه الأمير سيف الدين أرغون النائب، وولده ناصر الدين محمد، إلى الحجاز للحج.

وفيه أشيع أن قصاد الأمير تنكز وصلت من الشرق، وأخبرت بأن الأمير جوبان جمع من خيار عسكر الأردو عشرة آلاف فارس، وقصد الحج. فأظهر السلطان الخوف على نائبه الأمير أرغون أن يقبض عليه جوبان ويجعله إلى بلاده، وكتب إلى تنكز نائب الشام أن يخرج بعسكر إلى جهة الكرك ليدرك الأمير أرغون. فبرز تنكز بعد أربعة أيام من قدوم البريد عليه، ونزل الصنمين. ثم كتب إليه السلطان بعوده إلى دمشق، فعاد. وباطن هذه الحركة أن السلطان بلغه أن الأمير مهنا بن عيسى يريد الحج، فندب الأمير أرغون للحج، وأن يقبض عليه. فلما خرج أرغون بلغ السلطان أنه كتب إلى مهنا يحذره من الحج، فشق ذلك على السلطان، وأشاع ما تقدم ذكره، وأخرج نائب الشام بالعسكر ليقبض على أرغون، ثم بدا له فأشاع أن جوبان أبطل حركته للحج، وأعاد نائب الشام.

وفيها كثر الرخاء بمصر، فأبيع الأردب القمح بخمسة دراهم وبستة، وأبيع الشعير والفول من ثلاثة دراهم الأردب إلى أربعة.

وفى يوم الخميس تاسع عشر شوال: فرق السلطان الحوائص الذهب على الأمراء.

وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر إصبعا وسبعة عشر ذراعا.

وفيها كتب مرسوم السلطان - وقرئ على المنابر - بألا يضرب أحد فى ديار مصر والشام بالمقارع.

وفيها قدم بيبغا الحموى من مكة مبشرا بسلامة الحاج، فى رابع عشرى ذى الحجة.

* * *

ومات فيها ممن له ذكر

شيخ الشيعة جمال الدين حسين بن يوسف بن المطهر الحلى المعتزلى، شارح مختصر

ابن الحاجب، فى المحرم؛ وكان رضى الخلق حليما، عالما بالمعقولات، وله وجاهة عند خربندا، وله عدة مصنفات، ولابن تيمية عليه ردّ فى أربع مجلدات، وكان يسميه ابن المنجس.

ومات شرف الدين أبو الفتح أحمد بن عز الدين أبى البركات عيسى بن مظفر بن محمد بن إلياس - المعروف بابن الشيرجى - الأنصارى الدمشقى، محتسب دمشق؛ ومولده فى سنة سبع وأربعين وستمائة. ومات بدر الدين حسن ابن الملك الأفضل صاحب حماة، أحد الأمراء بحماة، عن نيف وستين سنة. وكان من أهل العلم، وسعى فى مملكة حماة(١).

ومات سراج الدين عمر بن أحمد بن خضر بن ظافر بن طراد الخزرجى الأنصارى المصرى الشافعى، خطيب المدينة النبوية.

ومات والى المحلة الشيخى، فى سابع عشرى المحرم.

* * *

(١) حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار . انظر معجم البلدان.



سنة سبع وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم: وقد كثر مرض الناس بحميات حادة دموية فشت حتى لم يكد يسلم منها أحد، فكان المريض يتمادى مرضه أسبوعا ويبرأ؛ وربح بياعو الأدوية والأطباء والحجامون مالا كثيرًا.

وفى يوم الأحد حادى عشره: قدم الأمير أرغون النائب وولده ناصر الدين محمد من الحجاز والسلطان بناحية سرياقوس. فقبض عليهما وعلى الأمير طيبغا الحموى، فأخذهم الأمير بكتمر الساقى عنده وسعى فى أمرهم؛ فأخرج السلطان الأمير أيتمش فى يوم الإثنين ثانى عشره بالأمير أرغون لنيابة حلب، عوضا عن ألطنبغا.

وقد تقدم تغير السلطان على الأمير أرغون، فلما قدم بعث السلطان الأمير أيتمش المحمدى ليقف على باب القلة من قلعة الجبل، فإذا مر به أرغون فى دخوله على السلطان منع مماليكه من العبور معه. وأمر السلطان الأمير قجليس أن يتلقاه إذا صعد القلعة، ولا يمكنه من العبور إلى داره، فتلقاه قجليس من باب القلعة، ومشى معه إلى أن جازا دار النيابة؛ فسمع أرغون صراخ أهله، وقد ماتت ابنه زوجته. ثم مر أرغون إلى باب القلة، فإذا أيتمش وغيره؛ فأخذوا سيفه وسيف ابنه محمد، وفرق بينهما. فبعث السلطان إليه بكتمر الساقى يعدد عليه ذنوبه، فاستسلم لأمر الله؛ وطال ترداد بكتمر بينه وبين السلطان إلى أن أنعم عليه بنيابة حلب، وأخرج معه أيتمش ليوصله ويعود. وبعث السلطان الأمير ألجاى الدوادار على البريد إلى حلب ليحضر ألطنبغا نائبها، وقرر مع كل من أيتمش وألجاى أن يكونا بمن معهما فى دمشق يوم الجمعة ثالث عشريه. ولم يعلم أحد منهما بما توجه فيه الآخر، حتى توافيا بدمشق فى يوم الجمعة المذكور. وقد خرج الأمير تنكز فى الساعة الرابعة إلى ميدان الحصا للقاء الأمير أرغون، فترجل كل منهما لصاحبه، وسارا إلى جامع بنى أميه، فعندما توسطاه إذا بألجاى ومعه ألطنبغا نائب حلب، فسلم عليه أرغون بالإيماء. فلما قضيت صلاة الجمعة حمل لهما الأمير تنكز سماطا جليلا، وركب أرغون إلى حلب، فدخلها فى سلخه.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: عزل شرف الدين الخطيرى من نظر الدولة بمجد الدين إبراهيم بن لفيتة، واستقر الخطيرى ناظر البيوت؛ فألزم ابن لفيتة المباشرين بعمل الحساب، وأراد توفير جماعة منهم، فلم يتمكن من ذلك.

وفيه سار ألطنبغا إلى القاهرة، فقدمها يوم السبت مستهل صفر، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأسكنه بقلعة الجبل، وأنعم عليه بإمرة مائة من جملة إقطاع أرغون؛ وكمل السلطان منه لطايربغا إمرة مائة، فزادت التقادم تقدمة، وصارت الأمراء خمسة وعشرين مقدما .

واتهم الفخر ناظر الجيش بأنه كان سبب تغير السلطان أرغون؛ لكثرة حطه عليه وإغرائه به، حتى قال له: «يا خوند! ما رأينا سلطانا دخل عليه الدخيل من غير نائب السلطنة»، وذكره بما وقع للمنصور لاجين بسبب نائبه منكوتمر، وقيام لاجين وهو نائب السلطنة على العادل كتبغا، وإفساد سلار نائب السلطنة مملكة المظفر بيبرس، وأشار عليه بإبطال النيابة والاستبداد بالأمور. وسبب ذلك ما كان بين الفخر وبين الأمير أرغون من المنافرة، وأهانة أرغون له وحطه من مقدار.

ولما قدم أيتمش سأله السلطان عن أرغون، فما ذكر إلا خيرا، فقال له الفخر بحضرة السلطان: «يا أيتمش! كل ما قلت صحيح، لكن وا لله لو قام أرغون فى النيابة شهرا واحدا ما رأيت السلطان على هذا الكرسى». فأثر هذا القول فى السلطان أثرا قبيحا، وطلب شرف الدين الخطيرى كاتبه وهدّده بالشنق إن أخفى شيئا من مال أرغون، وألزمه بكتابة حواصله؛ فلما تنجزت الأوراق أحاط السلطان بجميع حواصله، وأخذ بعضها وأنعم بالباقى.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر: قدم الشريف طفيل فارا من ابن عمه الشريف ودى ابن جماز بن شيحة، وأخبر أنه حصر المدينة النبوية سبعة أيام، ودخلها عنوة لغيبة الشريف كبيشة أمير المدينة، وأخذ غلمانه وأهله وصادرهم، وعاقب جماعة حتى ماتوا تحت العقوبة، وقتل القاضى هاشم بن على وعبد ا لله بن القائد على بن يحيى. فلما بلغ ذلك الشريف كبيشة قدم، ففر منه ودى، فغضب السلطان من ذلك، وعزم على تجريد عسكر يوم الجمعة.

وفى رابع ربيع الآخر: قدم الأمير تنكز نائب الشام باستدعاء، ومعه قليل من مماليكه؛ فخرج الأمير بكتمر الساقى إلى لقائه بسرياقوس وقدم به، فأكرمه السلطان وأنزله بدار الأمير بكتمر الساقى. وكان قد قدم معه الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير أحد حجاب دمشق، فشكا منه وسأل أن يكون بديار مصر، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وأن يكون حاجبا صغيرا رفيقا للأمير ألماس الحاجب؛ وأنعم بإقطاعه فى دمشق على أخيه شرف الدين محمود بن الخطير؛ وسافر الأمير تنكز.

وفى يوم الأحد سادس ربيع الآخر: قبض على الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى، والأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقى. وأخرج قطلوبغا على إقطاع أيدغدى التليلى بدمشق، فى يوم السبت ثانى عشريه. وأفرج عن طشتمر، واستمر على حاله. وسبب مسكهما أن السلطان وجد ورقة فيها أنهما اتفقا على قتله، فقام الأمراء وكذبوا هذا القول، فإنه من فعل من يريد الفتنة، ومازالوا حتى أفرج عنهما.

وفيه استقرّ الأمير عز الدين دقماق نقيب الجيوش، عوضا عن شمس الدين المهمندار، مضافا لما بيده من نقابة المماليك. واستقر المهمندار على المهمندارية.

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الأولى: قبض على الأمير بهاء الدين أصلم، وعلى أخيه سيف الدين قرمجى، وجماعة من القبجاقية. وسبب ذلك أن أصلم عرض سلاح خاناه وجلس بإصطبله، وألبس خيله عدة الحرب، وعرضها يومه كله؛ فوشى به إلى السلطان بعض أعدائه بأنه قد عزم هو وأخوه قرمجى وجماعة جنس القبجاق أن يهجموا على السلطان ويغيروا الدولة، وأنه أمس عرض عدده وألبس خيله ورتبهم للركوب. وكتب هذا فى ورقة وألقاها أحدهم فى الإصطبل السلطانى. فلما وقف السلطان عليها تغير تغيرا زائدا، وكانت عادته أنه لا يكذب فى الشر خبرا، وبعث من فوره يسأل أصلم مع الحاجب ألماس عما كان يعمله أمس فى إصطبله، فذكر أنه اشترى عدة أسلحة فعرضها على خيله لينظر ما يناسب كل فرس منها، فصدق السلطان ما نقل عنه، وقبض عليه وعلى أخيه وأهل جنسه، وعلى قيران صهر قرمجى وانكبار أخى آقول الحاجب، وسفروا إلى الإسكندرية مع صلاح الدين طرخان بن بدر الدين بيسرى الشمسى وبرلغى قريب السلطان، وكانا مسجونين بقلعة الجبل. وأفرد أصلم فى برج بالقلعة.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير حسين بن جندر بك من الشام، فخلع عليه أطلس بطرز زركش وكلفتاه زركش وحياصة بجوهرة، وأنعم عليه بإقطاع الأمير أصلم.

وفيه سار الأمير حسام الدين حسين بن خربندا إلى الشام، وقد كان فرّ من بلاد التتار، وشمله الإنعام السلطانى، وصار من جملة أمراء الطبلخاناه.

وفيه قدمت رسل اصطنبول، فأسلم منهم نفران، وهما آقسنقر وبهادر؛ وأنعم على آقسنقر بإمرة عشرة بديار مصر، وعلى بهادر بخبز جندى، وكانا أخوة .

وفى يوم الإثنين ثالث جمادى الآخرة: عقد على الأمير سيف الدين قوصون بالقلعة عقد ابنة السلطان بالقلعة، وتولى عقد النكاح قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الحريرى الحنفى.

وفيه سأل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى فى الإعفاء من القضاء، واعتذر بنزول الماء فى إحدى عينيه وانحداره إلى الأخرى، وقلة نظره وكبر سنه. فسأل السلطان من ابنة عز الدين عبد العزيز بن جماعة عن وظائف والده، فأخبره بها، فلما حضر بدر الدين دار العدل فى يوم الإثنين عاشره أعاد السؤال فى طلب الإعفاء، فأجابه السلطان من غير تصريح، وقال له: «احكم بين الأمير بكتمر الحاجب وبين غرمائه»، فنزل إلى المدرسة الصالحية وحكم بينهما، وقال لأهل مجلسه: «هذا آخر الحكم»، ومضى إلى داره بمصر؛ فقرر له السلطان من مال المتجر فى كل شهر ألف درهم فضة.

وفيه كتب بإحضار جلال الدين محمد القزوينى قاضى دمشق؛ ليستقر فى قضاء القضاة بمصر عوضا عن بدر الدين بن جماعة، فقدم على البريد إلى سرياقوس يوم الجمعة ثامن عشريه، وخطب بجامع الخانكاه، وصلى بالناس صلاة الجمعة. وطلع القزوينى قلعة الجبل يوم السبت تاسع عشريه، فخلع عليه فى أول رجب، واستقر فى قضاء القضاة، وأركب بغلة بزنار جوخ، وأضيف إليه تدريس المدرسة الصالحية، والمدرسة الناصرية، ودار الحديث الكاملية، وخطابة جامع القلعة شركة مع ابن القسطلانى؛ وأعيد ابنه بدر الدين محمد على خطابة جامع بنى أمية بدمشق. وكتب باستقرار شمس الدين أبى اليسر ابن الصائغ بتعيين الجلال القزوينى، فامتنع من ذلك.

وفى يوم الأربعاء رابع رجب: قدمت رسل القان أبى سعيد، ومعهم محمد بيه بن جمق قريب السلطان وابن أخت طايربغا، بهدية سنية. فأنعم السلطان على محمد بيه بإمره طبلخاناه عوضا عن أيبك البكتوتى أمير علم، بحكم انتقاله على إقطاع فيروز بصفد.

فلما كان يوم السبت: ركب السلطان إلى الميدان ومعه الرسل، ثم أركبهم فى ثالث عشره معه إلى القاهرة، ونزل إلى زيارة قبر والده الملك المنصور، ومد سماط عظيم بإيوان المدرسة المنصورية القبلى، وحضر الفقهاء بالإيوان البحرى. ثم ركب السلطان بهم مرة ثانية إلى الميدان، وأعادهم فى سادس عشره بهدية جليلة.

وفى يوم الخميس خامسه: كانت الفتنة بالإسكندرية: وملخصها أن بعض تجار الفرنج فاوض رجلا من المسلمين وضربه، وذلك أن الفرنجى وقف بجانب صبى أمرد ليأخذه ويفعل به ذلك الفعل، فعناه بعض المسلمين وقال له: «هذا ما يحل»، فضربه الفرنجى بخف على وجهه. فثار المسلمون بالإفرنجى، وثار الفرنج لتحميه، فوقع الشر بين الفريقين، واقتتلوا بالسلاح. فركب ركن الدين الكركى متولى الثغر، فإذا الناس قد

تعصبوا وأخرجوا السلاح، وشهدوا على الفرنجى بما يوجب قتله، وحملوه إلى القاضى، وغلقت أسواق المدينة وأبوابها.

فلما كان بعد عشاء الآخرة فتحت الأبواب ليدخل من كان خارج البلد، فمن شدة الزحام قتل عشرة أنفس، وتلفت أعضاء جماعة، وذهبت عمائم وغيرها لكثير منهم. وتبين للكركى تحامل الناس على الفرنج، فحمل بنفسه وأجناده عليهم ليدفعهم عن الفرنج، فلم يندفعوا وقاتلوه إلى أن هزموه، وقصدوا إخراج الأمراء المعتقلين بالثغر. بعد ما سفكت بينهما دماء كثيرة. فعند ذلك بادر الكركى بمطالعة السلطان بهذه الحادثة، فسرح الطائر بالبطائق يعلم السلطان، فاشتدّ غضبه. وخشى السلطان خروج الأمراء من السجن، وبادر إلى أخذ أولاد الأمير سيف الدين الأبو بكرى الثلاثة - وهم على وأسنبغا وأحمد - فى يوم الإثنين تاسعه، وجعلهم فى دار الأمير ألماس الحاجب. وأخرج السلطان الوزير مغلطاى الجمالى، وطوغان شاد الدواوين، وسيف الدين ألدمر الركنى أمير جندار، فى جماعة من المماليك السلطانية، ومعهم ناظر الخاص إلى الإسكندرية، ومعهم تذاكر بما يعمل من تتبع أهل الفساد وقتلهم، ومصادرة قوم بأعيانهم، وتغريم أهل البلد المال، والقبض على أسلحة الغزاة، ومسك القاضى والشهود، وتجهيز الأمراء المسجونين إلى قلعة الجبل؛ فساروا فى عاشره، ودخلوا المدينة.

وجلس الوزير والناظر بديوان الخمس، وفرض الوزير على الناس خمسمائة ألف دينار، وقبض على جماعة من أذلهم ووسطهم، وقطع أيدى بعضهم وأرجلهم؛ وتطلب ابن رواحة كبير دار الطراز ووسطه، من أجل أنه وشى به أنه كان يغرى العامة بالفرنج ويمدهم بالسلاح والنفقة. فحل بالناس من المصادرة بلاء عظيم، وكتب السلطان ترد شيئا بعد شيء تتضمن الحث على سفك دماء المفسدين وأخذ الأموال، والوزير يجيب بما يصلح أمر الناس . ثم استدعى الوزير بالسلاح المعد للغزاة، فبلغ ستة آلاف عدة، وضعها كلها فى حاصل وختم عليها؛ واستمر نحو العشرين يوما فى سفك دماء وأخذ أموال، حتى جمع ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار. وقدم الوزير عماد الدين محمد ابن إسحاق بن محمد البلبيسى قاضى الإسكندرية ليشنق، ثم أخره، وكاتب السلطان بأنه كشف عن أمره فوجد ما نقل عنه غير صحيح. وبعث الوزير المسجونين إلى قلعة الجبل فى طائفة معهم لحفظهم، فقدموا فى ثامن عشره، وهم البوبكرى، وتمر الساقى، وسنجر الجاولى، وبهادر المعزى، وطغلق، وأمير غانم، وقطلوبك الوشاقى، وأيدمر اليونسى، وكجلى نائب قلعة الروم. فأخرج البوبكرى وتمر الساقى إلى الكرك، وسجن الجاولى وبهادر المعزى فى البرج بالقلعة، وأنزل بطغلق وأمير غانم وقطلوبك وأيدمر

وبلاط وبرلغى ولاجين[1] زيرباج وبيبرس العلمى وطشتمر أخى بتخاص المنصورى إلى الجب بالقلعة، وأفرج عن فخر الدين أياس نائب قلعة الروم، فى يوم الخميس سادس عشريه.

وقدم الوزير من الإسكندرية بالمال، وجلس فى سلخ رجب بالشباك بقاعة الوزارة المستجدة بالقلعة، وقد سكنها، وحضر النظار والمستوفون من خارج الشباك، وحضر طوغان الشاد أيضا؛ فنفذ الوزير الأمور، وصرف أحوال الدولة.

وفى أول شعبان: قدمت رسل بابا الفرنج من مدينة رومة[2] بهدية، وكتاب فيه الوصية بالنصارى، وأنه مهما عمل مهم بمصر والشام عاملوا من عندهم من المسلمين بمثله، فأجيبوا وأعيدوا. ولم تقدم رسل من عند الباب إلى مصر منذ أيام الملك الصالح[3] نجم الدين أيوب.

وفيه قبض على أمير فرج بن قراسنقر، واعتقل بالجب فى القلعة. وأخرج كجكن الساقى إلى صفد، فاعتقل بها.

وفى يوم الإثنين السادس والعشرين من شوال: استدعى الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل بن أبى العلاء القونوى الشافعى شيخ خانكاه سعيد السعداء، وخلع عليه بقضاء القضاة بدمشق، ونزل فحكم بالقاهرة، وأثبت كتبا تتعلق بدمشق، وسافر فقدم دمشق فى خامس عشريه، وأضيف إليه مشيخة الشيوخ بها، عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين المالكى. واستقرّ فى مشيخة سعيد السعداء شيخ الشيوخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى، شيخ خانكاه سرياقوس، ورسم له أن يستنيب عنه بسعيد السعداء الشيخ جمال الدين الحويزانى[4] . واستقر فى مشيخة الخانكاه الركنية

---

(١) لاجين بن عبد الله النهنى، حسام الدين الطرابلسى: فاضل نشأ بدمشق وأولع بالأدب وصنف (تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين - خ) فى فن الفروسية وله نظم. انظر الدرر الكامنة ٢٧:٢ وهدية العارفين ٨٣٩/١ والأعلام ٢٣٨/٥.

(٢) رومة بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٩٧/٣.

(٣) الملك الصالح نجم اليدين أيوب بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين من الملوك الأيوبيين بمصر ولد ونشأ بالقاهرة وولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧هـ وضبط الدولة بحزم وكان شجاعا مضيا عفيفا صموتا عمر بمصر ما لم يعمر أحد من ملوك بنى أيوب. فى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧هـ) ولد سنة ٦٣هـ وتوفى ٦٤٧م . انظر خطط المقريزى ٢٣٦/٢ وابن إياس ٨٣/١ وتاريخ الإسحاقى ١٨٩ ومرآة الزمان ٧٧٥/٨ والأعلام ٣٨/١ .

(٤) الحوايزا موضع حازه وهو موضع بين واسط والبصرة وخوزستان ٣٢٦/٢.

بيبرس افتخار الدين الخوارزمى، عوضا عن مجد الدين أبى بكر[١] بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى؛ ونقل الزنكلونى إلى مشيخة تدريس الحديث النبوى بالقبة البيبرسية.

وفيه قبض على الشريف ودى بن جماز عندما حضر من المدينة النبوية، وكان قد تحاقق هو وطفيل بن منصور بن جماز بين يدى السلطان، ففلح عليه طفيل فى الخصومة. وسفر الأمير علاء الدين على بن طغريل صحبة الشريف كبيشة، ليوصله إلى المدينة النبوية، ويقبض على أصحاب ودى. فلما قدما فرّ أصحاب ودى، وملك كبيشة ابن منصور المدينة، ودعا للسلطان عقيب كل صلاة كما يدعى له بمكة.

وفى خامس عشر ذى القعدة: استقر مغلطاى الخازن فى نيابة قلعة دمشق، عوضا عن سنجر الدميترى. وأنعم على سنجر بإمرة فى دمشق.

وفيه استقر الأمير بلبسطى فى نيابة حمص، بعد وفاة بلبان البدرى. واستقر فى نظر القدس والخليل إبراهيم الجاكى.

وفى ليلة الجمعة ثالث عشر ذى الحجة: دخل الأمير قوصون على ابنة السلطان، بعد ما حمل جهازها إليه، وكان شيئا عظيما: منه بشخاناه وداير بيت زركش، زنة البشخاناه بمفردها مائة ألف مثقال ذهبا. وعمل الفرح مدة سبعة أيام، ذبح فيه خمسة آلاف رأس من الغنم الضأن، ومائة رأس من البقر، وخمسون فرسا، ومن الدجاج، والأوز ما لا يحصى كثرة. واستعمل فيه من السكر برسم الحلاوات وتحالى الأطعمة والمشروب أحد عشر ألف أبلوجة، وبلغ وزن الشمع الذى أحضره الأمراء ثلاثمائة قنطار وأحد عشر قنطارا. وبلغت تقادم الأمراء لقوصون خمسين ألف دينار . وعمل قحليس فى القلعة برجا من بارود ونفط، غرم عليه ثمانين ألف درهم. وحصل للمغانى من النقوط عشرة آلاف دينار مصرية. وقد جمع أمراء مصر والشام تقادم جليلة، منها تقدمةالملك صاحب حماة، ومن جملتها مشعل وطرطور ومخلاة مطرز ذهب بألف دينار.

وفى صبيحة العرس عقد الأمير أحمد بن بكتمر الساقى على قطلوملك بنت الأمير تنكز نائب الشام، وقد حضرت فى أول ذى القعدة بجهاز عظيم، فيه داير بيت زنة زركشه ستون ألف مثقال من الذهب. وقدم الأمير تنكز عليه عليه السلطان خلعة

---

(١) أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى فقيه شافعى أصولى. نسبته إلى سنكلون وهى الآن زنكلون من شرقية مصر. عاش وتوفى بالقاهرة ٦٧٩-٧٤٠هـ = ١٢٨١-١٣٣٩. انظر الدرر الكامنة ٤٤١/١ وشذرات الذهب ١٢٥/٦ ودار الكتب ٥٠٤:١، ٥٢٣ وهدية العارفين ٢٣٥/١ والأعلام ٢:٦٢

كاملة، انصرف على القباء الفوقانى منها وحده مبلغ أربعة وخمسين ألف درهم فضة. فدخل أمير أحمد على ابنة تنكز فى ليلة رابع عشره.

وفى هذه السنة: قدم إلى ميناء بيروت[1] من سواحل الشام تجار الفرنج بمائة وأربعين من أسارى المسلمين، قد اشتروهم من الجزائر، فاشتراهم الأمير تنكز، وأفاد التجار فى كل أسير مائة وعشرين درهما على ما اشتراه به. وكسا تنكز الجميع وزودهم، وحملهم إلى مصر، فسر المسلمون بقدومهم، وجد تجار الفرنج فى شراء الأسرى رغبة فى الفائدة.

وفيه كتب لنائب الشام بجمع فقهاء الشام والعمل فى أوقافها كلها بمقتضى شروط واقفيها، وأن يجهز ضياء الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد - المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار -، وكان قاضى القضاة جلال الدين القزوينى قد عينه لنظر الأوقاف بديار مصر وأثنى عليه. فلما قدم ضياء الدين خلع عليه بنظر الأوقاف، فباشرها مباشرة جيدة.

ونظر تنكز نائب الشام فى أوقافها، ورسم بعمارة ما يحتاج إليه، ومنع الجوامك كلها أن يصرف منها لأحد حتى تفرغ عمارتها، فامتثل ذلك. ونظر تنكز فى مقاسم المياه بدمشق التى تتصرف فى دور الناس، وكسح ما فيها من الأوساخ، وفتح ما استد منها حتى صلحت كلها، فعم النفع بها. وكانت المياه قد تغيرت لما خالطها فى طول السنين، وصار الوخم يعتاد أهل دمشق فى كل سنة. فشكر الناس هذه الأفعال، ودعوا له. ويقال إنه بلغ المصروف فى ذلك ثلاثمائة ألف درهم.

وفيها اهتم تنكز أيضا بفتح العين بالقدس، فإن الماء قلّ به حتى بلغ شرب الفرس الماء مرة واحدة نصف درهم فضة، وكتب إلى ولاة الأعمال بإخراج الرجال، وندب قطلوبك بن الجاشنكير بالمال لنفقته عليها.

وفيها ندب السلطان الأمير علاء الدين على بن هلال الدولة لعمارة حرم مكة، وقد بلغه أن سقوفه تشعثت، وتهدم فيه عدة جدر، وجهز ابن هلال الدولة بكل ما يحتاج إليه من المال والمصاغ والآلات، وكتب السلطان للشريف عطيفة[2] بمساعدته. وحج

---

(١) بيروت مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق. انظر معجم البلدان ٥٢٥/١.

(٢) الشريف عطيفة بن أبى نمى محمد بن الحسن على بن الحسين: من أمراء مكة ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى=

بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

نجم الدين أحمد بن محمد بن أبى الحزم[١] مكى المخزومى ابن ياسين القمولى الشافعى، محتسب مصر، فى ثامن رجب.

ومات أبو يحيى زكريا[٢] بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد اللحيانى، ملك تونس، بالإسكندرية. ومات كمال الدين محمد بن علاء الدين على بن كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الزملكانى[٣] الشافعى، بمدينة بلبيس عند قدومه من حلب، فى سادس شهر رمضان، ودفن بالقرافة.

ومات شمس الدين محمد بن الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبى، كاتب السر بدمشق، فى عاشر شوال.

ومات نور الدين على بن عمر بن أبى بكر بن عبد الله الخلاطى الوانى الصوفى، نزيل القاهرة، فى المحرم، ومولده فى سنة ست وثلاثين وستمائة؛ سمع من يونس بن محمود الشاوى وعبد الوهاب بن رواج وعبد الرحمن بن مكى، سبط السلفى، وخرج له الحافظ أبو الحسين بن أيبك جزءا حدث به، فسمع منه قديما البرزالى سنة خمس وثمانين

=مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى . انظر الدرر الكامنة ٢/٤٥٥ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠/٣١ والأعلام ٤/٢٣٧.

(١) أحمد بن محمد بن أبى الحزم القرشى مخزوم تميم الدين القمولى: فقيه شافعى مصرى، من أهل (قموله) بصعيد مصر. تعلم بقوص ثم القاهرة وولى نيابة الأحكام والتدريب فى مدن عدة وتولى الحسبة بالقاهرة وتوفى بها. له (شرح مقدمة ابن الحاجب) فى النحو بمجلدان. انظر الطالع السعيد ٦٣ والبداية والنهاية ١٤: ١٣١ والتاج ٨: ٨٧ والسبكى والأعلام ١/٢٢٢.

(٢) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانى أبو يحيى الحفصى، من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٩/٦٢٨ وابن خلدون ٦/٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/١١٣ والبداية والنهاية ١٤/١٢٩ والأعلام ٣/٤٥،٤٦.

(٣) محمد بن على بن عبد الواحد الأنصارى كمال الدين المعروف بابن الزملكانى: فقيه انتهت إليه رياسة الشافعية فى عصره، ولد وتعلم بدمشق، وتصدر للتدريب. ونظر الخزانة ووكالة بيت المال. وكتب فى ديوان الإنشاء ثم ولى القضاء فى حلب. انظر حلاء العين ١٧ وفوات ٢/٢٥٠ وطبقات السبكى ٥: ٢٥١-٢٥٩ والبداية والنهاية ١٤: ١٣١ والكتبخانة ٧: ٦٥٩ وحسن المحاضرة ١/١٧١ والدرر الكامنة ٤/٧٤ والنجوم الزاهرة ٩/٢٧٠ والأعلام ٦/٢٨٤.

وستمائة، وسمع منه شيخنا أبو الفرج بن الشيخة، وأبو على الباصلى وعبد الوهاب البصروى.

ومات قاضى القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن على بن صفى الدين أبى القاسم بن محمد بن عثمان البصراوى ، فى شعبان ، بعدما حكم بدمشق عشرين سنة.

ومات الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السعيد فتح الدين[1] عبد الملك بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادى، بدمشق فى حادى عشرى جمادى الآخرة، عن أربع وسبعين سنة.

ومات الطواشى ناصر الدين نصر الشمسى ، شيخ الخدام بالحرم النبوى؛ وكان خيرًا يحفظ القرآن، ويكثر تلاوته بصوت حسن .

ومات الضياء المجدى بمصر، وكان مطبوعا صاحب نوادر.

ومات الأمير سيف الدين بلبان البدرى نائب حمص، فى ليلة عيد الفطر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب بحلب، فى ثالث عشر شعبان.
ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربى الحاجب، بالقاهرة فى ثامن رجب.

ومات الأمير سيف الدين كوجرى أمير شكار بالقاهرة فى تاسع عشرى ذى الحجة.
وهو مملوك عز الدين أيدمر نائب دمشق فى الأيام الظاهرية.

ومات بكتوت بن الصائغ، فى يوم السبت رابع عشرى جمادى الأولى.

ومات الأمير شمس الدين إبراهيم ابن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانى، فى جمادى الآخرة، بدار جوار باب البحر خارج القاهرة. وكانت له مكارم وفيه مروءة.

* * *

---

(١) ناصر الدين إبراهيم ابن المعظم شرف الدين عيسى ابن الزاهر داود ابن المجاهد أسد الدين شيركوه ابن القاهر ناصر الدين بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى . انظر الدرر الكامنة ٤/٣١، ٣٢.

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

فى ثالث المحرم: أنعم بخبز الأمير كوجرى أمير شكار على الأمير بشتاك.

وفى خامس عشريه: قدم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك من الحجاز بالحجاج.

وفى سابع عشريه: قدمت رسل القان أبى سعيد، فأكرموا وأعيدوا فى رابع صفر.

وفى المحرم: هذا وشى بالأمير شمس الدين آقسنقر شاد العمائر أن جميع عمائره وأملاكه التى استجدّها مما يأخذه من الأسرى وأرباب الصنائع؛ فرسم عليه مالا ألزم به، فاعتنى به الأمير قوصون وشفع فيه، فأفرج عنه وأخرج إلى الشام.

وفيه وردت مكاتبة الأمير تنكز نائب الشام بالشكوى من الأمير طينال نائب طرابلس وترفعه عليه؛ فكتب بالإنكار عليه، وألا يكاتب فى المهمات وغيرها إلا نائب الشام، ولا يجهز بعدها مطالعة إلى مصر.

وفى سابع ربيع الأول: قدم دمرداش بن جوبان بن تلك بن تداون. وسبب ذلك أن القان أبا سعيد بن خربندا لما ملك أقبل على اللهو، فتحكم الأمير جوبان بن تلك على الأردو، وقام بأمر المملكة، واستناب ولده دمشق خواجا بالأردو، وبعث ابنه دمرداش إلى مملكة الروم. فانحصر أبو سعيد إلى أن تحرّك بعض أولاد كبك بجهة خراسان[1]، وخرج عن الطاعة، فسار جوبان لحربه فى عسكر كبير، فما هو إلا أن بعد عن الأردو قليلا حتى رجع العدو عن خراسان، وقصد جوبان العود.

وكان قد قبض بوسعيد على دمشق خواجا، وقتله بظاهر مدينة السلطانية، فى شوال من السنة الماضية، وأتبع به إخوته ونهب أتباعهم، وسفك أكثر دمائهم، وكتب إلى من خرج من العسكر مع جوبان بما وقع، وأمرهم بقبضه، وكتب إلى دمرداش أن يحضر إلى الأردو، وعرفه شوقه إليه، ودس مع الرسول إليه عدة ملطفات إلى أمراء الروم بالقبض عليه أو قتله، وعرّفهم ما وقع.

---

(١) خراسان أول حدودها مما يلى طرف أزادوار قصبة جوين وبيهق. انظر معجم البلدان ٣٥٠/٢.

وكان دمرداش قد ملك بلاد الروم جميعها وجبال ابن قرمان، وأقام على كل دربند جماعة تحفظه، فلا يمر أحد إلا ويعلم به خوفا على نفسه من السلطان الملك الناصر أن يبعث إليه فداويا يقتله، بسبب ما حصل بينهما من المواحشة التى اقتضت انحصار السلطان منه، وأنه منع التجار وغيرهم من حمل المماليك إلى مصر، وإذا سمع بأحد من جهة صاحب مصر أخرق به. فشرع السلطان يخادعه على عادته، ويهاديه ويترضاه، وهو لا يلتفت إليه، فكتب إلى أبيه جوبان فى أمره حتى بعث ينكر عليه، فأمسك عما كان فيه قليلا، ولبس تشريف السلطان، وقبل هديته وبعث عوضها؛ وهو مع هذا شديد التحرّز.

فلما قدمت رسل أبى سعيد بطلبه فتشهم الموكلون بالدربندات، فوجدوا الملطفات، فحملوهم وما معهم إلى دمرداش. فلما وقف دمرداش عليهما لم يزل يعاقب الرسل إلى أن اعترفوا بأن أبا سعيد قتل دمشق خواجا وإخواته ومن يلوذ بهم، ونهب أموالهم، وبعث بقتل جوبان. فقتل دمرداش الرسل، وبعث إلى الأمراء أصحاب الملطفات فقتلهم أيضا، وكتب إلى السلطان الملك الناصر يرغب فى طاعته، ويستأذنه فى القدوم عليه بعساكر الروم؛ ليكون نائبا عنه بها. فسرّ السلطان بذلك. وكان قد ورد على السلطان كتاب المجد السلامى من الشرق بقتل دمشق خواجا وإخوته، وكتاب أبى سعيد بقتل جوبان، وطلب ابنه دمرداش، وأنه ما عاق أبا سعيد عن الحركة إلا كثرة الثلج وقوة الشتاء.

فكتب السلطان الناصر جواب دمرداش يعده بمواعيد كثيرة، ويرغبه فى الحضور. فتحيرّ دمرداش بين أن يقيم فيأتيه أبو سعيد، أو يتوجه إلى مصر فلا يدرى ما يتفق له. ثم قوى عنده المسير إلى مصر، وأعلم أمراءه أن عسكر مصر سار ليأخذ بلاد الروم، وأنه قد كتب إليه الملك الناصر يأمره أن يكون نائبه، فمشى عليهم ذلك وسرهم. وأخذ دمرداش يجهز أمره، وحصن أولاده وأهله فى قلعة منيعة، وبعث معهم أمواله، ثم ركب بعساكره حتى قارب بهسنا، فجمع من معه وأعلمهم أنه يريد مصر، وخيرهم بين العود إلى بلادهم وبين المسير معه، فعادوا إلا من يختص به.

وسار دمرداش إلى بهسنا(١) فى نحو ثلاثمائة فارس، فتلقاه نائبها؛ ومازال حتى قدم دمشق يوم الأحد خامس عشرى صفر، فركب الأمير تنكز إلى لقائه، وأنزله بالميدان، وقام له بما يجب، وجهزه إلى مصر بعد ما قدم بين يديه البريد بخبره. فبعث إليه السلطان

(١) بهسنا قلعة حصينة عجيبة بقرى مرعش وشمياط . انظر معجم البلدان /٥١٦.

بالأمير سيف الدين طرغاى الجاشنكير، ومعه المهمندار بجميع الآلات الملوكية من الخيام والدهليز والبيوتات كلها إلى غزة، فلقوه بها وأقام فيها يومين وسافر إلى القاهرة؛ فركب الأمراء إلى لقائه، وخرج السلطان إلى برّ الجيزة، ورسم أن يعدى النيل إليه.

فلما قدم دمرداش إلى القاهرة فى سابع ربيع الأول أتاه الأمير طايربغا وأحضره إلى السلطان بالجيزة، فقبّل الأرض ثلاث مرات. فترحب السلطان به وأجلسه بالقرب منه، وباسطه وطيب خاطره، وسأله عن أحواله، وألبسه تشريفا عظيما، وركب معه للصيد، وعدّى به النيل إلى القلعة، وأسكنه بها فى بيت الجاولى، ورتب له جميع ما يحتاج إليه؛ ورسم للأمير طوغان أن يدخل صحبة طعامه بكرة وعشيا.

وفى عاشره: قدم دمرداش مائة إكديش وثمانين بختيا وخمسة مماليك وخمس بقج فيها الثياب الفاخرة، منها بقجة بها قباء أطلس مرصع بعدة جواهر ثمينة؛ فلم يقبل السلطان غير القباء وإكديشا واحدا وقطار بخاتى، ورد البقية إليه ليتقوى بها.

وتقدم السلطان إلى الوزير أن يرتب لدمرداش ما يليق به، وطلب إلى الحاجب أن يجلسه فى الميمنة تحت الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار. فشق عليه ذلك، إلى أن بعث السلطان إليه الأمير بدر الدين جنكلى يعتذر إليه أنه ما جهل قدره، ولكن الشهيد والد السلطان له مماليك كبار قد ربوا السلطان، فهو يريد تعظيم قدرهم، «فلهذا أجلسك بجانبهم»؛ فطاب خاطره.

واجتمع دمرداش بالسلطان وفاوضه فى أمر بلاد الروم، وأن يجهز إليها عسكرا. فأشار السلطان بالمهلة حتى يرد البريد بخبر أبيه جوبان مع أبى سعيد، وكتب إلى ابن قرمان أن ينزل على القلعة التى فيها أولاد دمرداش وحواصله ويرسلهم مكرّمين إلى مصر. فاستأذن دمرداش فى عود من قدم معه إلى بلادهم، فأذن له فى ذلك، فسار كثير منهم.

وأنعم السلطان على دمرداش بإمرة سنجر الجمقدار، بحكم إخراجه إلى الشام.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: ركب دمرداش بالقماش الإسلامى على هيئة الأمراء.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير شاهنشاه ابن عم جوبان، فخلع عليه، وأنزل عند دمرداش.

وفى ثامن عشريه: وصل طلب دمرداش وثقله، فأنزلوا بدار الضيافة، وهم نحو ستمائة فارس.

وفي يوم الأحد أول ربيع الآخر: عرض السلطان أصحاب دمرداش، وفرّق أكثرهم على الأمراء، واختار نحو التسعين منهم العود إلى بلادهم، فعادوا.

وفيه قدمت رسل أبى سعيد بكتابه، وفيه بعد السلام والاستيحاش وذكر الودّ إعلام السلطان بأمر جوبان وتحكمه وقلة امتثاله الأمر، وأنه قصد قتله والتحكم بمفرده، فلما تحقق ذلك لديه بعثه إلى خراسان، وسير بالقبض عليه، وهو يأخذ رأى السلطان فى ذلك، وقد سير أبو سعيد مع رسله هدية فقبلت. وسألهم السلطان عن دمرداش، فذكروا أنهم لم يعرفوا خبره حتى قدموا دمشق؛ فبعثهم إليه فلم يعبأ بهم.

وفي يوم الثلاثاء عاشره: توجه السلطان إلى الوجه البحرى، ومعه دمرداش، وحسن له الفخر ناظر الجيش والأمير بكتمر الساقى زيارة الشيخ محمد المرشدى، فتوقف فى زيارته ثم عزم عليها. فرسم للأمير علم الدين سنجر الخازن كاشف الغربية بطلب جميع العربان وتقديمهم الخيل والهجن، وأن يجهز الإقامات. واستناب السلطان فى غيبته الأمير قجليس. وعاد السلطان فى سادس عشريه، بعد ما قدم الأمير تنكز فى رابع عشريه.

وفي تاسع شوال: خلع على الطواشى ناصر الدين نصر الساقى. واستقرّ مقدّم المماليك، عوضا عن الطواشى صواب الركنى.

وفيه بعث السلطان الأمير سيف الدين أروج مملوك قبجق إلى أبى سعيد يشفع فى دمرداش، ومعه الرسل بهدية جليلة، فساروا فى تاسع جمادى الأولى.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة: سار برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفى على البريد إلى القاهرة، وقد طلب، فقدم يوم السبت خامس عشريه، واستقرّ فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن شمس الدين محمد بن عثمان محمد بن عثمان الحريرى بعد وفاته.

وفي يوم السبت عاشر رجب: عاد أطوجى من بلاد أزبك ملك القبجاق بتقادم جليلة، فأنزل بالميدان، وأنعم عليه وعلى جماعته بشىء كثير.

وفي حادى عشره: حضر أطوجى إلى بين يدى السلطان فخلع عليه، وسار فى عشريه.

وفي خامس عشريه: عقد نكاح ابنة السلطان على الأمير سيف الدين طغاى تمر العمرى الناصرى، وأعفى الأمراء من حمل الشموع وغيرها، وأنعم عليه من الخزانة بأربعة آلاف دينار عوضا عن ذلك.

وفيه عاد جواب ابن قرمان بأنه ركب إلى القلعة التى فيها أهل دمرداش، وعرفهم أنه حضر بمرسوم السلطان، وبعث إليهم بكتاب دمرداش أنهم يقدمون عليه بمصر، فردوا جوابه: «لا حاجة لنا فى مصر». وذكر ابن قرمان[1] أن هذا بمباطنة دمرداش لهم، وحط عليه بأنه سفك دماء كثيرة، وقتل من المسلمين عالما عظيما، وأنه جسور وما قصد بدخوله مصر إلا طمعا فى ملكها. وبعث ابن قرمان الكتاب صحبة نجم الدين إسحاق الرومى أنطالية[2]، وهى القلعة التى أخذها منه دمرداش وقتل والده، وأنه قدم ليطالبه بدم أبيه. فلما وقف السلطان على الكتاب تغير، وطلب دمرداش وأعلمه بما يه. وجمع السلطان بينه وبين إسحاق، فتحاققا بحضرة الأمراء، فظهر أن كلا منهما قتل لصاحبه قتيلا، فكتب جواب ابن قرمان معه وأعيد. وقد تبين للسلطان خبث نية دمرداش، فقبضه وأمسك من معه من الأعيان، وهم محمود شاهنشاه وعدة أخرى، فى يوم الخميس العشرين من شعبان، واعتقل دمرداش ببرج السباع من القلعة، وفرق البقية فى الأبراج، وفرقت مماليكه على الأمراء، ورتب له ما يكفيه.

وكان للقبض على دمرداش أسباب: منها أنه كان له بالروم مائة ألف رأس من الغنم، فلما وصلت قطيا أطلق منها للأمير بكتمر الساقى عشرين ألفا، ولقوصون وبقية الأمراء كل واحد شيئا حتى فرّق الجميع، فلم يعجب السلطان ذلك. ودخل دمرداش يوما الحمام فأعطى الحمامى ألف درهم، والحارس ثلاثمائة، فزاد حنق السلطان منه. ثم أخذ دمرداش يوقع فى الأمراء والخاصكية، ويقول: «هذا كان كذا، وهذا كان كذا، وهذا ألماس الحاجب كان حمالا»، فما حمل السلطان هذا منه.

وفى شوال: حسن جماعة للسلطان توفير كثير من الجوامك، فعمل فيه استيمار، وفرق فيه ما قطع من جوامك المباشرين والغلمات وهى جملة، ووفر منهم عدة؛ ثم قرئ عليه. وأحضر الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام، وخلع عليه وعلى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة بغير طرحات، واستقرّا فى نظر النظار والصحبة فى يوم الإثنين نصف شوال.

وفيه نقل شمس الدين إبراهيم بن قروينة إلى نظر البيوت، وخلع عليه معهما.

وفى تاسع عشريه: عقد نكاح الخاتون طلباى الواصلة من بلاد أزبك على الأمير

(١) مصطفى بن زكريا بن أيدغمش القرمانى من فقهاء الحنفية. من أهل القاهرة له تصانيف منها (التوضيح –ح) فى شرح مقدمة الصلاة لأبى الليث السمرقندى . انظر الضوء اللامع ١٠/١٦٠ والكتبخانة ٣/٣٠ والأعلام ٧/٢٣٤.

(٢) أنطالية – أنطاكية. انظر معجم البلدان ١/٢٦٦، ٢٧٠.

سيف الدين منكلى بغا السلاح دار، بعدما طلقها السلطان وانقضت عدتها؛ وبنى عليها الأمير سيف الدين فى ثامن ذى القعدة.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشريه: عزل الصاحب أمين الدين بن الغنام عن نظر الدولة. وكان قد كتب قصة يطلب الإعفاء من المباشرة، فلم يجب إلى ذلك، فكتب قصة ثانية فأجيب، فكانت مدة مباشرته أربعة وأربعين يوما تحريرا.

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة: أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين العمرى - الملقب زيرباج - الجاشنكير، أحد المماليك المنصورية المشهورين بالشجاعة والقوة، بعدما أقام فى الاعتقال - من يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر سنة ثنتى عشرة - مدة ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام، وهو يغزل الصوف المرعز ويعمله كوافى بديعة الزى وللناس فيها رغبة، ويتصدق بثمنها.

وفيه أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وكانت مدة اعتقاله ثمانى سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما، وكان فيها ينسخ القرآن وكتب الحديث ونحوه. وأفرج عن أمير فرج بن قراسنقر فى يوم عرفة، ثم أعيد إلى سجنه فى يومه.

وفيه سافر الأمير سيف الدين أيتمش إلى بوسعيد برسالة تتضمن ما قام به السلطان مع دمرداش بن جوبان، وكان قد وصل إلى الأبواب السلطانية فى يوم الأربعاء حادى عشر شهر رمضان رسل من عند أبى سعيد، وهم ثلاثة نفر، والمشار إليه منهم أياجى أمير جندار الملك أبى سعيد. فلما مثلوا بين يدى السلطان، وشملهم الإنعام بالتشاريف على عادة أمثالهم، أرسلهم السلطان إلى دمرداش فى معتقله، صحبة الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح، فاجتمعوا به وتحدّثوا معه. وقيل كان مضمون رسالتهم طلب دمرداش من السلطان، وأنه إذا سلم إليهم أرسل الملك أبو سعيد فى مقابلة ذلك الأمير شمس الدين سنقر المنصورى. فمال السلطان إلى ذلك، ورسم للأمير أيتمش المحمدى أن يتوجه إلى الملك أبى سعيد برسالة السلطان لتقرير الحال فى ذلك، وتوجه طلب دمرداش فى يوم الإثنين سادس عشر شهر رمضان، ثم عدل السلطان عن هذا الأمر، وترجح عنده أنه لا يرسله إلى الملك أبى سعيد.

فلما كان فى ليلة الخميس رابع شوال: من هذه السنة أخرج دمرداش من معتقله بالبرج، وفتح باب السر من جهة القرافة وأخرج منه وهو مقيد مغلول، وشاهده رسل الملك أبى سعيد وهو على هذه الحال. ثم خنق دمرداش، وشاهده الرسل بعد موته، وقطع رأسه وسلخ وصبر وحشى، وأرسل السلطان الرأس إلى أبى سعيد، ودفن الجسد

بمكان قتله. وحضر الرسل إلى الخدمة السلطانية فى يوم الخميس رابع شوال، وركبوا مع السلطان إلى الميدان فى يوم السبت سادسه؛ ثم حضروا إلى الخدمة السلطانية فى يوم الإثنين ثامنه، وشملهم الخلع والإنعام، وأعيدوا إلى مرسلهم فى هذا اليوم، وتوجه معهم الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى برسالة السلطان إلى الملك أبى سعيد، كما تقدم.

وفيها وقع فى زروع أرض مصر آفة من الدودة عند أوان الزرع عقيب حرّ شديد، حتى عم ذلك أكثر الزرع، فكتب إلى الولاة بكتابة ما تلف، فوجد قد تلف فى بعض البلاد نصف الزرع وما دونه فى غيرها. وتحسن السعر، فبلغ القمح إلى عشرين الأردب بعد ثلاثة عشر.

وفيها هبت ريح سوداء بعدما أرعدت السماء وأبرقت، حتى كان الإنسان لا يبصر رفيقه، وحتى ردت وجوه الخيل إلى ورائها، ولم يستطع أحد أن يثبت فوق فرسه، ولا أن يقف على رجليه فوق الأرض، بل تلقيه الريح، وكان ذلك ببلاد فوة بحر الغرب وسائر الوجه البحرى. وغرق بها من المراكب شىء كثير، وتقصفت عدة من النخل، واقتلعت شجرة جميزة كبيرة من أصلها بناحية فوة، ومرت بها قدر مائتى قصبة، فلما قطعت حمل خشبها تسعة أحمال جمال. ومر من ذلك فى البرين الغربى والشرقى عجائب، وهدمت عدة دور ثم أمطرت بعد أيام مطرا عظيما سال منه إلى مدينة بلبيس[١] حتى خرب كثير منها، وجرى السيل إلى المطرية[٢]، وأمطرت بالقاهرة ومصر ثلاثة أيام مطرا لم يعهد مثله، تلف منه عامة السقوف.

وفيها اشتد بأس الأمير قدادار والى القاهرة، وتسلط على العامة بكثرة سفك الدماء. وكان قد رسم لجميع الولاة ألا يقتلوا أحدا ولا يقطعوا يده إلا بعد مشاورة السلطان، خلا قدادار، فإنه لا يشاور على مفسد ولا غيره. فانطلقت يده فى سائر الناس، وأقام عنه نائبا من بطالى الحسينية ضمن المسطبة منه فى كل يوم بثلاثمائة درهم. وأتت الطائفة المعروفة بالمستصنعين[٣] فى المدينة، وعملوا أعمالا شنيعة، وكتبوا لأرباب الأموال أوراقا

---

(١) بلبيس مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام . انظر معجم البلدان ٤٧٩/١.

(٢) المطرية من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلساى الذى يستخرج منه الدهن وفى جانبها الشمالى عين شمس. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٣) المستصنعين فى المدينة المقصود من هذا اللفظ جماعة الرجال الذين اصطنعهم هذا الوالى وجعل منهم عونا له على ما يريد من وسائل التشديد والمراقبة والتهديد، ويؤيد ذلك ما أورده المقريزى فى كتاب المواعظ والاعتبار ح/١٤٩.

بالتهديد، فاشتد خوف أهل الرتب منه. ونادى قدادار ألا يفتح بعد عشاء الآخرة أحد دكانا فى مدة غيبة السلطان فى الوجه البحرى، ولا يمشى أحد بالليل فى الأسواق، ولا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة، فكان من يوجد يؤخذ، فإن وجدت منه رائحة الخمر لقى شدة. فانكف الناس عن الخروج ليلا، وصارت الشوارع موحشة. وأقام قدادار على كل حارة دربا[١] ألزم أهلها بعمله، ورتب الخفراء تدور فى الليل بطبول فى جميع الحارات والخطط، فظفر أحدهم برجل قد سرق من بيت ولبس ثياب النساء، فسمّره[٢] قدادار بباب زويلة.

وفيها قدم البريد من صفد، ومعه مبلغ أربعين ألف درهم حملا للموقعين؛ فأخذ قريبا من بلبيس. فألزم السلطان واليها علم الدين قصير - مملوك العلائى - بها، بعدما رسم بشنقه، ثم عفا عنه وعزله.

وفيها ولى ظلظيه الشرقية، نقله السلطان إليها من البهنسا، وولى عوضه شجاع الدين قنغلى.

وفيها ولى عز الدين أيدمر السلامى المنوفية، فتفنن فى إتلاف الأنفس، وأوقف رجلا بين خشبتين ونشره من رأسه، وصلق آخر فى دست، وسلخ آخر وهو حى.

وفيها عزم السلطان على أن يجرى النيل تحت القلعة، ويشق له من ناحية حلوان[٣]؛ فبعث الصناع صحبة شاد العمائر إلى حلوان، وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر[٤] المطل على القاهرة، وقدروا العمل فى بناء الواطى حتى يرتفع، وحفر العالى ليجرى الماء وينتفع به فى داخل قلعة الجبل، من غير معاناة ولا كلفة. ثم عادوا وعرّفوا السلطان ذلك، فركب لكشفه، وقاسوا الأرض بين يديه. فكان قياس ما يحفر اثنين وأربعين ألف قصبة حاكمية؛ ليبقى خليجا فيه ماء النيل شتاء صيفا بسفح الجبل. وعاد السلطان وقد أعجب بمشروعه، وشاور الأمراء فيه، فلم يعارضه منهم أحد إلا الفخر ناظر الجيش، فإنه قال: «بمن يحفر السلطان هذا الخليج؟»، فقال السلطان: «بالعسكر»، فقال الفخر: «والله! لو اجتمع عسكر آخر فوق عسكر السلطان، وأقام سنين، ما قدروا على حفر

---

(١) الدرب - وجمعه دراب - باب السكة الواسع والباب الأكبر أيضا. انظر محيط المحيط.

(٢) المقصود بذلك أن هذا السارق عوقب عقوبة التسمير وهى إحدى العقوبات الشنيعة بمصر وغيرها من البلاد فى العصور الوسطى.

(٣) حلوان قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد. انظر معجم البلدان ٢/٢٩٣.

(٤) الجبل الأحمر اسم جبل مشرف على قيقعان بمكة. انظر معجم البلدان ١/١١٧.

هذا العمل. ومع ذلك فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال. ثم هل يصح أوْ لا، فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد، ويتعب الناس ويستجلب دعاءهم». ونحو هذا من القول حتى رجع السلطان عن عمله.

وفيها كملت العين التى أجراها الأمير تنكز بالقدس، بعد ما أقام الصناع فيها مدة سنة، وبنى لها مصنعا سعته نحو مائتى ذراع، وركب فى الجبَل مجارى نقب لها فى الحجر حتى دخل الماء إلى القدس، فكان لها يوم شهود. وأنشأ تنكز بالقدس أيضا خانكاه وحمام وقيسارية(١)، فعمرت القدس.

وفيها أفرج عن تقى الدين أحمد بن تيمية، بشفاعة الأمير جنكلى بن البابا وغيره من الأمراء.

وفيها أجرى ابن هلال الدولة عينا بمكة تعرف بعين ثقبة، فصار بمكة عين جوبان وعين ثقبة هذه.

وانحلت الأسعار بها حتى نزل القمح من ستين درهما الغرارة إلى أربعين، وزرع بها البطيخ والذرة والخضروات وغيرها، وامتلأت البرك وكملت عمارة الحرم. وجدد ابن هلال الدولة بمكة عدة ميض باسم السلطان، وأجرى لها ما يقوم بكلفتها.

وفيها ورد الخبر بقتل جوبان نائب أبى سعيد. وذلك أن العسكر المجهز معه لما وصل إليهم خبر قتل أولاده بأمر أبى سعيد، ووصلت إليهم كتب أبى سعيد بقتله أيضا، ركبوا عليه، ففرّ ومعه ابنه جلوخان وطائفة من خواصه إلى قلعة هراة، وامتنع بها؛ فدسّ إليه أبو سعيد من قتله وابنه، وحملا إلى أبى سعيد، فكان لدخولها الأردوا يوما عظيما.

وفيها حج بالركب المصرى شهاب الدين أحمد بن المهمندار.

وحج فى هذه السنة أيضا الأمير سيف الدين طقزدمر الناصرى، وست حدق، وعلمت معروفا كبيرا.

وفيها قدم ابن هلال من مكة فخلع عليه، وأعيد إلى شد الخاص.

وفيها طلب صلاح الدين يوسف دوادار قبجق من طرابلس، وولى شد الدواوين.

وفيها تنكر السلطان على الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى الوزير. وسببه عمل الفخر ناظر الجيش عليه بموافقة التاج إسحاق، وقد كتبت فيه مرافعة غضب السلطان بسببها عليه، وقصد الإيقاع به. فاعتنى به الأمير بكتمر الساقى، واعتذر عنه بأنه رجل غتمى.

---

(١) قيسارية بلد على ساحل بحر الشام. انظر معجم البلدان ٤/٤٢١.

وفى يوم عرفة – وهو يوم الجمعة –: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى، ومدة سجنه ثمانى سنين وثلاثة أشهر وتسعة أيام.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى، بدمشق ليلة الإثنين العشرين من ذى القعدة، فى سجنه بالقلعة. ومولده يوم الإثنين عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستمائة.

ومات الأمير سيف الدين جوبان المنصورى، أحد أمراء دمشق الأكابر، بها فى العشرين من صفر.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى، بسجنه من قلعة الجبل، يوم الخميس نصف شعبان.

ومات الأمير جوبان بن تلك بن تداون نائب القان أبى سعيد بن خربندا مقتولا بهراة، وحمل إلى بغداد، فقدمها فى سابع عشرى شوال، وصلى عليه وحمل إلى مكة مع ركب الحاج العراقى، وطيف به الكعبة، ومضى به إلى المدينة النبوية، فدفن بالبقيع.

ومات الشريف كبيشة بن منصور بن جماز بن شيحة أمير المدينة، فى أول شعبان قتيلا. وكانت ولايته بعد قتل أبيه منصور فى رابع عشر رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة، قتله أولاد ودى، وكان ودى قد حبس بقلعة الجبل، فولى بعده أخوه طفيل.

ومات الأمير جمال الدين خضر بن نوكاى أخو خوند أردوكين، فى ليلة الرابع عشر من رمضان.

ومات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى بالمراغة من آذربيجان[1]، يوم السبت سابع عشرى شوال، وورد الخبر بموته فى حادى عشرى ذى القعدة، فأنعم على ولده أمير على بن قراسنقر بإمرة طبلخاناه على عادته بدمشق، وعلى أخيه أمير فرج بن قراسنقر بإمرة عشرة؛ ورسم بسفرهما من القاهرة إليها.

وتوفى دمرداش بن جوبان بن تلك بن تدوان، ليلة الخميس رابع شوال، وحمل رأسه إلى بوسعيد بن خربندا.

---

(١) آذربيجان من بلاد أرمينية من بلاد الروم، قريبة من أرزن الروم. انظر معجم البلدان ١٥٠/١.

ومات ببغداد مفتى العراق كمال الدين عبدالله بن محمد بن على حماد بن ثابت الواسطى العاقولى، مدرس المستنصرية، فى ذى القعدة. ومولده فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

* * *

سنة تسع وعشرين وسبعمائة

أهلّت والسلطان بسرياقوس[1].

وفى يوم السبت ثانى المحرم: قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز.

وفيه قدم بدر الدين بن علاء الدين بن الأثير كاتب السرّ، وقد اشتدّ بأبيه مرض الفالج [2] وانقطع عن الخدمة؛ فخُلع عليه وجلس فى رتبة أبيه، وباشر وفى ظنّه أنه يستقرّ عوضه. فخرج البريد بطلب محيى الدين بن فضل الله كاتب سرّ دمشق، فقدم ومعه ولده شهاب الدين أحمد وشرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود؛ وخُلع على محيى الدين خلعة كتابة السرّ بديار مصر، عوضًا عن ابن الأثير، وعلى شرف الدين بكتابة السرّ بدمشق، عوضا عن محيى الدين، فى يوم الأحد سابع عشره.

وفى ثالث عشره: استقرّ بيبرس الجمدار فى ولاية إسكندرية، عوضًا عن الركن الكركى.

وفى يوم الأحد رابع عشريه: قدم الأمير أيتمش المحمدى من بلاد العراق، بجواب القان أبى سعيد.

وفيه أنعم على الأمير علم الدين سنجر الجاولى بإمرة أمير على بن قراسنقر المنتقل إلى دمشق، وكان الجاولى منذ خرج من السجن بطالا.

وفيه أنعم على لاجين الخاصكى بإمرة طبلخاناه، عوضا عن محمد بيه بن جمق بحكم عوده إلى بلاد التتار.

وفى يوم السبت سابع صفر: قدمت رسل أبى سعيد، وجُهِّزوا إلى المنوفية [3] للقاء السلطان، فأدّوا رسالتهم وعادوا إلى قلعة الجبل.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: قدم السلطان من الصيد سالما.

وفى يوم الإثنين أول شهر ربيع الأول: أعيد شمس الدين بن قزوينة إلى نظر الدواوين على عادته، وأضيف ما كان بيده من نظر البيوت إلى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة، مع ما بيده من نظر الدواوين؛ وخُلع عليهما.

---

(١) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر، معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٢) شلل يصيب أحد شقى الجسم طولا. انظر المعجم الوجيز ٤٧٩.

(٣) هى من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٢١٦/٥.

وفيه رُسم بخروج على وفرج ولدى قراسنقر، فسارا إلى دمشق، وقدماها فى ثالث ربيع الآخر.

وفى خامس ربيع الآخر: استقرّ صلاح الدين يوسف بن داود بن قبجق شاد الدواوين، ثم عُزل فى سادس عشر شعبان، واستقرّ فى ولاية الجيزة عوضا عن بلبان الحسنى. ونُقل بلبان إلى ولاية دمياط [1]، عوضا عن الكركى.

وفى يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى: رُسم بردم الجب الذى بقلعة الجبل، لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كثير الوطاويط كَرِهُ الرائحة، وأنه يمر بالمحابيس فيه شدائد عظيمة؛ فرُدم وعُمر فوقه طباق للمماليك؛ وكان عمَل هذا الجب فى سنة إحدى وثمانين وستمائة فى الأيام المنصورية قلاوون.

وفيه قدمت رسل الشيخ حسن بن الجلايرى [2]، وكان الشيخ حسن هذا قد أصبح نائب القان أبى سعيد، وهو ابن عمته وزوج بغداد خاتون [3] بنت جوبانى.

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة: قدم الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب باستدعاء، فخرج الأمير الْمالس الحاجب وتلقّاه من قبة النصر خارج القاهرة، وصعد به قلعة الجبل؛ فأكرمه السلطان وعزّاه فى ولده، وخلع عليه وأنزله فى داره على الكبش. وَطلب أرغونُ شرفَ الدين الخطير ناظر ديوانه، وسأله عن أمواله وغلاله وحواصله؛ فأسرّ له بأن السلطان لم يُبق له منها إلا القليل، فسكت. ثم استدعاه السلطان يوم الخميس سادس عشريه، وخلع عليه وأعاده إلى حلب.

وفى يوم الأحد تاسع عشريه: قدمت رسل أبى سعيد فى طلب المصاهرة [4] ومعهم اثنا عشر إكديشا بجلال جوخ، واثنان عرى.

وفى عاشر شهر رجب: قدم الأمير سيف الدين طينال الحاجب نائب طرابلس

---

(١) دمياط: مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنسية. انظر الروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، الإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ١٢/ ٣٢٠، ٣٣١، وابن خلكان ٥/ ٨٠، ٩٠، ٩١، ٦/ ٢٥٨، وخطط المقريزى ١/ ٢١٥ وما بعدها، ومرآة الزمان ٦١٥، ٦١٨.

(٢) نسبة إلى قبيلة جلاير أحد مدن فارس بفارس.

(٣) لقب يطلق على الملكات والأميرات.

(٤) المقصود أن أبا سعيد أرسل يطلب أن يتزوج من إحدى بنات السلطان الناصر.

بسؤاله ليحاقق [١] شكُاته، ومعه هدية؛ فوقف وحاققهم، وساعده الأمراء إلى أن عاد إلى طرابلس فى خامس عشريه.

وفى يوم الأحد حادى عشريه: رُسم بعزل المجد بن لفيتة، فعُزل من نظر الدواوين ونظر الصحبة ونظر البيوت؛ وعُزل أيضا ابن قروينة من نظر الدواوين. واستقرّ عوضهما فى نظر الدولة علم الدين إبراهيم بن التاج إسحاق، وتقى الدين عمر بن الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس - وكان يلى صحابة ديوان دمشق، فأُحضر منها فى ثامن عشره -، وخُلع عليهما. واستقرّ فى نظر خزانة تاج الدين موسى بن التاج إسحاق، عوضا عن أخيه علم الدين. فباشر العَلَم وتقىُّ الدينِ بن السلعوس النظر مع الأمير مغلطاى الجمالى الوزير - وكان أمره فى الوزارة ضعيفًا - إلى يوم الأحد ثانى شوال؛ ثم رُسم بتوفير الوزارة فتوفّرت، واستمرّ الجمالى فى الأستادارية على عادته. وسبب ذلك توقف حال الدولة من قلة الواصل، وكثرة إغراء الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق بن القماط ناظر الخاص السلطانَ بالجمالى لكراهتهما فى المجد بن لفيتة، فإنه كان قد استولى على الجمالى حين صار أمر الوزارة إليه، وكُتبت فيه مرافعات أنه أخذ مالاً كثيرا، وتولى الأمير أيتمش الكشف عليه. فلما ولى العَلَم بن التاج النظر، وباشر موسى الخاص نيابة عن أبيه، صار العلم يكتب كل يوم أوراقا بالجارى ثم يرفعها للسلطان مما تحصّل وانصرف، ويدخل بها إليه ومعه ابن السلعوس رفيقه، وابن هلال الدولة الشاد. فانحصر المباشرون، ومشت أمور الدولة بمرسوم السلطان على ما يقرّره؛ وحُمل مال الجيزة بكماله إلى خزانة الخاص، ولم يصرف منه شىء.

وفى ثانى عشريه: تولى قشتمر المحلة.

وفى خامس عشريه: أنعم على آقبرس بن علاء الدين طيبرس بإقطاع الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى الحاجب، بعد موته بدمشق؛ فتوجّه إليها.

وفى يوم الإثنين ثالث شوال: استقرّ علاء الدين أيدمر العلائى - عُرِف بالزرّاق - فى ولاية القاهرة، عوضا عن قدادار عند توجهه إلى الحجاز.

وفيه أيضا استقرّ علاء الدين ابن هلال الدولة شاد الدواوين، مضافا لشد الخاص.

وفى سادسه: عزل صلاح الدين الدوادار عن الجيزة، واستقرّ من جملة الأمراء وولى الجيزة جمال الدين يوسف الجاكى والى الشرقية؛ واستقرّ فى الشرقية عوضه الحسام طرنطاى القَلَنْجُقى.

---

(١) المقصود ليحقق فى شكوته.

وفى يوم الأحد نصف ذى القعدة: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة، وعَرَض الكتاب بدواوين الأمراء. وطلب السلطان المجدَ بن لفيتة وابن قزوينة الناظرَين المنفصلين، والمكين بن قزوينة مستوفى الصحبة، وأمين الدين موط مستوفى الخزانة؛ ورسّم عليهم وسلمهم إلى الأمير الدمر جاندار ليخلص منهم ستمائة ألف درهم انساقت باقيا بالجيزة.

فحمل ألدمر من جهة قشتمر والى الجيزة مبلغ مائتى درهم، ومن ابن سقْرُور مستوفى الجيزة زيادة على سبعين ألف درهم. ورسم السلطان بقطع أخباز المشدين على الجهات بأسرهم، وقرّر عوضهم. وأحضر السلطان مشايخ الجيزة، وكتب عليهم سجلات أراضيها بحضوره؛ ولم يسمع بهذا فيما سلف. ثم أفرج السلطان عن الناظرين المنفصلين والمستوفين، بعدما استخرج منهم بعض ما قرَّر عليهم.

وفيها رُسم للحاجب أن يتقدم بألا يباع مملوك تركى لكاتب ولا عامى، ومن وُجد عنده منهم مملوك فليبعه، ومن عُثر عليه بعد ذلك أن عنده مملوكا طولع به السلطان؛ فباع الناس مماليكهم، وأخفوا بعضهم.

وفيها عرض السلطان مماليك الطباق والبرانيين، وقطع منهم مائة وخمسين وأخرجهم من يومهم، ففرقوا بقلاع الشام.

و فيها صُرف شهاب الدين أحمد بن المهمندار عن نقابة الجيش، بالأمير عز الدين أيدمر دقماق.

وفيها قتل الأمير تنكز نائب الشام الكلاب بدمشق، فتجاوز عدد ما قتل منها خمسة آلاف.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سعد الدين سعيد بن أمير حسين، فى ثامن عشر المحرم، وأنعم بإمرته على تكلان.

ومات الأمير غرس الدين خليل بن الإربلى أحد أمراء العشرات، فى سادس صفر؛ وأنعم بإمرته على أياجى الساقى.

ومات الأمير الكبير شرف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندر باك

الرومى، فى سادس المحرم؛ قدم صحبة أبيه إلى مصر فى سنة خمس وسبعين وستمائة فى الأيام الظاهرية بيبرس [١]، فى جملة من قدم من أهل الروم، بعد ما كان أبوه أمير جندار متملكِ الروم فترقى حتى نادم الأفرم نائب دمشق، فأنعم عليه بإمرة؛ فلما قدم الناصرُ محمد بن قلاون [٢] دمشق من الكرك [٣]، وتحرَّك لأخذ السلطنة كان الأمير شرف الدين حسين ممن سار فى خدمته إلى مصر، فنوه به وأعطاه إمرة، ثم قرَّره أمير شكار بعد وفاة كشرى، وأعجب به؛ وإليه ينسب جامع أمير حسين وقنطرة أمير حسين على الخليج خارج القاهرة، قريبا من بستان العدة.

ومات الأمير علاء الدين على بن الكافرى، والى قوص [٤] وولى عوضه غرس الدين خليل أخو طقصباى الناصرى.

ومات سنجر الأيدمرى أحد العشرات، فى ثالث عشر ربيع الأول؛ وأنعم بإمرته على ساطلمش الناصرى.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى - المعروف بالحاجب-، فى يوم الأربعاء حادى عشريه ربيع الآخر؛ فأنعم على ولده ناصر الدين محمد بإمرة عشرة، وسنه يومئذ

---

(١) المقصود بها الظاهر بيبرس وهو بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: مولده بأرض القبجاق. وأسر فبيع فى سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار القبجاق، وبقى عنده، ثم أخذه الملك الصالح فجعله فى خاصة خدمه، ثم أعتقه. ولم تزل همته. تصعد به حتى تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ وتلقب بالملك الظاهر. انظر فوات الوفيات ١/٨٥ والنجوم الزاهرة ٧/٩٤ وابن إياس ١/٩٨ وابن الوردى ٢/٢٢٤ والنعيمى ١/٣٤٩ والأعلام ٢/٧٩.

(٢) محمد بن قلاوون بن عبدا لله الصالحى، أبو الفتح: من كبار ملوك الدولة القلاوونية كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وهو صبى، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤ فأرسل إلى الكرك. وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨ فأقام فى القلعة كالمحجور عليه ثم ترك السلطنة بعد ٢٠ عاما وأقام فى الكرك قريبا من عام ثم زحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس، وعاد إلى عرشه سنة ٧٠٩ واستمر ٣٢ سنة وشهرين و ٢٥ يوما. وتوفى بالقاهرة.انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٢/٣٣٠ وفوات الوفيات ٢/٢٦٣ وابن إياس ١/١٢٩ والدرر الكامنة ٤/١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/٤١،١١٥ والأعلام ٧/١١.

(٣) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم فى الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر الروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ومعجم البلدان ٤/٤٥٣.

(٤) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر؛ بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر، معجم البلدان ٤/٢١٣.

ثلاث عشرة سنة؛ وفُرق إقطاعه بين جماعة: فكمّل منه للأمير طرغاى الجاشنكير تقدمة ألف. وأنعم منه على صلاح الدين يوسف بن الأسعد بناحية جَوجَر [(١)] - واستقرّ شاد الدواوين - وأنعم منه على الأمير قوصون بمنية زفْتا [(٢)]؛ وكان بكتمر هذا من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة المنصورية قلاوون، أخذه فى سنة خمس وسبعين وستمائة فيما أخذ من مماليك السلطان غياث الدين كيخسرو متملك الروم، عندما دخل الظاهر بيبرس إلى مدينة قصرية الروم واستولى عليها؛ فصار بكتمر إلى طرنطاى - وهو حينئذ مملوك الأمير سيف الدين قلاوون [(٣)] - فرباه وأعتقه؛ فلما قتل طرنطاى صار بكتمر إلى الأشراف خليل بن قلاوون [(٤)]، فرتّبه فى جملة الأوشاقية بالإصطبل السلطانى؛ ثم نقله المنصور لاجين [(٥)] وعمله أمير آخور صغيرا، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة بعد وفاة الفاخرى؛ ومازال بكتمر يترقى حتى ولى الوزارة والحجوبية ونيابة غزة [(٦)] ونيابة صفد [(٧)] فى الأيام الناصرية؛ وإليه تنسب مدرسة الحاجب، ودار

---

(١) بليدة بمصر من جهة دمياط فى كورة السمنودية. انظر، معجم البلدان ١٧٨/٢.

(٢) بلد بقرب الفسطاط من مصر، قرب شنطوف انظر، معجم البلدان ١٤٤/٣.

(٣) قلاوون الألفى العلائى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، قبجاقى الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ. تولى السلطنة منفردا سنة ٦٧٨ هـ وجلس على سرير الملك فى قلعة الجبل كانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر مورد اللطافة ٤٢-٤٤ وابن إياس ١١٤/١ وخطط المقريزى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٢/٧ وفوات الوفيات ١٣٣/٢. والأعلام ٢٠٣/٥

(٤) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ. واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج، فاسترد منهم عكة وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجمع الساحل وتوغل فى الداخل. قتله بعض المماليك غيلة بمصر. انظر فوات الوفيات ١٥١/١ وابن الوردى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن إياس ١٢١/١هـ والأعلام ٣٢١/٢

(٥) لاجين (المنصور) حسام الدين بن عبدالله المنصورى: من ملوك البحرية بمصر والشام. وهو الحادى عشر من ملوك الترك. ويسمى «الروك» الحسامى. كان مملوكا للمنصور قلاوون، وإليه نسبته. وتقدم إلى أن ولى نيابة السلطنة فى أيام العادل «كتبغا» ثم خلع العادل وولى السلطنة سنة ٦٩٥هـ وتلقب بالملك بالمنصور. قتله بعض مماليك الأشرف خليل فى قصره. كانت مدته سنتان وأحد عشر شهرا. انظر مورد اللطافة ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨٥/٨ والأعلام ٢٣٨/٥.

(٦) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٧) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم=

الحاجب، خارج باب النصر من القاهرة؛ وكان بكتمر من أغنياء الأمراء الكثرى المال المعروفين بالشحّ.

وتوفى ضياء الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الإسكندرانى المصرى، فى يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان؛ ومولده فى نصف ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة؛ سمع من ابن عبد الدائم والمجد بن عساكر وابن أبى اليسر وجماعة.

وتوفى عز الدين أبو يعلى حمزة بن المؤيد أبى المعالى بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن على بن محمد بن القلانسى [١]، بدمشق؛ سمع الحديث وصار رئيس الشام، وولى وزارة دمشق.

وتوفى الأديب سعد الدين سعيد بن منصور بن إبراهيم الحرانى المصرى، بمصر. وله شعر جيد.

وتوفى الشيخ جلال الدين أبو بكر عبدا لله بن يوسف بن إسحاق بن يوسف الأنصارى الدلاصى، إمام الجامع الأزهر، بالقاهرة عن بضع وثمانين سنة؛ وكان يعتقد فيه الخير ويُتبرك بدعائه.

وتوفى قاضى القضاة بدمشق علاء الدين أبو الحسن على بن إسماعيل بن يوسف القونوى [٢] الشافعى، فى يوم السبت رابع عشر ذى القعدة، ودفن بسفح قاسيون [٣]، قدم من بلاد الروم إلى دمشق فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، فدرس بها مدة؛ ثم توجه إلى القاهرة فسكنها، وولى مشيخة الشيوخ بخانكاه سعيد السعداء؛ وتصدّى للاشتغال بالعلم، وصنّف شرح الحاوى فى الفقه وغيره؛ ثم ولى قضاء دمشق فباشره

=البلدان ٣/٤١٢.

(١) حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة الدمشقى، الصاحب عز الدين أبو يعلى ابن القلانسى: رئيس الشام فى عصره. مولده ووفاته بدمشق. ولى وكالة السلطان والوزارة بها. وأنشأ دار الحديث القلانسية، وإليه نسبتها. وأعرض عن المناصب تنزهـا.وصودر. انظر التذكرة الكمالية والقلائد الجوهرية ٨٥ والدرر الكامنة ٢/٧٥ والدارس ١/٩٦ والأعلام ٢/٢٧٧.

(٢) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى، أبو الحسن، علاء الدين: فقيه، من الشافعية. ولد بقونية، ونزل بدمشق سنة ٦٩٣هـ. وانتقل إلى القاهرة، فتصوف وتلقى علوم الأدب والفقه. ثم ولى قضاء الشام سنة ٧٢٧هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. له «شرح الحاوى الصغير» فقه و «التصرف فى التصوف» انظر بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤/١٤٧ والدرر الكامنة ٣/٢٤ ودار الكتب ١/٥٢١ والأعلام ٤/٢٦٤.

(٣) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق. انظر معجم البلدان ٤/٢٩٥.

حتى مات بها، وولى بعده قضاء دمشق علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى (١).

وتوفى نجم الدين محمد بن عقيل بن أبى الحسن بن عقيل البالسى الشافعى، بمصر؛ ناب فى القضاء، ودرّس وشرح التنبيه فى الفقه؛ وكان معتقدا فيه الخير.

وتوفى جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الواسطى الأشمونى (٢) المولد والدار - عُرف بالوجيزى لقراءته كتاب الوجيز فى الفقه -؛ ولى قضاء الجيزة وقليوب، ومات فى رجب، وهو أحد مشايخ الفقهاء الشافعية.

وتوفى معين الدين هبة الله بن علم الدين مسعود بن عبدالله بن حشيش صاحب ديوان الجيش، بمصر يوم الإثنين سادس عشر جمادى الآخرة؛ كان بارعا فى الفقه والنحو واللغة والأدب، كريما له شعر جيد؛ ومولده سنة ست وستمائة.

وتوفى الأمير حسام الدين لاجين الصغير، بقلعة البيرة (٣)؛ ولى نيابة غزة، ثم نيابة البيرة، وبها مات.

وتوفى الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى المصرى، بحماة؛ تنقل فى عدة ولايات؛ وكان جوادا كريما كثيرا المال ممدوحا.

وتوفى فتح الدين أبو النون يونس بن إبراهيم بن عبد القوى بن قاسم الكنانى العسقلانى (٤) - المعروف بالدبوسى - المسند المعمر، بالقاهرة فى جمادى الأولى، وقد جاوز التسعين سنة؛ حدَّث عن جماعة تفرّد بالرواية عنهم.

وتوفى الأمير عز الدين أيبك الخطيرى أمير آخور، فى ثالث عشرى ذى القعدة.

---

(١) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبدالله، تقى الدين الأخنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية أحدهما بكتاب «الرد على الأخنائى» فى زيارة القبور. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٥٦/٦.

(٢) نسبة إلى أشمون، وهى قصبة كورة الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٣) إلبيرة: من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن ابن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال، ومدينة إلبيرة بين القبلة والشرق من قرطبة. معجم البلدان ٥٢٦/١، والروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨.

(٤) يونس بن إبراهيم بن عبد القوى الكنانى العسقلانى ثم المصرى، فتح الدين الدبابيسى ويقال أيضا الدبوسى: عالم بالحديث، مسند معمر، توفى بالقاهرة. له «معجم». انظر شذرات ٩٢/٦ والدرر ٤٨٤/٤ والتاج ١٤٦/٤ والأعلام ٢٦٠/٨.

وتوفى الأمير غُرْلوا الركنى، بقوص [1] فى ثالث ربيع الآخر.

وتوفى الأمير ساطلمش الفاخرى، فى ثالث ذى الحجة؛ وأنعم بإمرته على كوجبا الساقى.

وتوفى الأمير لاجين الإبراهيمى أمير جاندار، فى تاسع عشرى ذى الحجة؛ وأنعم بإمرته على برسبغا.

وتوفى ناصر الدين محمد بن حناى، فى يوم السبت حادى عشر ذى الحجة.

وتوفى الطواشى نصر شيخ الخدام بالمدينة النبوية ومقدم المماليك السلطانية، يوم الخميس عاشر رجب؛ واستقرّ عوضه فى المشيخة وتقدمة المماليك الطواشى عنبر السحرتى، وكانت مدة تقدمته تسعة أشهر.

ومات عز الدين القيميرى، فى يوم السبت حادى عشرى ذى القعدة.

* * *

---

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

سنة ثلاثين وسبعمائة

أهلّت بيوم الأربعاء، والسلطان بناحية سرياقوس[1]، وكان مسيرة إليها في سابع عشري ذي الحجة.

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام، فبالغ السلطان في إكرامه ورَفع منزلته على عادته.

وفي يوم السبت: رابعه استقرّ علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدر بن رحمة الأخنائي قاضي الإسكندرية في قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن علاء الدين علي القونوي؛ واستقر عوضه في قضاء الإسكندرية علم الدين الإسنوي.

وفي سادسه: استقرّ الأمير بكتمر العلائي الأستادار في نيابة غزة، وسار إليها، عوضا عن عز الدين أيبك الجمالي؛ ونقل أيبك إلى نيابة قلعة البيرة، عوضا عن لاجين الحسامي المنصوري بحكم وفاته. وأنعم على بهادر الدمرداش بإقطاع الأمير بكتمر نائب غزة.

وفي رابعِ عشره: توجّه الأمير تنكز إلى دمشق، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم، وكَتب له على الأعمال السامية بمائة ألف أخرى.

وفي عشريه: قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل [2] صاحب حماة [3]، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى ولده.

وفي تاسع صفر: توجه السلطان إلى جهة الصعيد، وصحبته صاحب حماة، فخيم قريبا من الأهرام، وعاد في ثالث عشره، من أجل وعك بدنه، لظهور دُمَّل في جسده. وأقام السلطان بقلعة الجبل إلى حادي عشريه، ثم سار فمرّ ببلاد الصعيد.

---

(١) بليدة في نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

(٢) إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة. مؤرخ جغرافي، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين له «المختصر في أخبار البشر» ويعرف بتاريخ أبي الفداء وله «تقويم البلدان». ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى مصر فاتصل بالملك الناصر فأحبه الناصر وأقامه سلطانا مستقلا في حماة ليس لأحد أن ينازعه السلطة وأركبه بشعار الملك. فاستمر إلى أن توفي بها. انظر الدرر الكامنة ١/٣٧١ والبداية والنهاية ٤/١٥٨ وفوات الوفيات ١/١٦ والنجوم الزاهرة ٩/٢٩٢ وطبقات السبكي ٦/٨٤ والأعلام ١/٣١٩.

(٣) حماة: من كور حمص بالشام، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر يسمى العاصي. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠،٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤: ١٠٤.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول: جمع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك القضاة والفقهاء، بسبب عمل منبر بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، لإقامة الجمعة بها، فأفتوه بجواز ذلك؛ فرتّب آقوش خطيبا قرّر له فى كل شهر خمسين درهما، ورتب ستة نَفَر عملهم مؤذنين، لكل واحد عشرة دراهم فى كل شهر، ولقارئ يقرأ القرآن الكريم يوم الجمعة فى مصحف أعده له مبلغا سمَّاه؛ وأقيمت الخطبة بها فى يوم الجمعة حادى عشريه، فكان يوما مشهودا.

وجعل آقوش المعاليم المذكورة من عقارٍ وقَفَه على ذلك. وفى هذا الشهر تصدق الأمير المذكور بنحو ثلاثة آلاف أردب من الغلال.

وفى خامس ربيع الآخر: عاد السلطان إلى قلعة الجبل، بعد أن انتهى فى مسيره إلى مدينة هُوْ من الصعيد الأعلى.

وفى ثامنه: سار المؤيد صاحب حماة من ظاهر القاهرة عائدا إلى حماة.

وفى خامس عشريه: سار السلطان إلى نواحى قليوب يريد الصيد؛ فبينا هو فى ذلك إذ تقنطر عن فرسه وانكسرت يده وغشى عليه ساعة وهو ملقى على الأرض؛ ثم أفاق وقد نزل إليه الأمير أيدغمش أمير آخور والأمير قمارى أمير شكار وأركباه؛ فأقبل الأمراء بأجمعهم إلى خدمته. وعاد السلطان إلى قلعة الجبل فى عشية الأحد ثامن عشريه، فجمع الأطباء والمجبرين لمداواته، فتقدّم رجل من المجبرين يعرف بابن بوستة وقال بجفاء وعامية طباع: «تريد تفيق سريعا اسمع منى!». فقال له السلطان: «قل ما عندك»، فقال: «لا تخلّ أحدا يداويك غيرى بمفردى، وإلا فسد حال يدك مثل ما سلّمت رجلك لابن السيسى أفسدها. وأنا ما أخلّى شهرا يمضى حتى تركب وتلعب بيدك الأكرة». فأغضى السلطان عن جوابه، وسلّم إليه يده، فتولّى علاجه بمفرده، فبطلت الخدمة مدة سبعة وثلاثين يوما.

ثم عوفى السلطان، فزينت القاهرة ومصر فى يوم الأحد رابع جمادى الآخرة، وتفاخر الناس فى الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها، وأقامت أسبوعا تفنن أهل البلدين فيه بأنواع الترف. ونزلت ست حَدَق فى عدة من الخدام والجوارى حتى رأت الزينة، وقد اجتمع أرباب الملاهى فى عدة أماكن بجميع آلات المغنى. هذا والأفراح بالقلعة وسائر بيوت الأمراء مدة الأسبوع، ومع هذا فالبشائر من ضرب الكوسات مستمرة، وكذلك طبلخاناه الأمراء، فلم يبق أمير إلا وعمل فى بيته فرحا. وأنعم السلطان وخلع على كثيرين من أرباب الوظائف من الأمراء والمماليك السلطانية.

ثم خرج السلطان إلى القصر الأبلق، وفرّق مثالات على الأيتام، وعمل سماطا جليلا، وخلع على جميع أرباب الوظائف. وأنعم السلطان على المجير بعشرة آلاف درهم، ورسم له أن يدور على جميع الأمراء، فلم يتأخر أحد من الأمراء عن إفاضة الخلع عليه وإعطائه المال؛ فحصل له ما يجلّ وصفه، وكانت هذه الأيام مما يندر وقوع مثله.

وفى خامس عشره: قدمت رسل ريدافرنس [(١)] فى طلب القدس وبلاد الساحل، وعدّتهم مائة وعشرون رجلا، فأنكر السلطان عليهم وعلى مرسلهم وأهانهم، ثم رسم بعودهم إلى بلادهم.

وفيه: سار الأمير أقبغا عبد الواحد إلى البلاد الشامية يبشر بعافية السلطان، فدقّت فى جميع ممالك الشام البشائر، وعملت بها الأفراح وحصل لأقبغا من سائر أصناف المال ما يجلّ وصفه، بحيث بلغت قيمته نحو مائة ألف دينار.

وفيه: عُزل علم الدين الإسنائى عن قضاء الإسكندرية، لمضادّته الأمير بيبرس الجمدار نائب الثغر.

وفى يوم الإثنين سادس عشريه: أفرج عن الأمير سيف الدين بهادر المعزى، وأنعم عليه بخيل وثياب، بعدما أقام فى الاعتقال خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما. فلما ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين بهادر آص، وأنعم بتقدمته بدمشق على الأمير علم الدين سنجر الجمقدار، وأخرج إلى دمشق، وأنعم على بهادر المعزى بإقطاع سنجر المذكور.

وفى هذه المدة وقع بدمشق اضطراب فى عيار الذهب، فإنه تغيّر ونقص، وغرم الناس فيه جملة كثيرة. وصادر الأمير تنكز أهل دار الضرب، وأخذ منهم خمسائة ألف درهم، وتقرّر سعر الدينار من تسعة عشر درهما إلى أحد وعشرين درهما، وأن يكون صرف الدينار الجديد بخمسة وعشرين درهما.

وفى العشرين من شهر رجب: قدمت رسل أبى سعيد بن خربند للهناء بعافية السلطان، فأكرموا وأعيدوا فى سابع عشريه. وقدمت أيضا رسل الشيخ حسن الجلايرى نائب أبى سعيد بعد رحيل المذكورين، فأدوا رسالتهم وأعيدوا فى آخره.

وفى هذا الشهر: أحرقت كنيسة المكية بمصر، حتى صارت عمدها الرخام جيرًا؛ وكان بجانبها مسجد لم تصبه النار؛ فرسم للنصارى بإعادتها، فأعيدت.

---

(١) المقصود بذلك ملك فرنسا، وكان ملك فرنسا تلك السنة فيليب السادس.

وفيها اشترى الأمير قوصون دار الأمير آقوش الموصلى الحاجب - عُرفت بدار آقوش نميلة[١]، ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين آقوش قتال السبع - من أربها؛ وأشترى قوصون أيضا ما حولها، وهدم ذلك وشرع فى بناء جامع. فبعث إليه السلطان بشاد العمائر والأسرى لنقل الحجارة ونحوها، فتنجّزت عمارته. وجاء الجامع من أحسن المبانى، وهو بحارة المصامدة خارج باب زويلة، قريبا من بركة الفيل. وولى بناء منارتيه رجل من أهل توريز، أحضره معه الأمير أيتمش، فعملهما على منوال مآذن توريز. ولما كمل بناء الجامع أقيمت الجمعة به فى يوم الجمعة حادى عشر شهر رمضان، وخطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى [٢]، وخلع عليه الأمير قوصون بعد فراغه وأركبه بغلة؛ ثم استقرّ فى خطابته فخر الدين محمد بن شكر.

وفيها قصد الأمير قوصون أن يتملك حمام قتال السبع وهى الحمام المجاورة فى وقتنا هذا لباب الجامع الذى يدخل إليه من الشارع -، وكانت من وقف قتال السبع؛ فاحتالوا لحلّ وقفها بأن هدموا جانبا منها، وأحضروا شهودا قد بينوا معهم ذلك ليكتبوا محضرًا بأن الحمام خراب لا ينتفع به، وهو يضرّ بالجار والمار والخط، والمصلحة فى بيع أنقاضه، ليؤدى هذه الشهادة عند قاضى القضاة تقى الدين أحمد بن عمر الحنبلى حتى يحكم بيعه على مقتضى مذهبه فعندما شرع الشهود فى كتابة المحضر المذكور امتنع أحدهم من وضع خطه فيه، وقال: «وا لله ما يسعنى من ا لله أن أدخل باكر النهار فى هذا الحمام واتطهر فيه وأخرج وهو عامر، ثم أشهدُ بعد ضحوة نهار أنه خراب»، وانصرف؛ فاستدعى غيره، فكتب وأثبت المحضر على الحنبلى. فابتاع الأمير قوصون الحمام المذكور من ولد قتال السبع، وجدّد عمارته.

وفى ذى الحجة: استقرّ الأمير بدر الدين بيلبك المحسنى فى ولاية القاهرة، عوضا عن أيدمر الزرّاق.

---

(١) كان هذا الأمير فى الأصل بائعا يبيع العصى، فرآه السلطان يعرض تجارته بالإصطبل السلطانى، فأعجبه وابتاع منه نفسه، وصار بذلك من جملة المماليك السلطانية.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق: قاض. من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر ٧٢٧ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان، و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١٦٨/١، ٢١٧/٢ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والبدر الطالع ١٨٣/٢ والبداية والنهاية ١٨٥/١٤ والنجوم الزاهرة ٣١٨/٩ ومرأة الجنان ٣٠١/٤ والوافى بالوفيات ٢٤٢/٣ وطبقات الشافعية ٢٣٨/٥ والدرر الكامنة ٣/٤ والأعلام ١٩٢/٦.

وفى يوم الخميس سابع عشر رمضان: قدم يوسف الكيمياوى إلى مصر. وكان من خبر هذا الرجل أنه كان نصرانيا من أهل الكرك فأسلم، ومضى إلى دمشق بعدما خدع بمدينة صفد الأمير بهادر التقوى حتى انخدع له وأتلف عليه مالا جزيلا؛ فلما ظهر له أمره سجنه مدة، ثم أفرج عنه. فاتصل يوسف بالأمير تنكز نائب الشام، وقصد خديعته فلم ينخدع له، وأمر والى دمشق بشنقه، فصاح وقال: «أنا جيت للسلطان حتى أملأ خزانته ذهبا وفضة». فلم يجد تنكز بدا من إرساله إلى السلطان، فقيّده وأركبه البريد مع بعض ثقاته، وكتب بخبره وحذر منه. فلما اجتمع يوسف بالسلطان مال إلى قوله، وفكّ قيده، وأنزله عند الأمير بكتمر الساقى؛ وأجرى عليه الرواتب السنية، وأقام له عدة من الخدم يتولون أمره، وخلع عليه؛ وأحضر له ما طلب من الحوائج لتدبير الصنعة، حتى تم ما أراده. فحضر يوسف بين يدى السلطان، وقد حضر الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق وابن هلال الدولة والأمير بكتمر الساقى فى عدة من الأمراء، والشيخ إبراهيم الصائغ وعدّة من الصُوّاغ؛ فأوقدوا النار على بوطقة قد ملئت بالنحاس والقصدير والفضة حتى ذاب الجميع، فألقى عليه يوسف شيئا من صنعته؛ وساقوا بالنار عليها ساعة، ثم أفرغوا ما فيها فإذا سبيكة ذهب كأجود ما يكون، زنتها ألف مثقال. فأعجب السلطان ذلك إعجابا كثيرا، وسرّ سرورا زائدا، وأنعم على يوسف بهذه الألف مثقال، وخلع عليه خلعة ثانية، وأركبه فرسا مسرجا ملجما بكنبوش حرير، وبالغ فى إكرامه، ومكّنه من جميع أغراضه. فاتصل به خدّام السلطان، وقدّموا له أشياء كثيرة مستحسنة، فاستخف عقولهم حتى ملكها بكثرة خدعه، فبذلوا له مالا جزيلا. ثم سَبَك يوسف للسلطان سبيكة ثانية من ذهب، فكاد يطير به فرحا، وصار يستحضره بالليل ويحادثه، فيزيده طمعا ورغبة فيه؛ فأذن له أن يركب من الخيول السلطانية ويمضى حيث شاء من القاهرة ومصر؛ فركب وأقبل على اللهو؛ وأتاه عدة من الناس يسألونه فى أخذ أموالهم، طمعا فى أن يفيدهم الصنعة أو يغنيهم منها، فمرّت له أوقات لا يتهيأ لكل أحد مثلها من طيبتها. ثم إنه سأل أن يتوجه إلى الكرك، لإحضار نبات هناك؛ فأركبه السلطان البريد، وبعث معه الأمير طقطاى مقدم البريدية، بعدما كتب إلى نائب غزة ونائب الكرك بخدمته وقضاء ما يرسم به والقيام بجميع ما يحتاج إليه من ديوان الخاص؛ فمضى يوسف إلى الكرك وأبطأ خبره، ثم قدم وقد ظهر كذبه للسلطان، فضيّق عليه.

وفى تاسع عشر شوال: قدمت رسل الملك المجاهد على [1] من اليمن بهدية، وفيها

---

(١) على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى =

فيلان؛ فأنكر السلطان عليهم من أجل أن المجاهد قبض على رسول ملك الهند [(١)] وأخذ هدية السلطان ثم قتله، وأمر بهم فسجنوا.

وفي ليلة السبت سادس عشر ذى القعدة: أخرج السلطان مَنْ في القاهرة ومصر من الجَذْمى [(٢)] والبرصان [(٣)]، وأمرهم بسكنى الفيوم [(٤)].

وفيه: أخرب الأمير تنكز نائب الشام الحوانيت المجاورة لباب النصر خارج دمشق من ضيق الطريق، حتى وصل الهدم إلى الجسر تجاه البحر، وحفر حتى أخرج الأساسات، فصار فضاءً.

وفيه: جدّد الأمير قوصون خطبته بالجامع بخط المصلى.

=زبيد، ولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢١هـ فأقام سنة ثم خلعه الأمراء والمماليك. فمكث أشهر ثم عاد إلى الحكم ثم حج سنة ٧٥١هـ، فلما كان مكة بلغ قادة الركب المصرى أنه عازم على نزع سلطة مصر عن الحجاز وإلحاقه باليمن فاجتمعوا وأحاطوا بمخيمه. وكلفوه السفر معهم إلى مصر. فلم يعارض ورحلوا به، فأقام بمصر ١٤ شهرا وعاد، فانتظم أمره إلى أن توفى (بعدن) ونقل إلى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢،٨٣،١٢٣ والدرر الكامنة ٤٩/٣ والبدر الطالع ٤٤٤/١ وابن خلدون ٥١٣/٥ والبداية والنهاية ١٤/ ٢٣٧ والأعلام ٢٨٦/٤،٢٨٧.

(١) المقصود بالهند هنا البلاد الإسلامية من الهند. وأرض الهند فتحها محمد بن القاسم الثقفى سنة أربع وتسعين، وكان السبب فى ذلك امرأة مسلمة ممن سباها أهل الهند أرادوها على نفسها، فصرخت: «واحجاباه»، فجهز الجنود إلى أرض الهند مع محمد بن القاسك، وكان معسكره بشيراز. انظر الروض المعطار ٥٩٦، ٥٩٧ وفتوح البلدان ٥٣٤.

(٢) الجذمى جمع أجذم، وهو المصاب بعلة الجذام، وهو داء يصيب الجلد والأعصاب الطرفية، يسبب فقدا بقعيا، وقد تتساقط منه الأطراف. انظر المعجم الوسيط (جذم).

(٣) البرصان جمع أبرص، وهو المريض بداء البرص، والبرص بياض يصيب الجلد. انظر المعجم الوسيط (برض).

(٤) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظير كبير من قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وحجر اللهون بالفيوم من عجائب الدنيا، واللهون قرية كبيرة من قرى الفيوم، وهذا الحجر شاذروان بين طبقين من أحكم صنعة، مدرج على ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، فتسقى العليا الأرض العليا، والوسطى الأرض الوسطى، والسفلى الأرض السفلى، بوزن وقدر لا ينقص لأحد دون حقه ولا يزيده فوق حقه، وهو من أحكم البنيان وأتقنه، قيل: ومن ذلك الوقت عرفت الهندسة، قيل: وإنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار فى اليوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يؤتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحى لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

وفيه: ابتدأ الأمير ألماس الحاجب بعمارته الجامع الذى عرف باسمه؛ بخط حوض ابن هنس خارج باب زويلة من القاهرة.

وفيه: ابتدأ الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى فى عمارة مدرسة بجوار داره، قريبا من درب ملوخيّا بالقاهرة؛ ووقف عليها أوقافا جليلة.

وفيه ابتدأ علاء الدين طقطاى أحد مماليك السلطان فى عمارة جامع بين السورين من القاهرة، وسماه جامع التوبة، لكثرة ما كان هناك من الفساد؛ وأقام به خطبة للجمعة.

وفى يوم الأربعاء خامس ذى الحجة: استقرّ ناصر الدين بن المحسنى فى ولاية القاهرة؛ وقد نقل إليها من ولاية المنوفية [١]، عوضا عن عز الدين الزرّاق.

وفى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة: قُتل الأمير الدمر أمير جندار بمكة. وكان من خبر ذلك أن أمير الركب العراقى فى هذه السنة كان من أهل توريز يعرف بمحمد الحجيج، وكان يتقرب من أولاد جوبان، فترقّى بهم إلى معرفة السلطان بورسعيد، فعظم أمره وجعله من ندمائه، وبعثه رسولا إلى مصر غير مرة. فأعجب به السلطان الناصر ولاق بخاطره إلى أن بلغه عنه أنه تعرض فى مجلس أبى سعيد لشىء ذكر مما يكرهه السلطان فتنكر له وأسر ذلك فى نفسه، فلما بلغه أنه سار أمير الركب العراقى كتب إلى الشريف عطيفة بن أبى نمى [٢] سرًّ أن يتحيل فى قتله، فلم يجد عطيفة بدا من امتثال ما أمر به، وأطلع ولده مبارك بن عطيفة ومن يثق به على ذلك، وتقدم إليهم بإعمال الحيلة فيه.

فلما قضى الحاج النسك عاد منهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى إلى مصر، ومعه جماعة، فى يوم الأربعاء ثانى عشر ذى الحجة. وتأخر الأمير سيف الدين خاص ترك أمير الحاج، والأمير الدمر جاندار، والأمير أحمد ابن خالة السلطان، ليصلوا بمكة صلاة الجمعة، ومعهم بقية حجاج مصر. فلما حضروا للجمعة وصعد الخطيب المنبر، أراد الشريف عمل ما رُسم له به، وأخذ العبيد فى إثارة الفتنة بين الناس ليحصل الغرض

---

(١) هى من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٢) الشريف عطيفة بن أبى نمى محمد بن الحسن على بن الحسن من أمراء مكة ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤ وأعيد سنة ٧١٩ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠، ٣١ والأعلام ٢٣٧/٤.

بذلك. وأول ما بدأوا به أن عبثوا ببعض حاج العراق، وخطفوا شيئا من أموالهم. وكان الشريف عطيفة جالسا إلى جانب الأمير خاص ترك أمير الركب، فصرخ الناس بالأمير الدمر - وليس عنده علم بما كتب به السلطان إلى الشريف عطيفة، وكان مع ذلك شجاعا حاد المزاج قوى النفس -؛ فنهض ومعه من المماليك، وقد تزايد صراخ الناس، وأتى الشريف وسبّه، وقبض بعض قواده و أخرق به، فلاطفه الشريف فلم يلن.

واشتدّ صياح الناس، فركب الشريف مبارك بن عطيفة فى قواد مكة بآلة الحرب، وركب جند مصر. فبادر خليل ولد الأمير الدمر وضرب أحد العبيد، فرماه العبد بحربة قتله؛ فاشتدّ حنق أبيه وحمل بنفسه لأخذ ثأر ولده فقُتل. ويقال بل صدف الشريف مبارك بن عطيفة، وقد قصد ركب العراق وعليه آلة حربه، فقال له: «ويلك ! تريد أن تثير فتنة؟» وهمّ أن يضربه بالدبوس [1]، فضربه مبارك بحربه كانت فى يده أنفذها من صدره فخرّ صريعا؛ وقتل معه رجلان من جماعته. فركب أمير الركب عند ذلك ونجا بنفسه، ورُمى مبارك بن عطيفة بسهم فى يده فشُلّت. واختبط الناس بأسرهم، وركب أهل مكة سطح الحرم، ورموا أمير أحمد ابن خالة السلطان ومن معه بالحجارة، وقد أفرغ نشابه بين يديه هو ومن معه، ورمى بها حتى خلص أيضا؛ وفرّ أمير ركب العراق وتحير الشريف عطيفة فى أمره، ومازال يدارى الأمر حتى خرج الحاج بأجمعهم من مكة، وتوجهوا إلى بلادهم.

وكان من غريب الاتفاق أن فى يوم الجمعة الذى قتل فيه الدمر كأنما نودى فى القاهرة ومصر وقلعة الجبل بقتل الدمر فى فتنة كانت بمكة فى هذا اليوم، وتحدّث الناس بذلك حديثا فاشيا إلى أن بلغ السلطان وأمراء الدولة. فلم يعبأوا به وجعلوه من ترهات العامة.

وأغرب من ذلك أن الأمير علم الدين سنجر كان كاشفا بالغربية من نواحى القاهرة، فلما عاد إلى منزله بعد صلاة عيد الأضحى وافاه أحد غلمانه وقد حضر إليه من القاهرة، فأخبره أنه أشيع بالقاهرة أن فتنة كانت بمكة قتل فيها الأمير الدمر أمير جندار، فسخر من قوله وقال: «هذا كلام لا يقبله عاقل»؛ وأخذ الخبر ينتشر حتى تحدّث به كل أحد.

واتفق فى هذه السنة أنه وصل صحبة حاج العراق فيل من جهة الملك أبى سعيد يحمل محملهم، فتشاءم الناس به وقالوا: «هذا عام الفيل»؛ فكان من الفتنة بمكة وقتل

---

(١) على هامش ط: الدبوس - وجمعه دبابيس - آلة من آلات الحرب فى العصور الوسطى.

الدمر ما كان. فلما قارب حاج العراق ذا الحليفة من المدينة النبوية وقف الفيل وتقهقر، فضربوه ليسير، فصار كلما أكره على أن يتقدم إلى جهة المدينة تأخّر إلى ورائه. هذا وهم يضربونه وهو يتأخر إلى أن سقط ميتا، وذلك فى ثالث عشرى ذى الحجة. ويقال إنه بلغت النفقة على هذا الفيل منذ خرج من العراق إلى أن هلك زيادة على ثلاثين ألف درهم، ولم يُعرف مقصد أبى سعيد فى بعثه الفيل إلى مكة.

وفيها نقل شمس الدين محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجد بن حمدان - الشهير بابن النقيب [(١)] - الشافعى، من قضاء طرابلس إلى قضاء القضاة بحلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم المعروف بابن البارزى بعد وفاته؛ واستقرّ فى قضاء طرابلس شمس الدين محمد بن المجد.

وفيها بلغت زيادة ماء النيل عشرة أصابع من ثمانية عشر ذراعا. وكان وفاؤه يوم الأحد خامس عشرى شوال، وهو تاسع عشر مسرى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن أبى طالب بن أبى النعم بن نعمة بن الحسن بن على - المعروف بابن السحنة - الحجّار الصالحى الدمشقى، فى خامس عشرى صفر؛ ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة؛ وقد صار مسند الدنيا، وتفرّد بالرواية عن ابن الزبيدى وابن الليثى مدة سنتين لا يشاركه فيها أحد، وسمع الناس عليه صحيح البخارى أكثر من سبعين مرة، وقدم القاهرة مرتين وحدّث بها.

وتوفى الأمير سيف الدين بهادر آص أحد أمراء الألوف، بدمشق فى تاسع عشر صفر؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير سنجر الجمقدار؛ وكان شجاعا مقداما فى الحرب، ولى نيابة صفد؛ وكان له أربعة أولاد، منهم اثنان أمراء، فكان يضرب على بابه ثلاث طبلخاناه.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الكوندى المهمندار الدوادارى، بدمشق فى نصف جمادى الأولى؛ وكان أحد الأمراء العشروات.

---

(١) محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن، شمس الدين ابن النقيب مفسر، من قضاة الشافعية. دمشقى. ولى الحكم بحمص وطرابلس ثم حلب. ودرس وتوفى بدمشق. له «عمدة السالك وعدة الناسك» و «مقدمة فى التفسير». انظر مفتاح السعادة ٤٤٣/١ والدرر الكامنة ٣٩٨/٣ وطبقات السبكى ٤٤/٦ والأعلام ٥٥/٦.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الصرخدى الظاهرى، أحد أمراء الطبلخاناه، بالقاهرة فى العشرين من جمادى الآخرة؛ وقد تجاوز الثمانين، وكان خيّرا.

وتوفى الأمير قلبرص بن الحاج طيبرس الوزيرى، بدمشق ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الجمقدار المعروف بالكركند، فى سابع ربيع الآخر؛ كان من كبار الأمراء.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الكوندكى أحد أمراء دمشق، فى سابع عشرى شعبان؛ وخرج طيبغا حاجى على إقطاعه؛ وكان جوادا.

وتوفى الأمير سيف الدين الدمر أمير جندار مقتولا، بمكة فى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة؛ وله خارج باب زويلة من القاهرة حمامات؛ وكانت أمواله جزيلة.

وتوفى القاضى علاء الدين على ابن القاضى تاج الدين أحمد بن محمد بن سعيد بن الأثير كاتب السر، فى يوم الأربعاء خامس عشر المحرم، بعدما أصابه مرض الفالج مدة سنة كاملة، وهو ملازم بيته؛ وكان ذا سعادة جليلة وحرمة وافرة وجاه عريض، ويُضرب به المثل فى الحشمة.

وتوفى الوزير شمس الدين أبو القاسم محمد بن سهل بن أحمد بن سهل الأسدى الغرناطى الأندلسى، بالقاهرة قافلا من الحج؛ وكان صاحب فنون من قراءات وفقه ونحو وأدب وتاريخ.

وتوفى ناصر الدين شافع بن محمد بن على بن عباس بن إسماعيل الكنانى العسقلانى(١)، سبط ابن عبد الظاهر، فى سابع عشرى شعبان بعدما عمى؛ وكان أديبا مشاركا فى عدة علوم، وله عدّة مصنّفات ونظم جيد ونثر مليح، وهو أحد كتاب الإنشاء.

وتوفى سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا، فى يوم السبت سابع عشرى رمضان؛ ولى نظر البيوت ونظر الرواتب، ثم ولى الوزارة فى أيام بيبرس وسلار، ثم صرفه الملك الناصر لما قدم من الكرك وصادره، فلزم بيته حتى مات.

(١) شافع بن على بن عباس الكنانى العسقلانى، ثم المصرى، ناصر الدين: كاتب مؤرخ. له شعر جيد. باشر ديوان الإنشاء بمصر زمانا. وأصابه سهم فى صدغه، فى وقعة حمص بين الجيش المصرى والجيش المغولى سنة ٦٨٠هـ، فعمى. وكان جماعا للكتب، خلف ١٨ خزانة. له تصانيف منها «ديوان شعره» و«المناقب السرية المتنزعة من السيرة الظاهرية» و «تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور» و«سيرة الأشراف خليل». انظر نكت الهميان ١٦٣ وفوات الوفيات ١٨٢/١ والدرر الكامنة ١٨٤/٢ والنجوم الزاهرة ٢٨٥/٩ والأعلام ١٥٢/٣.

وتوفى الأمير سيف الدين قدادار والى القاهرة، فى سادس عشر صفر؛ وأنعم بإمرته على الأمير طاجار القبجاقى؛ و أصله من مماليك الأمير برلغى، وترقّى إلى أن ولى ولاية الغربية وولاية البحيرة [١] وولاية القاهرة، وتمكن فيها تمكنا زائدا، وكان جريئا على الدماء؛ ثم صُرف عن ولاية القاهرة بناصر الدين محمد بن المحسنى، وأقام فى داره إلى أن خرج إلى الحج وهو ضعيف، ثم قدم فلزم الفراش حتى مات.

وتوفى الأمير بلبان الديسنى، فى خامس عشر ربيع الأول؛ وأنعم بإمرته على برلغى.

وتوفى الأمير كجكن الساقى فى سادس صفر، وأنعم بإقطاعه على سنقر الخازن.
وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن ملكشاه فى ثانى عشر صفر، وأنعم بإقطاعه على بكمان.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن الرومى، شيخ خانكاه بكتمر الساقى، فى يوم الأحد ثالث عشرى ذى الحجة؛ وولى عوضه الشيخ زاده الدَّوْقانى.

وتوفى الشيخ زين الدين أيوب بن نعمة الكحال البالسى، فى ذى الحجة، وقد أناف على التسعين؛ حدّث بمصر ودمشق عن المرسى والرشيد العراقى فى آخرين، وانفرد بالرواية.

و توفى ركن الدين عبد السلام بن قطب الدين عبد القادر بن محمد بن أبى صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلانى، فى آخر جمادى الآخرة بدمشق؛ قدم القاهرة مرارا، وخالط الأمراء؛ وكانت له مكارم.

وتوفى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن الجمال أحمد بن محمد بن عبدا لله الظاهرى، فى رجب؛ ودفن بزاوية أبيه خارج باب البحر من القاهرة؛ ومولده سنة سبعين وستمائة؛ سمع الحديث من جماعة كثيرة وحدّث.

* * *

---

(١) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة

أهلت بيوم الإثنين:

وفى ثالث المحرم: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بما وقع بمكة من الفتنة وقتل الأمير الدمر أمير جندار وولده؛ فتعجب الناس من صحة ما أشيع بالقاهرة من قتل الدمر فى يوم قتله. فشقّ على السلطان ذلك، وكتب بإحضار الشريف عطيفة أمير مكة وولده وقواده.

وفى ثانى عشره: خُلع على الأمير عز الدين أيدمر العلائى الجمقدار المعروف بالزرّاق، المستقرّ فى ولاية القاهرة؛ ورسم له أن يكون أمير جندار. ثم خُلع على الأمير سيف الدين أرنبغا السلحدار، واستقرّ أمير جندار عوضا عن الدمر.

وفى تاسع عشريه: استقر فخر الدين محمد تاج الدين محمد بن مؤتمن الدين الحارث ابن مسكين الشافعى فى قضاء الإسكندرية، وتوجه إليها فى عاشر ربيع الأول.

وفى المحرم هذا: قدم الحاج، وأخبروا بكثرةِ الفتَن بمكة بين الشريفين عطيفة ورميثة[1] وقوةِ رميثة على عطيفة ونهبه مكة وخروجه عن الطاعة، وأنه لم يلق ركب الحجاج؛ فكتب بحضوره. فلما ورد المَرسوم بطلب الشريفين إلى مصر اتفقا وخرجا عن الطاعة، فشقّ ذلك على السلطان، وعزم على إخراج بنى حسن من مكة. وتقدم السلطان إلى الأمير سيف الدين أيتمش أن يخرج بعسكر إلى مكة، وعيّن معه من الأمراء الأمير طيدمر الساقى، والأمير أقبغا آص، والأمير آقسنقر، والأمير طرقش والأمير طقتمر الأحمدى، والأمير طقتمر الصّلاحى، وأربعة عشر من مقدمى الحلقة، وعدة من أعيان أجناد الحلقة. ثم استدعى السلطان الأمير أيتمش بدار العدل، وقال له بحضرة القضاة: «لا تدع فى مكة أحدا من الأشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم؛ ونَادِ بها من أقام منهم حلّ دمه. ثم أحرقْ جميع وادى نخلة، وألق فى نخلها النار حتى لا تدع شجرة مثمرة ولا دمنة عامرة، وخرِّب ما حول مكة من المساكن، وأخرجْ حرم الأشراف

---

(١) رميثة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين، وقيل اسمه منجد: شريف، من أمراء مكة. وليها مشتركا مع أخيه حميضة ثم اختلفا فاقتتلا ونشبت بينهما وقائع واستقل سنة ٧١٥هـ وتجددت بينهما الوقائع فانفرد بالأمر سنة ٧٣٨-٧٤٥هـ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفى بمكة. انظر شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١٠ والأعلام ٣٣/٣.

منها، وأقمْ بها بمن معك حتى يأتيك عسكر آخر». فقام فى ذلك قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى، ووعظ السلطان وذكّره بوجوب تعظيم الحرم، إلى أن استقرّ الأمر على أن كُتب لرميثة أمان وتقليد بإمرة مكة. وسار العسكر من ظاهر القاهرة فى نصف صفر، وعدتهم سبعمائة فارس.

وفى سابع ربيع الأول: توجه السلطان إلى سرياقوس، فأقام بها أياما؛ ثم سار إلى البحيرة والمنوفية، ومضى على الجيزة إلى البهنساوية [١]؛ وعاد إلى قلعة الجبل فى حادى عشر ربيع الآخر.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول: استقرّ شرف الدين أبو محمد عبدالله ابن الحسن بن عبدالله بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على المقدسى الحنبلى فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن عز الدين محمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر بعد وفاته.

وفى مستهل ربيع الآخر: تولى علاء الدين الطويل المنوفية، ثم بطل ذلك؛ وتولى فخر الدين أياس الدواداري المنوفية فى اليوم المذكور.

وفى حادى عشريه: خُلع على ركن الدين الكركرى، واستقرّ فى ولاية قوص عوضا عن غرس الدين خليل أخى طقصبا.

وفى ثالث عشريه: سار السلطان إلى ناحية طَنان [٢]، وأقام هناك أياما؛ ثم عاد إلى الجيزة، فأقام بها عدة أيام. ثم توجه السلطان إلى الحمامات [٣]، ثم رجع فدخل قلعة الجبل فى رابع جمادى الأولى. وقدم عليه فى سفره هذا رسل الملك أبى سعيد بن خربندا.

وفى حادى عشريه أيضا: استقرّ الأمير عز الدين أيدمر العلائى - المعروف بأستادار ألطنبغا الحاجب - فى ولاية الوجه البحرى، وكان والى أسيوط [٤] ومنفلوط [٥].

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

(٢) طنان بلدة تابعة لمركز قليوب بمديرية القليوبية الحالية.

(٣) الحمامات بلدة على مسافة كليو مترات غربى كوم تروجة، وهى من أراضى ناحية زاوية صقر؛ بمركز أبى المطامير بمديرية البحيرة.

(٤) مدينة فى غربى النيل من نواحى صعيد مصر. انظر، معجم البلدان ١٩٣/١، ١٩٤.

(٥) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطىء النيل بعد. انظر، معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢١٥.

وفى يوم الإثنين سابع عشريه: مات الأمير أرغون الدوادار نائب حلب؛ فخلع على الأمير علاء الدين ألطنبغا الصالحى بنيابة حلب فى يوم الخميس آخره، وتوجه إليها.

وفى جمادى الأولى: مرض القاضى تاج الدين إسحاق ناظر الخاص.

وتوفى يوم الإثنين أول جمادى الآخر. وترك القاضى تاج الدين من الأولاد علم إبراهيم ناظر الدولة، وشمس الدين موسى، وسعد الدين ماجد، بعدما وصى بهم الفخر ناظر الجيش؛ فتوسط الفخر لهم مع السلطان إلى أن استدعى من الغد شمس الدين موسى وخلع عليه وقرّره فى نظر الخاص ووكالة السلطان عوضا عن أبيه، وقد كان ينوب عنه فى حياته؛ وأقرّ السلطان أخاه علم الدين إبراهيم فى نظر الدولة، وأقرّ علاءَ الدين بن هلال الدولة فى شدّ الدواوين وشدّ الخاص، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

و فيه استقرّ علاء الدين محمد بن نصر الله الجَوجَرِى شاهد الخزانة فيما كان بيد شمس الدين موسى قبل ولايته نظر الخاص.

و فيه استقرّ جمال الدين يوسف أخو قنغلى فى ولاية الشرقية، بسفارة الأمير بكتمر الساقى؛ واستقرّ أخوه شجاع الدين قنغلى فى ولاية البهنساوية.

وفى يوم السبت سادسه: خُلع على عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة (١)، واستقرّ فى وكالة السلطان عوضا عن التاج إسحاق ناظر الخاص بعد وفاته.

وفى سابع جمادى الآخرة: قدم الأمير أيتمش بالعسكر المجرد إلى مكة، فكانت مدة غيبتهم أربعة أشهر تنقص ثمانية أيام. وكان من خبرهم أنهم لما قدموا مكة كان الشريف رميثة قد جمع عربا كثيرة يريد محاربتهم، فكتب إليه الأمير أيتمش يعرفه بأمان السلطان له وتقليده إمرة مكة، ويحثه على الحضور إليه ويرغّبه فى الطاعة، ويحذّره عاقبة الخلاف ويهدّده على ذلك، ويعرّفه بما أمر به السلطان من إجلاء بنى حسن وأتباعهم عن مكة. فلما وقف رميثة على ذلك اطمأنّ إلى الأمير أيتمش، وأجابه بما كان قد عزم عليه من الحرب لو أنّ غيره قام مقامه، وطلب منه أن يحلف هو ومن معه

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى؛ الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وحاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه «هدية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و «المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والكتبخانة ١٨١/٧ والتيمورية ٦١/٣ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٢٦/٤.

ألا يغدره، وأن يقرضه مبلغ خمسين ألف درهم يتعوّضها من إقطاعه. فتقرّر الحال على أن يبعث إليه الأمير أيتمش عشرة أحمال من الدقيق والشعير والبقسماط وغيره، ومبلغ خمسة آلاف درهم؛ فقدم حينئذ.

فلما قارب رميثة مكة ركب الأمير أيتمش بمن معه إلى لقائه، فإذا عدة من قواده مع وزيره قد تقدموه ليحلّفوا له العسكر، فعادوا بهم إلى الحرم وحلفوا له أيمانا مؤكدة، ثم ركبوا إلى لقائه وقابلوه بما يليق به من الإكرام، فلبس رميثة تشريف السلطان، وتقلد إمارة مكة؛ وعزم على تقدمة شيء للأمراء، فامتنعوا أن يقبلوا منه هدية، وكتبوا إلى السلطان بعود الشريف إلى الطاعة، وخرجوا من مكة يريدون القاهرة. فلما وصلوا دخل الأمير أيتمش على السلطان، فشكره على ما كان منه.

وكان قاضى القضاة جلال الدين القزوينى حاضرا، فأكثر من الثناء على أيتمش، وقال: «هذا الذى فعله هو الإسلام».

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام فى يوم الإثنين سادسه، ومعه الأمير سيف الدين أرقطاى نائب صفد [1]. فأكرم السلطان الأمير أرقطاى وقرّبه، وتقدّم إلى جميع الأمراء أن يقدموا له التقادم، فقدّم له كل أحد على قدر همته؛ وأنعم السلطان على أحد ولديه بإمرة طبلخاناه، وعلى الآخر بإمرة عشرة. وكان سبب قدومه من صفد أن الأمير تنكز لما توجه فى السنة الخالية من دمشق يريد القدوم على السلطان على عادته، ركب الأمير أرقطاى من صفد ليلقاه من رأس اللجون، ومدّ له سماطا جليلا، وركب إلى لقائه؛ فلم ينصفه الأمير تنكز فى السلام عليه، وسار حتى قرب من السماط فلم يلتفت إليه ولا نزل له، ومرّ من غير أن يأكل منه. فشقّ ذلك على أرقطاى، وقيل لتنكز إنه قد انكسر خاطره من الأمير، فقال: «ومن قال له يعمل هذا؟». فبلغ ذلك السلطان، فعتبه عند حضوره على ما كان منه لأرقطاى، وقال له: «وماذا كان يصيبك لو أكلتَ طعامه؟»، وأمره أن يحضره صحبته إذا قدم فى السنة الآتية؛ وكتب لأرقطاى أن يحضر مع الأمير تنكز. فلما خرج الأمير تنكز من دمشق فى هذه السنة، وتلقّاه أرقطاى، أكرمه تنكز ومضى به إلى مصر، ثم سافرا إلى محل كفالتهما فى يوم الثلاثاء سادس عشرة.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب: توجه الأمير سيف الدين طرغاى

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

الجاشنكير، والأمير بيغرا، والأمير مِلِكتَمُر السرْجُوانى. وقد استقر فى نيابة الكرك، بإبراهيم ولد السلطان إلى مدينة الكرك ليقرّوه بها، فوصلوا به إليها؛ وعادوا منها ومعهم أحمد ابن السلطان، وكان قد توجه قبل ذلك إلى الكرك؛ فقدموا به قلعة الجبل فى يوم السبت سادس عشر شعبان، ومعه الأمير بهادر البدرى نائب الكرك. فختن الأمير أحمد[1] ابن السلطان يوم الإثنين ثامن عشرة، بعد وصوله بيومين.

وفيه قدمت رسل ملك الهند، وكان مجيؤهم من جهة بغداد، فأكرموا وخُلع عليهم، وساروا فى آخره.

وفى يوم الأربعاء خامس رمضان: أفرج عن الشريف وَدِىّ [2] أمير المدينة النبوية، وعن خرص ابن أخيه - وكانا قد اعتقلا بقلعة الجبل فى أول شوال سنة تسع وعشرين-؛ فرُتِّب لهما راتب حسن مدة، ثم أنعم عليهما بإقطاع فى الشام، وسارا إليها؛ فمات خرصٍ، ثم ولى ودى إمرة المدينة.

وفى هذا الشهر: فرّ يوسف الكيمياوى من سجنه، فنودى عليه بالقاهرة ومصر، وسرحت البطائق على أجنحة الحمام لولاة الأعمال بتحصيله.

وفى عاشره: خُلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقرّ فى نيابة الكرك، عوضا عن بهادر البدرى، وسافر من يومه.

وفى يوم السبت خامس عشره: حُمل من خزانة الخاص بالقلعة مهر آنوك ولد السلطان إلى بنت الأمير بكتمر الساقى: وهو عشرة آلاف دينار، ومائتان وخمسون تفصيلة حرير مثمنة، ومائة نافجة [3] مسك، وألف مثقال عنبر خام، ومائة شمعة موكبية، وثلاثة أرؤس من الخيل مسرجة ملجمة، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة.

---

(١) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين الملك الناصر ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بالقاهرة، وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية، فاستمر فيها أيام أخيه وأخويه أبى بكر وكجك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢ واستمرت مدة حكمه بمصر ٧٢ يوما. انظر ابن إياس ١٧٩/١، ١٨٢ والدرر الكامنة ٢٩٤/١ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤،٢٠٢،٢٠٧، ٢١٣ والنجوم الزاهرة ٥٠/١٠ والأعلام ٢٢٣/١.

(٢) ودى بن حجاز بن شيحة الحسينى، بدر الدين، أبو مزروع: ممن تولوا إمارة المدينة. ولد ونشأ فيها وانتزع إمارتها من ابن أخيه طفيل، ثم ظفر طفيل وحبس ودى، وغضب الملك الناصر على طفيل، فحبسه بمصر وولى ودى إمارة المدينة سنة ٧٣٦هـ فقام بأعبائها. ولما توفى الناصر ذهب ودى إلى مصر، وعاد مكرما إلى إمارته. انظر المغانم المطابق والدرر الكامنة ٤٠٦/٤ والأعلام ١٢/٨.

(٣) النافجة وعاء المسك فى حسم الظبى، جمع نوافج. انظر المعجم الوسيط (نفج).

وسُلّم ذلك إلى الأمير أيدغمش أخور، والأمير طقتمر الخازن دوادار القاضى شمس الدين موسى ناظر الخاص؛ وألبس الثلاثة تشاريف جليلة، وتوجهوا بذلك إلى بيت الأمير بكتمر الساقى، فكان يوما مشهودا. وعُقد العقد، وعُملت المهمات والأفراح الملوكية.

وفى يوم الإثنين نصف شوال: رسم بعزل نواب قضاة القضاة الأربعة بالقاهرة ومصر، وكانت عدتهم قد بلغت نحو الخمسين نائبا، فعزلوا بأجمعهم.

وفى أول ذى القعدة: سار الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق، رسولا إلى أبى سعيد ملك العراق.

وفى يوم الأحد ثالث عشره: كُتب كتاب الأمير ملجك ابن أخت الأمير قوصون على بنت الأمير تنكز نائب الشام. وحُملت إليه من دمشق، وصحبتها أموال جزيلة وتحف جليلة؛ فعملت أفراح سنية مدة أيام.

وفيه أيضا كان وفاء النيل وهو خامس عشرى مسرى.

وفى سابع عشره: استقرّ شهاب الدين الإقفهسى فى نظر الدولة، عوضا عن تقى الدين عمر بن محمد بن السلعوس.

وفى يوم الإثنين خامس ذى الحجة: أسلم من الكتاب النصارى المهذبُ كاتب الأمير بكتمر الساقى، والنشو مستوفى الدولة، والعلم بن فخر الدولة مستوفى الدولة أيضا.

وفى يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان إلى الميدان الذى استجدّه، وقد كملت عمارته. وكان قد رَسم فى أول هذه السنة بهدم مناظر الميدان الظاهرى وتجديد عمارته، وفَوّض ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى، فهدمها وباع أخشابها بمائة ألف درهم وألفى درهم، واهتم فى عمارة جديدة؛ فكمل البناء فى مدّة شهرين، وجاء كأحسن شىء يكون. فخلع عليه السلطان، وفرّق على الأمراء الخيول المسرجة الملجمة.

وفى هذا الشهر: قُبض على يوسف الكيمياوى بمدينة أخميم [1]؛ وحمل مقيّدا، فوصل إلى قلعة الجبل فى رابع عشريه. ومثل يوسف بين يدى السلطان، فسأله عن المال، فقال: «عدم منى». فسأله السلطان عن صناعته فقال: «كل ما كنت أفعله إنما هو

(١) بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد بمصر. انظر، معجم البلدان ١/١٢٣،١٢٤.

خفة يد»، فعوقب عقوبة شديدة بالضرب، ثم حمل إلى خزانة شمائل سجنِ أرباب الجرائم بجوار باب زويلة من القاهرة، فمات ليلة الأحد خامس عشريه، فسمّر وهو ميت وطيف به القاهرة على جمل فى يوم الأحد.

وكان قد عزم السلطان على أن يؤمِّر ولده أحمد المحضَر من الكرك؛ فركب الأمير بكتمر الساقى وسائر الأمراء وجميع الخاصكية إلى القبة المنصورية بين القصرين فى خدمة الأمير أحمد وهو بشربوش وعلى رأسه سنجق؛ وأمِّر معه أيضا ثلاثة أمراء عشراوات فى يوم الإثنين سادس عشريه. وألزم الأمير ناصر الدين بن المحسنى والى القاهرة جميع أرباب الحوانيت بالقاهرة أن يوقدوا الشموع والقناديل ويزيّنوا القاهرة، زيَّنوا الأسواق وأشعلوا الشموع والقناديل؛ وجلس أرباب الملهى فى عدة أماكن يضربون بآلاتهم فرحا بتأمير أحمد ابن السلطان.

واتفق فى هذه السنة توالى الأفراح، لأجل عافية السلطان، وتزويج ولده آنوك، وتزويج ملجك ابن أخت قوصون، وتأمير أحمد بن السلطان.

وفيه ورد الخبر بإفساد العرب ببلاد الصعيد قطعهم الطريق؛ فاستدْعى طُلُطَية متولى الشرقية، وخُلع عليه، واستقرّ فى كشف الوجه القبلى؛ فسار فى تجمع كبير، وأوقع بأهل الصعيد، وقتل كثيرا من العربان، ولم يراع أحدا من الأمراء فى بلاده؛ فعظمت مهابته، وخاف كل أحد بادرته.

وفى سابع عشره: نزل السلطان إلى الميدان تحت القلعة، وعيّن الأمير أرنبغا أمير جندارا، للسفر مع الأمير أحمد ابن السلطان. وخرج طُلب الأمير أحمد ومعه الأمراء والحجاب، فسار إلى الكرك، وسلّمه الأمير ملكتمر السرجوانى نائبها، وأمر بتربيته وتأديبه.

وفيه قدمت رسل ملك [١] البلغار بكتابه يترامى على مراحم السلطان، ويسأل أن يَبعث إليه سيفا وسنجقا ليقهر به أعداءه. فأكْرمت رسله؛ وجهزت له خلعة طرد وحش مقصب بفرو سنجاب، مقنلس [٢] على مفرّج سكندرى، وكلفتاه زركش، وشاش [٣]

---

(١) كان ملك البلغار تلك السنة حنا إسكندر.

(٢) وهو حيوان قابض من الفصيلة القندسية، كث الفوة، له ذنب قوى مفلطح، وغشاء بين أصابع رحليه يستعين به على السباحة، يستوطن أوروبا وأمريكه الشمالية حاليا. انظر المعجم الوسيط (قندس).

(٣) الشاش: نسيج رقيق من القطن تضمد به الجراح ونحوها (مستحدثة)، ويستعمل - أيضا - لفافة للعامة. انظر المعجم الوسيط (شوش).

بطرفين رَقْم[١] وحياصة ذهب، وكُلاليْب[٢] ذهب، وسيف محلّى، وسنجق سلطانى أصفر مذهب.

وفيها كثرت الشكاية من جمال الدين عبدا لله ابن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى بكثرة لعبه، ورُفعت فيه عدة قصص للسلطان. فبعث السلطان إلى أبيه على لسان الفخر ناظر الجيش يأمره بكفّهُ عن ذلك، فلم ينته عن لعبه؛ فرُسم بسفره من القاهرة إلى الشام، فسار على خيل البريد.

وفيها ولى عز الدين بن عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وكالةَ بيت المال ونظرَ جامع أحمد بن طولون ونظرَ المدرسة الناصرية.

وفيها وصل إلى حلب نهرُ الساجور[٣]، بعد ما أنفق عليه مال كبير؛ فسرّ به أهل حلب سرورا زائدا.

وفيها ملك أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى مدينة فاس من بلاد المغرب، بعد موت أبيه.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شهاب الدين صمغار ابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، فى ثالث عشر المحرم؛ فأنعم بإمرته وهى طبلخاناه على بهادر بن قرمان.

وفى يوم السبت ثامن عشره: توفى الشيخ صبيح التكرورى[٤] بدمشق؛ وقد حدّث بالقاهرة ودمشق مرارا عن النجيب الحرّانى وغيره.

وتوفى الشيخ عفيف الدين عبدا لله بن محيى الدين عبد ا لله بن الصاحب صفى الدين إبراهيم بن هبة ا لله العسقلانى، بطريق مكة الخميس ثانى عشره؛ ومولده بمصر؛ وكان يشهد بدمشق على الحكام وفى قيم الأملاك بغير أجرة، ولا يقبل هدية لأحد.

(١) هو الخيط الغليظ، والعلامة، والختم، وكل ثوب يرقم: أى وشم برقم معلوم حتى صار علما، والرقم ضرب مخطط من الوشم: انظر المعجم الوسيط (رقم).

(٢) هو الحديدة التى على خف الرائض وهو حديدة معوجة الرأس ينشل بها الشىء أو يعلق. انظر المعجم الوسيط (كلب).

(٣) على بن عثمان يعقوب بن عبد الحق المرينى، أبو الحسن، المنصور با لله: من كبار بنى مرين، ملوك المغرب. وكان يعرف السلطان الأكحل بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١ بعهد منه. انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٢/٥٧-٨٧ والحلل الموشية ١٣٤واللمحة البدرية ٩٢ والأعلام ٤/٣١١.

(٤) نسبة إلى قبيلة من السودان فى أقصى جنوب المغرب. انظر معجم البلدان ٢/٣٨.

وتوفى أمير على أخو قطلوبك أحد أمراء العشراوات، فى سابع عشريه؛ فأنعم بإمرته على أمير حاج بن طقزدمر.

وتوفى الشيخ تاج الدين أبو عبدا لله محمد بن العماد محمد بن التاج أبى الحسن على ابن أحمد بن على القسطلانى، بالقاهرة فى يوم الجمعة تاسع عشريه.

وتوفى شمس الدين عبد اللطيف بن خليفة العجمى - أخو الوزير نجيب الدولة وزير قازان - غريقا ببركة الفيل خارج القاهرة، فى سلخه؛ وكان يعرف العلوم العقلية.

وتوفى محيى الدين محمد عبد العزيز بن على بن محمد الحرّانى الحنبلى - ابن أخى قاضى القضاة شرف الدين الحرّانى - بالقاهرة فى حادى عشره.

وتوفى الأمير بكتمر بن كرأى. فى خامس صفر

وتوفى الأمير سيف الدين منكلى بغا السلاح دار، فى يوم الأحد سادسه؛ ودفن خارج باب النصر من القاهرة؛ وكان أحد أمراء الألوف، وتزوج خوند دُلَنْبِيَة بنت طاجى مُطلّقة السلطان؛ وأنعم بإمرته على تمربغا السعدى؛ وكان كثير الأكل كثير النكاح.

وتوفى زين الدين محمد بن محمد بن أبى بكر محمد بن على القسطلانى، فى سابعه.

وتوفى قاضى القضاة عز الدين أبو عبدا لله محمد بن تقى الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن أحمد بن قدامة الحنبلى، بدمشق فى يوم الأربعاء؛ وولى قضاء الحنابلة بدمشق بعده شرف الدين أبو محمد عبدا لله بن الحسن بن عبدا لله بن عبد الغنى المقدسى.

وتوفى الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح، فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر؛ وأنعم على ساطلمش الجلالى بإقطاعه.

وتوفى الأمير سيف الدين طرجى الساقى أمير مجلس، فى يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر؛ وأنعم بطبلخاناته على أولاجا؛ واستقرّ الأمير طقزدمر عوضه أمير مجلس. فى سادس عشر ربيع الآخر.

وتوفى المسند بدر الدين المحاسن يوسف بن عمر بن حسان بن أبى بكر على الحنفى، فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر بالقاهرة؛ وهو آخر من حدّث عن سبط ابن السلفى.

وتوفى الأمير حسام الدين لاجين زيرباج الجاشنكير، فى يوم الإثنين رابع عشر صفر.

وتوفى الأمير بغجار الساقى، فى رابع ربيع الأول؛ وأنعم بطلبخاناته على أمير عمر بن أرغون النائب.

وتوفى سنجر البروانى أحد أمراء الطبلخاناه فى الحمام فجأة يوم السبت ثامن ربيع الآخر؛ فأنعم بإمرته على أيدمر العلائى.

وتوفى ضياء الدين أبو الحسن على بن سليمان بن ربيعة الأذرعى الشافعى، بالرملة[١] فى ثالث عشريه؛ ومولده بنابلس فى سنة ست وأربعين وستمائة؛ وكان قاضيا ستين سنة، ونظم كتاب التنبيه فى الفقه، فبلغ ستة عشر ألف بيت؛ وله أزجال وموشحات.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى، يوم الأربعاء ثامن رجب؛ وهو أحد مقدمى الألوف.

وتوفى الأمير نور الدين محمود بن هلال الدولة الريدانى أحد أمراء العشرات، بدمشق.

وتوفى الأمير أرغون الدوادار نائب حلب، بها فى ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر؛ ومات ابنه ناصر الدين محمد قبله؛ وقدم إلى القاهرة أربعة من أولاده.

وتوفى جمال الدين أبو عبدا لله بن عبدالواحد بن الخضر المعروف بابن السابق الحلبى، فى ليلة الأحد رابع عشريه فجأة بحلب؛ ومولده بالإسكندرية سنة خمس وستين وستمائة؛ ولى نظر بعلبك ونظر بيت المال بدمشق.

وتوفى الشيخ المسند شرف الدين أبو العباس أحمد بن فخر الدين عبد المحسن بن الرفعة بن أبى المجد العدوى، فى ليلة الأربعاء ثامن عشريه، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة؛ وأبوه عبد المحسن يُنسب جامع ابن الرفعة بين القاهرة ومصر.

وتوفى القاضى عز الدين الخضر بن عيسى بن عمر بن الخضر الهكارى، بالأشمونين[٢] فى عاشره، بعد عزله من قضائها؛ وقد نيّف على التسعين.

(١) الرملة: بالشام، سميت الرملة لما غلب عليها من الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر، معجم البلدان ٢٠٠/١.

وتوفى القاضى تاج الدين على بن نظام الدين يوسف ابن القاضى الموفق فخر الدين ابن على ابن القاضى الأمين مفضل بن مقدام بن محمود بن يعقوب اللخمى، فى تاسع عشريه، بعدما كفّ بصره؛ ولى نظر الخزانة الكبرى، ودرّس بمدرسة الصاحب صفى الدين بن شكر بالقاهرة والمدرسة، وكان مقدام قاضى دمياط [(١)] وناظرها أيام خلفاء القاهرة، وهو أخو شكر.

وتوفى الأمير علاء الدين على بن آل ملك المجاهد إسحاق ابن السلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى ثامنه خارج مدينة مصر، ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة.

وتوفى الأمير طُلُطَيْه والى الولاة بالوجه القبلى، فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة؛ واستقرّ عوضه الأمير غرس الدين خليل أخو طقصبا الناصرى.

وتوفى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة ناظر الدولة، بعد عزله فى ثامن عشره، فجأة بعدما خرج من الحمام ولبس ثيابه وشرب قدح شراب.

وتوفى المقرئ نور الدين أبو الحسن على بن المقرئ شرف الدين محمد بن مجاهد المعروف بابن الوارب أمام الجامع الحاكمى، فى سادسه، وهو أحد مشايخ القرءات السبع.

وتوفى الشيخ الزاهد موفق الدين أبو الفتح عيسى بن عبد الرحيم بن جعفر بن محمد ابن إبراهيم بن ثعلب الجعفرى المالكى، بمصر ليلة الأحد ثانيه، ودفن بالقرافة؛ وكان لا يتناول نصيبه من ديوان الأشراف.

وتوفى تاج الدين إسحاق - ويدعى عبد الوهاب - ناظر الخاص، فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة؛ وولى نظر الخاص بعد القاضى كريم الدين الكبير وباشر بسكون زائد وانجماع وسياسة، وقام بمهمات عظيمة؛ وولى بعده وكالة بيت المال عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وولى نظر خزانة الخاص علاء الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب الجوهرى، وولى المكين بن قزوينة استيفاء الصحبة والخاص.

وتوفى الأمير سيف الدين أبو بكر بن المهرانى، فى سادسه.

وتوفى ضياء الدين أحمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر، معجم البلدان ٤٧٣،٤٧٢/٢.

السنباطى الشافعى، فى ليلة الثلاثاء تاسعه، وبيده تدريس الزاوية الخشابية بجامع مصر.

وتوفى تاج الدين أبو بكر بن معين الدين محمد بن الدمامينى، رئيس التجار الكارمية، فى ثالث عشرى جمادى الآخرة؛ وقد قارب ثمانين سنة، وترك مائة ألف دينار عينا.

وتوفى الأمير حسام الدين طرنطاى دوادار كتبغا، ليلة الأحد ثامن عشريه فجأة، وكان له ثراء واسع جدا.

وتوفى نور الدين على بن محمد بن عبد الواحد الحنفى أمين الحكم، بالحسينية ظاهر القرافة فى سلخه.

وتوفى فخر الدين عثمان إبراهيم بن مصطفى التركمانى [١] الحنفى، فى حادى عشر شهر رجب، وهو يلى نيابة النظر بالمارستان المنصورى.

وتوفى القاضى جمال الدين أبو عبدا لله محمد بن عثمان بن عبد الرزاق المالكى، أحد نواب القضاة المالكية، فى ثامن عشريه.

وتوفى تقى الدين عمر بن السلعوس ناظر الدولة، بعد عزله فى سادس عشرى ذى القعدة.

وتوفى الأمير ركن الدين عمر بن الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورى، فى تاسع عشر ذى الحجة بدمشق.

وتوفى زين الدين عمر بن نجم الدين البالسى الشافعى، مدرس المدرسة الطيبرسية، فى سلخه؛ فولى عوضه أخوه نور الدين على.

ومات بلبان المهمندار عتيق الدوادارى، فى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر.

ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ابن أبى بكر بن حمامة [٢]، فى ذى الحجة؛ وقام من بعده ابنه السلطان أبو الحسن على، فكانت مدته إحدى وعشرون سنة.

* * *

---

(١) عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردين، ويقال له ابن التركمانى: فقيه من العارفين بالتفسير. انتهت إليه رياسة الحنفية بالديار المصرية وتوفى فى القاهرة. له «شرح الوجيز الجامع لمسائل الجامع» فقه. انظر الفوائد البهية ١١٥ والدرر الكامنة ٤٣٥/٢ وحسن المحاضرة ٢٦٧/١ والأعلام ٢٠٢/٤.

(٢) عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، السلطان أبو سعد، ولقبه السعيد بفضل الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولى بعد وفاة أخيه سليمان بن عبدا لله سنة ٧١٠هـ بناحية تاز أو انتقل إلى فاس. توفى بفاس ودفن بها، ثم نقل منها إلى شالة، بالرباط، حيث مدافن سلفه ومدة ملكه عشرون سنة ونصف. انظر جذوة الاقتباس ٢٨٨ والاستقصا ٥٠/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٠/٩ والأعلام ٢١٥/٤.

سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة

المحرم أوله الجمعة:

فيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا برخاء الأسعار وسلامة الحجاج، وأن الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى على خطة (١).

وفى سابع عشرة: توفى مغلطاى المذكور عند نزوله بسطح عقبة أيله (٢)؛ فصُبِّر وُحمل إلى القاهرة، فوصلها ليلة الخميس حادى عشريه؛ ودفن من غده بمدرسته قريبا من درب ملوخيا. واستقر عوضه فى الأستادارية الأمير علاء الدين آقْبُغا عبد الواحد وخُلع عليه يوم الثلاثاء سادس عشريه؛ وأقرّ أَلْطُنْبُقُش مملوك الأفرم على نيابة الأستادارية. ثم بعد أيام أضيف إلى الأمير آقبغا تقدمة المماليك السلطانية مع الأستادارية، من أجل أنه وُجد بعض المماليك وقد نزل من القلعة إلى القاهرة، إذ تنكّر السلطان لما حدث من نزول بعض المماليك من القلعة إلى القاهرة، وضرب كثيرا من طواشية الطباق، وطرد جماعة منهم، وأنكر على المقدم الكبير - وهو يومئذ الطواشى شجاع الدين عَنْبَر السحرتى - تهاونه حتى وقع ما وقع، وصرفه بالأمير آقبغا. فضبط آقبغا طباق المماليك بالقلعة، وضرب عدة منهم ضربا مبرحا، وبالغ فى إهانة الخدام أيضا، فلم يجسر أحد من المماليك أن يتجاوز طبقته.

وفيها استقرّ الأمير سيف الدين بهادر الدمرداشى رأس نوبة الجمدارية، عوضا عن الأمير آقبغا عبد الواحد، بحكم انتقاله إلى الأستدارية، وكان الأمير بهادر قد حظى عند السلطان حظوة مكينة.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: دار نقيب الجيش والحاجب بجامع القلعة على الأمراء وهم ينتظرون الصلاة، وقبضوا على من معهم من مماليك دمرداش بن جوبان وسجنوهم. وذلك أن الأمير طرغاى الجاشنكير كان عنده جماعة، فبلغه من بعض مماليكه أنه سمع أحد مماليك دمرداش يقول لآخر: «قد دُرْنا على الصبيان الجميع، واتفقنا

---

(١) على هامش ط: المقصود بذلك أن الأمير مغلطاى كان قد أشفى على الموت.

(٢) أيلة: مدينة فى طريق مكة، حفظها الله، وهى أول حدّ الحجاز، وهى مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها يجتمع حاجّ مصر والمغرب، وسميت بأيلة بنت مدين وقالوا: وهى القرية التى كانت حاضرة البحر المذكورة فى القرآن. انظر معجم البلدان ١/٢٩٢،٢٩٣،٢٩٤، و الروض المعطار ٧٠، ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

على كلمة واحدة، فقم والبس قماشك، فميعادنا باب القلة عند خروجهم من الجامع». فنقل ذلك لمخدومه الأمير طرغاى، فبادر وقبض على من عنده من مماليك دمرداش، ونهض إلى السلطان وأعلمه بالخبر، فسرّ بذلك. واستدعى السلطان نقيب الجيش والحاجب، وأسر إليهما أن يقبضا على من حضر من مماليك دمرداش بالجامع، ويتتبعا من غاب منهم، فقبض على الجميع قبل إقامة الصلاة. ثم جُمع الأمراء بعد الصلاة عند السلطان، وعرفهم السلطان ما نقله الأمير طرغاى؛ وأمر السلطانُ أمير جندار بعقوبة من قبض عليه فعوقبوا، ثم قتل بعضهم وسجن باقيهم، فإنهم اعترفوا وهم فى العقوبة بأنهم أرادوا أخذ ثأر أستاذهم دمرداش وقتل الأمراء، لتصير لهم بذلك سمعة فى بلاد المشرق. فخالف على نفسه الأمير بهادر الدمرداشى، وتحرز من السلطان.

شهر صفر أوله يوم الأحد:

وفى يوم الإثنين، ثالث عشريه: استدعى السلطان الأمراء وأعلمهم أنه يريد أن يعهد إلى ولده الأمير ناصر الدين آنوك فأذعنوا لذلك كلهم، فرُسم بركوبه بشعار السلطنة، وأحضرت الخلع لأرباب الوظائف. ثم انثنى عزم السلطان عن ذلك، وأبطل الجميع، ورسم أن يلبس آنوك شعار الأمراء، ولا يطلق عليه اسم السلطنة؛ فركب آنوك وعليه خلعة أطلس أحمر بطرز ذهب وشربوش مكلّل مزركش. وخرج آنُوك من باب القرافة والأمراء فى خدمته حتى مرّ بسوق الخيل تحت القلعة، فباس الأرض، وطلع من باب الإسطبل إلى باب السرّ فطلع منه، ونُثرت عليه الدنانير والدراهم. وخُلع على الأمير ألماس الحاجب، والأمير بيبرس الأحمدى، والأمير أيدغمش أمير أخور خلع أطلس، وخُلع أيضا على بقية أرباب الوظائف، ومُدَّ لهم سماط عظيم؛ وعملت الأفراح الجليلة مدة أيام.

وكان قد رُسم بعمل المهم لعقد الأمير آنُوك على زوجته بنت بكتمر الساقى؛ فعُقد العقد بالقصر على صداق مبلغه من الذهب اثنا عشر ألف دينار، المقبوض منه عشرة آلاف دينار.

وفيه تقدمّ السلطان إلى الأمير علاء الدين بن هلال الدولة بجمع الدواوين، ليختار منهم من يستخدمه لآنُوك؛ فإنه أنعم عليه بإقطاع الأمير مغلطاى الجمالى؛ فحضر من الغد عدة من الدواوين؛ فأخذ السلطان يسأل كلا منهم ويتعرف خبره إلى أن وقع اختياره على شرف الدين النشو - فإنه كان قد وقف بين يديه غير مرة فى محاققة فى خدمة الأمراء، فأعجبه كلامه ومحاققته، ورسم أن يكون من جملة المستوفين. فلما

حضر النشو فى هذا اليوم أشار السلطان لابن هلال الدولة أن يستخدمه بديوان الأمير آنوك، ويكون الأمير سيف الدين ألطنقش أستادارا له، وخلع عليهما ونزلا.

شهر ربيع الأول أوله يوم الإثنين:

فى سادسه: قدم الحاج أحمد بن سنقر رسولا من الملك أبى سعيد؛ وعلى يده كتاب بسبب الخطبة والمصاهرة. فأجيب بأن ذلك يحتاج إلى مهلة، وأخذ ما معه من الهدية: وهى جمال بخاتى ثلاثة قطر، وعشرة أرؤس من الخيل، وعشرة مماليك، وعشر جوار جنكيات، وعشرة دبابيس؛ وأعيد فى ثانى عشريه.

وفيه كُتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر ومعه نائب حماة [1]، لحضور مُهم الأمير آنوك على الأمير بكتمر الساقى؛ فشرع الأمراء فى الاحتفال للمهم، وبعثوا إلى دمشق لعمل التحف.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الإثنين:

فى عاشره: قدم الملك الأفضل ناصر الدين محمد ابن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة بعد وفاة أبيه بها، وله من العمر نحو العشرين عاما، فأكرمه السلطان وأقبل عليه. وكان والده لما توفى بحماة أخفى أهله موته، وسارت أم الأفضل إلى دمشق وترامت على الأمير تنكز نائب الشام، وقدمت له جوهرا رائعا، وسألته فى إقامة ولدها الأفضل مكان أبيه؛ فقبل تنكز هديتها، وكتب فى الحال إلى السلطان بوفاة المؤيد، وتضرع إليه فى إقامة ابنه مكانه. فلما قدم البريد بذلك تأسَّف السلطان على المؤيد، وكتب إلى الأمير تنكز بإجابة سؤاله وتجهيز ابن المؤيد إلى مصر، فجهزه تنكز إلى السلطان، فقابله من الإنعام وإدرار الأرزاق بنظير ما كان لأبيه.

وفى يوم الخميس خامس عشريه: ركب الأفضل من المدرسة المنصورية بين القصرين، وهو بشعار السلطنة وبين يديه الغاشية؛ وقد نشرت على رأسه الأعلام الثلاثة، منها واحد خليفتى أسود، واثنان سلطانيان أصفران، وعليه خلعة أطلس بطرز ذهب، وعلى رأسه شربوش، وفى وسطه حياصة ذهب بثلاثة بيكارات [2]. وسار الأفضل فى موكب جليل بالقاهرة إلى باب زويلة، وصعد إلى قلعة الجبل، وقبَّل الأرض بين يدى السلطان بالقصر. ثم جلس الأفضل فخلع على الأمراء الذين مشوا فى

---

(١) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠،٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤: ١٠٤.

(٢) على هامش ط: جمع بيكادية وهى حلية من المعدن.

خدمته: وهم الأمير ألماس الحاجب، والأمير بيبرس الأحمدى، والأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور، والأمير طغجى أمير سلاح، والأمير تمر رأس نوبة؛ وقد لبس كل منهم أطلسين. وخلع الأفضل؟ على الأمير شجاع الدين عنبر مقدم المماليك طرد وحش، وخلع على جميع أرباب الوظائف أيضا، وكان يوما مشهودا.

ولقبّه السلطان يومئذ بالملك الأفضل وجهزه إلى بلاده.

وفى يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى: خرجت التجريدة لكبس الإطفيحيّة، وفيها نحو خمسة عشر أميرا.

وفى أول شعبان: قدم تنكز نائب الشام، لحضور عرس الأمير آنوك ابن السلطان.

وفيه رُسم بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملهى إلى الدور السلطانية. ووقع الشروع فى عمل الإخوان [1] فأقام المهم سبعة أيام بلياليها. واستدعى السلطان حريم جميع الأمراء إليه، فكان أمرا عظيما.

فلما كانت ليلة السابع منه: جلس السلطان على باب القصر، وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحد بعد واحد، ومعهم الشموع، فإذا قدّم الواحد ما أحضره من الشمع قبّل الأرض وتأخر. ومازال السلطان بمجلسه حتى انقضت تقادمهم، فكانت عدتها ثلاثة آلاف وثلاثين شمعة، زنتها ثلاثة آلاف وستون قنطارًا، فيها ما عنى به ونُقش نقشا بديعا تُنُوِّع فى تحسينه؛ فكان أبهجها وأحسنها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولى، فإنه اعتنى بأمرها وبعث إلى عملها بدمشق، فجاءت من أبدع شيء.

ثم جلس السلطان فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان - وهى ليلة العرس - على باب القصر، وأشعلت تلك الشموع بأسرها. وجلس ابنه الأمير آنوك تجاهه، وأقبل الأمراء جميعا وكل أمير يحمل بنفسه شمعه وخلفه مماليكه تحمل الشمع، فتقدموا على قدر رتبهم، وقبّلوا الأرض واحدا بعد واحد طول ليلهم، حتى إذا كان آخر الليل نهض السلطان وعَبر إلى حيث مجتمع النساء؛ فقامت نساء الأمراء بأسرهن، وقبّلن الأرض

---

(١) الإخوان، وهو فارسى معرب، والإخوان: كالخوان، قال ابن برى: «ونظير خوان وخون بوان وبون، ولا ثالث لهما»، قال: «وأما عوان وعون فإنه مفتوح الأول؛ وقد قيل بوان، بضم الباء»، وقد ذكر ابن برى فى ترجمة بون أن مثلهما إوان وأون، ولم يذكر هذا القول ههنا الليث: الخوان المائدة، معربة وفى حديث الدابة: «حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر»، وجاء فى رواية: الإخوان، بهمزة، وهى لغة فيه، وقوله فى حديث أبى سعيد: فإذا أنا بأخاون وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. انظر لسان العرب ١٢٩٥.

واحدة بعد أخرى، وهى تقدّم ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقوط حتى انقضت تقادمهن جميعا. ورسم السلطان برقصهن عن آخرهن، فرقصن حسن أيضا واحدة بعد واحدة، والمغانى تضربن بدفوفهن، وأنواع المال من الذهب والفضة وشقف الحرير يلقى على المغنيات، فحصل لهن ما يحل وصفه؛ ثم زُفّت العروس.

وجلس السلطان من بكرة الغد، وخلع على جميع الأمراء وأرباب الوظائف وأكابر الأمراء، ورسم لامرأة كل أمير من الأمراء بعبية قماش على قدر منزلة زوجها، وخلع على الأمير تنكز نائب الشام، وجهز صحبته الخلع لأمراء الشام.

فكان هذا العرس من الأعراس المذكورة، ذُبح فيه الغنم والبقر والخيل والأوز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفا، وعُمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار، وبلغت قيمة ما حمله الأمير بكتمر الساقى مع ابنته من الشورة ألف ألف دينار مصرية.

وفى يوم الأربعاء رابع رجب: استقرّ الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق مهمندار، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن آقوش العزيزى بعد وفاته.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: استقرّ شرف الدين موسى بن التاج إسحاق فى نظر الجيش، بعد وفاة الفخر محمد بن فضل الله. واستقرّ شرف الدين عبد الوهاب النشو فى نظر الخاص، عوضا عن شرف المذكور، فى يوم الخميس تاسع عشره.

وكان الفخر لما اشتدّ به المرض بلغه عن موسى بن التاج إسحاق أنه سعى فى نظر الجيش، فشقّ عليه ذلك، وركب وقد انتهك من شدة المرض، ودخل على السلطان وقال: «ما أزعجتُ نفسى إلا لنصحك، ولأوصيك بعائلتى وأولادى، وعندى ذخيرة للسطان؛ فأما نصيحتى فهى أن أولاد التاج إسحاق تواصَوا على أكل مال الخاص والدولة، والعمل على السلطان». وبالغ الفخر فى الوقيعة فيهم، وعرّف السلطان أنه ادّخر عشرة آلاف دينار وشيئا من الجواهر، وجميع ذلك للسلطان، فشكره السلطان، وأثّر فيه كلامه فى أولاد التاج إسحاق.

ثم قام الفخر وعاد إلى داره، ثم طلب بعد ثلاثة أيام الأمير علاء الدين بن هلال الدولة، ودفع إليه ورقة مختومة وأوصاه أن يدفعها إلى السلطان بعد موته؛ فأوقف ابنُ هلال الدولة السلطان عليها وتركها عنده. فمات الفخر من الغد، فنزل ابن هلال الدولة وأولاد التاج إسحاق وعدة من الأمراء إلى بيت الفخر وأحاطوا به. فوجدا فيه عشرة آلاف دينار، وهى التى عيّن الفخر، وموضعها للسلطان؛ ووجدوا معها جواهر.

فعادوا بذلك إلى السلطان، ومعهم لؤلؤ مملوك الفخر؛ فأمره السلطان أن يعرّفه بما لأستاذه من الأموال، وهدّده تهديدا كبيرا، فالتزم أنه لا يخفى شيئا. ونزل لؤلؤ فكتب عدة أوراق اشتملت على أصناف من البضائع للتجارة، وعلى عدد بساتين ودواليب ومعاصر بأرض مصر وضياع بالشام - كدمشق وحماة وحلب وغزة [1]والقدس وغيرها - منها ما وقفه ومنها ما هو غير وقف. فأوقع السلطان الحوطة على جميع موجوده بديار مصر، وكتب إلى نواب الشام بمثل ذلك؛ ورسم بيع الأصناف، فبلغت قيمة ما وُجد له ألف ألف درهم سوى ما تركه السلطان لأولاده.

وكان النشو فى ابتداء أمره يتخدّم لابن هلال الدولة شاد الدواوين، ويتردّد إليه كثيرا ويبالغ فى خدمته؛ فاستخدمه ابن هلال الدولة فى الأشغال، وقدّمه إلى السلطان، وشكر من كتابته، إلى أن استخدمه السلطان مستوفيا؛ فصار النشو يُعَدّ من إنشاء ابن هلال الدولة. ثم إنه لما أسلم تسمى بعبد الوهاب، وتلقب بشرف الدين؛ فعندما استقرّ عند الأمير آنوك ابن السلطان صار يخلو بالسلطان ويحادثه فى أمر الدولة. ويكثر من الوقيعة فى الدواوين، حتى أثر كلامه فى نفس السلطان، وتصوّر فى ذهنه منه أنه يحصِّل له مالاً كثيرا. فما هو إلا أن استقرّ فى نظر الخاص حتى أخذ يغرى السلطان بأولاد التاج إسحاق حتى غيّره عليهم، فعزل السلطان شرف الدين موسى من نظر الجيش فى نصف شعبان بعد عشرين يوما من توليته، وَوَلّى مكين الدين إبراهيم بن قزوينة عوضه، وأَمَرَ بالقبض على شرف الدين موسى وعلم الدين إبراهيم ولدى التاج ومصادرتهما، فقبُض عليهما فى يوم الخميس سابع عشر شعبان.

وذلك أنه اتفق أن السلطان استدعى ابن هلال الدولة، وأسرّ إليه أن الأمراء إذا دخلو إلى الخدمة وخرجوا يمضى ومعه الشهود وناظر بيت المال، ويحاط على بيوت أولاد التاج إسحاق. فلما جلس القضاة، ووقف الأمراء وأرباب الدولة بالخدمة وشرف الدين موسى بن التاج إسحاق فيهم - التفت السلطان إلى القضاة وأخذ فى الثناء على شرف الدين، وقال فى آخر كلامه: «أنا ربيت هذا وعملته كاتبى» فانفض أهل الخدمة وهم بستعظمون هذا من السلطان فى حقّ ناظر الجيش، وحلّ موسى فى أعينهم. فما هو إلا أن جلس موسى بديوان الجيش من القلعة حتى بلغه أن الحوطة قد وقعت على

---

(١) غزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤. وفى الروض المعطار غزة: موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

بيته، وأن رسل الديوان على باب ديوان الجيش، وبلغ الخبر أيضا إلى أخيه علم الدين إبراهيم وهو جالس والدواوين بين يديه، فنظر فإذا جماعة من الرسل قد وقفوا مرسّمين عليه؛ فأغلق كل منهما دواته، وجلس ينتظر الموت إلى العصر. ثم صعد ابن هلال الدولة بأوراق الحوطة، وهي تشتمل على شيء كثير جدا، منها لزوجة علم الدين إبراهيم أربعمائة سروال. فسُلّم شرف الدين موسى وعلم الدين لإبراهيم بن هلال الدولة، وأحضرت المعاصير؛ وسئل موسى عن صندوق ذُكر أنه أخذه من تركة أبيه، فيه من الجواهر والذهب ما يبلغ مائة ألف دينار صارت إلى أبيه من جهة المكين الترجمان بعد موته؛ فأنكر موسى ذلك وحلف عليه. فرقّ له ابن هلال الدولة و لم ينله بمكروه، فأنكر عليه شرف الدين النشو عبد الوهاب ترك عقوبته، فما زال ابن هلال الدولة يدافع عنه وهو يحمل المال من قبله ومن قبل أخيه شيئا بعد شيء.

وفى ثانى شعبان: خَلع السلطان على شرف الدين أبى بكر بن شمس الدين محمد بن الشهاب محمود، كاتب سرّ فى كتابة السرّ بديار مصر، عوضا عن القاضى محيى الدين ابن فضل الله. واستقرّ ابن الشهاب محمود محيى الدين فى كتابة السرّ بدمشق، وخُلع عليه بذلك بعدما طيب السلطان خاطره وأثنى عليه وشكره. وكان ابن الشهاب محمود قد قدم مع الأمير تنكز، ومثل بين يدى السلطان، فأعجب بشكله؛ وأخذ تنكز يثنى عليه بأنه أمين مأمون الغائلة. وكان محيى الدين بن فضل الله قد ثقل سمعه، فوقع اختيار السلطان أن ينقله إلى دمشق، ويولّى بين يديه عوضه ابن الشهاب محمود؛ فحدّث السلطانُ الأميرَ تنكز فى ذلك، فما وسعه إلا موافقة غرض السلطان فيما أحبّ.

وفيه رسم للأمير تنكز بالعود إلى دمشق، فتوجه من القاهرة يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان.

وفى يوم الأحد عشريه: خلع السلطان على القاضى مكين الدين بن قزوينة واستقرّ فى نظر الجيش، عوضا عن شرف الدين موسى بن التاج ناظر الخاص؛ وقد نقل ابن قزوينة إليها من استيفاء الخاص ونظر ديوان ابن السلطان ونظر ديوان الأمير بشتاك.

وفيه أمر النشو ناظر الخاص وابن هلال الدولة شاد الدواوين بتجهيز السلطان إلى سفر الحجاز، فشرعا فى طلب العربان وإعداد الإقامات من البقسماط والدقيق والشعير وغير ذلك.

وفيه رسم للملك الأفضل صاحب حماة بالتوجه إلى بلده صحبة الأمير تنكز.

وفى يوم الأربعاء ثانى شعبان: استدعى السلطان الأمير صلاح الدين يوسف

المهمندار وخلع عليه، واستقرّ دوادارا عوضا عن الأمير يوسف الجاى بعد موته؛ واستقرّ عوضه فى المهمندارية الأمير سيف الدين جاريك مملوك قفجق الجوكندار.

وفيه وقع الجدّ فى أمر السفر إلى الحجاز، وكُتبت أوراق بأسماء الخواتين وبعض السرارى وبعض الأمراء ليكونوا صحبة السلطان فى سفره. وكُتب إلى نواب الشام باستدعاء ما يحتاج إليه، فشرعوا فى عمل ذلك وحملوه؛ وهو عدة أصناف وكثير من الهجن بسلاسل الذهب والفضة، وعدة من الخيول، وقدّم أيضا عامة أمراء مصر والشام تقادم جليلة على قدر مراتبهم وقَدِمت تقادم أمراء العربان من آل فضل وآل مهنا وآل عيسى، وتنافسوا بأجمعهم فى تقادمهم، وقصد كل أحد أن يمتاز على الآخر. واستدعى السلطان الأمير موسى بن مهنا [1] ليسافر فى الصحبة، وحشر جميع الصناع من القاهرة ومصر للعمل فى هذا المهم.

وفيه نقُل موسى بن التاج إسحاق وأخوه إبراهيم من عند ابن هلال الدولة إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والى القاهرة. ورُسم له بعقوبة موسى حتى يحضر الصندوق. فأمره النشو أن يبسط عليهما أنواع العذاب، ويضرب موسى بالمقارع، فاستأذن السلطان على ذلك، وعرّفه ما أمره به النشو؛ فمنعه السلطان من ضربه بالمقارع، لكنه يهدّده ويضربه تحت رجليه نحو خمس عشرة ضربة. فبعث النشو عندما نزل من القلعة مَنْ يحضر ضَرْبَ موسى بالمقارع؛ غير أن ابن المحسنى عمل بما أشار به السلطان، فأحضر موسى وهدّده، وأمَرَ به فبُطح وضُرب بالعصى نحو عشرين ضربة؛ فتنكّر عليه النشو واشتدّ حنقه عليه.

وفى سادس رمضان: أفرج عن الأمير مغلطاى، بعدما سُجن عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام.

وفى شوال: خرج محمل الحاج إلى البركة على العادة، مع الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى أمير الركب، ورحل فى عشريه. وكان السلطان قد ركب فى ثامن عشره، تزل بسرياقوس ثم استقبل بالمسير إلى الحجاز فى الإثنين خامس عشريه بعدما قدّم حرمه صحبة الأمير طَقَتَمُر فى عدة من الأمراء. واستناب السلطان على ديار مصر سيف الدين ألماس الحاجب، ورسم له أن يقيم فى داره؛ وجعل الأمير آقبغا عبد الواحد

---

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ، واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

داخل باب القلة، برسم حفظ الدور، وجعل الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بالقلعة وأمره ألا ينزل منها حتى يحضر؛ وأخرج كل أمير من الأمراء المقيمين إلى إقطاعه، وتقدم إليهم ألا يعودوا منها حتى يرجع من الحجاز.

وتوجه مع السلطان إلى الحجاز الملك الأفضل صاحب حماة، - وكان قد قدم يوم الأحد سادس عشرى شعبان- ومن الأمراء جنكلى بن البابا، والحاج آل ملك وبيبرس الأحمدى، وبهادر المعزى، وأيدغمش أمير آخور، وبكتمر الساقى وطقزدمر، وسنجر الجاولى وقوصون، وطَايَرْبُغا، وطُغَاى تَمُر، وبَشْتَاك، وأَرُنْبُغا، وَطُغْجى، وأحمد بن بَكْتَمُر الساقى، وصُوصُون، وبَهادُر الناصرى، وجَرْكَتْمُر بن بَهادرُ، وطَيْدَمر الساقى، وآقْبُغا آص الجاشنكير، وطَقْتَمُر الخازن، وطُوغان الساقى وسُوسن السلحدار، وبُلَك، وبَيْبُغا الشمسى، وَبَيغَرَا، وقمارى، وتَمُر المُوسَوِىّ، وأَيْدَمُر أمير جاندار وبَيْدَمُر البَدرى، وطَقْبُغَا الناصرىّ وأيتمش الساقى، وأياز الساقى والْطُنقش، وأنس، وأَيْدَمُر ددُقْمان، وطَيْبُغَا المحمدى، وجاريك، وقُطُز أمير آخور، وبَنيدَمُر، وأَيْبك، وأيْدَمُر العمرى ويحيى ابن طَايَرْبُغا، ومسعود الحاجب، ونورُوز، وكجلى، وبرلغى، وبكجا ويوسف الدوادار، وقطلقتمر السلحدار، ونانق، وساطلمش، وبغاتمر، ومحمد بن جنكلى، وعلى بن أيدغمش، وألجاى، وآقسنقر الناصرى، وقرا، وعلاء الدين على بن هلال الدولة، وتمربغا العقيلى، وقمارى الحسنى، وعلىّ بن أيدمر الخطيرى، وطقتمر اليوسفى، وكل هؤلاء مقدمون وطبلخاناه؛ ومن أمراء العشرات على بن السعيدى، وصاروجا النقيب، وآقسنقر الرومى، وأياجى الساقى، وسنقر الخازن، وأحمد بن كجكن، وأرغون العلائى، وأرغون الإسماعيلى، وبغا، ومحمد بن الخطيرى، وأحمد بن أيدغمش، وطشبغا، وقليجى.

وحج مع السلطان أيضا قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى [١]، وحج أيضا عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وموافق الدين الحنبلى، وعز الدين بن الفرات الحنفى، وفخر الدين النويرى المالكى؛ وكانوا أربعتهم ينزلون فى خيمة واحدة، فإذا تقدمت

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. قاض، من أدباء الفقهاء أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧، ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان، و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١/١٨٦،٢/٢١٧ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٢/٣٢٤ والبدر الطالع ٢/١٨٣ والبداية والنهاية ١٤/١٨٥ والنجوم الزاهرة ٩/٣١٨ ومرآة الجنان ٤/٣٠١ والوافى بالوفيات ٣/٢٤٢ وطبقات الشافعية ٥/٢٨ والدرر الكامنة ٤/٣ والأعلام ٦/١٩٢.

إليهم فتوى كتبوا عليها، وهذا من غريب الاتفاق. وقدّم السلطان الأمير أيتمش إلى عقبة أيلة، ومعه مائة رجل من الحجّارين حتى وسَّعها وأزال وعرها، ومن يومئذ سهل صعودها.

وفيها بلغ ماء النيل عشرة أصابع من تسعة عشر ذراعا.

وفيها طلب الشيخ شمس الدين الأصفهانى من دمشق على البريد إلى القاهرة.

وفيها كملت عمارة جامع الأمير سيف الدين الحاج آل ملك، بالحسينية خارج القاهرة.

وفيها استقرّ علاء الدين على بن منجا فى قضاء الحنابلة بدمشق.

وفيها قبض على الصاحب شمس الدين غبريال، وأحيط بأمواله وأسبابه.

وكان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وذلك فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة وهو ثانى عشر مسرى. وبلغ ثمانية عشر ذراعا وإحدى عشر إصبعا.

* * *

ومات فيها من الأعيان

الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى - ويلقب خَرَز [١] - الوزير، عند نزوله من سطح العقبة، فى يوم الأحد سابع عشر المحرم؛ وحمل إلى القاهرة، فدفن بخانكاته، فى يوم الخميس حادى عشريه؛ وهو من المماليك الناصرية، نقله السلطان وهو شاب من الخاصكية إلى إمرة بهادر الإبراهيمى - المعروف بِرَبْرَابة - نقيب المماليك، وبعثه فى مهماته، ثم ولاهُ أستادارا ووزيرا، وحكّمه فى جميع المملكة؛ وكان جواد عارفا يميل إلى الخير حشما؛ وانتفع به جماعة كثيرة فى ولايته، لأنه كان يأخذ على ولاية المباشرات المالَ، فقصده الناس لذلك، وكان إذا ولّى أحدا وجاء من يزيد عليه عَزَله وولى الذى زاد بعدما يعلم أنه قد استوفى ما قام له به من المال، ومَنْ لم يستوف ذلك لا يعزله؛ ولم يصادر أحدًا فى مدة ولايته، ولا عرف أنه ظلم أحد، بل كانت أيامه مشكورة؛ وكان المستولى عليه مجد الدين إبراهيم بن لفيتة، وترك عدة أولاد من ابنة الأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس؛ وإليه تنسب مدرسة الجمالية بالقرب من درب ملوخيا بالقاهرة.

---

(١) لفظ خرز تركى ومعناه الديك فى اللغة العربية، وأن الوزير مغلطاى كان أميا لا يعرف كتابة اسمه.

وتوفى الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى صاحب حماة، فى سابع عشرى المحرم، عن نحو ستين سنة، كان أولا بدمشق من جملة أمرائها، ثم أعطاه السلطان مملكة حماة ولقبه بالملك الصالح، ثم لقبه بالملك المؤيد، وأركبه فى القاهرة بشعار السلطنة والأمراء مشاة فى خدمته - حتى الأمير أرغون النائب - وقام بجميع ما يحتاج إليه، وأمر نواب الشام أن يكاتبوه بتقبيل الأرض، وكتب هو إليه: «أخوه محمد بن قلاوون»؛ وكان كريما فاضلا فى الفقه والطب وغير ذلك، وله عدة مصنفات، منها تاريخ جيد، وله شعر بديع.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الربيعى الجعبرى [1] شيخ القراءات فى شهر رمضان.

وتوفى صدر الدين أحمد بن محمد بن عبدا لله الدندرى الشافعى، فى ليلة الجمعة ثامن جمادى الآخر. وكان من شيوخ القراءات وفضلاء الفقهاء بقوص [2].

وتوفى الأمير سيف الدين الجاى الدوادار، يوم الإثنين مستهل شعبان.

ومات الديستى والكنجارى، فى يوم الأحد خامس شهر ربيع الأول.

وتوفى القاضى فخر الدين محمد بن فضل ا لله ناظر الجيش، يوم الأحد سادس عشر رجب.

وتوفى سُونتَاى نوين حاكم ديار بكر [3]، عن نحو المائة سنة؛ وحكم بعده على بادشاه خال بوسعيد.

و توفى ياقوت بن عبدا لله الحسنى الشاذلى، تلميذ أبى العباسى المُرسى، ليلة الثامن

---

(١) إبراهيم بن عمر بن خليل الجعبرى، أبو إسحاق: عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. له نظم ونثر. ولد بقلعة جعفر أعلى الفرات، بين نابلس والرقة، وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل فى فلسطين إلى أن مات. له نحو مائة كتاب أكثرها مختصر، منها «خلاصة الأبحاث» و«شرح الشاطبية». انظر الأنس الجليل ٤٩٦/٢ والبداية والنهاية ١٦٠/١٤ والدرر الكامنة ٥٠/١ وغاية النهاية ٢١/١ وعلماء بغداد ١٢ وطبقات الشافعية ٨٢/٦ وتاريخ العراق ٥١٠/١ والأعلام ٥٥/١،٥٦.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر؛ بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر، معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٣) بلاد واسعة، حدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وأمد وميافارقين. انظر معجم البلدان ٤٩٤/٢.

عشر من جمادى الآخرة؛ وكان شيخا صالحا مباركا ذا هيئة ووقار، لم يخلف فى الإسكندرية مثله.

وتوفى الشيخ عبد العال خليفة أحمد البدوى، بطنطا [١] فى ذى الحجة؛ وله شهرة بالصلاح، ويقصد للزيارة والتبرك به.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى المسعودى، يوم السبت سابع ذى القعدة، بعد خروجه من السجن بقليل.

* * *

(١) من قرى مصر على النيل المفضى إلى المحلة، وهى من كورة الغربية، بينها وبين المحلة ثمانية أميال. انظر، معجم البلدان ٤/٤٣.

سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

فى ثامن المحرم: قدم الأمير بلك الجمدار المظفرى مبشرا بسلامة السلطان؛ فدقّت البشائر، وخلِعَت عليه خلع كثيرة، واطمأنّ الناس بعدما كانت بينهم أراجيف؛ وُعيّنت الإقامات للسلطان والأمراء.

وكان السلطان لما قرب فى مسيره من عقبة أيلة بلغه اتفاق الأمير بكتمر الساقى على الفتك به مع عدة من المماليك، فتمارض وعزم على الرجوع إلى مصر؛ فوافقه الأمراء على ذلك إلا بكتمر الساقى فإنه أشار بإتمام السفر، وشنع عوده قبل الحج. فسير السلطان ابنه آنوك وأمه إلى الكرك، صحبة الأمير ملكتمر السرجوانى نائب الكرك وكان قدم إلى العقبة، ومعه ابنا السلطان أبو بكر [1] وأحمد ثم مضى السلطان فى يوم هو محترز غاية التحرّز، بحيث أنه ينتقل فى الليل عدة مرات من مكان إلى آخر، ويخفى موضع مبيته من غير أن يظهر أحدا على ما نفسه مما بلغه، إلى أن وصل إلى ينبع. فتلقّاه الأشراف من أهل المدينة بحريمهم، وقدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة ومعه قواده وحريمه؛ فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وساروا معه إلى أن نزل خُليص فى ثلاثين مملوكا إلى جهة العراق.

فلما قدم السلطان مكة أكثر بها من الإنعام على الأمراء، وأنفق فى جميع من معه من الأجناد والمماليك ذهبا كثيرا، وعمّ بصدقاته أهل الحرم. فلما قضى النسك عاد يريد مصر، فلما وصل إلى المدينة النبوية هبّت بها فى الليل ريح شديدة جدا ألقت الخيم كلها؛ وتزايد اضطراب الناس، وفرّ منهم عدة من المماليك؛ واشتدّت ظلمة الجوّ، فكان أمرا مهولا. فلما كان النهار سكن الريح، فظهر أمير المدينة بمن فرّ من المماليك؛ فخلع السلطان عليه، وأنعم عليه بجميع ما كان مع المماليك من مال وغيره. وبعث السلطان بالمماليك إلى الكرك، وكان آخر العهد بهم.

وقدم السلطان إلى القاهرة فى يوم السبت ثامن عشر المحرم، بعدما ورد الخبر بموت

---

(١) أبو بكر بن محمد بن قلاوون، سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة فتولاها بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١هـ، ثم قبض عليه قوصون وأرسله إلى السجن فى قوص وأمر بقتله، مدة سلطنته ثلاثة أشهر. انظر بدائع الزهور ١٧٦/١ والبداية والنهاية ١٩٠/١٤، ١٩١ والنجوم الزاهرة ٣٠/١٠ والأعلام ٦٩/٢.

بكتمر الساقى وولده وكثرت الإشاعات. وقد خرج معظم الناس إلى لقائه، بحيث غلقت أسواق القاهرة ومصر؛ وخرج شرف الدين النشو، فبسط الشقاق الحرير والزَّر بفت [١] التى جباها من الأمراء المقيمين وأرباب الدولة - من بين العروستين إلى باب الإصطبل. فلما توسط السلطان بين الجبلين صاحت العامة: «هوإياه؟ ما هوإياه؟ با لله اكشف لثامك وأرنا وجهك!!». وكان السلطان قد تلثم، فحسر اللثام عن وجهه، فصاحوا بأجمعهم: «الحمد لله على السلامة»، وبالغوا فى إظهار الفرح به والدعاء له، فسرّه ذلك منهم. وصعد السلطان القلعة، فدقّت البشائر، وعملت الأفراح ثلاثة أيام. وكانت حجة السلطان هذه يضرب بها الأمثال: أبيع بمكة فيها الأردب من الشعير من عشرة دراهم إلى عشرين درهما؛ وأبيع البقسمات بالعدل، فكان يقف كل رطل منه بفلس واحد؛ وأبيع السكر كل رطل بدرهمين، والعلبة الحلوى بثلاثة دراهم. وقدمت تنكز نائب الشام إلى خليص [٢]، فعمت الناس وأنعم السلطان على جميع أهل مكة، وكان إنعامه على الشريف رميثة بخمسة آلاف دينار، وعلى زوجته بخمسمائة دينار، وذلك سوى ما أنعم به على البنات وغيرها. فقدّم له رميثة مائة فرس، وألف رأس من الغنم؛ فردّ الجميع وأخذ منها فرسين لا غير.

وفى يوم الإثنين عشريه: جلس السلطان بدار العدل، وخلع على جميع الأمراء والمقدمين، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة.

وفيه منع السلطان النشو من التعرض لمباشرى بكتمر الساقى وسائر ألزامه، وطلب المهذب كاتب بكتمر، وألزمه بكتابة ما خلفه؛ فوجد له ستة وثلاثون ألف أردب غلة، ومن السلاح والجوهر وغيره ما زادت قيمته على مائة ألف دينار؛ واتهم موسى الصير فى أنه خصّه مما سرقه مباشروه خمسة وعشرون ألف دينار. ثم عرض السلطان مماليك بكتمر، وأخذ منهم جماعة؛ وأنعم على الأمير بشتاك بإقطاع بكتمر وجميع حواصله ومغله، ثم زوجه زوجته بعد وفاء عدتها.

وفى ثالث عشريه: سافر الأفضل صاحب حماة.

وفيه قدم البريد من تنكز نائب الشام بتهنئة السلطان بقدومه سالما، وطلب الإذن له فى القدوم إلى القاهرة؛ وشكا تنكز من الأمير طينال نائب طرابلس، لترفعه عليه وخرق

---

(١) على هامش ط: الزر بفت القماش المنسوج معظمه من خيوط الذهب، وهو لفظ فارسى الأصل.

(٢) حصن بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٢/٣٨٧.

حرمته، وإعراضه عما يكاتبه فيه. فأجيب بالشكر والإذن له بالحضور، وعزل طينال واستقر الأمير قرَطاى عوضه؛ ونُقل طينال إلى نيابة غزة إهانه له. وركب الأمير يبغرا البريد لتقليد المذكورين، وقد أوصاه السلطان إلى رأى من طينال كراهة لنيابة غزة يقبضه ويحضر به مقيدا.

وفيه كُتب بإضافة غزة إلى نيابة الشام، وأن نائبها يكاتب نائب الشام فيما يعنّ له من الأمور، ولا يكاتب السلطان.

وفى يوم الإثنين خامس صفر: قدم الصاحب أمين الدين عبدا لله بن الغنام باستدعاء، وخلع عليه؛ واستقرّ فى نظر الشام ونظر الخاص بها ونظر الأوقاف، عوضا عن الشمس غبريال؛ وكُتب توقيعه من إنشاء الصلاح خليل بن أيبك الصفدى، وسافر فى حادى عشره.

وفيه أنعم على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جنكلى بن البابا بإمرة طبلخاناه، وأنعم بعشرة على أخيه.

وفى هذا الشهر: كثرت مصادرات النشو للناس: فأقام من شهد على التاج إسحاق أنه تسلّم من المكين الترجمان صندوقا فيه ذهب وزمرّد وجوهر مثمن، فرُسم لابن المحسنى بعقوبة موسى بن التاج إسحاق حتى يحضر الصندوق. وطلب النشو ولاة الأعمال وألزمهم بحمل المال، وبعث أخاه لكشف الدواليب بالصعيد وتتبّع حواشى ابن التاج إسحاق؛ فقدم قنغلى والى البهنسا [١]، وقتشمر والى الغربية، وفخر الدين إياس متولى المنوفية [٢]، وعدة من المباشرين؛ فتسلمهم ابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال.

وفى يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول: توجه الأمير سيف الدين بيغرا لتقليد الأمير شهاب الدين قرطاى نيابة طرابلس، عوضا عن طينال، وقد نقل قرطاى إليها من إمرة بدمشق؛ واستقر طينال فى نيابة غزة.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى جمادى الأولى: قدم الأمير تنكز نائب الشام، فأكرمه السلطان إكراما زائدا على عادته.

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان ١/٥١٦، ١٥٧.

(٢) هى من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٦.

وفيه تفاوض شرف الدين أبو بكر محمد بن الشهاب محمود كاتب السرّ والأمير صلاح الدين يوسف الدوادار، حتى توحش ما بينهما، وارتفعا إلى السلطان. فسأل كاتب السر أن يعود إلى الشام، فأجيب إلى ذلك؛ وكتب بطلب محيى الدين يحيى بن فضل الله كاتب السرّ بدمشق، ليستقرّ فى كتابة السرّ.

وفيه قدم البريد بموت قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق، فتروى السلطان أياما فيمن يولى عوضه، إلى أن تعين فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبدالله بن أحمد بن على بن الحلى؛ فخلع عليه فى أول صفر، وسافر إليها فى تاسع عشر صفر.

وفى تاسع جمادى الآخرة: خلع على الأمير تنكز خلعة السفر؛ وتوجه إلى دمشق، وصحبته ابن الحلى ناظر الجيش، وشرف الدين بن الشهاب محمود كاتب السرّ.

وفى سلخ جمادى الآخرة: قدم محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى من دمشق بأولاده، فخلع عليه؛ واستقرّ فى كتابة السرّ عوضا عن ابن الشهاب محمود؛ وخلع على أولاده.

وفيه قدم ناظر حلب وعامة مباشريها، فتسلمهم ابن هلال الدولة لعمل الحساب وسبب ذلك أنه لما مات فندش ضامن دار الطعم وعدّاد الأغنام بحلب، قام بعده من ضمن الجهتين؛ فسعى بدر الدين لؤلؤ الحلبى مملوك فندش فى الضمان، فلم يجب إليه لسوء سيرته، فكتب إلى السلطان بأنه يعين فى جهة مباشرى حلب أموالا عظيمة أهملوها وصالحوا عليها؛ فطلبوا لذلك. وكان لؤلؤ قد حضر إلى القاهرة، فعينه السلطان شاد الدواوين بحلب، فسافر إليها صحبه الأمير سيف الدين جركتمر الناصرى، وأخذ فى كشف أحوال المباشرين ومحاققتهم بناء عن أمر السلطان.

وفيه قدم المخلص أخو النشو من كشف الدواليب والزراعات بالوجه القبلى، فأغرى النشو السلطان بمباشرى الوجه القبلى، وأنهم فرّطوا فى مباشراتهم، وأتلفوا عدة أموال للسلطان. فكُتب بالحوطة على جميع مباشرى الوجه القبلى شادّيه وعماله وشهوده والمتحدثين، وحَملهم وحمل الأمير أحمر عينه وإيقاع الحوطة على موجوده كله - وكان قديم المباشرة فى الدواليب، وله سعادة جليلة - وحمل عز الدين أيبك شاد الدواليب - وكان أيضا صاحب أموال جزيلة - فأوقعت الحوطة على أموال الجميع، وحُملوا إلى القاهرة.

وفيه طلب النشو تجار القاهرة ومصر، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب

والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمته، وركب إلى دار القند، واعتبر أوزان القنود الواصلة إلى الأمراء من معاصرهم وغيرها، وكانت شيئا كثيرا. وكان السلطان قد رسم للأمراء بمسامحتهم بما عليها للديوان، فألزم النشو مباشريهم بما عليهم للديوان عنها، ولم يمتثل ما فى المراسيم السلطانية من مسامحتهم. ثم ركب النشو إلى السلطان، وعرّفه بأن الذى للديوان على القنود التى اعتبرها فى يومه مبلغ ستة آلاف دينار، وأنه كلّ قليل يرد للأمراء من القنود مثل ذلك وأكثر منه، وأنّ مال السلطان يذهب فى هذا وأمثاله، فإن الدواوين تسرق بحجة مسامحة الأمراء شيئا كثيرا. فأثّر ذلك فى نفس السلطان، ومكّن النشو من عمل ما يختاره، وألا يسامح أحدا بشىء مما عليه للديوان. فشق ذلك على الأمير قوصون، وحدث السلطان فى إمضاء ما رسم له به من المسوح عن القند؛ فلم يجبه السلطان إلى ذلك، ووعده أنه يعوّضه عليه بأكثر منه. فانكفّت الأمراء عن السؤال، وعظم النشو بهذا فى أعين الناس.

واستدعى النشو ابن الأزرق ناظر الجهات - وكان ظلوما غشوما - فكتب له أسماء أرباب الأموال من التجار، وطرح عليهم قماشا- استدعى به من الإسكندرية - بثلاثة أمثال قيمته، وأخرق بمن عارضه منهم؛ وحمل النشو للسلطان من هذا وشبهه أموالا عظيمة.

وفيه قدم الصاحب شمس الدين عبدا لله غبريال بن أبى سعيد بن أبى السرور من دمشق فألزم بحمل أربعين ألف دينار وضعها كريم الدين عنده ليتجر له بها، وحمل ما أخذه فى مباشرته من مال السلطان؛ وكان ذلك بإغراء النشو. فقام فى أمره الأمير بتشاك والأمير قوصون حتى يقرر عليه ما يحمله من غير أهنة، فحمل ألف ألف درهم.

وعمّت مضرة النشو الناس جميعا، وانتمى إليه عدة من الأشرار، ونمّوا على الكافة من أهل القبلى والوجه البحرى، ودلوه على منْ عنده شىء من الجوارى المولّدات لشغف السلطان بهن، فحملت إليه عدة منهن بطلبهن من أربابهن؛ وسعوا عنده بأرباب الأموال أيضا، فدهى الناس منه بلاء عظيم.

وفى سلخ شوال: أخرج صلاح الدين الدوادار على البريد منفيا إلى صفد، وخُلع على سيف الدين بغا الدوادار الصغير عوضه. وسبب ذلك أنه كان مترفعا، يعامل رفقاءه بشمم وتكبر. وكان شهاب الدين أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل ا لله [1] كاتب

---

(١) أحمد بن يحيى بن فضل ا لله القرشى العدوى العمرى، شهاب الدين: مؤرخ، حجة فى معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام فى الترسل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره=

السرّ يباشر عن أبيه وعن جدّه فى مزاحة وقوّة نفس، فسلك صلاح الدين معه مسلكه مع ابن الشهاب محمود؛ فلم يحتمل شهاب الدين ذلك منه، وصار بينهما شنان، إلى أن اتفق فى بعض الأيام ذكرُ السلطانِ الفخرَ - ناظر الجيش، فترحم عليه، فقال صلاح الدين: «يا خوند [(١)]! لا تترحم علَى ذاك، فإنه ما كان مسلما». فغضب السلطان من معارضته له، وقال: «والله يا صلاح الدين هو أيضا كان يقول عنك أنك لست بمسلم»؛ وتبين فى وجه السلطان الغضب، وانفضّ المجلس. فذكر بعد ذلك صلاح الدين عند السلطان فقال عنه: «ذاك ما يتحدث عن أحد بخير»؛ فانتهز ابن فضل الله الفرصة فى صلاح الدين، ومازال به حتى أبعده السلطان وعزله فى يوم الأربعاء حادى عشر رمضان، وأقام سيف الدين بغَا دوادارا عوضه؛ ثم أخرج صلاح الدين أميرًا بصفد، فى سلخ شوال.

وفى هذه السنة: أخذ الأمير قوصون دار الأمير بيسرى بالقاهرة - وكانت وقفا - فعمل محضر بشهود القيمة أن قيمتها مبلغ مائة وتسعين ألف درهم وتكون الغبطة للأيتام عشرة آلاف درهم، فكملت مائتان ألف؛ فحكم القاضى شرف الدين الحرانى الحنبلى ببيعها وشراء عقار بثمنها. وهذا بعد أن كان كتاب وقف بيسرى لها فيه من الشهود عدة اثنين وسبعين عدلا، منهم تقى الدين ابن دقيق العيد [(٢)]، وتقى الدين بن رزين، وتقى الدين ابن بنت الأعز [(٣)]، وذلك قبل بلوغهم درجة القضاء؛ فكان هذا مما شنع ذكره، فإنها دار يجل وصفها ويتعذر وجود مثلها.

=وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيز خان إلى عصره. مولده ومنشوه ووفاته فى دمشق. من تصانيفه «سالك الأبصار فى ممالك الأمصار». انظر فوات الوفيات ٧/١ وابن الوردى ٣٥٤/٢ والدرر الكامنة ٣٣١/١ النجوم الزاهرة ٣٣٤/١٠ وآداب اللغة ٢٢٦/٣ والأعلام ٢٦٨/١.

(١) لقب يطلق على الملوك.

(٢) محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقى الدين القشيرى، والمعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد، أصل أبيه من منفلوط (بمصر) انتقل إلى قوص، وولد له ابنه فى ينبع فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. له تصانيف منها «إحكام الأحكام» فى الحديث. انظر الدرر الكامنة ٩١/٤ ومفتاح السعادة ٢١٩/٢ وفوات الوفيات ٢٤٤/٢ وشذرات الذهب ٥/٦ وإحكام ١٤/١ وخطط مبارك ١٣٥/١٤ والأعلام ٢٨٣/٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامى المصرى الشافعى: وزير، فقيه، له نظم حسن. ولى الوزارة مع القضاء بمصر، ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعى. وتوفى كهلا، انظر فوات الوفيات ٢٥٦/١ وابن كثير ٣٤٦/١٣ والنجوم الزاهرة ٨٢/٨ والأعلام ٣١٥/٣.

وفيها عمل السلطان باب من خشب السنط [١] الأحمر، وصفّحه بفضة زنتها خمسة وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم؛ ومضى به الأمير سيف الدين، برسبغا الساقى إلى مكة، فقلع باب الكعبة العتيق، وركب هذا الباب وأخذ بنو شيبة الباب العتيق، وكان من خشب الساسم [٢] المصفح بالفضة، فوجدوا عليه ستين رطلا من فضة تقاسموها؛ وترك خشب ذلك داخل الكعبة، وعليه اسم صاحب اليمن فى الفردتين، واحدة عليها: «اللهم يا ولى يا على! اغفر ليوسف بن عمر بن على» [٣]

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى ذى القعدة وحادى عشر مسرى: كان وفاء النيل، وبلغ سبعة عشر ذراعا وثمانى أصابع.

وفيها هدمت قاعة الصاحب وقاعة الإنشاء بقلعة الجبل، ورسم أن تكون دار الوزارة وقاعة الإنشاء بدار التيابة. وكانت دار الوزارة قد عمرت فى الأيام الأشرفية برسم ابن السلعوس.

وفى عشرى ذى الحجة: قبض الأمير ألماس الحاجب وأخوه قرا، وسجنا مقيدين؛ ثم أخرج قرا إلى الإسكندرية فى رابع عشريه.

وفى حادى عشريه: خُلع على الأمير بدر الدين مسعود بن خطير، واستقرّ حاجبًا عوضا عن ألماس.

* * *

ومات فيها من الأعيان

ناظر الجيش بدمشق قطب الدين بن موسى بن أحمد بن الحسن المعروف بابن شيخ السلامية عن اثنتين وتسعين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر المرزوقى، فى يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان.

---

(١) هو خشب من القصليلة القرينة، ثمره القرظ ينمو بمصر والشام.واحدته سنطة. انظر المعجم الوسيط (سنط).

(٢) الساسم شجر ذو خشب أسود، وهو الأبنوس أو الشيزى ومنه تعمل القسى.

(٣) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور نور الدين) بن على بن رسول التركمانى اليمنى، شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة. وولى بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧هـ، بصنعاء وأحسن صيانة الملك وسياسته. طالت مدته. استمر إلى أن توفى بتعز. انظر العقود اللؤلؤية ١/٥٠،٨٥،٨٨-٢٨٤ وابن الوردى ٢/٢٤٠ابن الفرات ٨/٢٠٢ والبداية والنهاية ١٣/٢٤١ والنجوم الزاهرة ٨/٧١ الكتبخانة ٦/٤١ والأعلام ٨/٢٤٣/٢٤٤.

وتوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة [١] الحموى الشافعى، فى حادى عشر جمادى الأولى، وهو معزول، بعدما عمى.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكرى النويرى [٢] الشافعى، صاحب كتاب التاريخ، فى الحادى والعشرين من رمضان.

ومات الأمير أحمد بن بكتمر الساقى بوادى عنتر من طريق الحجاز فى المحرم؛ واتهم السلطان بأنه سمّه، فحُمل مصبّرا.

ومات الأمير بكتمر الساقى بعد موت ولده بثلاثة أيام؛ وكان موت ولده الأمير أحمد فى ليلة الثلاثاء سابع المحرم - ورحل إلى نخل[٣] فدفن بها - وموت الأمير بكتمر يوم الجمعة عاشر المحرم - وقد حمل إلى عيون [٤] القصب، فدفن بها - ثم نقل بكتمر وولده إلى خانكاته من القرافة بالقاهرة، فدفنا بها يوم الأحد سابع ربيع الآخر واتهم السلطان بأنه سمّ بكتمر أيضا، وذلك أنه كان قد عظم أمره بحيث أن السلطان فى هذه الحجة كان معه ثلاثة آلاف ومائة عليقة، وكان مع بكتمر ثلاثة آلاف عليقة؛ وبلغت عدة خيوله مائة طوالة بمائة سايس بمائة سطل، وكان عليق خيله دائما ألفا ومائة عليقة كل يوم. فلما توجه مع السلطان إلى الحج وشى به أنه يريد قتل السلطان، فتحرّز السلطان على نفسه غاية التحرّز، وكان فيه من الدهاء والمكر ما لا يوصف،

---

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. له تصانيف منها «المنهل الزوى فى الحديث النبوى». انظر فوات الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٤٨٠/٢ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ ودار الكتب ٥٣٥/٥ والأعلام ٢٩٧/٥،٢٩٨.

(٢) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى: عالم بحاث غزير الاطلاع. نسبته إلى نويرة من قرى مصر. مولده ومنشأه بقوص. تقلب فى الخدم الديوانية، وباشر نظر الجيش فى طرابلس وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية له مصنفات منها «نهاية الأرب فى فنون الأدب». توفى بالقاهرة. انظر الطالع السعيد ٤٦ والدرر الكامنة ١٩٧/١ والنجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ والبداية والنهاية ١٦٤/١٤ والأعلام ١٦٥/١.

(٣) موضع على مسافة مرحلتين من المدينة فى طريق الشام. انظر معجم البلدان ٧٦٨/٤،٧٦٩، والروض المعطار ٥٧٦، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٣٠٣.

(٤) تقع هذه البلدة فى طريق الحجاز بين العقبة والمويلح، وعلى مقربة من شاطئ البحر الأحمر.

فأخذ يدبر على بكتمر ويلازمه بحيث عجز بكتمر أن ينظر إلى زوجته، فإنه كان إذا ركب أخذ يسايره بجانبه، وإذا نزل جلس معه، فإن مضى إلى خيامه بعث فى طلبه، بحيث إنه استدعى به - وهو يتوضأ بواحد بعد الآخر من الجمدارية، حتى كمل عنده عدة اثنى عشر جمدارا. فلما ثارت الريح بالمدينة قصد السلطان فى تلك الليلة اغتيال بكتمر وولده، وأعدّ لذلك جماعة؛ فهجموا على أحمد بن بكتمر فلم يتمكنوا منه، واعتذروا بأنهم رأوا حرامية وقد أخذوا لهم متاعا، فمرّوا فى طلبهم؛ فداخل الصبىّ منهم فزع كثير غُشى عليه منه. وزاد احتراز السلطان على نفسه، وتقدم بأن تنام الأمراء بمماليكهم على بابه. وسار السلطان من المدينة، فيقال إنه سقى الصبى ماء باردا فى مسيره كانت فيه منيته، ثم بعد قليل سقى بكتمر بعد موت ولده مشروبا، فلحق به. واشتهر ذلك، حتى إن زوجة بكتمر لما مات صاحت، وقالت للسلطان بصوت سمعه كل من حضر: «يا ظالم ! أين تروح من الله؟ ولدى وزوجى؟ زوجى كان مملوكك، ولدى إيش كان بينك وبينه؟»، وكرّرت هذه مرارا، فلم يجبها. وقد ذكرنا ترجمته فى كتابنا الكبير المقفى بما فيه كفاية؛ إذ هو كتاب تراجم ووفيات، كما أن هذا كتاب حوادث وماجريات.

ومات علم الدين المشطوب، يوم الأحد تاسع عشرى ذى القعدة.

ومات جمال الدين أبو الحسين بن محمود بن أبى الحسين محمود بن أبى سعيد بن أبى الفضل بن أبى الرضا الربعى البالسى، إمام السلطان، فى سابع عشر رمضان؛ ومولده سابع عشر رجب سنة ست وأربعين وستمائة؛ واسمه كنيته، وكان فاضلا، كتب بخطه كتبا كثيرة.

ومات جَدّى الشيخ محيى الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزى، بدمشق فى ثامن عشرى ربيع الأول؛ وكان فقيها حنبليا محدثا جليلا، سمع بعلبك من زينب بنت كندى، وبدمشق من عمر بن القواس وجماعة؛ وحدّث وكتب بخطه كثيرا، وقرأ كثيرا؛ وقدم القاهرة، وعدّ من أعيان الفقهاء المحدثين.

* * *

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

فى أول المحرم: أحيط بحواصل الأمير ألماس الحاجب، وكان قبض عليه وعلى أخيه الأمير قرا وسبب التغير على ألماس أنه كان نائب الغيبة مدة سفر السلطان بالحجاز، وسكن فى دار النيابة بالقلعة، وسكن الأمير آقبغا عبد الواحد داخل باب القلة من القلعة؛ فحفظ آقبغا عليه أشياء غير بها قلب السلطان لوجدة [١] كانت بينه وبين ألماس: منها أنه كان يتراسل هو والأمير جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك، لميل كل منهما إلى الآخر؛ ومنها كثرة أفعال ألماس للأمور القبيحة، من انهماكه فى الميل إلى الأحداث وإسرافه فى ذلك، حتى إنه كان بجوار دار النيابة مسجد ففتح منه بابا وصار يعبر بالأحداث من ذلك إليه، واشتدّ شغفه بغلام يدعى عمير من أولاد الحسينية، وأكثر من النزول من القلعة وجمع الأويراتية مع المذكور للشرب؛ هذا مع ما حفظ عليه من الكلام السيئ فى وقت الإرجاف بالسلطان وهو مسافر، وكثرة ماله وتنميته من وجوه منكرة، فإنه غرّس بساتين بناحيتى بهواش [٢] والنعناعية من المنوفية، وجلب عددا كثيرا من الخنازير وسمنهم بها، وباعهم على الفرنج ببضائع، وحمل سلاحا كثيرا إلى بلاد الشرق تعوض به أصنافا للمتجر؛ فاتسعت أمواله وتكثر بها، وقال غير مرة للأمراء: «عندى الذهب والدراهم ! ومن فيكم مثلى؟»، وزاد فى هذا المعنى، وآقبغا عبد الواحد يضبط عليه مساوئه، ويسعى به إلى السلطان حتى غيره عليه. ويقال إن السلطان وجد فيما خلّفه الأمير بكتمر الساقى جزدان [٣] فيه كتب من جملتها كتاب ألماس إليه يتضمن «إننى أحفظ لك القلعة حتى يرد علىّ منك ما أعتمده»، فلم يصبر له السلطان على هذا.

ولما قبضه السلطان، وقبض على أخيه قرا وكان ظالما غشوما حمارا - نزل النشو وابن هلال الدولة وشاهد الخزانة لضبط موجوده؛ فوجد له ستمائة ألف درهم فضة، ومائة ألف درهم فلوس، وأربعة آلاف دينار مصرية، وثلاثون حياصة ذهب كاملة بكلفتاتها الذهب وخلعها الحرير، وبعض جوهر، وعدة أشياء ثمينة؛ وقبض

---

(١) يقال وجَدَ فلانٌ يجد وَجْدًا: حزن، ووجد عليه، مَوْجِدَةً: غضب، ووجد به وجدًا: أحبه. انظر المعجم الوسيط (وجد).

(٢) بهواش قرية من مديرية المنوفية، بمركز أشمون جريس، قرب ترعة النعنا.

(٣) كلمة مركبة من اللفظ العربى جزء واللفظ الفارسى دان، ومعناها خريطة من الجلد ذات طبقات تودع الأوراق، ومنها ما يحمل كالقلادة ويقال له الحمال.

على عبد له رباه صغيرا، فعاقبه السلطان حتى اعترف على كل من كان يحضر إليه من الأحداث وغيرهم.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بقتل ياسور أحد ملوك المغل وقت رمى الجمرات. وكان من خبره أن ملك الشرق أبا سعيد بن خربندا لما قتل جوبان أراد إقامة ياسور لأنه من عظماء القان، فخُوف من شجاعته، وأن جوبان كان يريد إقامته فى الملك، فنفر منه أبو سعيد؛ ثم إنه استأذنه فى الحج فأذن له، وقام له بما يليق به. ثم طلب أبو سعيد المجد السلامى، وكتب إلى السلطان يعرّفه بأمر ياسور، ويخوّفه منه أن يجتمع عليه المغل، ويسأله قتله. فدفع السلامى كتاب أبى سعيد إلى مملوكه قطلوبك السلامى، فقدم على السلطان أول ذى القعدة من السنة الماضية؛ فأركبه السلطان النجيب [1] فى عاشره إلى مكة، ومعه كتاب إلى الأمير برسبغا الحاجب - وقد حج من مصر بطلب الشريف رميثه وموافقته سرًّا على قتل ياسور. فقدم قطلوبك مكة أول ذى الحجة، فلم يوافق رميثة على ذلك، واعتذر بالخوف. فأعدّ برسبغا بعض نجابته من العربان لذلك، ووعده بما ملأ عينه. فلما قضى الحاج النسك من الوقوف والنحر، وركب ياسور فى ثانى يوم النحر لرمى الجمار، ركب برسبغا أيضا؛ فعندما قارب ياسور الجمرة وثب عليه النَجّاب، وضربه فألقاه إلى الأرض، وهرب نحو الجبل؛ فتبعه مماليك برسبغا وقتلوه أيضا، خشية من أن يعترف عليه. فاضطرب حجاج العراق وركبت فرسانهم وأخذوا ياسور قتيل فى دمائه، وساروا إلى برسبغا منكرين ما حل بصاحبهم؛ فتبرّأ برسبغا من ذلك وأظهر التزغم له، وقرَّر عندهم: «أن هذا الذى قتل هو من له عليه ثأر أو أحد غرمائه، وإنكم كُفيتم أمره، فإنى أخذت لكم بثأره وقتل قاتله». فانصرفوا عنه وفى نفوسهم منه شىء، ومازالو له بالمرصاد وهو منهم محترز منهم حتى افترق ركب الحاج العراقيين من المصريين بالمدينة النبوية، فأمن برسبغا على نفسه، وتقدم الحاج إلى السلطان مع المبشرين.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الآخر: خلع على الأمير سيف الدين جاريك المهندار، واستقر حاجبا وترتب عوضه مهمندارا الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدى شاد الشراب خاناه.

وفى عشرى رجب: خلع على الأمير سيف الدين محمود بن خطير - أخو الأمير بدر

---

(١) والنجيب من الإبل، والجمع النجب والنجائب، وقد تكرر فى الحديث ذكر النجيب من الإبل، مفردًا ومجموعًا، وهو القوى منها، الخفيف السريع، وناقة نجيب ونجيبة. انظر: لسان العرب ٤٣٤٣/٤٣٤٢.

الدين مسعود الحاجب - واستقرّ حاجبا؛ وكان قد قدم من دمشق فى سابع عشرى ربيع الآخر.

وفى يوم الخميس ثامن عشرى جمادى الآخرة: قدم الأمير تنكز نائب الشام إلى غزة، وقدَّم مملوكه يستأذن فى دخوله كما هى عادته؛ فرسم له بسرعة الحضور، وألا يتحدث فى شىء من أمر ابن هلال الدولة، فإن السلطان قد تغير عليه؛ فقدم.

وفى هذه الأيام: شفع الأمير قوصون فى عود جمال الدين عبدالله ابن قاضى القضاة جلال الدين من دمشق، بدخلة أبيه عليه فى ذلك؛ فأجابه السلطان. وقدم جمال الدين إلى القاهرة على البريد، فأقبل على عادته من اللهو، وعمَّر دارا على النيل بجوار دار أبيه، وتجاهر بما لا يليق. فتقدم أمر السلطان إلى ابن المحسنى والى القاهرة أن يتحيل فى كبسه وإشهاره، وأحس عبدالله بذلك، فكف عما كان يعانيه من اللعب.

وفى يوم السبت نصف رجب: قدم بدر الدين لؤلؤ الحلبى مملوك فندش - بفاء مفتوحة ونون ساكنة، ثم دال مهملة مفتوحة بعدها شين معجمة - وسيف الدين الأكز من الشام. فأحضرهما السلطان، وطلب مباشرى حلب وهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسينى، والقاضى جمال الدين بن ريان ناظر الجيش، وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش، وعمه المحبى عبد القادر عامل المحلولات، والحاج إسماعيل بن عبد الرحمن العزازى، والحاج على بن السقا، وغيرهم. فحاققهم لؤلؤ وبالغ فى رميهم بأخذ الأموال السلطانية، وجاهرهم بالسوء من القول بين يدى السلطان، والتزم بأنه إن مكن منهم استخلص منهم مائة ألف دينار. فطلب النشو بعد إخراجه، ووقع الكلام بينه وبين السلطان فى ذلك وأمثاله من تحصيل الأموال؛ فأخذ النشو يقرر معه أن الأمراء قد أخذوا مساميح بمتاجرهم، ويتحصل من هذا إذا ضبطت عليها فى كل سنة للديوان زيادة على مائتى ألف دينار، وأنه لا يتمكن مع قيام الأمير قوصون والأمير بشتاك أن يجمع للسلطان شيئا من ذلك المال، فإنهما وأمثالهما قد اعتادوا من المباشر للسلطان أن ينفق المباشرون عليهم نصف متحصل الديوان برطيلا [١] وأنه فقير ليس له مال يبرطل به له ولا هو ممن يبرطل بمال السلطان، وأنه لو سلم منهم لملأ خزانة السلطان وحواصله أموالا، لكنه يخشاهم أن يغيروا السلطان عليه. ورمى النشو المباشرين مع ذلك بعظائم من كثرة أموالهم ونعمهم، مما أخذوه فى مباشراتهم من مال السلطان. فأذن له السلطان فى عمل ما يختاره، وأن يتصرف فى الدولة ولا يبالى بأحد، ووعده بتقوية يده وتمكينه ومنع من يعارضه.

(١) البرطيل - وجمعه براطيل - الرشوة، ويقال: وتبرطل فلان: ارتشى.

ثم استدعى السلطان بالمخلص أخى النشو، ورتبه مباشرا عند الأمير سيف الدين ألناق، واستخدم أخاه رزق الله عند الأمير ملكتمر الحجازى، واستخدم صهره ولى الدولة عند الأمير أرغون شاه وخلع عليهم.

وانبسطت يد النشو، واشتدت وطأته، وأخذ فى التدبير على ابن هلال الدولة، ورتب عليه أنه أخذ من مال السلطان جملة، وأنه أهمل فى المحافظة على أمور السلطان، وأن ما ضاع بسببه من مال السلطان كثير، وأنه تواطأ مع أولاد التاج إسحاق على مال السلطان. وندب النشو لتحقق ذلك أمين الدولة بن قرموط المستوفى والشمى بن الأزوق ناظر الجهات، وقرّر مع السلطان إقامة لؤلؤ لاستخلاص الأموال، وطلب المباشرين للمحاققة؛ فجمعهم السلطان. فبرز قرموط وواجهه ابن هلال الدولة بأنه أهمل الأمور، وبرطل بالأموال، ونحو هذا من القول؛ فأثر كلامه فى نفس السلطان، وصرف المباشرين، وبعث إلى ابن هلال الدولة يأمره بأن يلزم بيته. وخلع على الأكز واستقرّ شاد الدواوين عوضا عن ابن هلال الدولة؛ وخلع على بدر الدين لؤلؤ الحلبى ليكون مستخلص الأموال؛ وخرجا إلى دار الوزارة بالقلعة، وطلبا الضمان والكتاب والمعاملين وأرباب الوظائف. ورتبت على ابن هلال الدولة أوراق بما أهمله وفرط فيه، وطلب وصودر هو وجميع ألزامه؛ وقبض على مقدم [1] الدولة خالد بن الزراد ومن يلوذ به؛ فحملوا الأموال. وخلع على ابن صابر واستقر مقدم الدولة. واشتد لؤلؤ على أهل حلب وأهل مصر، وعسفهم وتجاوز المقدار فى عقوبة المصادرين خصوصا أولاد التاج إسحاق.

وفى يوم الخميس ثالث رجب: سافر الأمير تنكز نائب الشام، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم؛ وتوجه صحبته الأمير آقول الحاجب، ليستقرّ حاجب الحجاب بدمشق.

وفى يوم الأحد خامس المحرم: استقر الأمير تجماس الجوكندار المنصورى - الملقب بشاش - فى نيابة حمص، عوضا عن بهادر السنجرى بحكم وفاته.

وفى يوم الأحد أول المحرم: أفرج عن الأمير بهاء الدين أصلم، وعن أخيه الأمير قرمجى.

وفيه أيضا أفرج عن الأمير بكتوت القرمانى. وكانت مدة اعتقال أصلم وقرمجى ست سنين وثمانية أشهر، ومدة اعتقال القرمانى سبع سنين وسبعة شهور.

---

(١) مقدم الدولة هو الذى يتحدث على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير.

وفى سادس المحرم: رسم للأمير جمال الدين آقوش الأشرفى - المعروف بنائب الكرك - بنيابة طرابلس، بعد موت قرطاى؛ وخلع عليه فى تاسعه، وسافر فى تاسع عشره. وكان ذلك لأمور: منها صحبته مع الأمير ألماس الحاجب، ومنها ثقله على السلطان، فإن السلطان كان يجله ويحترمه ويقوم له كلما دخل إلى الخدمة؛ ومنها معارضته للسلطان فى أغراضه، لاسيما فى أمر النشو، فإنه كان يبلغ السلطان كثرة ظلمه وقبح سيرته فى الناس. فأراد السلطان أن يستريح منه، فخلع عليه وبعث له بألف دينار؛ وأخرج برسبغا مسفرا له على العادة. فلما وصل برسبغا به إلى طرابلس وعاد، خلع السلطان عليه واستقرّ حاجبا صغيرا. وفيه خلع على الأمير مسعود بن خطير، واستقرّ حاجبا كبيرا عوضا عن الأمير ألماس.

وفى يوم الخميس ثانى شعبان: استقرّ أيدكين الأزكشى البريدى فى ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن المحسنى بسفارة النشو. فعظمت مهابته، وكبس عدة بيوت من بيوت الناس؛ صار يتنكر فى الليل ويمشى فى أزقة القاهرة، فإذا سمع صوت غناء أوريح خمر فى بيت كبسه وأخذ من أهله مالا كثيرا بحسب حالهم. واعتنى به النشو، ومكنه من عمل أغراضه؛ فنال به مقاصد كثيرة: منها أن بعض تجار قيسارية جهاركس بالقاهرة تأخر له فى الخزانة السلطانية عن ثمن مبيع نحو تسعين ألف درهم. وألح على النشو فى المطالبة بها مع كثرة انهماكه فى اللهو، فقبضه أيدكين وهو غير حاضر الذهن، وسجنه فى دار الولاية، واستدعى بالعدول ليكتب عليه مشروحا بأنه سكران ويشهره، فافتدى منه بأن أشهد عليه أنه أبر بيت المال مما له عليه، فوقع هذا الإبراء من النشو ومن السلطان بمكان ولما شنع أمر أيدكين شكاه الأمير قوصون إلى السلطان، فتغير السلطان على قوصون وقال له: «أنتم كلما وليت أحدا ينفعنى أردتم إخراجه ولو أنه من جهتكم لشكرتم منه كل وقت»، وأسمعه مع ذلك ما يكره. ثم أضيفت إليه ولاية مصر فى تاسع شعبان، ولم يجمع الولايتين أحد قبله.

وفى يوم الأحد عشرى ذى الحجة: قدم الأمير مهنا بن عيسى [1]. وسبب قدومه

---

(١) مهنا (الثانى) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى، حسام الدين، بن آل فضل، ويلقب سلطان العرب: أمير بادية الشام، وصاحب «تدمر» وآل فضل من طىء كانت إمارته بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ ثم حبسه الأشراف سنة ٦٩٢ إلى أن أفرج عنه العادل كتبغا سنة ٦٩٤ فرجع إلى إمارته ثم عزله الناصر سنة ٧١٢ وولى أخيه فضل مكانه ثم أعيد إلى إمارته سنة٧١٧. مات بالقرب من سلمية، وقد أناف على الثمانين. انظر ابن خلدون ٤٣٨،٥ وصبح الأعشى ٢٠٦/٤ والدرر الكامنة ٣٦٨/٤ - ٣٧٠ والبداية والنهاية ١٧٢/١٤ والأعلام ٣١٦/٧،٣١٧.

أن السلطان كان يحرص على قدومه إليه، ويبذل لأولاده الأموال العظيمة، فيرغبونه في القدوم على السلطان، وهو يأتى ذلك عليهم. فكان إذا أعيا السلطان أمره طرده من البلاد، حتى طرده أربع مرات؛ وكانت تجرد له العساكر فتخرجه، ثم تحضر أولاده وتصلح أمره، فيعود إلى البلاد؛ ثم يأخذ السلطان فى استجلابه فلا يأتى له. فيعود إلى إخراجه؛ و كان السلطان يبعث فى طلب الخيول منه، فيرسلها إلى السلطان، فتحمل إليه أثمانها بزيادة كثيرة وما زال أمره على هذا الحال إلى أن قدم موسى وأحمد [١] وفياض [٢] أولاده إلى القاهرة، وبالغ السلطان فى الإنعام عليهم، فحلفوا له على إحضار أبيهم إليه. فلما أتوا أباهم اجتمعوا عليه مع عمومتهم، وأرادوه على الحضور إلى السلطان بجهدهم فلم يوافقهم؛ فكاتبوا السلطان بأمرهم معه، فكتب السلطان إلى نائب حلب بإخراجه من البلاد فسار مهنا إلى أبى سعيد بالعراق، فأكرمه وأجله عند قدومه؛ فتعمد وزيره مع المجد السلامى عليه حتى فارق بلادهم رعاية لخاطر السلطان، وكتبا بذلك إلى السلطان، فسره ذلك ولما عاد مهنا من العراق تلقاه ابنه موسى، فوجد أنه قد أزمع أمره على القدوم على السلطان؛ فلم يشعر الأمير تنكز نائب الشام إلا ومهنا قد قدم عليه هو والملك الأفضل محمد صاحب حماة، فركب إلى لقائه وأنزله بالقصر الأبلق. وقدم البريدى إلى السلطان بخبر قدومه فكاد يطير فرحا به. ثم أركبه الأمير تنكز والملك الأفضل خيل البريد، وسيرهما إلى السلطان. فحملت للأمير مهنا الإقامات، وجنبت له الخيول، وضربت له الخيم؛ وخرج أمير:اندار والمهمندار إلى لقائه، وركب الأمير بشتاك له إلى قبة النصر خارج القاهرة، وسار به إلى باب السرّ من القلعة، فإذا الأمير قوصون قد وقف به فى انتظاره، فأخذ بيده حتى عبر إلى السلطان فرحّب به السلطان وأكرمه، وعتبه على فراره منه، فاعتذر مهنا وذكر أن قدومه بسبب رؤياه النبى - ﷺ - فى منامه وأمره له بالقدوم. فسر السلطان بذلك وخلع عليه وعلى

(١) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة الطائى ثم الثعلى: أمير عرب الفضل فى بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخذه على سقى الفرات وأطراف العراق. واعتقله طقزدمر نائب الشام سنة ٧٤٥هـ وأطلقه الكامل سنة ٧٤٦ وأعيد إلى الإمارة، وعزل ثم أعيد إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٣٢١/١ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والعبر ٤٣٩/٥ والأعلام ٢٦١/١.

(٢) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل. ولى الإمرة بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ ثم عزل بأخيه حيار وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها وأطلق. وأعيد بعد مدة طويلة إلى الإمارة، فدخل مصر، ثم فر إلى العراق. فمات هناك. انظر الدرر الكامنة ٢٣٤/٣ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ وابن خلدون ٤٣٩/٥ والأعلام ١٦٤/٥.

من معه مائة خلعة، وردّ إليه إمرته، وزاد فى إقطاعه. وأنزله السلطان بالميدان وأمر له بسماط جليل فسم له فيه، فلم يأكل منه شيئا، واعتذر بأن عادته أكل لبن الجمال وقرص الملة [(١)] لا غير. ثم طلع مهنا إلى السلطان فى خامس يوم من قدومه، فأنعم عليه بقرية دومة [(٢)] من عمل دمشق، لتكون له ولأوده من بعده. واتفق موت أسندمر العمرى، فوجد له تسعة آلاف دينار مصرية، وطلع بها النشو فسلمها لحاجب منها إنعاما على مهنا برسم زوادته. وكتب له القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله منشورا بدومة، ثم سافر.

وفى ذى الحجة: ركب أيدكن والى القاهرة إلى النجيلة [(٣)] خارج القاهرة - وهى يومئذ متنزه العامة، وبدايرها أخصاص للفرجة - وكبسها وقت المغرب، فما قبض على أحد إلا وسلبه ثيابه وتركه عاريا، فجمع من ذلك شيئا كثيرا؛ وجمع الباعة من الغد بثمنه، فبلغ خمسة عشر ألف درهم.

وفى هذه السنة: جاء بالمدينة النبوية سيل عظيم أخذ جمالا كثيرة وعشرين فرسا، وخربت عدة دور.

وفيها استقر جمال الدين عبدالله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد ابن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير فى كتابة السرّ بدمشق، عوضا عن شرف الدين أبى بكر بن محمد بن الشهاب محمود.

وفى يوم عرفة: استقرّ نجم الدين بن أبى الطيب فى الوكالة بدمشق، واستقرّ عز الدين بن منجا فى نظر جامع بنى أمية، واستقرّ فى حسبة دمشق عماد الدين بن الشيرازى؛ وخلع عليهم جميعا.

وفيها ورد الخبر من بغداد بأن صاحبها ألزم النصارى ببغداد أن يلبسوا العمائم الزرق، واليهود أن يلبسوا العمائم الصفر اقتداء بالسلطان الملك الناصر بهذه السنة الحسنة.

---

(١) الملة التراب الحار والرماد أو الجمر يخبز أو يطبخ عليه، أو فيه. والملة عرق الحمى. انظر المعجم الوسيط (ملة).

(٢) تقع هذه القرية بغوطة دمشق. انظر معجم البلدان ٦٢٥/٢، والروض المعطار ٢٤٥، معجم ما استعجم ٥٦٤/٢.

(٣) بلدة فى أقصى الجنوب من مديرية البحيرة الحالية، وتقع على الشاطئ القريب لفرع رشيد، وفى الجنوب الغربى منها قرية زاوية البحر.

وفيها ولى تدريس الشافعى بالقرافة شمس الدين محمد بن القماح [١] بعد وفاة المجد حرمى؛ واستقرّ عوضه فى وكالة بيت المال النجم الأسعردى المحتسب، وفى تدريس المدرسة القطبية بهاء الدين بن عقيل.

و فيه استقرّ علاء الدين مغلطاى فى تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية، بعد موت فتح الدين محمد بن سيد الناس [٢]، بعناية قاضى القضاة جلال الدين محمد بن القزوينى فاستعظم الناس ذلك؛ وقالوا: «ويّه! ويه! تولى درس الحديث مغلطية؟».

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى ستة عشر ذراعا.

* * *

ومات فيها من الأعيان

الأمير ألماس الحاجب الناصرى؛ كان جاشنكيرا، وتنقل حتى صار حاجب الحجاب فى محل النائب، لشغور منصب النيابة بعد الأمير أرغون؛ وكان أكابر الأمراء يركبون معه فى خدمته، ويجلس فى باب القلة، ويقف الحجاب بين يديه؛ فلما قبض عليه وحبس، قطع عنه الطعام ثلاثة أيام؛ ثم خنق فى ليلة الثانى عشر من صفر، حُمل من الغد حتى دفن بجامعه؛ وكان أغتم لا يعرف بالعربية شيئا.

وتوفى وكيل بيت المال ومدرس الشافعى مجد الدين حرمى بن هاشم بن يوسف العامرى الفاقوسى الفقيه الشافعى، عن نحو سعبين سنة، فى يوم الثلاثاء ثانى ذى الحجة؛ ولى وكالة بيت المال ونيابة الحكم، وبرع فى الفقه والأصول، ودرّس بالشافعى.

---

(١) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة، أبو عبدالله، بن القماح القرشى الشافعى المصرى: مفسر من فقهاء الشافعية. ناب فى الحكم بجامع الصالح (بالقاهرة) ونسب إلى التساهل فى الأحكام، فامتنع عز الدين بن جماعة من استنابته، فأقبل على تدريس الفقه إلى أن مات. انظر الدرر الكامنة ٣٠٣/٣ والأعلام ٣٢٥/٥.

(٢) محمد بن بن محمد بن محمد أحمد بن سيد الناس، اليعمرى الربعى، أبو الفتح، فتح الدين: مؤرخ، عالم بالأدب. من حفاظ الحديث له شعر رقيق. أصله من إشبيلية، مولده ووفاته فى القاهرة من تصانيفه «عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير» و«تحصيل الإصابة فى تفضيل الصحابة». انظر فوات الوفيات ١٦٩/٢ والوافى بالوفيات ٢٨٩/١ والبداية والنهاية ١٦٩/١٤ والدرر الكامنة ٢٠٨/٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٣/٩ وطبقات الشافعية ٢٩/٦ والبدر الطارلع ٢٤٩/٢ والأعلام ٣٤/٦، ٣٥.

وتوفى قاضى القضاة جمال الدين سليمان بن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر عثمان الأذرعى [١] المعروف بالزرعى - فى سادس صفر بالقاهرة، عن مرض السكتة، وهو يومئذ قاضى العسكر، مولده بأذرعات [٢] سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى أمير آل فضل [٣]، فى خامس عشرى ربيع الأول؛ فرسم بعده بالإمرة لسيف بن فضل [٤].

ومات الملك الظاهر أسد الدين عبدا لله بن المنصور نجم الدين أيوب بن المظفر يوسف ابن عمر بن على بن [٥] رسول متملك اليمن، بعدما قبض عليه الملك المجاهد بقلعة دملوه، وصار يركب فى خدمته، ثم سجنه مدة شهرين، ثم خنقه بقلعة تعزّ [٦].

وتوفى قاضى الحنفية بحماة نجم الدين عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن هبة ا لله ابن أحمد بن يحيى - المعروف بابن العديم -، عن خمسة وأربعين سنة.

---

(١) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاضى القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعات، وتعلم بدمشق وولى قضاء أزرع ثلاث عشرة سنة، فنسب إليها، ثم ناب فى الحكم سبعا أيضا، ثم ولى القضاء استقلالا، نحو سنة. عاد إلى دمشق، فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة، ثم عزل، فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر. وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ وطبقات السبكر ١٠٥/٦ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ وشذرات الذهب ١٠٧/٦ والنجوم الزاهرة ٣٠٤ والأعلام ٣١٣/٣.

(٢) أذرعات: من بلاد دمشق بالشام يصرف ولا يصرف، والتاء فى الحالتين مكسورة ويقال لها يذرعات بالياء. انظر معجم البلدان ١٧٥/١، والروض المعطار ١٩، ٢٠، ومعجم ما استعجم ١٣١/١، وصبح الأعشى ١٠٥/٤.

(٣) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا، من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب علم الدين أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات. ولى إمرة العرب بدلا عن أخيه موسى سنة ٧٧٢ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر الدرر الكامنة ١٦٣/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٣/١٠ وابن خلدون ٤٣٩/٥ والقلقشندى ٢٠٧/٤ وإعلام النبلاء ٤٠٦/٢ والأعلام ١٣٥/٣

(٤) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، فى بادية الشام. كان شجاعا جوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤هـ، ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ٢٨٣/٢ والأعلام ١٥٠/٣.

(٥) عبد ا لله بن أيوب المنصور بن يوسف المظفر، من بنى رسول أمير جواد عاقل ورع. تعلقت نفسه بطلب الملك وقصرت. ثم طلب الملك وخلع المجاهد، وباعوه، ولقبوه «الظاهر» فسار بهم إلى المجاهد، وهو فى تعز، فحاصره أحد عشر شهرا، وعجز فسار إلى نهاية فتبعه المجاهد. واستمرت بينهما الوقائع، فطلب الأمان من المجاهد فأمنه وحبسه بتعز، من غير تضييق عليه، إلى أن مات. انظر تاريخ ثغر عدن والأعلام ٧٣/٤.

(٦) قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر، معجم البلدان ٤٣/٣.

ومات الأمير طغاى تمر العمرى، زوج ابنة السلطان، ليلة الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الأول.

ومات الأمير صوصون - أخو الأمير قوصون - أحد الألوف، فى ليلة الجمعة رابع جمادى الأولى.

وتوفى الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمرى الأشبيلى العلامة المتقن المصنف الأديب البارع، فى يوم السبت الحادى عشر من شعبان.

ومات الأمير قرطاى الأشرفى نائب طرابلس، وقد جاوز ستين سنة، بها فى ثامن عشرى صفر.

ومات أمير طبر جمال الذين يوسف بن علم الدين، فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة؛ وكان من أمراء العشراوات.

ومات الأمير بدر الدين بيليك أبو غدة - وكان أحد أستادارية السلطان، ومن أمراء الطبلخاناه -، فى ليلة الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير يوسف الدين خاص ترك الناصرى، أحمد مقدمى الألوف، فى عاشر رجب بدمشق.

ومات الأمير عز الدين أيدمر دقماق العلائى نقيب الجيش، وكان أحد المماليك الأشرفية، ليلة الأحد سادس رجب؛ واستقرّ عوضه فى نقابة الجيش الأمير صار وجانقيب المماليك، واستقر المماليك عوضا عن صاروجا محمد بن لاجين المحمدى. ومات الأمير قجماس الجوكندار المعروف بشاش - نائب حمص، أحد أمراء البرجية.

ومات الأمير بلبان طرنا أمير جاندار - وكان نائب صفد -، فى حادى عشرين الأول؛ وهو من أمراء الألوف بدمشق. ومات القاضى صدر الدين سليمان بن إبراهيم ابن سليمان بن دواد بن عتيق بن عبد الجبار المالكى، قاضى الشرقية والغربية، فى حادى عشرى شعبان؛ وبعثه السلطان رسولا إلى بغداد.

* * *

سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

فى يوم الأحد رابع المحرم: قبض على الطواشى شجاع الدين عنبر السحرتى مقدّم المماليك، بسعاية النشو؛ وأنعم بطبلخاناته على الطواشى سنبل قلّى، واستقرّ نائب المقدم. وخلع على الأمير آقبغا عبد الواحد باستقراره فى تقدمة المماليك، مضافا إلى الأستادارية. فعرض آقبغا الطباق، وأخرج من كان من الأتباع الأويراتية فى خدمة المماليك؛ وضرب جماعة من المماليك السلاح دارية والجمدارية لامتناعهم من إخراج أتباعهم، ونفوا إلى صفد.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى: عُزل أيدكين والى القاهرة، لتغير الأمير قوصون عليه، وأخرج إلى الشام منفيا.

وفيه طلب بلبان الحسامى البريدى أحد مماليك طرنطاى النائب إلى حضرة السلطان، فلم يجد فرسا يركبه، فركب حمارا إلى القلعة؛ فخلع عليه واستقرّ والى القاهرة عوضا عن أيدكن، وأخرج له فرس.

و فيه أفرج عن الأمراء المعتقلين، فركب على البريد الأمير بيبرس السلاح دار إلى الإسكندرية، وقدم بهم فى يوم الإثنين ثانى عشرين رجب: وهم الأمير بيبرس الحاجب، وله فى السجن من سنة خمس وعشرين ؛ والأمير طغلُق التترى أحد الأمراء الأشرفية، وله فى السجن ثلاث وعشرون سنة، من سنة اثنتى عشرة، فمات بعد أسبوع من قدومه، والأمير غانم بن أطلس خان، وله فى السجن من سنة عشر، مدة خمس وعشرون سنة، والأمير برلغى الصغير، وله فى السجن من سنة اثنتى عشرة؛ والأمير بلاط الجوكندار، والأمير أيدمر اليونسى أحد الأمراء البرجية المظفرية؛ والأمير لاجين العمرى، والأمير طشتمر أخو بتخاص، والأمير بيبرس العلمى من أكابر الأمراء البرجية؛ وقطلوبك الأوجاقى، والشيخ على مملوك الأمير سلار، والأمير تمر الساقى نائب طرابلس، أحد المنصورية، وكان قد قبض عليه سنة أربع عشرة، فكانت مدة سجنه إحدى وعشرين سنة. فأنعم على تمر الساقى بطبلخاناه فى الشام، وأنعم على بيبرس الحاجب بإمرة فى حلب، عوضا عن آقسنقر شاد العمائر، فسافر فى سابع شعبان - وكان قد رُسم بالقبض على آقسنقر، فقبض عليه وسجن بقلعة حلب، وأحيط بموجوده - ورسم للأمير غانم أن يقيم بالقاهرة.

وفى هذه السنة: قدمت رسل أزبك بكتابه يعتب فيه بسبب طلاق خاتون[1] طولبية بنت تقطاى أخى أزبك، التى قدمت من جهته، وتزويجها من بعض المماليك، وطَلب أزبك عَودَها إليه فأجيب بأنها قد ماتت، وسير إليه بهدية. وكانت قد مات زوجها الأمير صوصون، فزوجها السلطان للأمير عمر بن أرغون النائب، فى يوم الإثنين تاسع عشر المحرم، ودخل عليها ليلة الجمعة حادى عشرى صفر. وقد كانت تحت السلطان ثم طلّقها، فتزوجها الأمير منكلى بغا، ثم الأمير صوصون، ثم تزوّجت بعمر هذا.

وفى ثانى عشر ربيع الآخر: خُلع على الأمير سيف الدين جركتمر رأس نوبة الجمدارية بنيابة غزة، عوضا عن الأمير طينال؛ وسافر فى عشريه.

وفيه نقل طينال لنيابة طرابلس، عوضا عن الأمير آقوش نائب الكرك، وهى ولايته الثانية.

وفى سادس عشره: توجه الأفضل صاحب حماة إلى محل ولايته، بعدما خُلع عليه؛ وكان قد قدم صحبة مهنا، وتأخّر بسبب الصيد مع السلطان.

وفى يوم الخميس رابع ربيع الأول: أنعم السلطان على ولده أبى بكر بإمرة، فركب بالشربوش من إصطبل الأمير قوصون، وسار فى الرملية[2] إلى باب القرافة، وطلع إلى القلعة من الباب المعروف بباب القرافة، والأمراء والخاصكية بخدمته؛ وعمل الأمير قوصون يومئذ لهم مهما عظيما فى إصطبله.

وفى يوم الخميس نصف جمادى الآخره: قُبض على الأمير جمال الدين آقوش الأشرفى - المعروف بنائب الكرك، وهو يومئذ نائب طرابلس - وسُجن بقلعة صرخد، ثم نُقل فى مستهل شوال إلى الإسكندرية فسجن بها؛ ونزل النشو إلى بيته بالقاهرة، وأخذ موجوده كله وموجود حريمه، وعاقب أستادراه.

واستقرّ عوضه فى نيابة طرابلس الأمير طينال على عادته، ونقل بكتمر العلائى إلى نيابة حمص، عوضا عن بشاش المتوفى.

وسبب ذلك أنه تراءى بطرابلس مركب للفرنج فى البحر، فركب العسكر إلى الميناء، فدفعت الريح المركب عن الميناء ثم أخذ الأمير آقوش فى تجديد عمارة مركب

---

(١) لقب يطلق على الملكات والأميرات.

(٢) منزل فى طريق البصرة إلى الكعبة بعد ضربه نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر، معجم البلدان ٧٣/٢.

هناك، وأنفق فيه من ماله أربعين ألف درهم؛ فقدمت مركب الفرنج، فركب العسكر فى المركب المستجد، وقاتلوا الفرنج، فقتلوا منهم جماعة وغنموا مركبهم بما فيها. فادعى صاحبها أنه تاجر قدم بتجارته. فنهبت أمواله وقتلت رجاله؛ وذكر عنه بعض التجار أنه متحرم لا تاجر، وأنه قدم فى السنة الماضية إلى ميناء طرابلس وأخذ منها مركبا. فكتب آقوش بذلك إلى السلطان، فأجيب بالشكر وحمل الفرنجى إلى السلطان؛ فحمله آقوش مقيدا على البريد. فأكثر الفرنجى من التظلم، وتبرأ من التحرم فى البحر، وأنه قدم بتجارة وهدية للسلطان، فظلمه نائب طرابلس وأخذ ما كان معه من التحف وغيرها، فصدّقه السلطان، وكتب بإعادة مركبه إليه وجميع ما أخذ له؛ فأجاب النائب بأن المذكور حرامى يقطع الطريق على المسلمين، فلا يسمع السلطان قوله، وكتب إليه بالتأكيد فى ردّ المركب عليه؛ فردّها النائب عليه، وشقّ ذلك عليه. ثم طلب آقوش الإعفاء من نيابة طرابلس فأجيب بتخييره بين نيابة صرخد وبعلبك؛ وبعث السلطان إليه الأمير برسبغا الحاجب، فسار به إلى دمشق، فقبض عليه تنكز بدار السعادة، وحمله إلى صرخد.

وفى صفر: هدم السلطان الجامع بقلعة الجبل، وهدم المطبخ أيضا. وجدّد السلطان عمارة الجامع، وصار يقف بنفسه كل يوم؛ وندب لذلك الأمير آقبغا عبد الواحد. فحمل إليه العمد العظيمة من الأشمونين[١] ووسع موضعه، فأدخل فيه قطعة من حارة مختص والطشتخاناه، ورخمه جميعه؛ وظل العمل جاريا فى هذا الجامع حتى كمل فى آخر شعبان على أكمل هندام وأبدع ترتيب. ووقف عليه السلطان حوانيت القلعة وغيرها، ورتب فيه القراء والمؤذنين والقومة، وانتخبهم بنفسه بعدما عرض طوائفهم؛ فصلى فيه أول شهر رمضان.

وفيه جدّد السلطان عمارة المطبخ بالحجر، وزاد فى سعته.

وفيها خرج البريد بطلب بدر الدين محمد بن التركمانى من طرابلس، ليباشر مع النشو؛ فأفرج عنه يوم السبت رابع عشر رجب، وكان له سنة وتسعة أيام مرسم عليه بالقلعة، وهو يحمل المال.

وسبب ذلك أن الأمير تنكز نائب الشام لما قدم على عادته فى عاشر رجب، وعرّفه السلطان همة النشو ولؤلؤ فى تحصيل الأموال التى كانت مهملة ضائعة ورطل بها، ذكر له تنكز نائب الشام ما تجدّد من المظالم، وحسن له طلب ابن التركمانى لضبط ما

---

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر، معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

عساه يخفى عن السلطان من الأموال التى تؤخذ، ووضع من لؤلؤ بأنه مملـوك ضـامن[١] وكان الأكز ولؤلؤ تسلما الولاة والمباشرين والكتاب وأولاد التاج إسـحاق وابـن هـلال الدولة وأقاربه كما تقدّم، وأخرقا بهم: فحمل قشتمر والى الغربيـة ثمـانين ألـف درهـم، وأفرج عنه بعناية سنجر الخازن، فإنـه صهـره، وضـرب قنغلـى والى البهنسـا عـدة مـرار حتى حمل خمسة وسبعين ألف درهم، وضرب فخـر الديـن أيـاس الدويـدارى بالمقـارع، فحمل ثلاثمائة ألف درهم، وهلك تحت العقوبة أيضا شاد سوق الغنم، بعدمـا أخـذ منـه نحو مائتى ألف درهم؛ وأخذ من خالد المقدم مبلغ ثلاثمائة وثلاثـين ألـف درهـم، بعدمـا ضرب بالمقارع ضربا مبرحا، ثم أفرج عنه على أن يحمل كل يـوم عشـرة آلاف درهـم، فحمل فى مدة شهر مائة ألف درهم، وأخذ من بكتوت الصائغ مائة ألف درهـم، ومـن عبد الرزاق وولده نحو مائة ألف درهـم، وأخـذ مـن ألـزام ابـن هـلال الدولـة نحـو مائـة وخمسين ألف درهم. وحمل ابن خلال الدولة ثلاثمائة ألف وعشرة آلاف درهم مـن غـير أن يضرب، واتهمه النشو بأنه أخـذ مـن الأهـراء أربعـة آلاف أردب فـولا، وأخـذ مـن مخلف الأمير ألماس الحاجب حياصة، فظهرت براءته من ذلك. وشق على النشـو سـلامته من الضرب، وبذل جهده فى ضربه، والله يدفع عنـه بمـا كـان فيـه مـن كـثرة الصدقـة. فرماه النشو بعد ذلك بأنه كان يتحدّث مع الأمير جمال الدين آقوش نـائب الكـرك بأنـه يتسلطن، ويجتمع معه على ذلك، ومعه منجم قدم به من دمشـق، واستخدمه فـى بيـت السلطان؛ فطُلب المنجم وقتل فـى السـجن؛ ومَنَع متـولى القاعـة جميـع الذيـن يجلسـون بالطرقات ويضربون بالرمل من التكسب بذلك. ورسم بضرب ابن هـلال الدولـة حتـى يقرَّ على نائب الكرك بما قيل عنه، فرفـق بـه الأكـز وضربـه مقرعـة واحـدة، ثـم ضربـه بالعصا قليلا وهو يحلف بالطلاق الثلاث أنه ليس عنده علم بما رُمى به.

ثم إن النشو تنكرّ على مستوفى الدولة أمـين الديـن قرمـوط، وعلـى رفيقـه ابـن أبـى الزين، من أجل أن قرموطا أكثر من الاجتماع بالسلطان، فخاف عاقبته. وأغرى النشـو به السلطان وقرّر فى ذهنه أنه جمع كثيرا مـن مـال السـلطان لنفسـه، وأن خـالدا المقـدم يحاققه ورفيقه على أنه أخذ مائة ألف دينار. فقبُض عليهما فى رابع ربيـع الأول؛ وقبـض معهما على الشمس ابن قزوينة، والعلم المستوفى، والنشو كاتب الرواتب، والبرهان ابـن البرلسى، ورفيقه ابنى الأقفاصى ناظر الدولة. وقام خـالد المقـدّم بمحـاققتهم، والـتزم أنـه يستخلص من قرموط أربعين ألف دينار، فعوقب وضرب بالمقـارع. فقـال خـالد للأكـز ولؤلؤ: «هذا جَلد ما يقر، اضربوا ولده قدامه حتى يزن المال، فإنه مـا يهـون بـه ضـرب

---

(١) المقصود بذلك أن لؤلؤا كان مملوكا لقندش الضامن بحلب.

ولده». فلما ضُرب قرموط أمر الأكز بإحضار ولده وضربه، فضرب وهو يتحسَّر عليه جزاء بما تقدم منه. فلما اشتد به البلاء ضرب نفسه بسكين فى حلقومه ليهلك، فبادر الأعوان وأخذوها منه وقد جرحت حلقه، فأسرف الأكزُ فى عقوبته وعقوبة رفقائه؛ وضُرب القصب فى أظفار ابن أبى الزين. ثم خرج النشو إلى الإسكندرية.

فقدم الأمير تنكز نائب الشام يوم الأربعاء حادى عشر رجب، وهو مَقدمُه العاشر؛ فقام فى خلاص ابن هلال الدولة، وساعده الأمير قوصون حتى أفرج عنه. ثم قدم النشو من الإسكندرية، فشق عليه أن ابن هلال الدولة قد أفرج عنه، وأغرى به السلطان حتى أمر الوالى بإحضاره إلى القلعة؛ وخرج إليه الأكز وأخرق به، وبلغّه عن السلطان أنه متى اجتمع به أحدٌ شنقه، فنزل وأقام بالقرافة منجمعا بها عن الناس. وأفرج عن أقاربه وألزمه وعن تجار الشرابشيين، بعدما كتب النشو عليهم إشهادات بأنهم لا حقّ لهم فى جهة بيت المال؛ وكان قد تجمّع لهم عن ثمن تشاريف مبلغ بخمسمائة ألف درهم على الخزانة، فذهب عليهم وصودروا مع ذلك؛ واحتج عليهم النشو بأنهم ربحوا على السلطان فيما تقدّم أموالا جمة، وضرب منهم جماعة بالمقارع، واستأصل أموال كثير منهم.

وفيه كتب إلى نائب الشام بعد سفره فى يوم السبت حادى عشرى رجب بحمل علاء الدين على بن حسن المروانى والى برّ دمشق، لستقر فى كشف الشرقية بتعيين الأمير مسعود بن خطير. فقدم المروانى، وخُلع عليه بكشف الوجه البحرى؛ فكبس البلاد، وجمع ستين رجلا من المفسدين، ووسَّطهم بمدينة بلبيس [١]. وعلقهم على الخشب؛ وأحدث عقوبات مشنعة: منها أنه كان ينعل الرجل فى قدميه كما ينعل الفرس، ويمشيه حتى يشهره، ومنها أنه كان يعلق الرجل فى خطاف من حديد يحتكه حتى يموت فأرهب الناس بالشرقية [٢] والغربية والبحيرة [٣] والمنوفية وأشموم [٤] بكثرة آثاره المهولة فيها.

وفيها صرف شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السرّ

---

(١) مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا، إلى أبهر اثنا عشر فرسخا. انظر معجم البلدان ٣٤٢/٤، ٣٤٤.

(٢) كورة فى جنوب مصر. انظر البلدان ٣/ ٣٣٧.

(٣) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر، معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٤) بلدة بمصر، قرب دمياط، وهى مدينة الدقهلية. انظر، معجم البلدان ٢٠٠/١.

بدمشق، وكتب نائب الشام يطلب غيره؛ فعين السلطان لكتابة السرّ بدمشق جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير، من حملة الموقعين بعد عَرضهم؛ وخلع عليه ووصّاه وصايا كثيرة.

وفى خامس رمضان: قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى، فلم يقبل عليه السلطان، وذلك بسعاية النشو عليه أنه جمع من المباشرات أموالا جمة، وأن متاجره الآن بطرابلس تنيف على مائة ألف دينار، وأن عنده من الكتاب من يحقق فى جهته مبلغ مائتى ألف وستين ألف دينار أخذها من مال السلطان؛ فنزل ابن التركمانى ولزم بيته.

وفى تاسع عشر شوال: خلع على الشريف عطيفة بن أبى نمى الحسنى، وكان قد قدم وشكا من أخيه رميثة أمير مكة، فأشرف بينهما فى الإمرة.

وفيها اشتدت العقوبة على أولاد التاج إسحاق، وعلى قرموط ورفيقه، حتى أظهروا مالا كثيرا. وأنعم على لؤلؤ بإمرة طبلخاناه، وكثرت الخلع عليه من السلطان، وعظم البلاء به.

وفيها أقام النشو رجلا لمرافعة الأمير شهاب الدين أحمد بن المحسنى والى دمياط، بأنه أخرب أساسا قديما فى البحر بين البرجين، كانت عليه طلسمات تمنع بحر الملح عن النيل، حتى تلفت طلسمات وغلب البحر على النيل، فتلفت البساتين، وأنه نال من ثمن حجارة هذا الأساس مالا كثيرا. فأحضر وتسلمه لؤلؤ، فضرب بالمقارع واستخرج منه جملة مال.

وفيها قبض النشو على زوجة موسى بن التاج إسحاق، وعوقبت وهى حامل عقوبة شديدة على إحضار المال، حتى طَرَحت ما فى بطنها ولدا ذكرا؛ وقبض أيضا على أولاد ابن الجيعان كتاب الإسطبل. وذلك أن النشو كانت له عجائز يتجسسن فى بيوت الكبار، فبلغه عن أولاد ابن الجيعان أن نساءه يذكرن كثرة ظلمه وعسفه، وأنهن يدعون عليه؛ وبلغه أيضا أن أحد أولاد ابن الجيعان يسعى فى نظر الجيش، والآخر يسعى فى نظر الخاص. فطلب النشو كاتب الإسطبل منهم، وألزمه بكتابة حساب الإسطبل، فامتنع عليه وخاشنة فى القول. فسعى به النشو إلى السلطان حتى قال له مشافهة من شباك القصر: «لم لا تعمل حساب الإسطبل، وتعطيه الناظر؟»، يعنى النشو، فقال: «يا خوند بدل ما تطلب حساب العبى والمقاود، اطلب حساب الذهب الذى يدخل إلى خزائنك»، وأغلظ فى حق النشو حتى قال له: «ونعمة مولانا السلطان أُظهر فى جهتك مائتى ألف دينار»؛ فقامت قيامة النشو، وانفض المجلس على ذلك. فمازال

النشو بأولاد ابن الجيعان حتى سلمهم إلى لؤلؤ، فعاقبهم حتى هلكوا وأخذ موجودهم؛ فلم يكتف بذلك، فقبض على أقاربهم وألزامهم، وصودر جماعة بسببهم.

وفيه خلع على علاء الدين على بن حسن المرواني الكاشف، واستقر في ولاية القاهرة عوضا عن بلبان المحسني. وتولى المرواني هدم قناطر السباع التي عمرها الظاهر بيبرس على الخليج بين القاهرة ومصر وزيدت في سعتها عشرة أذرع، وأعيدت أحسن ما كانت، وركبت السباع التي كانت عليها من عهد الظاهر على حالها.

وفيها كثر شغف السلطان بمملوكه ألطنبغا الماريديني شغفا زائدا وقاه، فأحبّ أن ينشئ له جامعا تجاه ربع الأمير سيف الدين طغى خارج باب زويلة، واشترى عدة دور من ملاكها برضاهم. فانتدب السلطان لذلك النشو، فطلب أرباب الأملاك وقال لهم: «الأرض للسلطان ولكم قيمة البناء»، ومازال بهم حتى ابتاعها منهم بنصف ما في مكاتيبهم من الثمن، وكانوا قد أنفقوا في عمارتها بعد مشتراها جملة، فلم يعتدّ لهم منها بشيء. وقام الماريديني في عمارة الجامع حتى تمّ في أحسن هندام، فجاء مصرفه ثلاثمائة ألف درهم ونيف، سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب والرخام وغيره. وخطب به الشيخ ركن الدين عمر بن إبراهيم الجعبري، من غير أن يتناول له معلوما.

وفيها عمرت قلعة جعبر المعروفة قديما بدوسر[١] وكانت قد تلاشت بعد أخذ المغل لها؛ فلما كملت رتب في نيابتها الأمير صارم الدين بكتوت السنجري نائب الرحبة [٢].

وفيها وقعت قصة بدار العدل تتضمن الوقيعة في النشو، وتذكر ظلمه وتسلّط أقاربه على الناس وكثرة أموالهم، وتعشق صهره ولي الدولة لشاب تركي. وكان قبل ذلك قد ذكر الأمير قوصون للسلطان أن عميرا الذي شغف به الأمير ألماس قد ولع به أقارب النشو، وأنفقوا عليه الأموال الكثيرة؛ فلم يقبل السلطان فيه قول قوصون أو غيره من الأمراء لمعرفته بكراهتهم له. فلما قرئت عليه القصة قال: «أنا أعرف من كتبها»؛ وأستدعى النشو ودفعها إليه، وأعاد له ما رماه به الأمير قوصون. فحلف النشو على براءة أقاربه من هذا الشاب، وإنما هذا ومثله مما ينقله حواشي الأمير قوصون إليه، ليبلغه قوصون إلى السلطان حتى يتغير خاطره، ويوقع به وبأقاربه، وبكى وانصرف. فطلب

(١) قلعة جعبر على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكانت قديما تسمى دوسر، وسبب تسميتها جعبر، لأن رجل من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك قد ملكها. انظر، معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. انظر معجم البلدان ٣٣/٣، والروض المعطار ٢٦٨.

السلطانُ الأمير قوصون وأنكر عليه إصغاءه لما يقال فى النشو، ونقله للسلطان حتى يتغير عليه مع منفعته به، وأخبره بحلف النشو. فحلف قوصون أن النشو يكذب فى حلفه، ولئن قبض على هذا الشاب وعوقب ليصدقنّ السلطان فى تعيينه من يعاشره من أقارب النشو.

فغضب السلطان، وطلب الأمير بدر الدين مسعود بن خطير الحاجب، وأمره بطلب الشاب وضربه بالمقارع حتى يعترف بجميع من يصحبه وكتابة أسمائهم، وألزمه ألا يكتم عنه شيئا منهم؛ فطلبه ابن خطير وأحضر إليه المعاصير، فأملى عليه عدة كثيرة من الأعيان، منهم ولى الدولة؛ فخشى مسعود على الناس من الفضيحة، وقال للسلطان: «هذا الكذاب ما ترك أحد فى المدينة حتى اعترف عليه، وإننى أعتقد أنه يكذب عليهم». وكان السلطان حشم النفس يكره الفحش، فقال: «يا بدر الدين! من ذكر من الدواوين؟» فقال: «والله ! يا خوند! ما خلى من خوفه أحدًا حتى ذكره». فرسم السلطان بإخراج عمير وأبيه إلى غزة وكتب إلى نائبهما أن يقطعهما خبزا هناك.

واتفق أيضا أن طيبغا القاسمى من المماليك الناصرية كان يسكن بجوار النشو، وله مملوك جميل الصورة؛ فاعتشر به ولى الدولة من إخوة النشو، فترصّده أستاذه حتى هجم يوما عليهم وهو معهم، فأخذ منهم وخرج. فبلّغوا النشو ذلك، فبادر بالشكوى إلى السلطان بأن طيبغا القاسمى يتعشق مملوكه، ويتلف عليه ماله «ثم إنه هجم وهو سكران على بيتى وحريمى، وقد شهر سيفه، وبالغ فى السبّ».

وكان السلطان يمقت على السكر، فأمر فى الحال بإخراج طيبغا ومملوكه إلى الشام منفيا.

وفيها قدم إبراهيم ابن السلطان من الكرك، يوم الإثنين ثالث ذى الحجة.

وفيها أمر السلطان بإنشاء قناطر بناحية شيبين القصر على بحر أبى المنجا، فأنشئت تسع قناطر في شعبان؛ وتقدّم السلطان إلى الأمراء بحمل الحجارة إليها، فحمل كل من الأمراء ما وظّف عليه من ذلك.

وفيها وقع بالمدينة النبوية وباء، فكان يموت فى كل يوم خمسة عشر بمرض الخوانيق، ولم يعهد مثل هذا بالمدينة الشريفة.

وفيها بلغت زيادة النيل ثمانية عشر ذراعا وإحدى عشر أصبعا، فعم نفعه

عامة الأراضى؛ وكان الوفاء يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة، وهو سادس عشر مسرى.

* * *

ومات فيها من الأعيان

بهاء الدين أبو بكر بن محمد بن سليمان بن حمايل - المعروف بابن غانم- كاتب السرّ بطرابلس، فى ثامن صفر بها.

وتوفى الواعظ شمس الدين حسين بن أسد بن مبارك بن الأثير، بمصر يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، عن أربع وثمانين سنة؛ حدّث عن الحافظ عبد العظيم وغيره.

ومات الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة، وهو معزول، يوم السبت ثامن جمادى الآخرة، عن نحو تسعين سنة؛ أصله من المماليك المنصورية قلاوون، وترقّى حتى صار خازنا ثم شادّ الدواوين ثم والى [(١)]؛ ثم استقرّ والى القاهرة وشادّ الجهات، فأقام عدة سنين؛ وإليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة على بركة الفيل؛ وكان حسن السيرة، ومات عن نحو تسعين سنة؛ وتربته بالقرب من قبة الشافعى بالقرافة.

ومات الأمير صلاح الدين طرخان ابن الأمير بدر الدين بيسرى، بسجنه فى الإسكندرية فى جمادى الأولى، بعد ما أقام به أربع عشرة سنة.

وتوفى الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم الحنفى[(١)]؛ وله تاريخ مصر مقفّى، وشرح البخارى، وشرح السيرة النبوية للحافظ عبد الغنى، ومشيخة فى عدة أجزاء اشتملت على ألف شيخ.

وتوفى زين الدين عبد الكافى بن الضياء على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى الخزرجى السبكى، بالمحلة الكبرى وهو على قضائها، وهو والد التقى السبكى.

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٣٣٤/٢.

(١) عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبى، قطب الدين: حافظ للحديث، حلبى الأصل والمولد، مصرى الإقامة والوفاة. له «تاريخ مصر» و«شرح السيرة للحافظ عبد الغنى » و«الاهتمام بتلخيص الإلمام» فى الحديث، وكتاب «الأربعين» فى الحديث. انظر حسن المحاضرة ٢٠٢/١ والفوائد البهية ١٠٠ وغاية النهاية ٤٠٢/١ والبداية والنهاية ١٧١/١٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٦/٩ والأعلام ٥٣/٤.

ومات الملك العزيز عثمان بن المغيث عمر ابن العادل أبى بكر ابن الكامل محمد ابن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، بالقاهرة ومولده سنة اثنين وخمسين وستمائة.

ومات الأمير طغلق الأشرفى السلاح دار، بالقاهرة، بعد الإفراج عنه بأسبوع.

ومات الصاحب شمس الدين عبد الله - واسمه غبريال أبى سعيد بن أبى السرور الأسلمى -ناظر الشام، بعدما صودر اتضع حاله حتى استجدى من الأمراء ونحوهم؛ و كان النشو يغرى به السلطان بأنه يكذب، وإن تسلمه أظهر له مالا كبيرا؛ فاشتملت تركته على ألف درهم، وبسببها استطال النشو على السلطان، وصار قوله عنده لا ينقض.

وتوفى المسند أمين الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الخلاطى الوانى، المؤذن بالجامع الأموى، فى حادى عشرى ربيع الأول بدمشق؛ سمع بمصر والشام والحجاز، وحدّث عن جماعة.

ومات محمد بن بكتوت الظاهرى القلندرى، بطرابلس فى خامس عشر ربيع الأول؛ كان كاتبا مجودا ويذكر أنه كتب على ابن الوحيد؛ وكان يضع المحبرة فى يده اليسرى والمجلد من كتاب الكشاف للزمخشرى على زنده، ويكتب منه ما شاء الله وهو يغنى ولا يغلط؛ وكان عند المؤيد بحماة مدة، ثم طرده.

وتوفى شيخ الكتابة بهاء الدين محمود بن الخطيب محيى الدين محمد بن عبد الرحيم ابن عبد الوهاب بن على بن أحمد بن عقيل السلمى - المعروف بابن خطيب بعلبك الدمشقى - بها فى سلخ ربيع الأول، عن سبع وأربعين سنة.

ومات الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا، فى يوم الإثنين ثامن عشر ذى القعدة بسلمية ودفن بها، عن ثمانين سنة؛ وترك ستة عشر ولدا، وكان عفيفا مشكور السيرة.

وتوفيت ناصرية ابنة إبراهيم بن الحسين السبكى، والدة التقى بعد زوجها زين الدين عبد الكافى السبكى بأربعين يوما؛ حدّثت عن على بن الصواف، ودفنت بالقرافة.

وتوفيت زينب بنت الخطيب يحيى ابن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، عن سبع وثمانين سنة؛ وقد تفرّدت بالرواية عن جماعة و قتل ترمشين بن دوا المغلى،

صاحب بلخ [١] وبخارا [٢] وسمرقند [٣] ومرو[٤] وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وأبطل المكوس وعَدَل فى رعيته؛ وملك بعده بزان.

* * *

---

(١) بلخ: هى مدينة خراسان العظمى وهى فى مستو من الأرض، ودار مملكة الأتراك والملك بها لازم، ولها كور ومدائن وفتحها عبد الله بن سمرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما، ومن بلخ إلى مدينة مرو مائة وستة وعشرون فرسخاً. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٩،٤٨٠.

(٢) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، بينها وبين جيجون يومان. انظر، معجم البلدان ٢/٣٥٣/٣٥٦.

(٣) سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن فريقش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال أنها بنيت أيام الإسكندر وتولى شمر فقيل شمرقند، وعربت فقيل سمرقند، وهى مدينة حسنة كبيرة على جنوب وادى الصغد، وقصبة الصغد سمرقند. انظر معجم البلدان ٣/٢٤٨، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣، وابن الوردى ٣١.

(٤) من أشهر مدن خراسان، بين مرو ونيسابور سبعون فرسخا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا. انظر معجم البلدان ٥/١١٢،١١٦، الروض المعطار ٥٣٢، ٥٣٣، ومعجم ما استعجم ٤/١٢١٦.



سنة ست وثلاثين وسبعمائة

فى المحرم: قدم مملوك المجد السلامى من العراق بكتاب أستاذه وصحبته بيرم رسول بوسعيد؛ فنزلا بدار الضيافة، وسافرا يوم الخميس خامس عشريه. وكان الكتاب يتضمن أن بوسعيد مرض، فتصدق بمال كثير، وكتب بإسقاط المكوس من توريز وبغداد والموصل، بواسطة الوزير محمد بن الرشيد، وأن سديد الدولة ديان اليهود مرّ بقارئ يقرأ قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**﴾[1] فوقف واستعاده قراءتها، وبكى بكاء شديدا، وقد اجتمع عليه الناس، ثم أعلن بكلمة الإسلام، فارتجت بغداد لإسلامه، وغلقت أسواقها، وخرج النساء والأولاد، فأسلم بإسلامه ستة من أعيان اليهود؛ وسارعت العامة ببغداد إلى كنائس اليهود، فخربوها ونهبوا ما فيها.

وفيها تم بناء خانكاه الأمير قوصون بجوار جامعه من داخل باب القرافة، وتمّت عمارة حمامها أيضا. فقرّر قوصون فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن[2] محمود الأصفهانى، فى يوم الخميس ثانى صفر؛ وعُمل بها سماط جليل.

وفى يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر: توجه السلطان إلى الوجه القبلى حتى وصل إلى دندرا، وعاد فطلع القلعة فى يوم الخميس خامس جمادى الأولى؛ وكانت غيبته خمسة وأربعين يوما.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول: عزل الأمير سيف الدين بغا عن الدوادارية؛ واستقر عوضه سيف الدين طاجار الماردينى؛ ثم أخرج بغا عن إمرة

---

(١) النساء الآية ١.

(٢) محمد بن محمود بن محمد بن عياد السلمانى، أبو عبد الله، شمس الدين الأصفهانى: قاض، من فقهاء الشافعية بأصبهان. يذكر أنه من سلالة أبى دلف العجلى. ولد وتعلم بها وكان والده نائب السلطنة. ولما استولى العدو على أصبهان رحل إلى بغداد ثم إلى الروم ودخل الشام بعد سنة ٦٥٠ فولى قضاء منبج ثم توجه إلى مصر وولى قضاء قوص فقضاء الكرك واستقر آخر أمره فى القاهرة مدرسا وتوفى بهاله كتب منها «شرح المحصول للرازى - خ» فى أصول الفقة أربعة مجلدات منه فى الأزهرية ولم يكمل وتشييد القواعد فى «شرح تجريد العقائد -خ» فى المدينة المنورة. انظر فوات الوفيات ٢٦٥:٢ والبداية والنهاية ٣١٥/١٣ وبغية الوعاة ١٠٣ والفوائد البهية ١٩٧-٨ وطبقات الشافعية ٤١/٥ وحسن المحاضرة ٣١٣:١ والأعلام ٨٧/٧.

عشرة[1] بصفد، فى ليلة الجمعة سادس ربيع الآخر. وسببه أن بعض تجار قيسارية جهاركس طرح عليه النشو ثيابا بضعفى قيمتها كما هى عادته، فرفع قصة للسلطان على يد بغا، وأحضره بغا بين يديه فشكا حاله. فاستدعى السلطان النشو بحضور التاجر، وقال له: «كم تشكو الناس منك! اسمع ما يقول هذا عنك من طرح القماش عليه بأغلى الأثمان». فقال: «يا خوندا ! هذا ما يشتكى من أمر القماش، لكنه عليه للسلطان مبلغ ثلاثين ألف دينار، وقد هرب منى وأنا أتطلبه. وهذا المبلغ من إرث جارية تزوجها التاجر - وهى من جوارى الشهيد الملك الأشرف خليل [2] - ماتت عنده، وخلفت نحو مائة ألف دينار وما بين جواهر وغيرها، فأخذ الجميع ولم يظهر السلطان على شيء». ثم التفت النشو إلى التاجر وقال له: «بحياة رأس السلطان! ما كنت متزوجا بفلانة؟» - يعنى الجارية المذكورة - فقال: «نعم!.» فأمره السلطان أن يسلمه لابن صابر المقدم حتى يستخلص منه المال، فأخذه ابن صابر وشهّره بالقاهرة، وعاقبه بالقيسارية[1] مررا حتى أخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم. ثم تحول النشو على بغا وسعى به أنه يأخذ البراطيل؛ وكان السلطان لا يرتشى، ويمقت من يرتشى ويعاقبه أشد العقوبة، فأثر كلامه عند السلطان حتى أخرجه. وسعى النشو أيضا بطقتمر الخازن حتى غيّر السلطان عليه، وأخرجه إلى قلعة حلب[2] نائبا بها فى تاسع عشرى رجب.

وفى يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة: رسم للأمير سيف الدين أيتمش المحمدى

---

(١) صفد مدينة فى حبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى حبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤٢١/٣.

(٢) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور من ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩ واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج فاسترد منهم عكة وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل. انظر فوات الوفيات ١٥١/١ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن الوردى ٢٣٨/٢ وابن إياس ١٢١/١ والأعلام ٣٢١/٢.

(١) القيسارية بلد على ساحل بحر الشام. انظر معجم البلدان ٤٢١/٤

(٢) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رجل من العمالقة، وهى مدين عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى، وقال بعضهم حلب قدرها خطير، وذكرها فى كل زمن يطير، لها قلعة شهيرة الامتناع، معدومة الشبيه والنظير فى القلاع، ويقال إن هذه القلعة كانت فى قديم الزمان ربوة يأوى إليها إبراهيم الخليل عليه السلام بغنيمات فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب. انظر تقويم البلدان ٢٩٩/١، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، صبح الأعشى ١١٦/٤.

بنيابة صفد، عوضا عن أرقطاى المرسوم بنقله إلى مصر؛ فخلع عليه يوم السبت حادى عشره، وودع السلطان يوم الإثنين ثانى عشر رجب. وخرج أيتمش إلى الريدانية، ثم رحل منها يوم الخميس خامس عشره، فقدم صفد يوم السبت ثامن شعبان. وقدم الأمير أرقطاى إلى قلعة الجبل يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة، وأنعم عليه بإقطاع أيتمش وتقدمته، وأكرمه السلطان.

وفيه أخرج بلبان الحسامى - والى القاهرة كان - إلى ولاية دمياط ثامن عشره؛ واستقر عوضه فى ولاية القاهرة علاء الدين بن حسن المروانى، وهو والى الولاة بالوجه البحرى يومئذ.

وفى ليلة ثالث عشر رجب: قبض على ابن هلال الدولة، وعلى ناصر الدين محمد ابن المحسنى؛ وأخرجا إلى الإسكندرية بسعاية النشو عليهما.

وسببه أن الناس توقفت أحوالهم فى القاهرة من جهة الفلوس، وتحسنت أسعار الغلال، وتعذر شراء الخبز إلا بمشقة. فوجد النشو سبيلا إلى القول، ورمى ابن هلال الدولة بأنه تحول من القرافة إلى جوار ناصر الدين بن المحسنى بخط البندقانيين من القاهرة، وأنهما يجتمعان ليلا ويندبان عدة من العامة لإغلاق دكاكين القاهرة والتعنت فى أمر الفلوس، وأن «ناصر الدين بن المحسنى قد باطن جماعة من الحرامية على الفتك بى، وأن إقامة الإثنين بالقاهرة توجب فسادا كبيرا». ومازال النشو بالسلطان حتى أخرجهما بعدما قبض عليهما، وكان ابن هلال الدولة من ثالث عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فى الترسيم بالقلعة؛ ثم أخرج بدر الدين والد ابن المحسنى وإخوته إلى طرابلس [١].

وفى يوم الثلاثاء ثالث رمضان: دخل الأمير الشريف بدر الدين [٢] ودى بن جماز ابن شيحة الحسنى أمير المدينة النبوية، شاكيا من ابن أخيه طفيل بن منصور بن جماز أنه

---

(١) طرابلس: من مدن إفريقية، وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب فى سورها، وقيل :وتفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس، وبينها وبين سرات عشر مراحل، وطرابلس أيضًا: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور صخر منيع، وهى معقل من معاقل الشام. انظر الروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) ودى بن جماز بن شيحة الحسينى بدر الدين أبو مزروع: ممن تولوا إمارة «المدينة». له نظم حسن. ولد ونشأ فيها وانتزع إمارتها من ابن أخيه طفيل وحبس ونظم أبياتا فى الحبس (سنة ٧٢٩) وغضب الملك الناصر (محمد بن قلاوون) على طفيل، فحبسه بمصر وولى صاحب الترجمة إمارة المدينة (سنة ٧٣٦) فقام بأعبائها.

لم يوافق على ما رسم به من شركتهما فى الإمرة. وكان قد رسم فى سادس عشر المحرم لودى بنصف الإمرة شركة بينه وبين ابن أخيه طفيل، وخلع عليه وكتب له توقيع بواسطة الأمير شرف الدين موسى[١] بن مهنا عند قدومه؛ فقدم طفيل من المدينة فى جمادى الأولى، ليكون بمفرده فى الإمرة، فلم يجب إلى ذلك. ثم آل الأمر إلى أن استقرّ ودى بمفرده فى الإمرة بغير شريك، وخلع عليه فى عاشر شوال، وتوجه مع الركب؛ ورسم لطفيل بإقطاعٍ فى بلاد حوران [٢] بالشام، فسكنها بعياله.

وفى تاسع شهر رمضان: أنعم على إبراهيم ابن السلطان بإمره، ونزل الأمير قوصون والأمير بشتاك بـه إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وعمل مهم عظيم. وألبس الأمير إبراهيم الشربوش على العادة، وشق القاهرة فى موكب جليل، وقد زينت بالشموع والقناديل حتى صعد القلعة.

وفيها رافع التاج كاتب الأمير بكتوت التاج محيى الدين بن فضل الله كاتب السر وولده شهاب الدين أحمد بورقة قرأها السلطان، تتضمن أنهما عزلاه بغير علم السلطان. فطلبهما السلطان وأوقفهما عليهما، فعرّفاه أن هذا كان يكتب الإنشاء بغزة، فكتب تواقيع بغيره بذلك بمقتضى قصة مشمولة بالخط الشريف، وأحضرا القصة؛ فأخرج الرجل. ووجد النشو طريقا للوقوع فى ابن فضل الله، فتسلط عليه بالكلام السيئ.

وفيها اشتدت وطأة النشو على الناس، وابتكر مظلمة لم يسبق إليها: وهى أنه ألزم الصاغة ودار أهل الضرب ألا يبتاع أحد منهم ذهبا، بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب، ليصك بصكة السلطان ويضرب دنانير هرجة [٣]، ثم تصرف بالدراهم؛ فجمع من ذلك مالا كبيرا للديوان. ثم تتبع النشو الذهب المضروب فى دار الضرب، فأخذ ما

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى. رئيس آل فضل أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. قال ابن تغرى بردى: كان من أجل الملوك. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

(٢) بلاد حوران: جبل بالشام وحوران أيضًا من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى، تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ فى منازل ومزارع حتى تصل إلى مدينة بصرى، وهى مدينة حوران، وفى شرقى هذه المدينة بحيرة فيها تجتمع مياه دمشق وتسير منها فى صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخًا فتدخل دمشق. انظر معجم البلدان ٣١٧/٢، والروض المعطار ٢٠٦.

(٣) الهرجة - يقال هرج أيضا جمع هرج وهى هنا دنانير تستعمل خاصة فى الحلى كالأساور والعقود وغيرها، بأن يصاغ فى أطرافها حلقات صغيرة أو يجعل فى جوانبها ثقوب.

كان منه للتجار والعامة، وعوضهم عنه بضائع؛ وحمل ذلك كله للسلطان. وانحصر ذهب مصر بأجمعه فى دار الضرب، فلم يجسر أحد على بيع شيء منه فى الصاغة ولا غيرها. ثم إن السلطان استدعى منه بعشرة آلاف دينار، فاعتذر عنها فلم يقبل عذره ونهره؛ فنزل النشو وألزم أمين الحكم بكتابة ما تحت يده من مال الأيتام، وطلب منه عشرة آلاف دينار قرضا فى ذمته، فدلّه على مبلغ أربعمائة ألف درهم لأيتام الدوادارى تحت ختم بهاء الدين شاهد الجمال، فأخذها منه وعوضه عنها بضائع. ثم بعث النشو إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الإخنائى المالكى فى تمكينه من مال أولاد الأمير أرغون النائب، وهو ستة آلاف دينار، وكانوا تحت حجره فامتنع وقال: «السلطان ما يحل له أخذ مال الأيتام»؛ فردّ عليه: «بأن السلطان إنما يطلب المال الذى سرقه أخوك من خزانة الخاص حيث كان ناظرها، فإن الحساب يشهد عليه بما سرقه من الخزانة»؛ وقام فى فورة إلى السلطان، ومازال به حتى بعث إلى القاضى يلزمه يحمل المال الذى سرقه أخوه من الخزانة، ويقول له: «أنت إيش كنت من مملوكى؟» فلم يجد قاضى القضاة بدا من تمكين النشو من أخذ المال.

وفيها أمر السلطان أيضا بتشديد العقوبة على أولاد التاج إسحاق وألزامهم.

وفيها تحرّكت أسعار الغلال من نصف جمادى الآخرة، وارتفع القمح من خمسة عشر درهما الأردب إلى عشرين درهما، ثم إلى ثلاثين درهما؛ فوقفت أحوال الناس. وارتفع القمح إلى أربعين درهما، فأمسك الأمراء وغيرهم من البيع طلبا للفائدة، فخاف السلطان عاقبة ذلك، فطلب نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعردى المحتسب - وقد بلغ الأردب خمسين درهما - وأنكر عليه، وأقام معه والى القاهرة علاء الدين على بن حسن المروانى، وكان ظالما غشوما. فضرب الوالى عدة من الطحانين والخبازين بالمقارع، فاشتد الأمر، وغلقت الحوانيت بالقاهرة ومصر، وتعذّر شراء الخبز إلا بمشقة عظيمة.

فكتب السلطان بحمل الغلال من غزة والكرك والشوبك وبلاد دمشق، وألا يترك بها غلة مخزونة حتى تحمل إلى القاهرة. ونودى بالقاهرة ومصر ألا يباع القمح بأكثر من ثلاثين درهما الأردب، ومن باع بأكثر من ثلاثين نهب ماله؛ وتقدّم السلطان إلى الأمراء بألا يخالفوا ذلك. فأمسك مباشرو الأمراء أيديهم عن البيع، وصاروا يجلسون بأبواب الشون ولا يبيعون منها شيئا؛ فاشتدّ الأمر. وباع السماسرة الأردب بستين وبسبعين خفية، وصار الأمراء يخرجون الغلة من الشون على أنها جراية لمخاديمهم، وما هى إلا مبيع بما ذكر.

فاهتم السلطان بالغلاء، وشق عليه ما بالناس من ذلك، وعلم أن أكثر الغلال إنما هى للأمراء؛ فطلب ضياء الدين يوسف أبى بكر بن محمد - الشهير بالضياء ابن خطيب

بيت الآبار الشامى ناظر المارستان وناظر الأوقاف، وقد اشتهرت نهضته وكفايته وأمانته، وفوض إليه الحسبة بمصر بعد امتناعه منها، وأكّد عليه فى القيام بما ندبه إليه، وخلع عليه فى ثالث جمادى الآخرة. ونزل الضياء ومعه الأكز شاد الدواوين إلى مصر؛ فكان يوما مشهودا. وأول ما بدأ به الضياء أن ختم شون الأمراء كلها، بعد أن كتب ما فيها من عدة الأرادب؛ وكتب ما يحتاج إليه الأمير من الجراية لمئونته والعليق لدوابه إلى حين قدوم المغلّ الجديد؛ ثم طَلب الشماسرة والأمناء والكيالين، وأشهد عليهم ألا تفتح شونة إلا بإذنه.

وصار الضياء يركب فى كل يوم إلى شونة، ويخرج ما فيها، فيبدأ بتكفية الطحانين، ولا يبيع الأردب إلا بثلاثين درهما؛ فلم يقدر أحد على بيعه بأكثر من ذلك. ثم بلغ الضياء أن سمسارى الأميرين قوصون وبشتاك باعا بأكثر من ذلك، فاستدعى الأمير الأكز إلى مصر فضربهما بالمقارع واشهرهما. ثم عرّف الضياء السلطان بأمرهما، فاشتد غضبه، وطلب الأمير قوصون حضرة الأمراء، وصرخ عليه: «ويلك! أنت تريد أن تخرب علىّ مصر؟ وتخالف مرسومى؟» وسبه ولعنه، وشهر عليه السيف وضربه على أكتافه ورأسه، وصار يقول: « هاتوا أستاداره» فسارع النقباء لإحضاره ومن شره غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول «هاتوا أستاداره»، حتى خرج أمير مسعود الحاجب بنفسه إلى باب القلعة والحاجب الآخر. وارتجت القلعة بأسرها، وخاف الأمراء كلهم، فلم ينطق أحد منهم لشدة ما رأوا من غضب السلطان. فلم يكن أسرع من حضور قطلو أستادار قوصون، فأمر السلطان الأكز بضربه بالمقارع، ثم أمر به فبطح بين يديه وضرب، خوفا عليه من إفحاش الأكز فى ضربه؛ فلم يتجاسر أحد بعدها من الأمراء أن يفتح شونته إلا بأمر المحتسب.

ثم بلغ الضياء أن الأمير طشتمر الساقى أخرج من شونته أربعمائة أردب، فأنكر على ديوانه، وحلف أنهم إن لم يعيدوا الأربعمائة أردب إلى الشونة، وإلا عرف السلطان ذلك؛ فلما بلغ الأمير طشتمر هذا ردّ الغلة إلى الشونة.

وكتب السلطان إلى ولاة الأعمال أن يركبوا بأنفسهم إلى جميع النواحى، ويحملوا ما بها من الغلال، بحيث لا يدعون غلة فى مطمورة [1] ولا مخزن، ولا أحد عنده غلة حتى يحمل ذلك كله إلى مصر، وتحضر أربابها لأخذ أثمانها عن كل أردب مبلغ ثلاثين درهما ونودى بالقاهرة ومصر: «من كان عنده غلة ولا يبيعها نهبت».

---

(١) المطمورة مكان تحت الأرض قد هيئ ليطمر فيه البر والفول ونحوهما، جمع مطامير. انظر المعجم الوسيط (طمر).

وكان قد بلغ السلطان أن الأجناد عندهم غلال، وهم يبيعونها بالويبة [(١)]، فباع بعضهم بعد النداء، وتهاون طائفة منهم فلم يبيعوا شيئا. فنم عليهم جيرانهم حتى كان منهم من تهجم السوقة الحرافيش عليه وتنهبه، ومنهم من يغمز عليه فيأتيه الوالى ويخرج غلته حتى تفرّق على الطحانين. وأقيم فى كل فرن شاهد لحصر ما يحمل إليه من الدقيق المرتّب له، وعُمل معدّل كفاية البلد فى كل يوم، وفُرّق القمح فيهم على قدر كفايتهم، فسكن ما كان بين الناس من العناء فى طلب الخبز، ومن ضرب الطحانين والخبازين.

فلما كان فى آخر شهر رجب: قدم من الشام أربع آلاف غرارة قمح. ثم قدم فى آخر شعبان أحمال كثيرة من بلاد الصعيد، وتبعها الحمل فى البر والبحر من الشرقية والغربية والبحيرة. وخاف أرباب الغلال على أنفسهم، فأخرجوها للبيع، حتى إذا أهل شهر رمضان قدمت التراويج فى أوائل الحصاد. ووافق ذلك النداء على النيل بالزيادة، فعبرت المراكب فيه بالغلال إلى ساحل مصر، وزفت بالمغانى؛ وكان الخبز يباع ستة أرطال بدرهم، فبيع من الغد ثمانية أرطال بدرهم. فلم ينسلخ شهر رمضان حتى فرج الله عن عباده، ونزل السعر قليلا قليلا، بعدما ظنّ كثير من الناس أنه نظير غلاء العادل كتبغا، فسلم الله بمنه.

وفى يوم الأربعاء رابع عشر شوال: قدم رسل الملك موسى الذى ملك بعد أربا كاؤن ورسول على بادشاه. فخلع عليهما وأنعم على جماعتهم بمال كثير.

فلما كان يوم الجمعة: ركبوا من القلعة بعد الصلاة، ومضوا فزاروا الإمام الشافعى والسيدة نفيسة، وعادوا إلى التربة المنصورية بين القصرين، فزاروا قبر السلطان الملك المنصور قلاوون [(١)]، وعدوا المارستان وطلعوا إلى القلعة، ودقت الكوسات عند نزولهم منها ثم عند عودهم إليها؛ وسافروا فى تاسع عشريه. وملخص كتبهم الخبر بموت ملك الشرق القان بوسعيد ابن القان محمد خربندا بن أرغون أبغا ابن عدو الله هولاكو بن طلوخان ابن عدو الله جنكز خان، بالباب الحديد وهو متوجه إلى لقاء أزبك خان،

---

(١) الويبة كيلتان والإردب ست ويبان انظر المعجم الوجيز ٦٨٣.

(١) المنصور قلاوون هو قلاوون الألفى العلائى الصالح، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر كان من المماليك، قبجاقى الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٢-٤٤ وابن إياس ١:١١ والنجوم الزاهرة ٢٩٢/٧ وفوات الوفيات ١٢٣/٢ والأعلام ٢٠٣/٥.

وأنه قام من بعده أربا كاؤن بن صوصا بن سنجقان بن ملكتمر بن أريغبغا أخى هولاكو بمساعدة الوزير غياث الدين بن رشيد الدين. فلم يوافقه على بادشاه حاكم بغداد فى الباطن، واستمال أولاد سونتاى فلم يوافقوه؛ فجمع على بادشاه المغل عليه، وكتب إلى السلطان الناصر [1] يعده بأنه يسلم بغداد ويكون نائبا عنه بها، وسأله فى إعانته بنجدة على أولاد سونتاى، تكون مقيمة على الفرات. ففرح السلطان بذلك وأجابه بالشكر، وبعث إليه خمسة قواقل وخمسة سيوف. فقوى عزم على بادشاه، وركب إلى أولاد سونتاى؛ فاجتمعوا على الشيخ حسن بن آقبغا أيلخان سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو - المعروف بالشيخ حسن بك الكبير النوين - بالأردو، وعرفوه انتماء على بادشاه لصاحب مصر ونصرته له. فكتب الشيخ حسن الكبير إلى السلطان يرغبه فى نصرته على علىّ بادشاه، ويمتّ إليه بقرابته من أمه؛ فمطل بالجواب رجاء حضور خبر علىّ بادشاه. فقدم الخبر بأن علىّ بادشاه لما ركب لحرب أولاد سونتاى بلغه اجتماعهم والشيخ حسن مع عدة من الأمراء، وأن أربا كاؤن هرب لتفلّل أصحابه عنه؛ وأشيع عنه أنه قتل. وقوى على بادشاه بمن أنضم إليه من المغل، فسار أولاد سونتاى والشيخ حسن إلى جهة الروم؛ وانفرد على بادشاه بالحكم فى الأردو، وأقام موسى بن على بن بيدو بن طرغاى بن هولاكو على تخت الملك.

وفى يوم الأربعاء سابع شوّال: تغير السلطان على الأمير الأكز شاد الدواوين، وضربه وحبسه مقيدا. وسبب ذلك أن الأمير قوصون غضب على الأكز من أجل أنه أخرق بقطلو أستاداره، عندما باع شماسرة القمح بأزيد من ثلاثين درهما الأردب؛ فعندما رآه فى الخدمة السلطانية سبّه، فردّ عليه الأكز ردا فاحشا سبّه فيه كما سبه، فاشتدّ حنق قوصون منه و هم أن يلكمه، فبدر إليه وهمّ فى ذلك، وإذا بالسلطان قد جلس وسمع الجلبة، فتقدم إليه الأكز وعرفّه بما فعله سمسار قوصون وضربه له، «وأن قوصون غضب علىّ بسبب ذلك، وشتمنى». فكان من السلطان فى حق قوصون ما تقدّم ذكره، وصار يقول: «إذا كان مملوكى يفعل شيئا بغير مرسومى ويعترض علىّ أى حرمة تبقى لى؟» وحطّ على قوصون. فتأخر قوصون عن الخدمة آخر النهار، فاستدعاه السلطان بجمدار، فوجده محموما، وأقام بالحمى ثلاثة أيام؛ فبعث إليه الأمير بشتاك

---

(١) الناصر محمد بن قلاوون بن عبدا لله الصالحى، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣م، وهو صبى له وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤. انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٢/ ٣٣٠ وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣ وابن إياس ١/ ١٢٩ والدرر الكامنة ٤/ ١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/ ٤١، ١١٥ والأعلام ٧/ ١١.

وطيّب خاطره، وهو يشكو مما جرى عليه، فما زال بـه حتـى دخـل إلى الخدمـة؛ فـأقبل السلطان عليه، ووعده بالإيقاع بالأكز. ثم طلب السلطانُ النشو بعد ذلك، وحدّثـه فـى أمر الأكز وغضّ منه؛ فعين النشو له لؤلؤًا عوض الأكز وقام عنه، وطلـب لؤلـؤًا وعرفـه ما دار بينه وبين السلطان وكان لؤلؤ خفيفا أحمق، فوضع من الأكز ودخل من الغـد إلى السلطان مع الأكز، وأخذ يجبهه بالكلام ويرافعه وينكيه، حتى حرج منه وسبه. فغضـب السلطان بسبب ذلك، وأمر به فضرب بين يديه، وقيد وسجن بالزردخاناه؛ وخُلع علـى لؤلؤ عوضه فى شد الدواوين، وخلع على شمس الدين إبراهيم بـن قزوينـة، ورسـم لهمـا أن يمتثلا ما يرسم به النشو، ولا يعملا شيئا إلا بمشورته، ونزلا. فأول ما بدأ به لؤلـؤ أن أوقع الحوطة علـى موجـود الأكـز، وقبـض علـى مباشريه؛ وعـاقب موسـى ابـن التـاج إسحاق، ونوع عذابه تقرّبا لخاطر النشو، وعاقب قرموط وطالبه بحمل المال.

وفى ثانى عشر ذى القعدة: استقر علاء الدين كندغدى العمرى فـى ولايـة القلعـة، عوضا عن بيبرس الأوحدى.

وفيها سقط طائر حمـام بـالميدان، وعلـى جناحـه ورقـة تضمنـت الوقيعـة فـى النشـو وأقاربه، والقدح فى السلطان بأنه قد أخرب دولته. فغضب السـلطان مـن ذلـك غضبـا شديدا، وطلب النشو وأوقفه علـى الورقـة، وتنمـر عليـه لكثرة مـا يشـكى منـه فقـال: «ياخوند الناس معذورون! وحق رأسك لقد جاءنى خبر هذه الورقة ليلة كتبـت. وهـذه فعلة العلم أبى شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت، كتبها فى بيت الصفى كاتب الأمـير قوصون، وقد اجتمع هو وأقاربه». وأخذ النشو يعرّف السلطان بما كان مـن أمـر سـعيد الدولة فى أيام بيبرس [١] الجاشنكير، وأغراه به حتى طلبه، وسلمه إلى الوالى علاء الديـن على بن حسن المروانى، فعاقبه عقوبة مؤلمة. وطلب السلطان الأمير قوصون وعنفه علـى فعل الصفى كاتبه، فطلبه قوصون وهدّده، فحلف بكل يمـين علـى براءتـه ممـا رمـى بـه. فتتبع النشو عدة من الكتاب وجماعة من الباعة، وقبض عليهم بسبب أبى شاكر، ونـوّع العذاب عليهم بيد الوالى، وخرب دورهم وحرثها بالمحراث. وقبـض النشـو علـى الموفـق هبة الله بن سعيد الدولة، ثم أفرج عنـه بعنايـة الأمـير آقبغـا عبـد الواحـد؛ وعـذَّب ابـن الأزرق ناظر الجهات.

---

(١) بيبرس الجاشنكير المنصورى، ركن الدين الملك المظفر: من سـلاطين المـماليك بمصر والشـام شركسى الأصل، على الأرجح كان من مماليك المنصور قلاوون ونسبته إليه وتأمر فى أيامه وصار من كبار الأمراء فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون. انظر فوات الوفيات ٨٥/١ والنجوم الزاهرة ٩٤/٧ وابن إياس ١١٢،٩٨/١ والأعلام ٧٩/٢.

واشتدّت وطأة النشو على الناس جميعا، وأوحش ما بينه وبين الأمراء كلهم؛ وثلب أعراضهم عند السلطان، حتى غيره عليهم.

ثم رتّب النشو ضامن دار الفاكهة فى أنْ وقف للسلطان، وسأل أن يسامح بما تأخر عليه، فإن دار الفاكهة أوقف حاله فيها، من أجل أن الأعناب الواصلة من ناحية مرصفا وغيرها عصرت خمرا بناحية شبرا، فتعطل ما كان يؤخذ منها للديوان. فطلب السلطان النشو ولؤلؤًا، وسألهما عن ذلك وعن ناحية شبرا، فقالا: «هى للأمير بشتاك، وديوانه إبراهيم جمال الكفاة هو الذى يعصر فيها». فرسم للوالى ولؤلؤ أن يكسرا جميع ما بشبرا من جرار الخمر، وإحضار من هى عنده؛ فطلب لؤلؤ أستادار بشتاك وأحرق به، فشق ذلك على بشتاك وشكاه للسلطان، فلم يلتفت إلى شكواه، وقال: «أستادارك وديوانك يعصران الخمر ويتجوَّهان بك؟»، ونحو هذا ومضى الوالى ولؤلؤ إلى شبرا، وكسرا فيها ألف جرة خمر، ووجدت جرار كثيرة عليها ختم المخلص أخى النشو، ووجد له أيضا قند وستمائة جرة فيها خمر عتيق؛ وكان معهم أستادار الأمير بشتاك، فاشتدّ عليهم واستطال، فداريا الحال حتى بلغا السلطان ما أرضاه، وسكت عن ذلك.

ثم ندب النشو بكتوت من مماليك الخازن - وهو يومئذ شاد شونة الأمير بشتاك - لمرافعة إسماعيل أستادار بشتاك وإبراهيم جمال الكفاة ديوانه؛ فخلا بكتوت ببشتاك وعرّفه أن المذكورين أخذا من الخصوص خمسة آلاف أردب، ومبلغ خمسين ألف درهم، وأخذا من الشونة مائة ألف درهم عندما رسم السلطان ببيع الأردب بثلاثين درهما، فباعوه بستين وبسبعين درهما؛ وذكر له أشياء من هذا النوع. فانفعل له بشتاك وبلّغ السلطان ذلك، وأحضر بكتوت معه؛ فطلب السلطان جمال الكفاة وإسماعيل، وطلب النشو أيضا وذكر له ما قال بكتوت، وأثنى عليه وشكره؛ فاشتدّ بأسه وأخذ يجبه مباشرى بشتاك بما رماهم به. فثبت جمال الكفاة لمحاققته، وكان مقداما طلق العبارة، وقال للسلطان: «أنا المطلوب بكل ما يقوله هذا» فبدأ النشو يذكر من أوراق المرافعة ما يتعلق بالخصوص، فأجاب بأن «الذى تولى قبضها الأستادار ومماليكه مع مباشرى الناحية؛ وهذه أوراقهم مشمولة بخطوط العدول، والمقبوض منها أزيد مما كان يقبض فى أيام الأمير بكتمر الساقى بكذا وكذا». ثم ذكر جمال الكفاة حديث مبيع الشونة؛ فقال: «منذ باشرت عند الأمير ما تنزلت إلى الشونة، والذى أبيع منها كذا وكذا أردب، بحضور شاهد ديوان الأمير، ومعه شاهدا إضافة وأربعة أمناء وسماسرة من جهة المحتسب. والسلطان يحضرهم ويكشف من دفاترهم عما قلته، فإن وجده بخلاف ما قلته كان في جهتى، وكان جزائى الشنق». فلما فلج جمال الكفاة بالحجة، قال

بكتوت: « ياخوند! هذا يعصر أربعة آلاف جرة خمر فى شبرا». فنهره السلطان وقال له: « إيش صح من كلامك حتى يصح هذا؟» وأمر به فأخرج؛ وعرّف بشتاك بأن النشو قد ندبه لذلك، فأسرّها فى نفسه.

فالتفت النشو بعد ذلك إلى جهة الأمير آقبغا عبد الواحد، ونمّ عليه للسلطان بأن معامل ناحيتى أبيار والنحراوية قد انكسر عليه مال نحو ثمانين ألف درهم، من جهة أن الأمير آقبغا صار يأخذ من قزازى ناحية طوخ مزيد التى فى إقطاعه عن التفاصيل التى تعمل بها ما كان يؤخذ عليها إذا حملت إلى أبيار والنحراوية، وأنه عمل ختما باسمه بدل ختم السلطان يختم به التفاصيل المذكورة؛ وذكر له عنه أشياء تشبه هذا، وأحضر بالحسام العلائى شاد أبيار والنحراوية ليحاقق آقبغا. فأمر السلطان بإحضار آقبغا وأغلظ له، وأمر الشاد بمحاققته، فجبهه بما رماه به النشو واستطال عليه، فخاف آقبغا و لم يأت بعذر يقبل؛ فطرده السلطان عنه، وأخذ يضع منه والأمير بشتاك يسدّ خلله حتى كفّ عن القبض عليه. فشقّ ذلك على الخاصكية ووقعوا فى النشو، وقد علموا أن ذلك من أفعاله.

وفيها قدم كتاب الأمير تنكز نائب الشام يشكو من الأمير أيتمش نائب صفد، من أجل أنه ما يمتثل أمره، ويستبد بغير مراجعته فأجيب بمراعاته وإكرامه. فلم تطل مدة أيتمش بعد ذلك سوى اثنين وثلاثين يوما ومات؛ فخلع على الأمير طشتمر الساقى، واستقرّ فى نيابة صفد، وزيد على إقطاع النيابة، وأنعم على ولديه بإمرتين.

وفيها خلع على الأمير طيبغا حاجى، واستقرّ فى نيابة غزة [١] عوضا عن جركتمر فى سابع عشرى ذى الحجة؛ ونقل جركتمر إلى نيابة حمص [٢].

وفيها أخرج الأكز على إمرة طبلخاناه بدمشق، فى يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى القعدة؛ فكانت مدة اعتقاله شهرا ونصف شهر.

وفيها عزل الجمال ابن الأثير من كتابة السرّ بدمشق إلى القاهرة؛ واستقرّ عوضه علم الدين محمد بن القطب.

---

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هند لأنه اسم أعجمى، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رحال من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. ومنها إلى حلب خمس مراحل، وبين حمص وسلمية ستة فراسخ، وبحمص مات خالد بن الوليد رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وقيل بل مات فى المدينة وصلى عليه عمر رضى الله عنه. انظر الروض المعطار ١٩٨، ١٩٩. ومعجم البلدان ٣٠٢/٢.

وفى ثالث عشر ذى القعدة: نقل الخليفة المستكفى با لله [١] أبو الربيع سليمان من سكنه بمناظر الكبش إلى قلعة الجبل، وأنزل حيث كان أبوه الحاكم نازلا؛ فسكن برج السباع دائما بعياله، ورسم على الباب جاندار بالنوبة؛ وسكن ابن عمه إبراهيم فى برج بجواره ومعه عياله، ورسم عليه جاندار الباب؛ ومنعا من الاجتماع بالناس.

وفى ثالث عشرى ذى القعدة: استقرّ عز الدين أيبك الحسامى البريدى أحد مقدمى الحلقة فى ولاية قطيا، عوضا عن الأمير علاء الدين ألطبرس الدمشقى الزمرّدى؛ واستقرّ ألطبرس من جملة أمراء العشرات.

وفى أول ذى الحجة: قدم الملك الأفضل صاحب حماة [٢]، وحصل من الاحتفال به أكثر من كل مرة.

وفى ثالثه: استقرّ الشيخ محمد القدسى فى مشيخة خانكاه الأمير بشتاك، وعملت فيها وليمة عند فراغ بنائها.

وفى يوم عيد النحر: أقيم على مملكة العراق [٣] محمد يلقطلو بن تيمور بن عنبرجى ابن منكوتمر بن هولاكو، وقام بأمره الشيخ حسن بك الكبير، فحاربه الملك موسى فى رابع عشره؛ فانهزم موسى بعدما قتل بينهما خلائق، وقتل على بادشاه مدبر دولة موسى؛ وكانت هذه الوقعة قريبا من توريز عند بلدة ناوشهر على جبل الأداغ.

وفيها استقرّ الأمير بكتاش فى نقابة الجيش، بعد وفاة صاروجا.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعا.

* * *

---

(١) سليمان بن أحمد بن على، أبو الربيع الخليفة المستكفى با لله، بن الحاكم بأمر ا لله من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ بعهد منه؛ ففوض الأمور إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وسار لغزو التتر. انظر المختصر لأبى الفداء ١٣٢/٤ والبداية والنهاية ١٨٧/١٤ وابن إياس ١٤٤/١، ١٧٠ وابن الوردى ٣١٧/٢ والدرر الكامنة ١٤١/٢ والنجوم الزاهرة ١٦٩/١٠ والأعلام ١٢١/٣.

(٢) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢، ٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤: ١٠٤.

(٣) العراق: قال الخليل: هو لغة شاطئ البحر، وسمى العراق بذلك لأنه على شاطئ دجلة والفرات، والعراق ما بين هيت إلى السند والصين، إلى الرى وخراسان، إلى الديلم، وقيل سمى العراق لأنه مأخوذ من عراقى الدلو. والكوفة والبصرة تسمى العراقان، فحد أرض العراق ما بين الخزر إلى السواد، والعراق وسط الدنيا ومستقر المماليك الجاهلية والإسلامية، وعين الدنيا، وفيه الدجلة والفرات، وهما الرافدان، وفيه القواعد العظيمة والأعمال الشريفة. انظر معجم البلدان ٩٣/٤، ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٢٩.

ومات فيها من الأعيان

القان بوسعيد بن القان محمد خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغلى ملك التتار، صاحب العراق والجزيرة وأذربيجان [١] وخراسان [٢] والروم [٣]، فى ربيع الآخر بأذربيجان، وقد أناف على الثلاثين؛ وكانت دولته عشرين سنة؛ كان جلوسه على التخت فى أول جمادى الأولى سنة سبع عشرة بمدينة السلطانية، وعمره إحدى عشرة سنة؛ وكان جميلا كريما، يكتب الخط المنسوب، ويجيد ضرب العود، وصنّف مذاهب فى النغم، وأبطل عدة مكوس، وأراق الخمور ومنع من شربها، وهدم كنائس بغداد وورّث ذوى الأرحام، فإنه كان حنفيا؛ ولم تقم بعده للمغل قائمة.

ومات أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف المرادى القرطبى [٤] العشّاب، وزير أبى يحيى زكريا اللحيانى [٥] متملك تونس، بالإسكندرية فى شهر ربيع الأول؛ وقد برع فى النحو، وحدّث.

وتوفى عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد القلانسى، محتسب دمشق بها.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن برق، والى دمشق بها.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن محمد بن الصاحب فتح الدين عبدا لله بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن القيسرانى، كاتب الدست بقلعة الجبل، ثم كاتب السرّ بحلب، فى ذى القعدة؛ ومولده سنة إحدى وسبعين وستمائة.

---

(١) أذربيجان: هى كورة تلى الجبل من بلاد العراق وهى مفتوحة الألف، وتلى كورة أرمينية من جهة المغرب، ينسب إليها أذربى. انظر معجم البلدان ١٥٠/١، والروض المعطار ٢٠، ٢١.

(٢) خراسان: قطر معروف قال الجرجانى: معنى خر: كل، واسان معناه سهل، أى كل بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، وهو عمل كبير وإقليم جليل معتبر. انظر معجم البلدان ٣٥٠/٢، والروض المعطار ٢١٤، ٢١٥.

(٣) الروم بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٩٧/٣.

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادى القرطبى، أبو العباس العشاب: مقرئ من أهل قرطبة، استوزره صاحب تونس ثم نزل الإسكندرية وتوفى بها. له تفسير مختصر، وكتاب فى المعانى والبيان. انظر غاية النهاية ١٠٠/١ والدرر الكامنة ٢٤١/١ وشذرات الذهب ١١٢/٦ والأعلام ٢٣٣/١.

(٥) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانى أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية وولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩/ والنجوم الزاهرة ٦٢٨/٩ وابن خلدون ٣٢٥/٦ والدرر الكامنة ١١٣/٢ والبداية والنهاية ١٢٩/١٤ والأعلام ٤٥/٣،٤٦.

ومات الأمير جمال الدين آقوش الأشرفى - المعروف بنائب الكرك [١] - مسجونا بالإسكندرية، فى يوم الأحد سابع جمادى الأولى.

ومات الأمير أيتمش المحمدى نائب صفد، فى ليلة الجمعة سادس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير بلبان الحسامى والى دمياط - الذى كان والى القاهرة، وهو أخو بدر الدين المحسنى - فى نصف شهر رمضان، وهو فى الاعتقال.

ومات الأمير علاء الدين الشيخ على التترى مملوك سلار، فى يوم الخميس خامس ربيع الآخر.

ومات نقيب الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن صاروجا، فجأة وهو فى الصيد؛ فحمل إلى القاهرة، ودفن يوم الثلاثاء.

ومات الأمير سيف الدين ألناق الناصرى، هو أحد مقدمى الألوف، فى ثامن عشرى شوال.

وتوفى الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بلبان بن عبد الله البيسرى شيخ زاوية أبى السعود، ليلة الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر؛ وكان يلى مشيخة زاوية أبى السعود، ثم عزل عنها؛ وهو أحد مماليك الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى، فلما قبض على بيسرى أقام الشيخ سيف الدين بهذه الزاوية مدة خمس وخمسين سنة.

وتوفى علاء الدين بن نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب بن الجوجرى ناظر الخزانة، فى تاسع المحرم.

وتوفى أمين الدين عبد المحسن بن أحمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد بن الصابونى بمصر، وقد بلغ ثمانين سنة؛ وانفرد برواية أشياء.

وتوفى شيخ الكتابة عماد الدين محمد بن العفيف محمد بن الحسن بالقاهرة عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفى تقى الدين سليمان سليمان بن موسى بن بهرام السمهودى، الفقيه الشافعى الفرضى العروضى الأديب عن ثمانين سنة بناحية سمهود.

ومات الأمير سنقر النورى نائب بهسنا [١]، وترك اثنين وعشرين ذكرا وأنثى وستّين سرية.

وتوفى الشيخ الصالح المعمر الرحلة شمس الدين محمد ابن المحدّث محب الدين محمد بن ممدود بن جامع البندنيجى البغدادى، فى سابع المحرم بدمشق، عن اثنتين وتسعين سنة.

---

(١) الكرك: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ومعجم البلدان ٤/٤٥٣.

(١) بهنسا قلعة حصينة بالقرب من مرعشق. انظر معجم البلدان ١/٥١٦.

ومات علم الدين قيصر العلائى، فى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة.

وقتل أربا كاؤن سلطان العراق وآذربيجان والروم؛ وكان القان بوسعيد لما مات أقام الوزير غياث الدين محمد أربا كاؤن هذا؛ لأنه من ذرية جنكز خان، وقد قتل أبوه ونشأ فى غمار الناس؛ فقتل أربا كاؤن بغداد خاتون، وجبى الأموال، وقصد أن يأخذ بلاد الشام، فهلك دون ذلك بعد شهيرات من جلوسه على التخت؛ وكان يتهم بأنه كافرا، وأقيم بعده موسى بن على بن بيدو بن طوغاى بن هولاكو.

* * *

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

المحرم أوله السبت:

فى سابعه: رسم بنيابة صفد للأمير طشتمر البدرى أحد مقدمى الألوف، عوضا عن أيتمش المحمدى؛ وتوجه ومعه طاجار الدوادار فى ثالث عشره.

وفى ثانى عشرة: قدم الخبر بالواقعة التى كانت قرب توريز على ما تقدّم ذكره.

ثم قدم فى سابع عشره: مضر بن خضر رسول الشيخ حسن بك الكبير ابن أمير حسين، وهو ابن أخت غازان، وهو القائم بأمر محمد بن يلقطون بن عنبرجى؛ فخلع عليه، وسافر فى ثالث صفر.

وفى سابع عشر المحرم: عُقد عقد الأمير أبى بكر ابن السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طقزدمر أمير مجلس، بدار الأمير قوصون.

وفى يوم الخميس عشريه: - وهو يوم النوروز - كان وفاء النيل. وانتهت الزيادة فى سابع عشر بابه إلى سبعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا.

وفى سادس عشرى المحرم: قدم الأمير سيف الدين طينال نائب طرابلس، وأخلع عليه عند وصوله، وسافر سلخ صفر؛ فكانت إقامته ثلاثة وثلاثين يوما.

وفيها كتب بأخبار آل مهنا وآل فضل لعدة من أمراء الشام تنكز والأميرنائب الشام، وذلك من أجل أن العرب قطعوا الطريق على قافلة وأخذوا ما فيها، فلما ألزم آل مهنا بذلك اعتذروا بأن الذى فعل هذا عرب زبيد [(١)]، وليسوا من عرب الطاعة.

وفيها كانت واقعة الشيخ شمس الدين محمد [(٢)]بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبّان، فى شهر المحرم؛ وذلك أنه نسبت إليه عظائم: منها أنه قال فى ميعاده بجامع مصر إن السجود للصنم غير محرّم، وأنه يفضل الشيخ ياقوت العرش شيخه على بعض الصحابة،

---

(١) عرب زبيد هم البطن الخامسة من بطون العرب الضاربة بالشام خارجًا عن نطاق النيابات المملوكية هم ثلاث فرق.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردى الدمشقى شمس الدين ابن اللبان: مفسر من علماء العربية ولد ونشأ بدمشق، واستقر وتوفى بمصر. من كتبه «ألفية» فى النحو، قيل لم يصنف فى العربية مثلها. و(ديوان خطب ورد معا فى الآيات المتشابهات إلى معانى الآيات المحكمات - ط) فى التفسير انظر مرآة الجنان ٤:٣٣٣ والدرر الكامنة ٣/٣٣٠ الكتبخاته ١/١٤١ والأعلام ٥/٣٢٧.

وشهد عليه بها. واستؤذن السلطان عليه فمكن منه، فترامى على الأمير جنكلى بن البابا، والأمير الحاج آل ملك، والأمير أيدمر الخطيرى، حتى حكم بتوبته؛ ومنع من الوعظ؛ هو والشيخ زكى الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى، وجماعة من الوعاظ.

وفيه قدم ركب الحاج على العادة، وأخبروا بأن الشريف رميثة كان قد أقام ببطن مَرّ، وأقام أخوه الشريف عطيفة بمكة، فتسلّط ولده مبارك على المجاورين، وأخذ مال التجار، فركب إليه رميثة وحاربه، فقتل بينهم جماعة، وفرّ رميثة؛ وذلك فى ثامن عشرى رمضان من السنة الماضية.

وفيها قبض على الأمير بهادر البدرى بدمشق، وضرب وسجن، لجرأته على الأمير قطلوبغا الفخرى وعلى الأمير تنكز نائب الشام وإفحاشه لهما.

وفيها أجدبت زراعة الفول، فألزم النشو سماسرة الغلال ألا يباع الفول إلا للسلطان فقط، فتضرّر أرباب الدواليب.

وفيها صادر النشو جماعة من أرباب الدواليب [١] بالوجه القبلى، وأخذ من محتسب البهنسا وأخيه مائتى ألف درهم وألف أردب غلة. فرافع ابن زعازع من أمراء الصعيد أولاد قمر الدولة عند النشو، فاقتضى رأيه مصادرة ابن زعازع لكثرة ماله، وأوقع الحوطة على موجوده؛ وكُتب إلى متولى البهنسا ليعاقبه أشد العقوبة. فلفّ والى البهنسا على أصابعه الخروق وغمسها فى القطران، وأشعل فيها النار، ثم عرّاه ولوّحه على النار، حتى أخذ منه ما قيمته ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، ووجد له أربعمائة فرجية بفرو، ومائة وعشرين جارية، وستين عبدا، ثم كتب عليه حجة بعد ذلك بمبلغ مائة درهم، واحتج النشو لمصادرته بأنه وجد كنزا.

وفيها كتب بطلب الأمير سنجر الحمصى.

وفيها ارتفع سعر اللحم لقلة جلب الأغنام حتى أبيع الرطل بدرهم وربع، وسبب ذلك أن النشو كان يأخذ الغنم بنصف قيمتها؛ فكتب إلى نائب الشام ونائب حلب بجلب الأغنام. ثم إن النشو استجدّ للسواقى التى بالقلعة أبقارا، وأحضر أبقارها التى قد ضعفت وعجزت مع الأبقار التى ضعفت بالدواليب، وطَرحها على التجار والباعة بقياسر القاهرة ومصر وأسواقها، حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصّه منها شىء على قدر حاله، فبلغ كل رطل منها درهمين وثلثا؛ ورميت تلك الأبقار على الطواحين

---

(١) المقصود بالدواليب جميع الآلات العجلية المستعملة، فى الزراعة والصناعة.

والحمامات كل رأس بمائة درهم، ولا تكاد تبلغ عشرين درهما، فبلى الناس، من ذلك بمشقة وخسارة كبيرة.

واتفق أن النشو أغرى السلطان بموسى بن التاج إسحاق، حتى رسم بضربه إلى أن يموت؛ فضرب زيادة على مائتين وخمسين شيبًا [(١)] حتى سقط كالميت؛ ثم ضرب من الغد أشدّ من ذلك، وحمل على أنه قد مات؛ فسرّ النشو بذلك سرورا زائدا، وذهب ليرى موسى وهو ميت، فوجد به حركة. وفى أثناء طلب السلطانُ إحضار الأمير لؤلؤا، فأخبره بأن موسى قد بدأ يئن وبعد ساعة يموت؛ فرسم ألا يضرب بعد ذلك، فشقّ هذا على النشو.

وفى سابع عشرى صفر: ابتدئ بهدم الطبقة الحسامية المجاورة لدار النيابة بالقاهرة، وكانت قد عمرت سنة ثمان وثمانين وستمائة.

وفى رابع عشر ربيع الأول: قدم حمزة رسول الملك محمد بن بلقطلو بن عنبرجى، وصحبته عماد الدين السكرى نائب على بادشاه بالموصل [(١)]؛ فأدّوا رسالتهم وسافروا أول ربيع الآخر.

وفى ثامن عشر ربيع الأول: سافر الأفضل صاحب حماة إلى محل ولايته بحماة، وكان قد حضر فى مستهل ذى الحجة من السنة الحالية.

وفى تاسع عشريه: وصلت رسل الملك موسى، وسافروا فى نصف ربيع الآخر.

وفى سلخ ربيع الأول: عزل بدر الدين بن التركمانى عن الكشف بالوجه البحرى.

وفى ثالث ربيع الآخر: قدم رسول ملك الحبشة.

وفى خامس عشره: قدم الأمير سيف الدين أبو بكر البابيرى، وخلع عليه بولاية القاهرة عوضا عن ابن التركمانى.

وفى سادس عشره: استقرّ نكبيه البريدى فى ولاية قطيا، عوضا عن أيبك الحسامى بإمره عشرة.

وفى سلخ جمادى الأولى: قدم مراد قجا رسول أزبك ملك الترك، فأقام خمسة

---

(١) الشيب هو سير السوط أى: الكرباج. انظر قاموس المحيط.

(١) الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء الدجلة، وهى مدينة عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان. انظر معجم البلدان ٢٢٣/٥، والروض المعطار ٥٦٣، ٥٦٤، ونزهة المشتاق ١٩٩.

أشهر ونصف شهر، وسافر فى رابع عشر ذى القعدة؛ ومن ثالث ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة لم يحضر من عند أزبك إلا هذا.

وفى سادس عشرى جمادى الآخرة: استقرّ بهاء الدين قراقوش الجيشى فى ولاية البهنساوية، عوضا عن على بن حسن المروانى.

وفيها هدمت دار النيابة بالقلعة، وهى التى عمرت فى الأيام المنصورية قلاوون، سنة سبع وثمانين وستمائة؛ وأزيل الشباك الذى كان يجلس فيه طرنطاى النائب؛ وذلك فى يوم الأحد ثامن ربيع الآخر.

وفيها أغرى النشو السلطان بالصفى كاتب الأمير قوصون، بأنه يظهر فى جهته للديوان عما كان يحضر إليه من أصناف المتجر أيام مباشرته بديوان الأمير قجليس، وهو جملة كثيرة، وأن بعض الكتاب يحاققه على ذلك. فطلب السلطانُ الأمير قوصون وأغلظ فى مخاطبته، وقال: «كاتبك يأكل مالى وحقوقى، وينجوه بك»، وذكر له ما قال عنه النشو؛ فتخلى عنه قوصون ولم يساعده. فأمر السلطان النشو ولؤلؤا والمستوفين أن يمضوا إلى عند الأمير قوصون، ومعهم الرجل المحاقق للصفى، ويطالعوا السلطان بما يظهر؛ فاجتمعوا لذلك، وقام المرافع للصفى فلم يظهر لما ادّعاه صحة.

وفى يوم الثلاثاء ثانى رجب: قدم الأمير تنكز نائب الشام والسلطان بسرياقوس، فطلع وهو معه فى يومه إلى القلعة، وهى القدمة الحادية عشرة، وسافر فى ثانى عشريه.

وفى يوم عشريه: عزل شهاب الدين بن الأقفهسى وعلاء الدين البرلسى عن نظر الدولة؛ وولى شمس الدين بن قزوينة النظر بمفرده، وكان بطالا؛ ورسم له ألا يتصرّف فى شىء إلا بعد مشاورة شرف الدين النشو ناظر الخاص.

وفى تاسع عشريه: استقرّ علاء الدين بن الكورانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن أبى بكر الردّادى، نقل إليها من ولاية أشموم الرمان.

وفيها عدم فرو السنجاب، فلم يقدر على شىء منه لعدم جلبه. فأمر النشو بأخذ ما على التجار من الفرجيات المفراة، فكبست حوانيت التجار والبيوت، حتى أخذ ما على الفرجيات من السنجاب. فبلغ النشو وقوع التجار فيه ودعاؤهم عليه، فسعى عند السلطان عليهم، ونسب جماعة منهم إلى الربا فى المقارضات، وأنهم جمعوا من ذلك ومن الفوائد على الأمراء شيئا كثيرا، وأن عنده أصناف الخشب والحديد وغيره، واستأذنه فى بيعها عليهم. فأذن له السلطان، فنزل وطلب تجار القاهرة ومصر وكثيرا

من أرباب الأموال، ووزع عليهم من ألف دينار كل واحد إلى ثلاثة آلاف دينار، ليحضروا بها ويأخذوا عنها صنفا من الأصناف، فبلغت الجملة خمسين ألف دينار، عاقب عليها غير واحد بالمقارع حتى أخذها.

وقام عدة من الأمراء الأكابر فى حق جماعة من التجار فلم يسمع السلطان لأحد منهم قولا. وقامت ست حدق وأم آنوك ابن السلطان فى رفع الخشب عن تاجر ألزمه النشو بألفى دينار، وعرفتاه بظلم النشو، وهو أن هذا الخشب قيمته مبلغ ألفى درهم. فطلب السلطان النشو وأنكر عليه ذلك وتجهم له، فانصرف على غير رضى ثم ندب النشو رجلا مضى إلى ذلك التاجر وسأله فى قرض مبلغ مال، فأخذ التاجر فى الشكوى مما به من إلزامه بألفى دينار عن ثمن خشب طرحه عليه النشو؛ فقال له الرجل:«أرنى الخشب فإنى محتاج إليه»، فلما رآه أعجبه واشتراه منه بفائدة ألف درهم إلى شهر؛ فامتلأ التاجر فرحا، وأشهد عليه بذلك. ومضى الرجل ليأتى بثمن الخشب، فدخل على النشو وأخبره الخبر، ودفع إليه نسخة المبايعة، فقام من فوره إلى السلطان وأعلمه أنه نزل ليرفع الخشب من حاصل التاجر فوجده قد باعه بفائدة ألف درهم. فطلب السلطان التاجر وسأله عما رماه عليه النشو، فاغتر البائس وأخذ يقول:«ظلمنى وأعطانى خشبا بألفى دينار يساوى ألفى درهم». فقال له السلطان:«وأين الخشب؟» قال: «بعته بالدين»، فقال النشو: «قل الصحيح فإن هذه معاقدتك ببيعه»، فلم يجد بدا من الاعتراف. فحنق عليه السلطان، وقال «ويلك ! تقيم الغاثة وأنت تبيع بضاعتى بفائدة؟!»؛ ثم أمر النشو بضربه وأخذ الألفى دينار منه مع مثلها؛ وعظم النشو عند السلطان ثم عبر السلطان إلى نسائه وسبهن، وعرفهن ما جرى وقال: «مسكين النشو! ما وجدت له أحدا يحبه كونه ينصحنى ويحصل مالى ».

وفيها ترافع يعقوب الأسلمى مستوفى الجهات والأمير بن المجاهدى والى دمياط فرسم بمصادرتهما، فعوقبا عقوبة شديدة، وغرما مالا جزيلا.

وفيها كثر ضبط علم الدين سنجر الجاولى لأوقاف المارستان، وتوقفه فيما يصرف منه للصدقات. فأنكر السلطان عليه ذلك، وقال له:«المارستان كله صدقة»، ولم يقبل له عذرا.

وفيها امتنع ابن الأقفهسى ناظر الدولة من الكتابة على توقيع الضياء المحتسب؛ وقد عمل معلومة على الجوالى. فشقّ ذلك على السلطان، وأمر الأمير طاجار الدوادار أن يبطحه ويضربه، ويقول له: «كيف يعلّم السلطان على شيء وتأبى أن تكتب عليه!!»؛

فضربه ضربا مؤلما. وكان السلطان لا يتغاضى فى خرق حرمته، ويعاقب من فعل ذلك.

وفيها شكا المماليك السلطانية من تأخّر كسوتهم، فطلب النشو وألزمه بحمل كسوتهم من الغد، ومعها مبلغ عشرين ألف دينار. فنزل النشو والزم الطيبى ناظر المواريث بتحصيل خمسة آلاف دينار، وبعث المقدّمين إلى الأسواق، ففتحوا حوانيت التجار، وأخذوا كسوة المماليك وحوائصهم وأخفافهم ونعالهم وغير ذلك، وأخذوا مركبا لبعض الكارم فيه عدة بضائع طرحوها على الناس بثلاثة أمثال قيمتها. وأحيط بتركة نجم الدين محمد الأسعردى - وقد مات وترك زوجة وابنة ابن - وأخذت كلها، وأخذت وديعة من تركته لأولاد أيتام تحت حجره، مبلغها نحو خمسين ألف درهم، وأنفقت فى يومها على المماليك والخدام. وفتحت قيسارية جهاركس، وأخذ منها مقاطع الشرب [١] برسم الكسوة.

فارتجت المدينة بأهلها، وترك كثير من التجار حوانيتهم وغيبوا؛ فصارت مفتّحة والأعوان تنهب لأنفسها ما أرادت، فلم ير يومئذ بالقاهرة ومصر إلا باك أو شاك أو صائح أو نائح؛ فكانا يومين شنعين. وعول أرباب الحوانيت على رفع ما فيها وخلوها؛ فعرف النشو السلطان ذلك، فنودى: «من أغلق حانوته أخذ ماله وشنق»، ففتحوها. ثم أخرج النشو من الأهراء عشرة آلاف أردب قمحا، وطرحها على أصحاب الطواحين والأبازرة، وقبض على ابن فخر السعداء ناظر قليوب، وأخذ منه نحو ثمانين ألف درهم.

وفى جمادى الأولى: استدعى الضياء ابن خطيب بيت الآبار محتسب مصر؛ وخُلع عليه واستقرّ فى حسبة القاهرة، مضافا لما بيده من نظر الأوقاف ونظر المارستان، عوضا عن نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعردى. وكان الشهاب أحمد بن الحاج على الطباخ قد سعى فى حسبة القاهرة، وقام معه الأمير بشتاك والأمير قوصون والأمير آقبغا عبد الواحد؛ فلما ولى السلطان الضياء رسم أن يستقرّ ابن الطباخ فى حسبة الدخان على الطباخين والحلاويين ونحوهم، وخلع عليه وجلس فى دكة الحسبة، وعرض أرباب الدخان. وألزم الضياء الحلاويين والفكاهين ألا يشعلوا سرجهم فى الليل بالزيت الحار، وألزم حراس الحمامات بعمل فوط سابغة طويلة، ورتّب القبانيين فى جهات معينة، بجلس كل قبانى فى موضع من البلد.

وفيه قدم خليل بن الطرفى من أمراء التركمان بناحية أبلستين، وقدّم سبعمائة

---

(١) الشَّرب والجمع شرابى - قماش رفيع من الكتان ويظهر أنه كان يستعمل للعمائم فى معظم الأحيان. انظر المواعظ والاعتبار.

إكديش وعدة تحف وسأل أن يستقرّ فى نيابة الأبلستين بألف فارس وعشرة أمراء؛ فقبلت تقدمته وخلع عليه، وكتب منشوره بذلك.

وفيه قدم من جهة بدر الدين لؤلؤ الفندشى الحلبى شاد الدواوين ثلاثة آلاف رأس من الغنم الضأن، فمشّت حال الدولة، وصارت سببا للوقيعة بين لؤلؤ وبين النشو. وتحدّث لؤلؤ مع الأمير بشتاك أنه إن أسلم إليه النشو وحاشيته قام بأربعمائة ألف دينار منهم، فقامت قيامة النشو ومازال بالسلطان حتى غيّره عليه. واتفق مع ذلك وصول سنجر الحمصى من حلب باستدعاء، فأجلسه السلطان وعرض عليه شدّ الدواوين، فقبّل الأرض وطلب الإعفاء منها، وكان أمينا ناهضا؛ فلم يزل السلطان به حتى خلع عليه، واستقرّ عوضا عن لؤلؤ فى رابع جمادى الآخرة. فاوّل ما بدأ به سنجر أن قبض على لؤلؤ، وأوقع الحوطة على بيته وألزمه بالحمل؛ وأخذت حواصله وهو يورد شيئا بعد شىء.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى ربيع الأول: أفرج عن الخليفة من سجنه بالقلعة، فكانت مدة اعتقاله خمسة أشهر وسبعة أيام. ثم أمر به فأخرج إلى قوص [1]، ومعه أولاده وابن عمه؛ وكتب لوالى قوص أن يحتفظ بهم. وكان سبب ذلك أن السلطان لما نزل عن الملك فى سنة ثمان وسبعمائة، وحصل الاجتماع على المظفر بيبرس وقلده المستكفى بالسلطنة، نقمها عليه السلطان الناصر وأسرها له ثم لما قام السلطان لاسترجاع ملكه، جدّد المستكفى للمظفر الولاية، ونسبت فى السلطان أقوال إليه حملت السلطان على التحامل عليه. فلما عاد السلطان إلى الملك فى سنة تسع وسبعمائة أعرض عن المستكفى كل الإعراض، ولم يزل يكدّر عليه المشارب حتى تركه فى برج بالقلعة، فى بيته وحرمه وخاصته؛ فقام الأمير قوصون فى أمره، وتلطّف بالسلطان إلى أن أنزله إلى داره. ثم نسب إلى ابنه صدقة أنه تعلق ببعض خاصة السلطان، وأن ذلك الغلام يتردّد إليه، فنفى الغلام وبلغ السلطان أنه هو يكثر من اللهو فى داره التى عمرها على النيل بخط جزيرة الفيل، وأن أحد الجمدارية يقال له أبو شامة جميل الوجه ينقطع عنده ويتأخر عن الخدمة؛ فقبض على الجمدار وضرب، ونفى إلى صفد؛ وضرب رجل من مؤذنى القلعة - اتهم أنه كان السفير بين الجمدار وبين الخليفة - حتى مات؛ وأعتقل الخليفة كما تقدّم. ثم لما أفرج عنه اتهم أنه كتب على قصة رفعت إليه «يحمل مع غريمه إلى الشرع»، فأحضره السلطان إلى القلعة ليجتمع به بحضرة القضاء، فخيّله قاضى القضاة جلال الدين القزوينى من حضوره أن يفرط منه كلام فى غضبه يصعب

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ٣/٤.

تداركه. فأعجب السلطان ذلك، وأمر به أن يخرج إلى قوص؛ فسار صحبة الأمير سيف الدين قطلوا تمرقلى فى يوم السبت تاسع عشر ذى الحجة، بجميع عياله وهم مائة شخص. وكان مرتبه فى كل شهر خمسة آلاف درهم، فعمل له بقوص ثلاثة آلاف درهم؛ ثم استقرّ ألف درهم؛ فاحتاج حتى باع نساؤه ثيابهنّ.

وفيها كتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر بأولاده وأهله لعمل عرس الأمير أبى بكر ابن السلطان على ابنة الأمير طقزتمر، واحتفل السلطان لقدومه احتفالا زائدا. وكانت عادته أن يصرف عليه إذا قدم مبلغ خمسين ألف دينار، ما بين خلع وإنعام؛ فرسم أن يكون فى هذه السنة مبلغ سبعين ألف دينار. ثم خرج السلطان لملاقاته، ونزل قصور سرياقوس[١] حتى سقط الطائر بنزول الأمير تنكز إلى الصالحية؛ فركب الأمير قوصون إلى لقائه، وصحبته جميع ما يليق من الأطعمة والمشروب؛ فلما لقيه مدّ بين يديه سماطا جليلا إلى الغاية، وأقبل به حتى دنا من سرياقوس. فركب السلطان إليه ومعه أولاده، وقدم إليه الحاجب ليخبره بأنه لا يترجّل عن فرسه حتى يرسم له، وتقدّمت أولاد السلطان إليه أولا. فلما قرب تنكز نزل السلطان عن فرسه إلى الأرض على حين غفلة من الأمراء، فألقوا أنفسهم عن خيولهم؛ وألقى تنكز نفسه إلى الأرض، وعدا فى مشيه جهد قدرته، وهو يقبل الأرض ويقوم إلى أن قبّل رجلى السلطان، وقد دهش؛ فقال له السلطان: «اركب فرسك». وركب السلطان والأمراء وسايره وهو يحادثه، فلم يسمع عن ملك أنه فعل مع مملوكة من التعظيم ما فعله السلطان فى هذا اليوم مع الأمير تنكز. وكان العرس يوم الإثنين سلخ صفر، والدخول ليلة الثلاثاء أول ربيع الأول.

وفى خامس عشر شعبان: توجهت التجريدة إلى بلاد سيس[٢] وخراب[٣] مدينة.

وسبب ذلك وصول رسول القان موسى وعلى بادشاه بطلب النجدة على الشيخ حسن الكبير وطغاى بن سونتاى وأولاد دمرداش، ليكون على بادشاه نائب السلطنة ببغداد. فاستشار السلطان نائب الشام والأمراء، واستقرّ الرأى على تجريد العسكر نحو سيس، فإن تكفور نقض الهدنة بقبضه على عدة مماليك وإرسالهم إلى مدينة آياس فلم يعلم خبرهم وقطع الحمل المقرر عليه، ويكون فى ذلك إجابة على بادشاه إلى ما قصده

(١) سرياقوس بلدة بالصعيد فى غربى النيل. معجم البلدان ٥/٢١٤،٢.

(٢) سيس بلد هو اليوم من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٣) خراب علم مرتجل لاسم جبل باليمن، عن الأزهرى. انظر معجم البلدان ٣١٤/٤.

من نزول العسكر قريبا من الفرات، مع معرفة الشيخ حسن «بأنا لم نساعد على بادشاه عليه، وإنما بعثنا العسكر لغزو سيس». وعمل مقدم العسكر الأمير أرقطاى ويكون فى الساقة، ويتقدم الجاليش صحبة الأمير طوغاى الطباخى، ومعهما من الأمراء قباتمر وبيدمر البدرى، وتمر الموسارى وقطلوبغا الطويل، وجركتمر بن بهادر وبيبغا تتر حارس الطير؛ ومن أمراء الشام قطلوبغا الفخرى مقدم الجيش الشامى. وكتب بخروج عسكر دمشق وحماة وحلب وحمص وطرابلس إلى ناحية جعبر [١]، فإذا وصل عسكر مصر إلى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعا إلى سيس، فيكون فى ذلك صدق ما وُعد به على بادشاه، وبلوغ الغرض من غزو سيس فسار العسكر من القاهرة فى ثانى عشر شعبان، وتوجه الأمير تنكز إلى محل ولايته.

وفيها أفرج عن طرنطاى المحمدى بعدما أقام فى السجن سبعا وعشرين سنة وأخرج إلى دمشق؛ وأفرج عن علاء الدين بن هلال الدولة، وأخرج إلى الشام؛ وأفرج عن ابن المحسنى، وأخرج إلى طرابلس؛ وذلك فى يوم الجمعة ثانى رمضان. وكان ابن هلال الدولة وابن المحسن معتقلين بالإسكندرية من ثالث عشر رجب سنة ست وثلاثين؛ فخلع السلطان عليهما، ورسم أن يقيم ابن المحسنى مع أبيه بطرابلس، ويقيم ابن هلال الدولة بدمشق؛ فسار كل منهما فى حادى عشريه صحبة بريدى؛ وكان هذا كله بشفاعة نائب الشام.

وفيها كتب سنجر الحمصى شاد الدواوين أوراقا بما على السلطان من القرض للتجار، فبلغ ألفى درهم؛ فلم يعترف السلطان بها، وقال: «هذه أخذها الدواوين على اسمى»، ورسم أن توزع على المباشرين. فنزل بهم من ذلك شدّة، وحملوا المبلغ شيئا بعد شىء؛ وكان هذا من فعلات النشو بهم.

وفيها رسم ألا يضرب أحد بالمقارع، وطردت الرسل والأعوان من باب شد الدواوين؛ وكانوا قد كثرت مضرّتهم، واشتدّ تسلّطهم على الناس، وحصلوا من ذلك مالا كبيرا. وكان هذا بسفارة سنجر الحمصى، فكثر الثناء عليه.

وفيه توجه النشو ليتفقد ناحية فارس كور والمنزلة ودمياط؛ فقبض على علاء الدين بن توتل والى أشموم [٢]، وعلى آقبغا والى المحلة، وصادرهما؛ فأخذ من والى أشموم خمسين ألف درهم، ومن والى المحلة مائة ألف درهم.

---

(١) جعبر بالفتح ثم السكون قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين. انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) أشموم بضم الميم، وسكون الواو اسم بلدتين بمصر. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

وفيه كتب النشو بالحوطة على مباشرى المعاصر والدواليب، وجميع أعمال الصيد والفيوم وألزم ابن المشنقص مدولب مطبخ الأمير قوصون بمائة ألف درهم، واحتج بأنه يعمل الزغل فى السكر والعسل؛ فحنق من ذلك قوصون، وقام مع السلطان فى أمره حتى أفرج عنه. فشق هذا على النشو، وأثبت محضرا على القاضى ابن مسكين بأن أبا الدراليب مات على غير الملة، وأن ابنه لا يستحقّ إرثه، بحكم أنه لبيت المال، وطلع بالمحضر إلى السلطان. فطلب السلطان قوصون وأغلظ عليه، فاحتدّ قوصون وقال: «أنا ما أسلم مالى الذى عنده». فوهب السلطان قوصون ما أثبته النشو، فأوقع الحوطة على جميع موجوده، وأخذه.

وفيها وقفت العامة للسلطان فى الفار ضامن المعاملات، وشكوا ما أحدثه على القصب والمقاثى، وصاحوا: «يكفينا النشو، فلا تسلّط علينا الفار! وتحبسه وتكتب على قيده مخلد، وتضمن غيره بناقص عشرة آلاف درهم»، فطلب السلطان النشو وأنكر عليه، ورسم لسنجر الحمصى أن يضرب الفار، ويحبسه ويكتب على قيده مخلدّ، ويضمن غيره بناقص عشرة آلاف درهم؛ ففعل ذلك، ومشت أحوال الناس.

وفيها طرح النشو الفدان القلقاس على القلاقسية بألف ومائتى درهم، وصادر الشماسرة، وأخذ عدة مخازن للتجار، وأخرج ما فيها من البضائع وطرحها بثلاثة أمثال قيمتها، وعوّض أربابها سفانج[(١)] على الخشب والبورى[(٢)] فكان منها مخزن فيه حديد قوّمه بخمسين ألف درهم على المارستان، فأبى الأمير سنجر الجاولى ناظر المارستان أن يأخذه، فألزمه السلطان بأخذه للوقف فأخذه، ووزن[(٣)] ثمنه.

وفى ثالث عشر شوال: قدمت مفاتيح القلاع التى كانت بيد صاحب سيس: وهى آياس الجوّانية[(٤)]، وآياس البرانية[(٥)]، والهارونية[(٦)]، وكوارة [(٧)] وحميضة[(٨)] ونجيمة[(٩)]

---

(١) السفنجة، وهى أن يعطى آخر مالا، وللآخر مالا فى بلد المعطى، فيوفيه إياه مالك، فيستفيد أمن الطريق، وهى فارس معرب، وفى علم الاقتصاد هى حوالة صادرة من دائن يطلب فيها مدينة دفع مبلغ معين فى تاريخ معين لإذن شخص ثالث، أو لإذن الدائن نفسه، أو لإذنا لحامل لهذه الحوالة. انظر المعجم الوسيط (سفنج).

(٢) المقصود بذلك السمك المعروف بذلك الاسم نسبة إلى بورة على شاطئ البحر الأبيض غربى دمياط. انظر معجم البلدان خ ٧٥٥/١.

(٣) يتضح هنا أن النقود فى مصر كانت تتبادل وزنا لا عددا فى عهد السلطان الناصر، وهذه ظاهرة تكررت فى مصر فى عهد سلاطين المماليك. انظر إغاثة الأمة بكشف الغمة ص٧٠.

(٤) أياس الجوانية موضع أو قرية قرب المدينة. انظر معجم البلدان ١٧٥/٢.

(٥) أياس البرانية من قرى بخارى ويقال لها خوران على خمسة فراسخ من بخارى. انظر معجم البلدان ٣٦٧/١.

وسرفندكار؛ فرّسم بخراب بعضها، وأقامت النواب بباقيها.

وفي تاسع ذى القعدة: أضيف شدّ الصيارف[١] للأمير نجم الدين بن الزيبق عوضا عن بهادر البكتمرى؛ ثم أضيف إليه مع ذلك ولاية مصر، عوضا عن شمس الدين جنغر ابن بكجرى.

وفي تاسع عشره: خلع على شهاب الدين محمد بن علاء الدين أحمد ابن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز؛ واستقر فى حسبه مصر، عوضا عن القاضى ضياء الدين محتسب القاهرة.

وفي سادس ذى الحجة: استقرّ نجم الدين أيوب فى ولاية الفيوم [٢]، عوضا عن بهادر أستادار الجمالى؛ وكان أيوب هذا أستادر الأكز.

وفيه قدم الخبر بأن القان موسى لما كانت الواقعة بينه وبين الشيخ حسن الكبير، وانكسر هو وعلى بادشاه، صار إلى بغداد وصادر الناس بها، ثم خرج على بادشاه إلى الموصل، فسار إليه الشيخ بمن معه ولقبه شمالى توريز، فكانت حرب شديدة فر منها القان موسى، وقتل على بادشاه وخلق كثير؛ فكانت دولتهما ثلاثة أشهر. ولما انكسرت عساكرهما مضى الشيخ الكبير إلى بغداد فملكها، وقد أقام سلطانا محمد بن يلقطلو بن هلاكو بن عنبرجى وبعث الشيخ حسن إلى السلطان بهدية، فأكرم رسله وجهزهم بهدية سنية، وكتب بتهنئة.

وفيه خلع على نجم الدين داود بن أبى بكر محمد بن الزبيق، واستقرّ فى ولاية الصناعة والأهراء؛ وخلع على صلاح الدين محمد بن على بن صورة، واستقرّ فى نظر الأهراء رفيقا له.

---

(٦) الهارونية مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية فى طرف جبل اللكام. انظر معجم البلدان ٣٨٨/٥.

(٧) كورة إقليم من بلاد السودان جنوبى فزان وهناك كور أخرى فى نواحى فارس بينها وبين شيراز عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٨٦/٤.

(٨) حميضة بالفتح ثم السكون، وياء، والضاد معجمة ماء لعائذ بن مالك. انظر معجم البلدان ٣٠٧/٣

(٩) نجيمة من قرى عثر من جهة اليمن انظر. معجم البلدان ٢٧٤/٥.

(١) الصيارف الصيرفى هو الذى يتولى قبض الأموال وصرفها وكان يقال له فيما تقدم الجهبذ.

(٢) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

وفى يوم الإثنين ثانى عشر رمضان: ركب النشو على عادته فى السحر، فاعترضه فى طريقه فارس هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى الذى ولى قوص - وقيل أبو بكر بن الناصرى محمد - وضربه، فأخطأ سيفه رأس النشو، وسقطت عمامة النشو عن رأسه، وقد جرح كتفه، ثم خر إلى الأرض ونجا الفارس، وفى ظنه أن رأس النشو قد سقطت عن بدنه. فغضب السلطان من ذلك، ولم يحضر السماط؛ وبعث إلى النشو بعدة من الجمدارية بالجرائحية، فقطب ذراعه بست إبر وجبينه باثنتى عشرة إبرة. وألزم السلطان والى القاهرة ومصر بإحضار غريم النشو، وأغلظ على الأمراء بالكلام، ومازال يشتدّ ويحتدّ حتى عادت القصاد بسلامة النشو فسكن ما به.

ثم بعث النشو مع أخيه رزق الله يخبر السلطان بأن هذا من فعل الكتاب بموافقة لؤلؤ؛ فطلب السلطان ابن المروانى والى القاهرة، ورسم له بمعاقبة الكتّاب الذين فى المصادرة على الاعتراف بغريم النشو وعقوبة لؤلؤ معهم. فضرب لؤلؤ ضربا مبرحا، وعوقب العلم أبو شاكر وعلق والمقايرات [1] فى يديه، وعوقب قرموط وعدة من الكتاب؛ وحرثت بيوتهم وأخذ رخامها، وخرجت بالمحاريث لإظهار ما فيها من الخبايا.

ثم أن النشو عوفى من جراحه، وطلع إلى القلعة، فخلع عليه ونزل وقد رتب السلطان المقدم إبراهيم بن أبى بكر شداد بن صابر أن يمشى فى ركابه، ومعه عشرة من رجاله، وكان لا يطلع الفجر إلا وهم على بابه، فإذا ركب كانوا معه حتى يدخل القلعة، فإذا نزل مشوا فى ركابه حتى يدخل بيته. وعندما نزل النشو إلى القاهرة كان أول ما بدأ به أن عاقب المقدّمين وغيرهم، حتى مات عدة منهم تحت العقوبة.

وفى حادى عشرى ذى الحجة: سافر خواجا عمر وسرطقطاى مقدم البريدية بهدية إلى أزبك، ومعهما مبلغ عشرين ألف دينار لشراء مماليك وجوارى من بلاد الترك.

وفيها كملت عمارة جامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى على شاطئ النيل بمنية بولاق؛ وكان موضعه ساقية لشرف الدين موسى بن زنبور. وأصل بناء هذا الجامع أنه لما أنشئت العمائر ببولاق عمر الحاج محمد بن عز الفراش بجوار الساقية المذكورة دارًا على النيل، ثم انتقلت تلك الدار بعد موته إلى ابن الأزرق، فعرفت بدار الفاسقين من كثرة اجتماع النصارى بها على ما لا يرضى الله؛ فلما صادره النشو باعها فيما باعه. فاشتراها الأمير أيدمر الخطيرى بثمانية آلاف درهم، وهدمها وبنى مكانها ومكان الساقية جامعا أنفق فيه مالا جزيلا؛ وأخذ أراضى حوله من بيت المال، وأنشأ عليها

---

(١) لعل المقصود بالمقايرات آنية فيها القار المغلى توضع فى يد الواقع تحت العقوبة للتعذيب.

الحوانيت والرباع والفنادق؛ وأنعم السلطان عليه بعدة أصناف من خشب وغيره. فلما تم بناء الجامع قوى عليه النيل، فهدم جانبا منه، فأنشأ الخطيرى تجاهه زربية رمى فيها ألف مركب موسوقة بالحجارة؛ وسماه جامع النوبة، فجاء من أحسن مبانى مصر وأبدعها وأنزهها. فلما أفرج عن ابن الأزرق ادّعى أنه كان مكرها فى بيعه، فأعطاه الخطيرى ثمانية آلاف درهم أخرى؛ فمازال به النشو حتى قبض عليه مرة ثانية، وحبسه، فمات بعد قليل فى حبسه.

وفيها فرغ بناء جامع الأمير سيف الدين بشتاك، بخلاف قبو الكرمانى على بركة الفيل خارج القاهرة؛ وكان موضعه مساكن للفرنج والنصارى ومسالمة الكتاب. وعمر بشتاك تجاه هذا الجامع خانكاه على الخليج، ورتب فيها شيخا وصوفية، وقرّر لهن المعاليم الجارية، ونظم ما بين الجامع والخانكاه بساباط[1] على الطريق المسلوك، فجاء من أحسن شىء بنى؛ وتحول كثير من النصارى من هناك.

وفيها أعيدت إلى عربان آل فضل وآل مهنا إقطاعاتها التى أقطعت للأمراء.

وفيها خلع على عز الدين عبد العزيز[2] ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة يوم الثلاثاء تاسع شعبان؛ واستقرّ فى وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين الأسعردى، مضافا لما بيده من وكالة الخاص.

وفيه استقرّ جمال الدين بن العديم فى قضاء الحنفية بحماة، عوضا عن التقى محمود ابن محمد بن الحكيم.

وفيها مات متملك تلمسان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى [3] بن عثمان بن

---

(١) ساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق وتعرف عند العامة برسم السيباط وجمعه سوابيط. انظر محيط المحيط.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة، ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩ وجاور بالحجاز فمات بمكة. من كتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك». انظر الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والكتبخانه ١١/٧ والتيمورية ٦١/٣ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٢٦/٤.

(٣) عبد الرحمن بن موسى الأول (أبى حمو) بن أبى سعيد عثمان بن يغمراسن، أبو تاشفين من بنى عبد الواد: من سلاطين تلمسان وأطرافها فى المغرب الأوسط. قتل أباه وحل فى الملك محله سنة (٧١٨هـ) وانصرف إلى عمران وكان فيه ميل إلى النعيم واللهو فجمع آلافًا من أهل الصناعات، من أسرى الروم انظر بقية الرواد ١٣٢/١-١٤٢ وابن خلدون ١٠٤/٧-١١١ وشذارت الذهب ١٨٥/٦ والأعلام ٣٣٩/٣.

يغمراسن من عبد الواد الزيانى قتيلا فى محاربة سلطان المغرب أبى الحسن [١] المرينى، آخر شهر رمضان، بعدما ملك نيفا وعشرين سنة.

وفيها وقع الغلاء فى جمادى الأولى؛ وأبيع الأردب القمح بأربعين درهما. والشعير بثمانية وعشرين درهما، والفول باثنين وثلاثين درهما، والبرسيم الأخضر كل فدان بنحو مائة وسبعين درهما، والحمص المسلوق بثلاثة دراهم القدح.

وفيها كبست الفيوم فى أخريات جمادى الأولى، وأحضر منها ألف ومائتان فرس. ثم قدم والى الفيوم وأمراء العربان، وأحضروا ستين حمل سلاح، ومائة فرس وغير ذلك.

وفى سابع ذى الحجة: وردت الفصاد بأن الملك موسى قدم إليه من خراسان طغاى تمر، وسارا لمحاربة محمد بن عنبرجي؛ فانكسرا فى رابع عشر ذى القعدة، واستقلّ محمد بالملك؛ وكانت الوقعة قريبا من السلطانية بموضع يقال له صولق.

وفى رابع عشريه: استقرّ الجمالى عبدا لله أخو ظلظية فى ولاية البحيرة، عوضا عن الغرس خليل.

* * *

ومات فيها من الأعيان

قطب الدين إبراهيم بن محمد بن على بن مطهر بن نوفل التغلبى الأدفوى، بعد كف بصره، فى يوم عرفة بأدفو؛ وله شعر.

وتوفى شهاب [٢] الدين أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم، بدمشق فى ثالث عشر المحرم؛ وله شعر ونثر، ورحل إلى مصر وغيرها.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد بن الخولى القوصى الشافعى، بقوص. ومات الأمير سيف الدين الأكز بدمشق، فى نصف رمضان.

وتوفى الشيخ الإمام القدوة أبو عبدا لله محمد بن محمد بن [٣]محمد بن الحاج الفاسى

---

(١) على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، أبو الحسن، والمنصور با لله من كبار بنى مرين ملوك المغرب، وكان يعرف بالسلطان الأكحل بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ بعهد منه انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٥٧٠٨٧/٢ والحلل الموشية ١٣٤ والأعلام ٣١١/٤.

(٢) أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل الزينى الجعفرى شهاب الدين، كاتب مترسل نديم، له شعر كله لطائف، وملح وكان إذا أنشأ أطال فكره ونتف شعره وذقنه. مولده بمكة وكان كلما أقام فى مكان حدثت له وقائع مع نوابه وأمرائه. انظر الدرر الكامنة ٢٦/١ وشذرات الذهب ١١٤/٦ وفوات الوفيات ١:٦٣ والأعلام ٢٢٣/١.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبدا لله العبدرى المالكى القاسى، نزيل مصر: قاض

المغربى العبدرى الفقيه المالكي - عرف بابن الحاج - فى العشرين من جمادى الأولى؛ ودفن بالقرافة؛ وقد علت سنه، وكانت جنازته عظيمة؛ وحدّث؛ وكان زاهدا صالحا، وأخذ عن جماعة منهم الشيخ أبو عبدا الله محمد بن سعيد بن أبى جمرة، وصنف كتاب المدخل، جامع فى بابه.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى أحد الأمراء مقدمى الألوف المنسوب إليه جامع الخطيرى فى أول رجب؛ كان مملوك الخطير الرومى - والد الأمير مسعود بن خطير - ثم انتقل إلى الملك المنصور قلاوون، فرقّاه حتى صار من أجلّ الأمراء البرجية؛ وكان جوادا كبير الهمة فيه خير كثير.

ومات الأمير أزبك الحموى، فى يوم الأربعاء خامس عشرى ذى القعدة على آياس، وقد بلغ مائة سنة؛ فحمل إلى حماة ودفن بها؛ وكان مهابا كثير العطاء.

ومات الأمير بغا الدوادار بصفد منفيا، وكان مشكور السيده.

وتوفى عمر بن الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزى البعلى الصوفى، ببعلبك[1] فى ذى القعدة؛ ومولده فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وستين وستمائة. سمع من المسلم بن عدلان، وحدث، وسمع منه الأمير الوانى وابن الفخر وغيرهما. ومات الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين خطيب جامع الحاكمى من سويقة لاريش، فى يوم الخميس العشرين من شوال؛ فكانت جنازته عظيمة جدا لكثرة صلاحه، وقبره يزار خارج باب النصر.

وتوفى المحدّث محب الدين عبدا الله بن أحمد بن المحب المقدسى، فى ربيع الأول بدمشق؛ حدّث عن الفخر وغيره.

وتوفى شيخ الحنابلة بنابلس شمس الدين عبدا الله بن العفيف محمد بن يوسف، فى ربيع الآخر.

ومات أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن

تفقه فى بلاده وقدم مصر، حج وكف بصره وله (شموس الأنوار وكنوز الأسرار - ط) انظر الديباج المذهب طبعة ابن شقرون ٣٢٧ والدرر الكامنة ٢٣٧/٤ والأعلام ٣٥/٧.

(١) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتين، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرًا. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤.

أيوب بن شادى، فى ثانى شوال برملة [١]، فدفن بالقدس، ومولده فى ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وستمائة؛ حدّث بالسيرة النبوية عن خطيب مردا.

وتوفى علاء الدين على بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم الدمشقى المنشأ، فى ثالث المحرم بتبوك، وهو عائد من الحج.

وتوفى الشيخ محمد بن عبدا لله بن المجد إبراهيم المرشدى، صاحب الأحوال والمكاشفات، بناحية منية المرشد فى ثامن رمضان.

وتوفى ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى الواعظ، فى يوم الإثنين رابع عشرى المحرم.

وتوفى شيخ الخانكاه الناصرية سعيد السعداء كمال الدين أبو الحسين على بن حسن بن على الحويزانى، فى خامس عشر صفر؛ واستقرّ عوضه شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجوانى.

وتوفى محتسب القاهرة ووكيل بيت المال نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعردى، فى يوم الجمعة خامس عشر شعبان.

وتوفى نجم الدين أحمد بن العماد إسماعيل بن الأثير [٢]، أحد كتّاب الدرج، فى يوم الثلاثاء رابع عشرى المحرم.

وتوفى سعد الدين سعيد بن الشيخ محيى الدين محمد بن محمد بن عبدا لله بن محمد ابن عبدا لله -عرف جدّه بابن أكنس البغدادى - المنجم كاتب التقاويم، وكانت له إصابات فى النجامة عجيبة، وكانت وفاته فى خامس عشر صفر.

---

(١) الرملة: بالشام، سميت الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين، وهى مدينة مسورة ولها اثنا عشر بابًا منها: باب القدس، وباب عسقلان، وباب يافا، وباب يازور، وباب نابلس. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، المقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد نجم الدين بن الأثير الحلبى الأصل القاهرى: من كتاب الإنشاء بمصر وممن كان يحضر (دار العدل) بين يدى السلطان. له (جوهر الكنز - خ) بخطه اختصر به كتاب «كنز البراعة» لأبيه وله «المختصر المختار من وفيات الأعيان - خ» انظر الدرر الكامنة ١٠٤/١ ومخطوطات الأسكوريالة الرقم ١٧٨٠ وكشف الظنون ١٥١٤ وقع فيه اسم كتاب أبيه، والأعلام ٩٧/١.

وتوفى مسند مصر شرف الدين يحيى بن يوسف المقدسى والمعروف بابن المصرى، عن نيف وسبعين سنة بمصر.

* * *

سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

أول المحرم: قدم مبشرو الحاج بسلامة الحجاج ورخاء الأسعار وحسن سيرة الأمير شمس الدين آقسنقر السلاح دار أمير الحاج.

وفي يوم الخميس ثالث عشريه: قدمت عساكر التجريدة من بلاد سيس. وكان من خبر ذلك أنهم لما ساروا من القاهرة فى ثانى عشر شعبان، وقدموا دمشق تلقاهم الأمير تنكز، ولم يعبأ تنكز بالأمير أرقطاى مقدّم العسكر لما فى نفسه منه. ومضوا إلى حلب. فقدموها فى رابع عشرى رمضان، وأقاموا بها يومين؛ فقدم الأمير قطلوبغا الفخرى بعساكر الشام، وقد وصل إلى جعبر [1]، ثم ساروا جميعا يوم عيد الفطر، ومعهم الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب، وهو مقدّم على العسكر جميعا، حتى نزلوا على الإسكندرونة أول بلاد سيس؛ وقد تقدمهم الأمير مغلطاى الغزى إليها بشهرين حتى جهز المجانيق والزحافات والجسور الحديد والمراكب وغير ذلك لعبور نهر جهان. فقدم عليهم البريد من دمشق بأن «تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان، فلتردّ المجانيق وجميع آلات الحصار إلى بغراس. وليقم العسكر على مدينة آياس حتى يرد مرسوم السلطان بما يعتمد فى أمرهم» وكانت التراكمين قد أغاروا على بلاد سيس، ومعهم عسكر ابن قرمان فتركوها أوحش من بطن حمار؛ فبعث تكفور رسله فى البحر إلى دمياط، فلم يأذن السلطان لهم فى القدوم عليه، من أجل أنهم لم يعلموا نائب الشام بحضورهم؛ فعادوا إلى تكفور. فبعث تكفور بهدية إلى تنكز نائب الشام، وسأله منع العسكر من بلاده، وأنه يسلم القلاع التى من وراء نهر جهان جميعا للسلطان. فكاتب تنكز السلطان بذلك، وبعث أوحد المهمندار إلى الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب وهو المقدم على العسكر جميعا بمنع الغارة ورد الآلات إلى بغراس[2]؛ فردها ألطنبغا وركب بالعسكر إلى آياس، فقدمها يوم الإثنين ثانى عشر شوال. وكانت آياس قد تحصنت، فبادر العسكر وزحف عليها بغير أمره؛ فكان يوما مهولا، جرح فيه جماعة كثيرة. واستمرّ الحصار إلى يوم الخميس خامس عشره؛ وأحضر نائب حلب خمسين نجارًا وعمل زحافتين وستارتين ونادى فى الناس بالركوب للزحف. فاشتدّ القتال حتى

---

(١) جعبر قلعة على الفرات قرب صفين. انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) بغراس مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٦٧/١.

وصلت الزحافات والرجال إلى قريب السور، بعدما استشهد جماعة كثيرة. فترجل الأمراء عن الخيول لأخذ السور، وإذا بأوحد المهمندار ورسل تكفور قد وافوا برسالة نائب الشام، فعادوا إلى مخيمهم فبلغهم أوحد المهمندار أن يكفوا عن الغارة، فلم يوافقوه على ذلك؛ واستقرّ الحال على أن تسلموا آياس بعد ثمانية أيام.

فلما كان اليوم الثامن أرسل تكفور مفاتيح القلاع، على أن يردّ ما سبى ونهب من بلاده؛ فنودى بردّ السبى، فأحضر كثير منه؛ وأخرب الجسر الذى نصب على نهر جهان. وتوجه الأمير مغلطاى الغزى فتسلم قلعة كوارة وكانت من أحصن قلاع الأرمن، ولها سور مساحته فدان وثلث وربع فدان، وارتفاعه اثنان وأربعون ذراعا بالعمل؛ وأنفق تكفور على عمارته أربعمائة ألف وستين ألف دينار.

وتسلم العسكر آياس؛ وهدم البرج الأطلس فى ثمانية أيام، بعدما عمل فيه أربعون حجارا يومين وليلتين حتى خرج منه حجر واحد. ثم نُقب البرج وعلق على الأخشاب، وأضرمت فيه النار، فسقط جميعه؛ وكان برجا عظيما، بلغ ضمانه فى كل شهر لتكفور مبلغ ثلاثين ألف دينار حسابا عن كل يوم ألف دينار سوى خراج الأراضى. وكان ببلدة آياس أربعمائة خمّارة وستمائة بغى، وكان بها فى ظاهرها ملاحة تضمن كل سنة بسبعمائة ألف درهم، ولها مائتان وستة عشر بستانا تغرس فيها أنواع الفواكه، ودور سورها فدانان وثلثا فدان.

ثم رحل العسكر عن آياس بعدما أقاموا عليها اثنين وسبعين يوما، فمر نائب حلب على قلعة نجيمة وقلعة سرفندكار - وقد أخربهما مغلطاى الغزى - حتى عبر بالعسكر إلى حلب فى رابع عشرى ذى الحجة.

فعاد العسكر إلى مصر، وقد مرض كثير منهم، ومات جماعة. فأكرم السلطان الأمير أرقطاى وخلع عليه، وبعث تشريفا إلى نائب حلب. وأقطع السلطان أراضى سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من أمراء الشام؛ وأمر فيها جماعة من التركمان والأجناد، فاستعملوا الأرض فى الفلاحة، وحطّوا عنهم من الخراج، فعمرت ضياعها. وضمت بعض عجائز الأرمن ألف درهم كل يوم، فلم يوافق السلطان على ذلك. وعمل فى كل قلعة من قلاع الأرمن نائب، ورتب فيها عسكر. ثم قدمت رسل تكفور فخلع عليهم، وكتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين، ومهادنتهم عشر سنين.

وفيها كانت حرب بين خليل الطرفى وبين خليل بن دلغادر على أبلستين [1]، انتصر

---

(١) أبلتسين مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أبيس مدينة أصحاب الكهف. انظر معجم البلدان ١/٧٥

فيها ابن دلغادر. فانتمى الطرفى إلى نائب الشام. ووعد على نيابة الأبلستين بألفى إكديش، وإقامة ثلاثين أمير طبلخاناه. فعنى به نائب الشام حتى قدم إلى قلعة الجبل، وخلع عليه، وكتب له ثلاثون منشورا بإمريات جماعة عينهم؛ وخلع على جميع من معه، وسار.

وقدم الخبر بأن القان موسى لما فرّ بعد قتل على بادشاه لحق بخراسان، فقام معه طغاى تمر أميرها، وجمع له. فسار إليه الشيخ حسن الكبير وأولاد دمرداش، ولقوه بالقرب من سلطانية؛ فانكسر موسى وقتل من أصحابه. فاختل فى هذه الفتن حال بغداد والموصل وديار بكر، وقوى أرتنا نائب المغل ببلاد الروم، لشغل المغل عنه بما هم فيه.

وفيها بعث النشو من كشف عن أرباب دواليب القند، فوجد لأولاد فضيل كثير من القند، ومنه أربعة عشر ألف قنطار قند عملت فى هذه السنة؛ وبلغت زراعتهم فى كل سنة ألف وخمسمائة فدان من القصب، كانوا فيما سلف يصالحون المباشرون على أن قندهم ألف قنطار يؤدون ما عليها للديوان. فلما علم النشو ذلك أوقع الحوطة على حواصلهم، وحمل القند إلى دار القند، وكتب عليهم حججا بثمانية آلاف قنطار للسلطان. فلما تخلصوا منه وجدوا لهم حاصلا لم يظفر به النشو، وفيه عشرة آلاف قنطار قند. وصادر النشو شاد دواليب الخاص بالصعيد، وأخذ منه مائة وستين ألف درهم حملها للسلطان.

وفيها أنعم السلطان فى يوم واحد على أربعة من مماليكه بمائتى ألف دينار مصرية، وهم قوصون وألطنبغا وملكتمر الحجازى وبشتاك؛ وأنعم على موسى بن مهنا بضيعة بألف ألف درهم، وكان قد قدم له فرسا. فشق ذلك على النشو، وقال: «خاطرت بروحى فى تحصيل الأموال، وهو يفرّقها».

وفيها قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء، وكان قد بلغه عنه أنه يعاشر أوباش الكرك؛ فعقد له السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طايربغا، وعقد لابنه يوسف على ابنة الأمير جنكلى بن البابا، وذلك فى العشرين من ربيع الآخر. وسير السلطان لكل أمير بألف وخمسمائة دينار وثوب أطلس.

وفيه سعى النشو بقاضى الإسكندرية عماد الدين محمد بن إسحاق البلبيسى، شيخ خانكاه بهاء الدين أرسلان، من أجل أنه عارضه فى أخذ أموال الأيتام؛ ورماه بأنه أخذ مالا للأيتام اشترى بها عدة جوارى. فطلب البلبيسى من الإسكندرية وسلم إلى ابن

المروانى والى القاهرة ليخلص منه مال الأيتام؛ فقام بأمره الأمير جنكلى بن البابا والحاج آل ملك والأحمدى، حتى توجه الضياء المحتسب وآقوش البريدى للكشف عنه، فلم يظهر لما رمى به صحة، وأكثر ما عيب عليه أنه مطّرح الاحتشام يمشى فى الأسواق لشراء حاجته، فأفرج عنه.

وفيه ولد للسلطان ابنه صالح من زوجته بنت الأمير تنكز؛ فعمل السلطان لها بشخاناه وداير بيت ونحو ذلك بمائة ألف وأربعين ألف دينار؛ وعمل لها الفرح مدة أسبوع، حضره نساء الأمراء، وما منهن إلا من عين لها السلطان تعبية قماش على قدر رتبة زوجها. فحصل للمغانى شىء كثير، حتى أن مغنيات القاهرة جاء قسم كل واحدة منهن عشرة آلاف درهم، سوى التفاصيل الحرير والمقانع [١] والخلع. وقدم من الأمير تنكز نائب الشام لابنته مقنعة وطرحة بسبعة آلاف دينار. وفى هذا المهمّ استعمل السلطان للخركاه [٢] الواصلة إليه من بلاد الشرق ثوبا من حرير أطلس وردى، ورصعه باللؤلؤ والجواهر، وأسبل عليها سترا؛ فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار واثنى عشر ألف دينار؛ فنامت فيها النساء. وبلغ مصروف خمسمائة ألف دينار، فكان شيئا لم يسمع بمثله فى الدولة التركية.

وفيه اتفق عدة من أرباب الجرائم بخزانة شمائل وقتلوا السجان، وخرجوا بعد المغرب من باب زويلة شاهرين السكاكين. فركب الوالى فى طلبهم، فلم يظفر منهم سوى برجل أقطع [٣]، فشنقه.

وفيها استدعى السلطان من بلاد الصعيد بألفى رأس من الضأن، واستدعى من الوجه البحرى بمثلها؛ وشرع فى عمل حوش برسمها ويرسم الأبقار البلق [٤]، فوقع اختياره على موضع من قلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة، قد قطعت منه بالحجارة لعمارة القاعات التى بالقلعة حتى صار غورا عظيما وطلب السلطان كاتب الجيش، ورتب على كلٍّ من الأمراء المقدمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب، وعلى كل من أمراء

---

(١) المقانع جمع مقنع. ويقال مقنعة، وهى ما تغطى به المرأه رأسها وتكون اضيق من القناع. محيط المحيط.

(٢) المخركاه وهى بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة، ويغشى بالجوخ ونحوه تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء للوقاية من البرد.

(٣) أقطع هو المقطوع اليد ويقال للأنثى قطعاء وجمعه قطع وقطعان، والأقطع أيضا الأصم وربما كان المعنى الثانى هو المقصود. محيط المحيط.

(٤) البلق جمع أبلق وهو ما جمع بين الأبيض والأسود من الألوان. (قاموس المحيط)، المعجم الوسيط (بلق).

الطبلخاناه بحسبه؛ وأقام الأمير آقبغا عبد الواحد شادا، وأن يقيم معه من جهة كلّ أمير أستاداره بعدة من جنده؛ وألزم الأمراء بالعمل؛ ورسم لوالى القاهرة بتسخير العامة. فأقام الأمير آقبغا عبد الواحد فى خيمته على جانب الموضع، واستدعى أستادارية الأمراء واشتد عليهم؛ فلم يمض ثلاثة أيام حتى حضرت إليه رجال الأمراء من نواحيهم، ونزل كل أستادار بخيمته ومعه دوابه ورجاله؛ فقسمت عليهم الأرض قطعا معينة لكل واحد منهم، فجدّا فى العمل ليلا ونهارا. هذا وآقبغا داير بفرسه عليهم يستحثهم، ويخرق بأستادارية الأمراء، ويضرب بعضهم، ويضرب أكثر أجنادهم. ووكل المقدم عنبر السحرتى بالرجال، وكان ظالما غشوما بهم وكلفهم السرعة فى أعمالهم، من غير أن يوجد لهم رخصة[1] ولا مكنهم من الاستراحة. وكان الوقت صيفا حارا، فهلك كثير منهم فى العمل لعجز قدرتهم عما كُلِّفوه. ومع ذلك كله والولاة تسخّر من تظفر به من العامة، وتسوقه إلى العمل، فيزل به البلاء ما لا قبل له به، ولا عهد له بمثله. وكان أحدهم إذا عجز وألقى بنفسه إلى الأرض، رمى أصحابه عليه التراب فمات لوقته. هذا والسلطان يحضر كل يوم حتى يرى العمل.

وكان الأمير ألطنبغا المارديني قد مرض، وأقام بالميدان على النيل أياما حتى برئ، وطلع إلى القلعة من باب القرافة. فاستغاث به الناس وسألوه أن يخلصهم من هذا العمل، فتوسط لهم عند السلطان حتى عفى السلطان الناس من السخرة؛ وأفرج عمن قبض عليه منهم. فأقام العمل سنة وثلاثين يوما إلى أن فرغ منه، وأجريت إليه المياه، وأقيمت به الأغنام المذكورة والأبقار البلق. وبنيت به بيوت للأوز، فبلغ ثمن البقل المصروف من الديوان برسم أكل فراخها فى كل يوم مائة وخمسين درهما، وعند فراغ العمل من الحوش وترتيبه استدعى السلطان الأمراء وعمل لهم سماطا جليلا، وخلع على جماعة ممن باشر العمل وغيرهم.

وفيها وصل من متجر الخاص ستمائة قطعة قطران، طرحت على الزياتين وأصحاب المطابخ بمائتى درهم القطعة. ثم طرح النشو أيضا ألف مقطع شرب بحساب ثلاثمائة درهم المقطع، وقيمته ما بين مائة وخمسين ومائة وستين درهما المقطع. ثم طرح النشو ثياب المماليك الخلقة وأخفافهم العتيقة على أربابها بأغلى ثمن.

وفيها جدّ النشو فى السعاية بالصفى كاتب قوصون عند السلطان، وأنه يلزمه فى كل سنة للديوان عن متاجره وزراعا نحو مائتى ألف درهم، حتى ألزم السلطان الأمير قوصون بمصادرته وأخذ ماله لنفسه؛ فأوقع قوصون الحوطة على جميع ماله. وسعى

---

(١) الرخصة هنا النوبة فى توزيع العمل أو التيسير والتسهيل. انظر محيط المحيط.

النشو أيضا بقطلو أستادار قوصون أنه لما توجه إلى الشام لزمه مال كثير بما أتلفه من مال معاصر الغور، وعما أخذه من المباشرين حتى تلفت الأقصاب؛ فقبض عليه قوصون، وألزمه بالحمل حتى باع داره وثيابه.

ثم بعث السلطان إلى قضاة القضاة ألا يثبت أحد منهم محضرا باستحقاق ميراث حتى يرسم لهم بذلك. وسببه أن صدر الدين الطيبى لما ولاه النشو نظر ديوان المواريث التزم له بحمل الأموال الكثيرة، وصار يحتاط على أموال التركات، ويحملها إلى النشو من غير أن يعطى الورثة منها شيئا؛ فإن كان للوارث جاه وكان له ولد معروف ألزمه أن يثبت نسبه من الميت واستحقاقه لميراثه، فإذا أثبت ذلك أحاله على ما يتحصل من المواريث، فيماطل بذلك مدة ولا ينال غرضه، فلما فحش الأمر فى هذا بلغ السلطان، فأنكر على النشو ذلك، فدافع عن نفسه بأعذار قبلت منه، ثم رسم السلطان للقضاة ألا يثبتوا من ذلك شيئا إلا بمرسومه، فاشتدّ الأمراء على الناس؛ وصارت التركة تنهب بحضرة الوارث ولا يجد سبيلا إليها فإن عجز الطيبى عن أخذ المال من التركة لقوة الوارث وشدة بأسه رماه عند النشو بأن مورثه لقى ووجد لقية مال فى بيته، فيلزم الوارث بإحضار ذلك حتى يترك ميراثه.

وفيها كتب مرسوم بمساحة ضمان جهات دمشق بما عليهم من البواقى للديوان، ومبلغه مائتان ألف درهم؛ فأهملت من الحساب.

وفيها أنعم السلطان على الأمير تنكز نائب الشام بثلاث ضياع من فتوح سيس، وهى قلعة كوارة وقلعة نجيمة وقلعة سرفندكار؛ ورسم أن يحمل إليها من حماة وحمص وطرابلس عشرون ألف غرارة غلة برسم تقاويها وتخضيرها، وعين لكل ضيعة ما يكفيها؛ وكتب مراسيم لكل جهة بما هو مقرّر عليها.

وفيها أوقع الأمير تنكز بعلم الدين محمد بن القطب كاتب السرّ بدمشق، وضربه وصادره، بمرافعة الأمير حمزة التركمانى؛ وأخذ منه عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم.

وفيها أعرس أحمد ابن السلطان بابنة الأمير طايربغا من غير عمل مهم. وأعرس كذلك يوسف ابن السلطان بابنة الأمير جنكلى بن البابا.

وفيها أنعم على قطلوبرس أستادار بكتمر الساقى بإمرة طبلخاناه، وتسلم أمير أحمد ابن السلطان وتوجّه به إلى الكرك؛ فتوجه الأمير بيغرا إلى الكرك على النجب حتى أحضر جميع ما كان بها من المال.

وفيها اتضع سعر الغلال حتى أبيع الأردب القمح الصعيدى بعشرة دراهم، والبحرى

بثمانية دراهم، والفول والشعير كل أردب بستة دراهم؛ وكسدت الغلال. فكان رزق الله أخو النشو - وهو كاتب الأمير ملكتمر الحجازى - وولى الدولة صهره - وهو كاتب المجدى - يطرحان القمح بزيادة درهمين الأردب ويأخذان ثمنه بعسف وظلم؛ فتوقفت أحوال الجند لرخص السعر. وسعى النشو بالضياء المحتسب أن الدقيق والخبز سعرهما بالنسبة إلى القمح غال؛ فرسم لوالى القاهرة أن يطلب المحتسب والطحانين ويعمل معدّل القمح عنده، فلم يجد فى الأسعار تفاوتا بين القمح والخبز.

وفى سابع عشر صفر: قدم من بغداد الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروان، وحسام الدين الحسن بن محمد بن محمد الغورى محتسب بغداد وفخر الدين محمود نائب الحلة. وعدة من الأعيان فى خمسمائة عليقة [1]. فقدم الوزير للسلطان هدية سنية. فيها حجر بلخش يزن سبعة وعشرين درهما؛ فخلع عليه وعلى الغورى، وأنعم على محمود نائب الحلة [2] بإمرة طبلخاناه بدمشق، وعلى وزير بغداد بإمرة طبلخاناه بديار مصر، ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بعد وفاة طايربغا.

وكان سبب قدومهم أن نجم الدين هذا كان تمكن ببغداد وكثر ماله؛ فلما قدم على بادشاه إلى بغداد ومعه القان موسى، وصادر أهلها، ثم جمع العساكر وخرج بعث بشمس الدين السهروردى نائب بغداد، وقد كتب له أسماء ليأخذ مالهم، منهم نجم الدين ابن شروان، فخر الدين محمود نائب الحلة. فلما بلغهم ذلك تواطئوا على قتله والخروج إلى مصر، وخرجوا إلى لقائه، واحتفوا به وساروا معه؛ ثم بدره نجم الدين بسيفه فضربه ضربة حلت عاتقه، فسقط إلى الأرض، وأخذت السيوف أصحابه؛ فارتجت بغداد بأهلها. وفى الوقت نادى نجم الدين بالأمان، «ولا يتحرك أحد!! فقد كان لنا غريم قتلناه»؛ وأخرج هو وأصحابه حريمهم وأموالهم، ومروا بهم على حمية من بغداد، وكتبوا إلى الأمير تنكز نائب الشام يستأذنونه. فبعث تنكز البريد إلى السلطان بخبرهم، فأجيب بإكرامهم إلى القاهرة؛ فحمل إليهم من الإقامات ما يليق بهم حتى قدموا عليه، ثم سيرهم مكرمين.

وفيها أنعم على آقسنقر بخبز طنجى السلاح دار؛ وأنعم على قمارى أمير شكار بتقدمة ألف.

وفيه أنشأ السلطان قصرًا للأمير يلبغا اليحياوى، وقصرا للأمير ألطنبغا المارديني، تجاه

---

(١) عليقة والجمع عليقات وعلائق - البعير. انظر محيط المحيط .

(٢) الحلة: مدينة كبيرة منيفة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى وتمتد بطوله. انظر معجم البلدان ٢/٢٩٥، والروض المعطار ١٩٧، ابن جبير ٢١٣، وابن بطوطة ٢٢٠.

حمام الملك السعيد قريبا من الرميلة تحت القلعة، وأخذ لذلك من إسطبل الأمير أيدغمش قطعة ومن إسطبل الأمير طشتمر الساقى قطعة، ومن إسطبل الأمير قوصون قطعة؛ ونزل بنفسه حتى قرّر أمره. وتقدم السلطان إلى الأمير قوصون أن يشترى الأملاك المجاورة لإسطبله بالرميلة [١] تحت القلعة، ويضيفها إلى إسطبله؛ وأمر أن يكون باب الإسطبلين اللذين أنشأهما أيضا للأميرين يلبغا وألنبغا تجاه حمام الملك السعيد؛ وأقام آقبغا عبد الواحد شادا بعمارة القصرين. فاشترى قوصون عدة أملاك وسع بمواضعها فى إسطبله، وطرح النشو أنقاضها بأغلى الأثمان؛ وجعل قوصون باب إسطبله من الرميلة تجاه القلعة. وأنفق النشو على القصرين جميع ما يحتاج إليه فى عمارتها.

وفيها قدمت عدة تجار من الشام بثياب بعلبكى كثيرة، فختم عليها وأخذ عنها ما جرت به العادة للديوان من المكس. ثم أمر النشو بأخذها جميعها بقيمة اختارها، ثم طرحها على تجار القاهرة بثلاثة أمثال قيمتها، وألزم مباشرى الختم ألا يختموا قماشا حتى يستأذنوه. فقدم قَفْلُ عقيب ذلك فيه تاجر من جهة الأمير بشتاك، فأخذ قماشه فيما أخذ، وطرح الجميع على التجار. فادّعى ذلك التاجر أن قماشه إنما هو للأمير بشتاك، فضربه النشو ضربا مبرحا؛ فشق ذلك على بشتاك وشكا أمره إلى السلطان. وكان النشو قد بلغ السلطان أن تاجرًا يحضر كل سنة القماش على اسم الأمير بشتاك بغير مكس، حتى وجب عليه للديوان مائة ألف درهم، وقد أكسر معاملة السلطان، وأنه قد أخذ ما أحضره من القماش؛ فانفعل السلطان لكلامه.

وفيها عزل قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى [٢]. وسبب ذلك ولده جمال الدين عبدا لله، وما كان عليه من كثرة اللهو والشره فى المال، وأخذه الرشوة من القضاة ونحوهم، وتبسطه فى الترف، حتى إنه قد اقتنى عدة كثيرة من الخيول ورتب لها عدة من الأجاقية والركابين [٣] وسابق بها. وكان جمال الدين شغف أيضا بسماع الغناء ومعاشرة الأحداث من أولاد الأكابر ومماليك الأمراء، وتجاهر بالمنكرات. فرفعت فيه للسلطان تتضمّن شعرا بما هو عليه، فأخرجه السلطان إلى الشام؛ ثم أعاده بسعى

---

(١) الرميلة منزل فى طريق البصرة إلى مكة. انظر معجم البلدان ٧٣/٢.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبى المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. قاضى، من أدباء الفقهاء أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤. انظر مفتاح السعادة ١٦٨/١، ٢١٧/٢وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والأعلام ١٩٢/٦.

(٣) لفظ الركابين - مفرده ركاب أى السائس.

أبيه بعد مدة بسفارة الأمير بكتمر الساقى، فلم يقم إلا نحو السنة، وزاد فى قبح السيرة؛ فأخرجه السلطان ثانيا، وأقام سنة. فلم يطلق أبوه غيبته عنه، وكان قد فتن به حتى أنه لشدة حبه إياه لا يكاد يصبر عنه ساعة واحدة؛ فسأل السلطان فى عوده مشافهة، وضمن توبته؛ فأعاده السلطان إلى القاهرة، فأنشأ بجوار بيت أبيه على النيل دارًا كلف قضاة الأعمال فيها لحمل الرخام وغيره، واستدعى لها الصنّاع من الشام، وبالغ فى إتقانها، فبلغت النفقة عليها زيادة على خمسمائة ألف درهم. وبلغ السلطان ذلك، فحدّث الأمراء بما بلغه، وأنكر على القاضى بتمكين ولده من هذا؛ فبعث الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى إلى القاضى يعنفه ويشنع عليه، ويلومه على إنفاق ولده هذا المال الكبير، فاعتذر عنه بأنه اقترض ما عمر به هذه الدار فإن سكنى القاهرة لم توافقهم واحتاجوا إلى السكنى على النيل. ثم إنه أيضا اشترى فى القاهرة دارا، وجدّدها بما يزيد على مائتى ألف درهم، فكثر الكلام فيه. هذا مع جفائه للناس، وقوة نفسه، وسوء سيرته وسيرة إخوته أيضا وتغافل أبيهم عنهم، وتصامه عن الشكوى فيهم فكتب فى القاضى عدة أوراق للسلطان، ونسب فيها إلى أنه لا يولى نائبا عنه فى بلد حتى يجتمع بأولاده، وشنع فيها أن القضاة فى أيامه إنما تلى بالبراطيل، وتتزايد فى الولايات. وكان السلطان لا يرشى ويعاقب من يرتشى أشدّ العقوبة، فكان يراعى القضاة لما فى نفسه من إجلالهم وتعظيمهم، إلى أن نعاط أمر أولاد القاضى جلال الدين القزوينى وكثرت القصص فيهم وفى مملوكه. وعمل حسن الغزى الشاعر فيهم قصيدة شنيعة، وأوصلها إلى شهاب الدين أحمد بن فضل الله، فقصد نكاية القزوينى، وقال للسلطان عنها وقرأها عليه، فأثرت فى السلطان وغيرته على القزوينى، ومنها، وهى طويلة:

قاض على الأيام سل صارما ... بجدّه يلتقط الدراهما
وسن من أولاده لها دما ... جردهم فانتهكوا المحارما
والشبل فى المخبر مثل الأسد

وابنه البدرى خطيب جلقى ... بامرأة الكامل مشغوف شقى
بادره بالعزل فليس يرتقى ... منابر الإسلام إلا متقى
متزر ثوب العفاف مرتد

يا ملك الإسلام يا ذا الهمة ... أزل عن الملة هذى الغمة
واحلل بعبد الله سيف النقمة ... فإنه حجاج هذى الأمة
واردعه ردع كلّ مفسد

فلما حضر القضاة إلى دار العدل على العادة لم يؤذن لهم فى دخوله، وعندما نزلوا بعث السلطان إلى القزوينى مع الدوادار بأن نائب الشام شكا من ابن المجد قاضى دمشق، «وقد اقتضى رأية أن تسافر إلى دمشق قاضيا، كما كنت، فإنه استحى وجهه منك ومن الأمراء والناس، وكلما عرّفك أن ترجع ابنك عما هو عليه لا ترجعه فإذا حضرت بدار الغدل استعف من القضاء بحضرة الأمراء. واعلم أنى آمر نائب الشام أنه إذا رأى أولادك على سيرة مرضية قابلهم بما يستحقونه».

فلما كان يوم الخميس: وحضر قاضى القضاة القزوينى دار العدل، سأل الحاجب أن يسأل له السلطان فى تمكينه من التوجه إلى دمشق، فإن مصر لم توافقه ولا وافقت أهله؛ فأذن له السلطان فى ذلك. ونزل القزوينى فأخذ فى وفاء دينه، وكان عليه لجهة وقف التربة الأشرفية المجاورة لمشهد السيدة نفيسة[1] مبلغ مائتى ألف درهم وثلاثين ألف درهم؛ فباع أملاكه وأملاك أولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها، وكانت نفيسة. فباعوا من صنف الأوانى الصينى بمبلغ أربعين ألف درهم ؛ وباع عبدا لله إحدى عشرة جارية ما بين ثمانية آلاف درهم الجارية إلى أربعة آلاف، وباع من اللؤلؤ والجواهر والزركش ما قيمته زيادة على مائة وعشرين ألف درهم، وباع داره بالقاهرة بخمسة وثلاثين ألف درهم؛ وأدّوا ما عليهم من الدين للأيتام وغيرهم. وسار قاضى القضاة بأهله وأولاده إلى دمشق، وصحبته ستون زوج محاير على الجمال، فى كل محارة امرأة. وتأسف الناس على فراقه، لمحبتهم له مع بغضهم لأولاده؛ فإنه كان كريما جوادا سخيا، له صدقات ومراعاة لأرباب البيوت، يهب الألف درهم؛ ولم يعرف فى دولة الأتراك بمصر قاض له مثل سعادته، ولا مثل حظوته من السلطان وقوة حرمته؛ وكان سفره فى جمادى الآخرة.

وفى يوم الأحد ثامن عشره: استدعى عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى، وخلع عليه؛ واستقرّ قاضى القضاة عوضا عن الجلال القزوينى. وكان السلطان قد جمع بين يديه القضاة والفقهاء - وفيهم عز الدين -

---

(١) السيدة نفيسة هى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب: صاحبة المشهد المعروف بمصر تقية صالحة عالمة بالتفسير والحديث. ولدت بمكة ونشأت فى المدينة وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها. حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن. انظر فوات الوفيات ٢/ ٣١٠ ووفيات الأعيان /١٦٩ وخطط مبارك ١٣٥/٥ والأعلام ٤٤/٨.

وحدثهم فيمن يصلح للقضاء، وقد تعين عندهم شمس الدين محمد بن[١] عدلان. فلم يلتفت إليه السلطان، وذكر لهم عز الدين فأثنوا عليه خيرا. وكان السلطان من أيام بدر الدين محمد بن جماعة يلهج بذكر ابنه عز الدين، ويقول: «لولا أنه شاب لوليته القضاء».

وخلع فيه أيضا على حسام الدين الحسن بن محمد الغورى القادم من بغداد، واستقرّ فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن على[٢] بن عبد الحق؛ ونزلا فى موكب جليل. وكان سبب عزل ابن عبد الحق أولاده، فإنهم ساروا سيرة أولاد القزوينى؛ فكان السلطان يقول: «ولينا قضاة جيادا أفسدهم»؛ ورسم بسفر ابن عبد الحق وأولاده أيضا إلى الشام، فسافروا. وكانت قد وقعت الشكوى فى ابن القاضى الحنبلى من بيعه أوقاف الأيتام وأخذ أثمانها، وإتلافه فى المحرمات؛ فطلب والده تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر بن محمد المقدسى، وسئل عن مال الأوقاف التى باعها، فاعتذر بما لا يقبل، وسأل المهلة. فأمر السلطان متولى القاهرة بتسليمه وضربه حتى يحضر المال جميعه، فأهانه ورسم عليه. وأخذ السلطان يقول للأمراء: «انظر ماذا جرى علينا من أولاد القضاة»، وذكر ابن القاضى الحنبلى وما كان منه، وهمّ أن يوقع به وبابنه المكروه، فتلطفوا به فى أمرهما والستر على القاضى لكبر سنه وشهرته. فعين الأمير جنكلى بن البابا لولاية الحنابلة موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسى؛ فطلبه السلطان وخلع عليه مع رفيقه.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: طلع القضاة الأربعة وقبلوا يد السلطان، واستأذن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعى فى عزل نواب الحكم، فإنهم جميعهم إنما ولوا ببذلهم المال الجزيل لولد القزوينى، وأنهم قد أفسدوا فى الأعمال فسادا كبيرا؛ فأجابه السلطان بأن يفعل ما فيه خلاصه من الله تعالى. فنزل ابن جماعة وكتب

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكنانى: فقيه شافعى مصرى ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وله «شرح مختصر المزنى – خ» بخطه. انظر طبقات الشافعية ٢١٤/٥ ودار الكتب ٥٢٢/١ وهدية ١٥٦/٢ والأعلام ٣٢٧/٥.

(٢) إبراهيم بن على بن أحمد، أبو إسحاق برهان الدين المعروف بابن عبد الحق الواسطى، ويقال له أيضا قاضى الحنفى: فقيه حنفى محدث دمشقى. كان أبوه قاضى الحصن بسورية فعرف به وهو سبط عبد الحق بن خلف الوسطى وله «نوازل الوقائع» فى الأخبار، والمنتقى فى فروع الفقه. انظر تاج التراجم –خ والجواهر المضية ٤٢/١ والبداية والنهاية ٢١٢/١٤ والنجوم الزاهرة ١٠٤/١٠ والدرر الكامنة ٤٦/١ والأعلام ٥١/١.

بعزل قضاة الوجه القبلى والبحرى بأسرهم، وعزل فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين من نيابة الحكم بمصر، وولى عوضه بهاء الدين عبد الله بن عقيل، وعين لقضاء الأعمال جماعة ممن وقع اختياره عليهم، فلم يجسر أحد على معارضته ولا مخالفته، واستخلف عنه فى القضاء تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى، وضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى؛ وعزل الضياء المحتسب من نظر الأوقاف حتى لم يدع أحدا بالقاهرة ومصر وأعمالها ممن ولاه القزوينى. فانكفّ عن الناس بذلك شر كبير وفساد كثير. وسار رفقاؤه الحنفى والحنبلى مثل سيرته فى النزاهة والصيانة.

وفيها فوض نظر الوقف الشافعى للشيخ برهان الدين إبراهيم الصائغ.

وعقيب ذلك قدم البريد من الشام بألفين وخمسمائة دينار من وقف الأشرفية. فأخذها النشو وعرّف السلطان بها، وأنه تعوض عنها لجهة الوقف فيما بعد فأخذها السلطان منه.

وفيها جمع النشو الطحانين وعرفاء الجمالة، وطرح عليهم ما زرع بناحية قليوب من الفول الأخضر والبرسيم، بحساب ثلاثمائة درهم الفدان الفول، والبرسيم بمائتى درهم؛ وضرب جماعة منهم بالمقارع، لأجل شكواهم إياه للسلطان. وطرح النشو مبلغ مائتى ألف درهم فلوسا نحسا ضرب إسكندرية وتروجة وفوّة وبلاد الصعيد على التجار وأرباب المعاملات، فوقفت الأحوال. وذلك أن الفلوس كانت تؤخذ بالعدد، وقد كثر فيها الزغل من الرصاص ونحوه، وصار الفلس الكبير يقص ثلاث قطع ويخرج بثلاثة فلوس؛ فصارت الباعة تردها؛ وتحسن سعر الغلة دراهم الأردب. فقام والى القاهرة فى ذلك وضرب جماعة ونودى أن يرد الفلس المقصوص والرصاص، ولا يتعامل به؛ فمشت الأحوال.

وفيه قدم البريد من الأمير تنكز نائب الشام. ومعه مبلغ عشرين ألف دينار الذى أخذ من علم الدين بن القطب كاتب السرّ بدمشق؛ فخلع السلطان على جمال الدين عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن الأثير، واستقر فى كتابة السرّ بدمشق عوضا عن ابن القطب.

وفيها اتفق بدمشق أن قاضيها شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن على الأربلى كان غير مرضى الطريقة؛ فلما عزل واستقرّ القزوينى عوضه، ركب ابن المجد قبل أن يبلغه العزل يريد مكانا، فنفرت بغلته من كلب خرج عليها فى الطريق، وألقته عن ظهرها، فاندقّ عنقه؛ وسرّ الناس بذلك.

وفيها عزل الضياء من حسبة القاهرة، بسعاية النشو به ورميه له بمحبة الأحداث؛ وخلع على الشريف شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الأشراف، واستقرّ عوضه، بعدما أقامت القاهرة أياما بغير محتسب.

وفيها أفرج عن الأمير آقسنقر شاد العمائر من حبسه بحلب، وأنعم عليه بطلبخاناه فى دمشق، بعناية الأمير قوصون.

وفيها قدم البريد بأن جبار بن مهنا توجه فى جماعته إلى بلاد الشرق، وصار فى جملة الشيخ حسن الكبير، بسبب أنه لما قدم بهديته إلى السلطان لم يجد منه إقبالا فكتب إلا إخوته بترجيعه إلى البلاد.

وفيها قدم البريد بأن الشيخ حسن الكبير قد جمع العساكر لمحاربة أرتنا صاحب بلاد الروم، وأن جبّار بن مهنا التزم له بجمع العرب، وأنه كتب له تقليدا بالإمرة على العرب. فقدم بعد ذلك كتاب أرتنا ومعه هدية، ويسأل فيه أن يكون نائب السلطان فى بلاد الروم، وأنه يضرب السكة باسمه، ويقيم دعوته على منابره. فخلع على رسله وأنعم عليهم، وكتب له تقليد بنيابة الروم من إنشاء الشريف شهاب الدين الحسين ابن قاضى العسكر. وكان الحامل لابن أرتنا على ذلك أنه عظم شأنه ببلاد الروم، وكثف جمعه حتى خافه الشيخ حسن الكبير أن ينفرد بمملكة الروم، فأخذ فى التأهب لمحاربته. وكان ابن دلغادر قد تمكن بأراضى أبلستين، وكثرت زراعاته بها، وأخذ يتخطف من أطراف الروم؛ فخشى أرتنا منه أن ينازعه فى مملكة الروم، أو يكون مع الشيخ حسن الكبير فرأى الاتجاه إلى السلطان أقوى له وأسلم، فإنه إما يمدّه بعسكر يتقوّى به على أهل الشرق، أو يأوى إلى بلاده إن انهزم.

وفيها بلغ النشو أن الناس يجتمعون إلى الوعاظ بالجامع الأزهر وجامع الحاكم وغير ذلك، ويدعون الله عليه. فلم يزل النشو بالسلطان حتى منع الوعاظ بأجمعهم من الوعظ، وأخرج رجلا كرديا كان للناس فيه اعتقاد إلى الشام.

وفيها قدم المجد السلامى من الشرق صحبة رسل الشيخ حسن الكبير باستدعاء السلطان له؛ وقد كلفه الشيخ أن يقوم له بالصلح بينه وبين السلطان، وجهز معه هدية جليلة.

وفيها قدم ناصر الدين خليفة بن خواجا على شاه وزير أبى سعيد، فأكرمه السلطان وأنعم عليه، وأخرج له راتبا بدمشق؛ ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بها، عوضا عن برسبغا العادلى، وأنعم على برسبغا بتقدمة آقول الحاجب بعد موته.

وفيها ندب النشو أحد مباشرى العمائر السلطانية لمرافعة الأمير آقبغا عبد الواحد، فأنهى للسلطان عنه أنه عمّر جميع عمائر من مال السلطان، وثبت لمحاققته؛ فلم يجد آقبغا جوابا.

وفيها استقرّ الأمير أخو ظلظية فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن الأمير سيف الدين أبى يكر بن سليمان البابيرى؛ وأخرج البابيرى إلى دمشق بطلب الأمير تنكز له؛ وكانت إقامته فى كشف الوجه البحرى سنة، سار فيها سيرة سيئة.

وفى ليلة الإثنين ثانى عشرى ربيع الآخر: سقط بمصر والقاهرة مطر عظيم مدة ستة أيام، فتهدّم منه عدة أماكن، وسال الجبل وأعقب المطر رياحا عاصفة؛ واشتدّ البرد بخلاف العادة، وسقط الثلج بسبخة بردويل [١] حتى جهلت الطريق، وسقط بمصر ثلج كثير وحصا فيه ما يزن ستة عشر درهما وأكثر إلى ثمانية وعشرين درهما. واشتدّ الريح بناحية دمياط فى بحر الملح حتى غلب على النيل، ووصل الماء إلى شار مساح وفارس كور [٢].

وفيها كثر تسخير الناس للعمل فى عمائر السلطان بالقلعة، وقبض عليهم من بين القصرين وهم نيام، ومن أبواب الجوامع عند خروجهم من صلاة الصبح؛ فابتلى من ذلك ببلاء عظيم، وكثرت الغاثة، فلم يجسر أحد من الأمراء يكلم السلطان فيه.

وفى يوم الإثنين رابعه: خلع على علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله، واستقرّ فى كتابة السرّ عوضا عن أبيه بعد وفاته؛ وركب معه الحاجب أمير مسعود والدوادار طاجار إلى داره.

وفى ثانى عشرى رمضان: قدمت الحرّة بنت السلطان أبى الحسن على بن عثمان[٣] ابن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج، ومعها جمع كبير وهدية جليلة إلى الغاية، نزل لحملها من الإسطبل السلطانى ثلاثون قطارًا من بغال النقل سوى الجمال، وكان

(١) تقع سبخة بردويل فى الجنوب الغربى من مدينة العريش على الحدود المصرية الفلسطينية. النجوم الزاهرة ١٣/٨.

(٢)فارس كور جبلان معروفان. انظر معجم البلدان ٤٨٩/٤.

(٣) على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، أبو الحسن، المنصور بالله من ملوك المغرب كان يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل، لسمرة لونه، وأمه حبشية. بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ بعهد منه استنجد به بنو الأحمر. ولابن مرزوق كتاب فى سيرته سماه «المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن». انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٥٧/٢-٨٧ واللمحة البدرية ٩٢ والانبساط ٥٢٠٥٣ والأعلام ٣١١/٤.

من جملتها أربعمائة فرس - منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتان بغل، وجميعها بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة، وبعضها سروجها وركبها من الذهب وكذلك لجمها؛ وكان جملتها أيضا أبقار عدتها اثنان وأربعون رأسا، ومنها سرجان من ذهب مرصّع بجوهر، وفيها اثنان وثلاثون بازا، وفيها سيف قرابه من ذهب مرصع، وحياصة [(١)] ذهب مرصع، وفيها ستمائة كساء وغير ذلك من القماش الغالى. وكان قد خرج المهمندار إلى لقائهم، وأنزلهم بالقرافة قرب مسجد الفتح، وهم جمع كبير جدا. وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة، ففرّق السلطان الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها، سوى الجوهر واللؤلؤ، فإنه اختصّ به فقدّرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار.

ثم نقلت الحرّة إلى الميدان بمن معها، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ما عمّهم وفضل عنهم. فكان مرتبهم فى كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم، ونصف أردب أرزا، وقنطار حب رمان، وربع قنطار سكرا، وثمانى فانوسيات شمع، وتوابل الطعام وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم، وكانت أجرة حمل أثقال ركبها قد بلغت ستين ألف درهم. ثم خلع على جميع من قدم مع الحرّة، فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم، حتى على الرجال الذين قادوا الخيول. وحمل إلى الحرّة من الكسوة ما يجلّ قدره؛ وقيل لها أن تملى ما يحتاج إليه، فقالت «إنه لا يعوزها شىء، إنما تريد عناية السلطان بإكرامها وإكرام من معها حيث كانوا».

فتقدّم السلطان إلى النشو وإلى الأمير آقبغا بتجهيزها اللائق بها، فقاما بذلك؛ واستخدما لها السقائين والضوية، وهيّئا كل ما تحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلوى والسكر والدقيق والبشماط، وطلبا الجمالة لحل جهازها وأزودتها. وندب السلطان معها جمال الدين متولى الجيزة[(٢)]، وأمره أن يرحل بها فى ركب لها بمفردها قدّام المحمل، ويمتثل كل ما تأمر به؛ وكتب لأميرى مكة والمدينة بخدمتها أتمّ خدمة.

وفيه تجهّز الأمير بشتاك، والأمير ألطنبغا الماردينى، وخوند طغاى زوجة السلطان وست حدق، وعدة من الدور ومن الخدّام، لسفر الحجاز.

---

(١) حياصة حزام الدابة. انظر المعجم الوجيز ١٨١.

(٢) الجيزة: بالزاى، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، صبح الأعشى ٣٩٢/٣، وخطط المقريزى ٢٠٥/١.

وفيه قرّر الأمير علم الدين سنجر الجاولى شهاب الدين أحمد العسجدى فى تدريس الحديث بالقبة المنصورية بين القصرين، بعد وفاة زين الدين عمر بن الكتانى. فتعصب عليه القضاة وجماعة من شيوخ العلم، وطعنوا فى أهليته، ورفعوا قصة للسلطان بالقدح فيه. فلما قرئت على السلطان بدار العدل سأل السلطان من القضاة عنه، فثلبه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة؛ فقام الجاولى بمعارضة القاضى وأثنى عليه؛ فرسم السلطان أن يعقد له مجلس ويطالع بأمره. فاجتمع القضاة وكثير من الفقهاء بالمدرسة المنصورية، وجبه بعضهم الجاولى بالغض من العسجدى، ورماه ركن الدين محمد بن محمد بن القويع [1] بأنه لحن فى قراءة الفاتحة ثلاث مرات فقام قاضى القضاة حسام الدين الغورى فى نصرة العسجدى وأثنى عليه، وقال: «أنا أحكم بأهليته لهذه الوظيفة»، فدار بينه وبين ابن جماعة مقاولة فيها فحش؛ وانفضوا على ذلك. فأعلم الغورى طاجار الدوادار بأن القوم تعصّبوا على العسجدى، وأنه يحكم بأهليته، فبلّغ السلطان ذلك. فلما حضرا سأل السلطان عما جرى فى المجلس من ابن جماعة والجاولى، فتفاوضا وعارض كل منهما الآخر؛ فمال السلطان إلى قول ابن جماعة، ومنع العسجدى من التدريس. فشقّ ذلك على الجاولى، وهمّ بعزل نفسه من نظر المارستان، فحذره الأمراء عاقبة ذلك.

وفيها عمل جسر بالنيل على حكر ابن الأثير. وسببه أن النيل قوى على ناحية بولاق خارج القاهرة، وهدم جامع الخطيرى حتى احتيج إلى تجديده، وحتى احتيج إلى أن رسم السلطان للسكان على شاطئ النيل بعمل الزرابى لجميع تلك الدور، وألا يؤخذ عليها حكر. فبنى صاحب كل دار زربية تجاه داره فلم يفد ذلك شيئا. فكتب بإحضار مهندسى البلاد القبلية وبلاد الوجه البحرى؛ فلما تكاملوا ركب السلطان النيل وهم معه، وكشف البحر. فاتفق الرأى على أن يحفر الرمل الذى بالجزيرة حتى يصير خليجا يجرى فيه الماء، ويعمل جسر فى وسط النيل يكون سدا يتصل بالجزيرة، فإذا كانت زيادة النيل جرى الماء فى الخليج الذى حفر، وكان قدّامه سدّ عال يرد الماء إليه حتى يتراجع النيل عن سدّ القاهرة إلى برّ ناحية منبابة [2]؛ وعاد السلطان إلى القلعة. وخرجت البرد من الغد إلى الأعمال بإحضار الرجال للعمل صحبة المشدّين، وطلبت

(١) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفرى ركن الدين، أبو عبدالله، ابن القويع: من فضلاء المالكية. كان يفتى، مع اشتغاله بالحكمة والطب. ولد بتونس وتعلم بها وبدمشق واستقر بالقاهرة. قال ابن سيد الناس: كان لا يخل بالمطالعة فى كتاب الشفاء لابن سينا كل ليلة. له شعر وتأليف (وتفسير سورة ق). انظر بغية الوعاة ٩٧ والدرر الكامنة ٤ ١٨٠١٨ والأعلام ٣٥/٧.

(٢) ناحية منبابة بلدة إمبابة الحالية بمديرية الجيزة. انظر النجوم الزاهرة ٣٨٠/٦.

الحجارون بأجمعهم لقطع الحجارة من الجبل - وكانت تلك الحجارة تحمل إلى الساحل وتملأ بها المراكب، وتغرّق المراكب وهى ملانة بالحجارة حيث يعمل الجسر-. فلم يمض عشرة أيام حتى قدمت الرجال من النواحى، فتسلمهم الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير برسبغا الحاجب. ورسم لوالى القاهرة ووالى مصر بتسخيرهم للعمل، فركبا وقبضا على عدة كثيرة منهم، وزادا فى ذلك حتى صارت الناس تؤخذ من المساجد والجوامع فى السحر، ومن الأسواق؛ فتستّر الناس ببيوتهم خوفا من السخرة.

ووقع الاجتهاد فى العمل، واشتدّ الاستحثاث فيه حتى إن الرجل كان يخرّ إلى الأرض وهو يعمل لعجزه عن الحركة، فتردم عليه الرمال، فيموت من ساعته. واتفق هذا لخلائق كثيرة جدا، وآقبغا راكب فى الحراقة يستعجل المراكب المشحونة بالحجارة، والسلطان ينزل إليهم ويباشرهم، ويغلظ على آقبغا ويحمله على السرعة واستنهاض العمل حتى أكمل فى مدة شهرين. وغرق فيه اثنا عشر مركبا وسق كل مركب ألف أردب. وكانت عدة المراكب التى أشحنت بالحجارة المقطوعة من الجبل- ورميت فى البحر حتى صار جسرا يمشى عليه - ثلاثة وعشرين ألف مركب حجر، سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسرياقات [١] والحلفاء ونحو ذلك.

وحفر الخليج بالجزيرة، فلما زاد النيل جرى فى الخليج الذى حفر، وتراجع الماء حتى قوى على برّ منبابة وبرّ بولاق التكرور؛ فسرّ السلطان بذلك.

وفيها استأذن الأمير ملكتمر الحجازى والأمير يلبغا اليحياوى السلطان فى المسير إلى الإسكندرية بطيور السلطان الجوارح، ليتصيدا فى البرية. فرسم للنشو بتجهيزهما، فخاف من دخولهما إلى الإسكندرية أن يبلغهما عنه من أعدائه ما إذا نقلاه للسلطان تغيّر عليه. فعرّف النشو السلطان أن مراكب التجار قد وصلت، وأنه يحتاج إلى السفر حتى يأخذ ما عليها للديوان ويقوم أيضا بخدمة الأميرين؛ فأذن له فى السفر، فسافر من ليلته. وبدا للسلطان أن يبعث الأمير بشتاك بالطيور - ومعه الأمير قمارى أمير شكار، والأمير ألطنبغا الماردينى - ويعوض يلبغا والحجازى بركوب النيل فى عيد الشهيد؛ فسافر الأمراء الثلاثة. وكان عيد الشهيد بعد يومين، فركب يلبغا والحجازى المراكب فى النيل للفرجة؛ وخرجت مغانى القاهرة ومصر بأسرها، وتهتكوا بما كان خافيا مستورًا من أنواع اللهو؛ وقد حشر الناس للفرجة من كل جهة. وألقى الأمراء للناس فى مراكبهم من أنواع الأشربة والحلاوات وغيرها ما يتجاوز الوصف، فمرّت ثلاث ليال بأيامها كان فيها من اللذات وأنواع المسرّات ما لا يمكن شرحه.

---

(١) السرياقات جمع سرياقة ومعناها هنا الحبل الغليظ. انظر النجوم الزاهرة ١٢٨/٩.

ولما قدم الأمراء بالطيور إلى ظاهر الإسكندرية أخرج النشو إلى لقائهم عامة أهلها بالعدد والآلات الحربية، وركب إليهم حتى عبروا المدينة، فكان يوما مشهودا. ثم خرجوا بعد يومين، وقد قدم النشو لهم من الأسمطة وأنواع القماش ما يليق بهم. وأخذ النشو فى مصادرة أهل الإسكندرية، وطلب عشرة آلاف دينار من الصيارفة قرضا فى ذمته، وطلب من ثلاثة تجار عشرة آلاف دينار؛ ثم إنه غرّم ابن الربعى المحتسب بها خمسة آلاف دينار؛ سوى ما ضرب عليه الحوطة من موجوده؛ وضربه ضربا مبرحا وسجنه، فمات بعد قليل فى السجن؛ ثم عاد النشو إلى القاهرة.

وقدم الخبر من ماردين بكثرة جمع الشيخ حسن الصغير وأولاد دمرداش، وأنهم على حركة لحرب طغاى بن سونتاى بديار بكر، فإذا بلغوا مرادهم منه عدوا الفرات إلى أخذ حلب.

وفيها طلب الأمير طرغاى الطباخى، واستقرّ فى نيابة حلب عوضا عن ألطنبغا.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى شوال: قدم موسى بن مهنا طائعا، وقدَّم عدة خيول؛ وورد صحبته طائفة من عرب البحرين بخيول قوِّمت بمبلغ خمسمائة ألف وستين ألف درهم وقومت خيل موسى بخمسمائة ألف درهم، سوى ما جرت العادة به من الإنعام عليه؛ وأنعم عليه بعشرين ألف دينار أيضا. وقومت من جهة أهل برقة بأربعمائة ألف درهم، وقومت مماليك وجوارى قدم بها التجار بستمائة ألف درهم. وكانت جملة ذلك كله، ما عدا ما أنعم به على موسى بن مهنا ألفا ألف درهم وستون ألف درهم، عنها مائة ألف دينار مصرية ونيف وعشرين ألف دينار؛ وأحيل بذلك على النشو.

ولما كمل قصر يلبغا وقصر المارديني جاءا فى أحسن هيئة، فإن السلطان كان ينزل إليهما بنفسه ويرتّب عمارتهما. فعمل أساس قصر يلبغا أربعين ذراعا وبسطه حصيرا واحدا، فجاء مصروفه أربعمائة ألف درهم. وكان جملة المصروف على هذا القصر أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم، من ذلك لازورد خاصة بمائة ألف درهم. فركب السلطان إليه يوم فراغه وأعجب به، وأنعم على يلبغا بتقدمة طرغاى الطباخى نائب حلب، وفيها عشرة أزواج بسط - منها زوج بسط حرير- وعدة أوانى بلور وغيره، وعدة خيول، وجمال بخاتى. وتقدّم السلطان إلى الأمير آقبغا عبد الواحد بعمل سماط فى قصر يلبغا، فنزل إليه ونزل النشو أيضا حتى تهيأ ذلك؛ وحضر الأمراء كلهم، فأكلوا وشربوا يومهم إلى العصر. ثم خلع السلطان على أحد عشر أميرا أحد عشر تشريفا أطلس. وأركبوا الخيول بسروج الذهب؛ وخلع على بقية الأمراء ما بين خلع كاملة

وأقبية، وأركبوا أيضا الخيول المثمنة بسروج الذهب والفضة على قدر مراتبهم. وتولى السلطان تعبية ذلك بنفسه، فكان مهما عظيما: ذبح فيه ستمائة رأس من الغنم، وأربعون رأسا من البقر، وعشرون فرسا، وعمل فيه برسم المشروب ثلاثمائة قنطار من السكر.

وفي يوم الإثنين سابع عشرى رمضان: هبّت ريح سوداء معتمة بناحية الغربية، وأظلم الجو منها؛ وسقطت دور كثيرة. ثم سقط برد أسود مرّ الطعم، جاءت به الريح من نحو البحر حتى ملأ الطرقات، ووزنت منه واحدة فكانت مائة وثمانين درهما؛ ووجد فيه واحدة على قدر النارنجة، وعلى قدر بيض النعام، وما دون ذلك إلى قدر البندقة. وكان الزرع قد قرب حصاده، فرمى سنبله، وحصد كثير منه من أصله، وهلكت منه أغنام كثيرة. ورؤيت شجرة جميز في غاية الكبر وقد سقط في وسطها برده على هيئة الرغيف - وهي سواء - فشقّتها نصفين كما يشقّ المنشار؛ ووُجدت بقرة مطروحة قد قطع ظهرها ببردة شقته نصفين. وتلفت زروع ثمانية وعشرين بلدا، فجمع زرعها وحمل إلى السلطان مع فلاحيها، واستغاثوا بالسلطان؛ فرسم لمتولى الغربية أن يكشف تلك النواحي، ويحرر ما أصابتها الجائحة منها، ويحطّ خراجه عن الفلاحين؛ فامتثل ذلك.

وفيه قدم البريد من قوص [1] بأن السماء احمرت في شهر رمضان هذا حتى ظهرت النجوم متلونة، فكانت تحمرّ ساعة وتسود ساعة وتبيضّ ساعة، إلى أن طلع الفجر؛ فجاء مطر لم يعهد في تلك البلاد. وقدم البريد أيضا بأنه هبت ريح بأسوان ألقت عامة البيوت وكثيرا من النخل؛ وهبت أيضا بعرب قمولة [2]، فألقت ألفين وخمسمائة نخلة مثمرة؛ وقدم بذلك محضر ثابت على قاضيها.

وخرج ببلاد منفلوط [3] فأر عظيم جدا، فحصد الزرع حصدا، وأتلف جرون الغلال، بحيث كان يذهب ربع الجرن في ليلة واحدة. فصار الناس يبيتون بالمشاعل على طول الليل، وهم يقتلون الفأر ثم يتولى أمر النهار طائفة أخرى، وهم لا يفترون عن

---

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) قمولة: قرية بأرض مصر كالمدينة جامعة متحضرة مكتفية بكل نعمة، وبشمال هذه المدينة جبل يقال إن فيه كنوزًا ومطالب وطلابًا إلى الآن. انظر معجم البلدان ٤/٣٩٨، والروض المعطار ٤٧٣.

(٣) منفلوط بلدة بالصعيد في غربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٤،٢١٥.

قتله؛ ثم يحمل ما قتل منه فى شباك، ويحرق بالنار على بعد؛ وفيهم من يلقيه إلى النيل؛ فأقاموا مدة شهرين يحملون فى الشباك كل يوم نحو مائة حمل. وشوهد منه عجب: وهو أن جمعا عظيما من فيران بيض خرجوا حتى ملأوا الأرض، فخرج مقابلهم فيران سود، واصطفوا صفين فى أرض مساحتها فدنان، ثم تصايحوا وحمل بعضهم على بعض واقتتلوا ساعة؛ وانكسرت الفيران السود، وتبعهم البيض يقتلونهم حتى مزّقوهم فى تلك الأراضى؛ وكان بمحضر عالم كبير من الناس فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فانكسر للسلطان بناحية منفلوط بسبب الفأر نحو ستين ألف أردب فول.

وفيها رفعت قصة إلى السلطان تتضمّن أن الأمير ملكتمر الحجازى يركب النيل ومعه أرباب الملاهى فى عدة من المماليك السلطانية، وأنهم يفعلون كل فاحشة ويأخذون حرم الناس. فاشتدّ غضب السلطان، وطلب الحجازى وأخرق به، وهدّده بالقتل إن عاد يركب النيل؛ وأخرج السلطان ممن كان يعاشره من المماليك ستة وثلاثين رجلا إلى البلاد الشامية على البريد من يومهم، وأخرج من الغد أربعين مملوكا من أصحابه بسبب شربهم الخمر.

وفيها تقدّم السلطان إلى ولى القلعة ألا يمكن أميرا من النزول إلا بمرسوم، وأمر نقيب الجيش فدار على الأمراء كلهم وأعلمهم ألا ينزل أحد منهم من القلعة إلا بمرسوم السلطان، ومن نزل فلا يبيت إلا بالقلعة. وركب أمير مسعود الحاجب – ومعه والى القاهرة – وهدم مرامى النشاب التى بناها الأمراء لرمى النشاب خارج القاهرة، وطلب جميع صناع النشاب ومنعهم من عمل النشاب الميدانى وبيعه لسائر الناس، وأمر بدكاكين البندقانيين فغلقت، ومنع من عمل أقواس البندق وبيعها، وقصد السلطان بذلك كفّ أسباب اللهو، فإنه كان يكره من يلعب ويلهو عن شغله وخدمته.

وفيها شفع الأمير موسى(١) بن مهنا فى لؤلؤ وغيره من المصادرين، فرسم السلطان لشاد الدواوين بكتابة أسمائهم – وكانوا خمسة وثلاثين رجلا، ومنهم قرموط وأولاد التاج –، فأفرج عنهم، اما خلا قرموط وأولاد التاج.

وفيها أنشأ الأمير آقبغا عبد الواحد مدرسة بجوار الجامع الأزهر، وكان موضعها دار الأمير ابن الحلى؛ وألزم الصناع بالعمائر السلطانية أن يعملوا فيها يوما من الأسبوع بغير

---

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن نافع الطائى رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤م واستمر إلى أن توفى يتدمر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠والأعلام ٣٢٩/٧.

أجرة؛ فكان يجتمع فى كل أسبوع بها كل صانع بالقاهرة ومصر، ويعملون نهارهم. وحمل لها آقبغا جميع ما يحتاج إليه من عمائر السلطان، وأقام بها من مماليكه شادا لم ير أظلم منه، فعسف الصناع وضربهم.

وفيها توقفت زيادة النيل عندما قرب الوفاء، ثم نقص؛ فارتفع سعر الغلال حتى بلغ القمح عشرين درهما الأردب. ثم تراجع النيل ووفى ستة عشر ذراعا، بعدما زاد ثلاثة أيام متوالية أربعة أذرع ونصف ذراع. وتلفت بسبب ذلك غلال كثيرة فى الأجران، فإنه زاد زيادة متتابعة على حين غفلة. وكانت سنة شديدة، واتفق فيها من الأمطار والفأر والمصادرات وغير ذلك عدة محن.

* * *

ومات فيها من الأعيان

مجد الدين إبراهيم بن الأجلّ أبى هاشم على بن الصدر الأديب أبى طالب محمد بن محمد بن محمد الفامغار - المعروف بابن الخميمى - فى سادس عشر جمادى الأولى؛ ومولده سنة تسع وأربعين وستمائة؛ وحدّث عن أبيه والرشيد العطار وغيره.

ومات الأمير إبراهيم ابن السلطان فى رابع عشرى ذى القعدة، ودفن بتربة عمه الصالح على بن قلاوون، بالقرب من المشهد النفيسى.

وتوفى الطبيب الأديب شهاب الدين أحمد بن يوسف بن هلال الصفدى، بالقاهرة عن سبع وسبعين سنة؛ وله نظم جيد.

وتوفى الشيخ زين الدين عمر بن الجمالى أبى الحزم بن عبد الرحمن بن يونس - المعروف بابن الكتانى - الدمشقى، شيخ الشافعية، بالقاهرة فى يوم الأربعاء سادس عشر رمضان.

وتوفى قاضى القضاة الشافعى بدمشق شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن على الأربلى الشافعى، بعد ما ألقته بغلته بأسبوع، فى جمادى الأولى بدمشق.

وتوفى الشيخ زكى الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن ابن عبد الجليل - المعروف بابن القويبع - القرشى التونسى المالكى، صاحب الفنون الكثيرة، بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة.

توفى شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجوانى فى حادى عشرى المحرم، ودفن بالقرافة.

وتوفى شيخ الإسلام شرف الدين هبة الله ابن قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم بن أبى الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله [1] بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد المعروف بابن البارزى - الشافعى، قاضى حماة، فى نصف ذى القعدة؛ ومولده فى خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير طغجى.

ومات الأمير آقول الحاجب.

ومات الأمير ظلظية كاشف الوجه القبلى.

ومات كاتب السر محيى الدين بن يحيى ابن فضل الله بن مجلى العمرى، فى يوم الأربعاء تاسع رمضان.

وتوفى جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن جملة، وكان قد ولى قضاء دمشق بعد علم الدين الأخنائى ثم عزل.

* * *

---

(١) هبة الله عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم شرف الدين بن البارزى الجهنى الحموى: قاض حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية من أهل حماة. ولى قضاءها مدة طويلة بلا أجر وعين مرات لقضاء مصر فاستعفى وذهب بصره فى كبره ومات وأغلقت حماة لمشهده. له بضعة وتسعون كتابا منها «تجريد جامع الأصول فى أحاديث الرسول -خ». انظر نكت الهميان ٣٠٢ وابن الوردى ٢:٣١٩ والدرر الكامنة ٤٠١/٤ والبداية والنهاية ١٨٢/١٤ السبكى ٢٤٨/٦ وغاية النهاية ٣٥١/٢ النجوم الزاهرة ٣١٥/٩ ومفتاح السعادة ٢٢٤/٢ وكشف الظنون ١٠٤٤ والأعلام ٧٣/٨.

سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

فى أول المحرم: قبض على امرأة خناقة، وقتلت.

وفيها قدم رسل الملك أزبك صحبة الأمير سرطقطاى مقدم البريدية بهدية وكتاب يطلب فيه مصاهرة السلطان؛ فجهزت إليه هدية، وأنعم على رسله وأعيدوا وكان سرطقطاى قد توجّه رسولا إلى أزبك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

وفيها قدم الخبر بأن القان الكبير عزم على المسير إلى العراقين، وقدّم أمامه عسكرا ليسير إذا أخذ العراق إلى الشام. فسار ثمانى مراحل، وبعث الله على ذلك العسكر ريحا سوداء، ثم صارت زرقاء تشتعل نارا، فيسقط الفارس وفرسه ميتين عند هبوبها؛ وتمادى هبوبها يومين، وكانوا زيادة على مائة ألف فارس، فلم يرجع منهم إلى القان إلا نحو عشرة آلاف وهلك باقيهم. فسر السلطان بذلك.

وفيها قدم الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل صاحب حماة باستدعاء السلطان، وقد كثرت شكاية الناس له من شغفه باللهو وأخذه أموال الرعية، وقد شفع فيه الأمير تنكز نائب الشام فقدم الأفضل للسلطان والأمراء تقادم جليلة، ثم سافر إلى بلده بعد ما وصّاه السلطان بحضرة القضاة، وعدّد ذنوبه، وأخبره أنه قبل فيه شفاعة نائب الشام، ثم خلع عليه وسفّره.

وفيها اشترى بدر الدين أمين الحكم ملكا لبعض الأيتام، فحضر إليه العلم القراريطى شاد القراريط يطلب منه موجب الديوان عن الملك المذكور؛ فأفضى الحال بينهما إلى مفاوضة بمجلس قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، أطلق فيها العلم لسانه بما أوجب تعزيره؛ فانصرف إلى النشو وعرّفه أنه لما طالب أمين الحكم بالقراريط (1) عزّره ابن جماعة وكشف رأسه، فحرّك ذلك منه كامنا كان فى نفسه من ابن جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وشنع عليه بأن أمين الحكم لما امتنع من دفع القراريط عن الملك أخرج إليه العلم مرسوم السلطان وعليه «محمد بن قلاوون»، فأخذه منه ورماه بالأرض عند النعال، وقال: «تجعل فى مجلس الحكم الباطل حقًا لتأخذ أموال الأيتام؟»، ثم كشف رأسه وضربه بالدرة (2). فغضب السلطان وطلب أمين الحكم، وأمر طاجار الدوادار

---

(1) القراريط مكس من المكوس السلطانية بمصر. انظر المواعظ والاعتبار ١/١٠٦.

(2) الدرة السوط يضرب به. (قاموس المحيط).

بضربه؛ فضربه على باب القصر بالقلعة - والنشو جالس - ضربا مؤلما وقطع أكمامه؛ وشهره بالقلعة ونودى عليه: «هذا جزاء من يمنع الحقوق السلطانية»؛ وألزم بحمل عشرين ألف درهم، ورسم عليه، فقام بخمسة عشر ألف درهم.

وفى شهر ربيع الأول: قبض على أوحد الدين شيخ خانكاه بيبرس - وهو بالروضة تجاه مصر - على حال غير مرض؛ وأخرج إلى القدس منفيا.

وفيها قدم الخبر بأن ابن دلغادر استولى على قلعة طرندة [١] من بلاد الروم، وأخذ ما فيها من الأموال، وأن الأمير تنكز بعث إليها الأمير علاء الدين على بن صبح. فسرّ السلطان بذلك، وبعث بتشريف لابن دلغادر، وشكره وأثنى عليه.

وفيه استقرّ الأمير بكتمر العلائى الأستادار فى نيابة حمص، بعد وفاة الأمير جركتمر.

وفيه أخرج الأمير منكلى بغا الفخرى إلى دمشق؛ واستقرّ من مقدمى الألوف بها.

وفيه أنعم على كل من قطليجا الحموى وطاجار الدوادار بإمرة طبلخاناه.

وفى ربيع الآخر: قدم الأمير ألطنبغا نائب حلب، وصحبته تقدمة جليلة؛ وأخلع جليلة عليه عند وصوله، وعزل عن نيابة حلب، واستقرّ من كبار الأمراء بالديار المصرية.

وفى تاسعه: سارت الحرّة المغربية عائدة إلى بلادها، بعد قضاء حجّها.

وفى حادى عشر جمادى الأول: قدم الأمير تنكز نائب الشام. وذلك أن ابنته التى تحت السلطان قرب وضع حملها، فكتب السلطان يستدعيه - ومعه أهله وأولاده - لأجل مهمّ ابنته وتقدّم السلطان إلى النشو بعمل بشخاناه وداير بيت من حرير مخمل، ويزركشهما بمائة ألف دينار؛ وأمره أن يجهز خمسين تشريفا للأمراء، منها ثلاثة وعشرين تشريفا أطلس بحوائص ذهب كاملة، وبقيتها ما بين طرد وحش ومصمط؛ و طلب إليه أيضا أن يجهز ما تحتاج إليه النفساء، وما يحتاج إليه من السروج ونحوها، وما يحتاج إليه المهمّ مما يبلغ زيادة على ثلاثمائة ألف دينار.

فأخذ النشو فى التدبير لذلك، ورتّب جهاته من ثمن سكر وعسل وقندر وقماش وخشب يطرحه على الناس، وعمل أوراقا بمظالم اقترحها بلغت جملتها خمسمائة ألف دينار ومائة ألف أردب غلة، وأعلم بها السلطان من الغد. وطرح النشو ما عنده من

---

(١) طرندة هى بلدة على مسافة ثلاث مراحل من ملطيه بأطراف أسيا الصغرى. انظر معجم البلدان ٣/٥٣٤.

البضائع على الناس بمصر والقاهرة، حتى زلزلهما بكثرة العقوبة، ولم يراع أحدا فخنق من ذلك الأمير الحاج آل ملك، وبلغ السلطان ما نزل بالرعية من الظلم، فلولا ما كان من ملاطفة الأمراء فى الحال لكان له وللسلطان شأن غير مرضى.

فلما قدم البريد بتوجه الأمير تنكز من غزة إلى القاهرة، بعث السلطان بالأمير قوصون إلى لقائه ومعه المطبخ، وركب السلطان إلى قصوره بسرياقوس ومعه أولاده فنزل قوصون السعيدية، وهيأ الأسمطة الجليلة؛ وتلقّى الأمير تنكز وترجّل إليه، فنزل الأمير تنكز أيضا، ومشيا خطوات حتى تعانقا، وركبا إلى الخيمة التى نصبها السلطان للأمير تنكز. فلما انقضى السماط ركب تنكز فتلقاه أوّلا أولاد السلطان، فترجّل لهم؛ ثم سار وهم معه، فتلقّاه السلطان وأكرمه غاية الكرامة. ثم سار السلطان من الغد وطلع قلعة الجبل، وخلع عليه وعلى أولاده وأمّرهم، فدخلوا وأهليهم إلى الدور.

وفيه رسم بخروج الأمير ألطنبغا نائب حلب إلى نيابة غزة وخلع عليه، فاتهم الأمير تنكز بأنه حمل السلطان على ذلك.

ونزل الأمير تنكز من القلعة إلى بيته بخط الكافورى من القاهرة، وجهّز به تقادم السلطان وتقادم الأمراء، وحملها من الغد؛ وكانت شيئا يجلّ عن الوصف: فيها من صنف الجوهر ما قيمته ثلاثون ألف دينار، ومن الزركش عشرون ألف دينار، ومن أوانى البلّور وتعابى القماش والخيل والسروج والجمال البخاتى ما قيمته مائتان وعشرون ألف دينار. فلما انقضت نوبة التقادم أدخله السلطان إلى الدور حتى رأى ابنته، وقبّلت يده. ثم أخرج السلطان إليه جميع بناته وأمرهنّ بتقبيل يده، وهو يقول لهنّ واحدة بعد واحدة: «بوسى يد عمك»؛ ثم عين منهنّ اثنتين لولدى تنكز. فقبّل تنكز الأرض وخرج والسلطان يحادثه.

وتقدّم السلطان إلى النشو بتجهيز تنكز إلى الصعيد للصيد، ثم ركب وتوجه إلى بلاد الصعيد وتنكز معه؛ فكان من إكرامه له فى هذه السفرة ما لا عهد من ملك مثله. فلما عاد السلطان أمر النشو بتجهيز كلفة عقد ابنى تنكز على ابنتيه، وكلفة سفر تنكز إلى الشام. فأخذ النشو أموال التجار وغيرهم، وجمع أربعة عشر ألف دينار، حمل منها برسم المهر أربعة آلاف دينار؛ وجهّز تنكز باثنى عشر ألف دينار. وعقد لولدى تنكز على ابنتى السلطان فى بيت الأمير قوصون، بحضرة القضاة والأمراء.

ثم ولدت ابنة تنكز من السلطان بنتا، فسجد تنكز لله شكرا بحضرة السلطان، وقال: «وا لله ! يا خوند ! كنت أتمنى أن تكون المولودة بنتا، فإنها لو وضعت ذكرا كنت

أخشى من كمال السعادة. فإن السلطان تصدّق علىّ بما غمرنى به من السعادة، فخشيت من كمالها».

وأخذ السلطان مع النشو فى تجهيز تنكز على عادته، وأمره أن يضاعف له ما جرت به عادته من الخيل والتعابى؛ ورتب السلطان ذلك بنفسه، فكانت قيمته مائة وخمسين ألف دينار عينا؛ وكان تنكز قد أقام مدة شهرين، وراتبه السلطانى فى كل يوم أربعة آلاف درهم.

فلما وادع تنكز السلطان سأله فى إعفاء الأمير كجكن من الخدمة، وأن ينعم عليه بسفر لؤلؤ الحلبى إلى الشام ليستقر فى شدّ عداد الأغنام، وأن ينقل الأمير بيبرس الحاجب من حلب إلى دمشق، وأن ينعم على قرمشى بإمرة ويستقرّ حاجبا بدمشق عوضا عن علاء الدين بن صبح فأجابه السلطان إلى ذلك كله، وكتب له تقليدا بتفويض الحكم فى جميع المماليك الشامية بأسرها، وأن جميع نوابها تكاتبه بأحوالها، وأن تكون مكاتبته: «أعز الله أنصار المقر الشريف»، بعدما كانت «أعز الله أنصار الجناب»، وأن يزاد فى ألقابه: «الزاهدى العابدى العالمى كافل الإسلامى أتابك الجيوش». وأنعم السلطان على مغنية قدمت معه من دمشق بعشرة آلاف درهم؛ وحصل لها من الدور ثلاث بدلات زركش، وثلاثون تعبية قماش، وأربع بدلات مقانع، وخمسمائة دينار، فبلغ متحصلها نحو سبعين ألف درهم. ثم كان آخر ما قال له السلطان: «أيش بقى لك حاجة؟ أو فى نفسك شىء أقضيه قبل سفرك؟» فقبّل تنكز الأرض، وقال: «والله ! يا خوند! ما بقى شىء أطلبه إلا أن أموت فى أيامك»؛ فقال السلطان: «لا! إن شاء الله يا أمير تعيش أنت وأكون أنا فداك، أو أكون بعدك بقليل».

فقبل تنكز الأرض وانصرف، وقد حسده جميع الأمراء، وكثر حديثهم فيما حصل له من الكرامة والمعزّة. واتفق ما قاله السلطان، فإنه لم يقم بعد موت تنكز إلا قليل، ومات كما سيأتى ذكره.

وفيها أنعم على الأمير يلبغا اليحياوى بالمنزلة من أعمال أشموم [1]، فركب إليها النشو وحفر لها ترعة، وأخرق بمتولى أشموم، وألزم آقبغا السيفى متولى الغربية بمائة ألف درهم.

وفيه استقرّ علاء الدين على بن الكورانى فى ولاية الغربية عوضا عن آقبغا السيفى؛

---

(١) أشموم اسم لبلدتين بمصر. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

واستقرّ شهاب الدين بن الأزكشي في ولاية الأشمونين [١] عوضا عن ابن الكوراني؛ واستقرّ نجم الدين أيوب في ولاية الشرقية، عوضا عن ابن الأزكشي.

وفي مستهلّ جمادى الأولى: صُلى صلاة الغائب بمصر والقاهرة على قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني، فاستقرّ عوضه الشيخ تقي الدين علي بن السبكي.

وفيه أخرج آقوش الزيني إلى حلب.

وفيه أخرج الأمير عز الدين أيدمر العمري إلى صهيون، وأنعم بإقطاعه على ولده أبي بكر؛ فأحاط النشو بموجوده، وأخذ له ثمانين ألف دينار.

وفيه قدم البريد بأن التركمان ساقوا إلى دمشق عشرين ألف رأس من الغنم ليبيعوها بالقاهرة، فلما حضرت رسم ألا يؤخذ منهم المقرّر - وهو أربعة دراهم الرأس - بل يؤخذ عن كل مائة درهم خمسة دراهم. وكان التركمان قد شكوا من أزدمر والي بهنسا [٢] فكشف عنه فوجد أنه كثر ظلمه وأخذه لأموال الرعية، فأحيط بضياعه وأمواله، وأنعم ببعض ضياعه على الأمير تنكز نائب الشام، ووقف بعضها على قلعة طرندة ببلاد الروم.

وفيها قدم الشريف مبارك بن عطيفة بخيله، فسجن مع أبيه، لكثرة إفساده بالحجاز.

وفيها اتفق موت ابنة الأمير الكبير شمس الدين إلدكز المنصوري - زوجة الأمير ناصر الدين بن المحسني - بعد عودها من طرابلس [٣]، عن بنت وأخت وزوج؛ فأخذ النشو جميع مخلفها، وكان شيئا كثيرا.

وفيها مات بعض الكتاب وترك بيتا على الخليج، فلم يجسر أحد يشتريه إلى أن قلبته ابنة الأمير قطز بن الفارقاني لتشتريه فلم يعجبها؛ فألزمها النشو أن تشتريه بمائة ألف درهم، فمازالت به حتى صالحها على شيء حملته وتركها.

وفيها هلك بطريق النصارى الأقباط، فنزل النشو إلى الكنيسة وأخذ كل ما فيها من حاصل ذهب وفضة وشمع وغيره.

---

(١) أشمون قصبة كورة الصعيد الأدنى غربي النيل. انظر، معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٢) بهنسا مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان ١/٥١٦/٩٧.

(٣) طرابلس: سبق ترجمتها. انظر ياقوت معجم البلدان ٤/٢٥،٢٦، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠.

وفيها ماتت امرأة ظلظية الكاشف، وقد تزوجت بعده وخلفت ولدا ذكرا؛ فأخذ النشو موجودها كله بحجة أن ظلظية أخذ مال السلطان وتركه بعد موته عندها.

وفيها ظفر النشو بحلى لنساء أمين الدين قرموط، فأغرى به السلطان حتى سلم ولده وصهره وأهله لوالى القاهرة.

وفيها جدّد النشو الطلب على أولاد التاج إسحاق، وعوقب نساءهم حتى مات بعضهنّ من العقوبة.

وفيها طلب النشو المال الحاصل بالمارستان المنصورى، فقام الأمير سنجر الجاولى فى ذلك، حتى أن ابتيع للوقف من أراضى بهتيت من الضواحى مائتان وخمسون فدانا وأربعمائة ألف درهم؛ وحملت إلى النشو.

وفيها قبض على شهاب الدين [1] أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله، فى رابع عشرى شعبان. وسببه أن الأمير تنكز لما سأل السلطان أن يولى علم الدين محمد ابن القطب أحمد بن مفضل كاتب السرّ بدمشق، وأجابه السلطان وخلع عليه، حدّث شهابُ الدين السلطانى فى أمره، وقال: «هذا رجل قبطى لا يدرى هذه الصناعة !»، فلم يعبأ بقوله. ثم رسم السلطان أن تكتر ألقاب علم الدين ويزاد فى معلومه، فامتنع شهاب الدين من ذلك واحتدّ خلقه، وفاجأ السلطان بقوله «كيف يكون رجل أسلمى ملته كاتب السر، وتزيد فى جامكيته؟ ما يفلح من يخدمك، وخدمتك علىّ حرام»؛ ونهض من بين يدى السلطان قائما. فما شكّ الأمراء فى أن السلطان يضرب عنقه، فرعى فيه حق أبيه و لم يؤاخذه. ودخل شهاب الدين على أبيه محيى الدين وعرّفه ما كان منه، فخاف خوفا شديدا، وقام مع الأمراء فى ترقيع هذا الخرق، ودخل إلى السلطان فقبّل الأرض وطلب العفو؛ فعرّفه السلطان أنه لأجله حلم عليه وصفح عنه، ورسم أن يدخل ابنه علاء الدين علىّ فى المباشرة عنه، عوضا عن شهاب الدين. فاعتذر محيى الدين بأن ابنه علاء الدين صغير لا ينهض أن يقوم بأعباء الوظيفة، فقال

---

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى العدودى العمرى شهاب الدين: مؤرخ حجة فى معرفة الممالك والمماليك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام فى الترسل والإنشاء عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول من عهد حنكيز خان إلى عصره. مولده ومنشأه ووفاته فى دمشق. أجل آثاره «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» كبير -طبع المجلد الأول منه، قال فيه ابن شاكر: كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله وله «مختصر قلائد العقبان - خ». انظر فوات الوفيات ١/٧والسحب الوابلة وابن الوردى ٢/٣٥٤ والدرر الكامنة ١/٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٣٤ والأعلام ١/٢٦٨.

السلطان: «أنا أربيه كما أعرف». فباشر علاء الدين عن أبيه إلى أن مات أبوه، وشهاب الدين منقطع بداره طول تلك المدة من الغبن.

فلما كان فى يده هذه السنة شكا قاضى القضاة عز الدين بن جماعة أنه كتب توقيع لابن الأنصارى برجوعه إلى مباشرته، ورماه بقوادح. فطلب السلطان الأمير طاجار وأنكر عليه، فأحال على علاء الدين بن فضل الله أنه أعطاه قصته. فطلب السلطان علاء الدين وأنكر عليه، فاعتذر بأن أخاه شهاب بعث بها إليه فاستقبح ردّها عليه. فقال له السلطان: «لا تكن تسمع من أخيك، فإنه نحس وما يقعد حتى أفعل به وأفعل به» فلم تمض إلا أيام حتى رفع شهاب الدين قصة يشكو فيها كثرة كلفه، ويطلب الإذن بالتوجه إلى دمشق؛ فذكر السلطان بنفسه، وأمر به فقبض عليه، وحمل إلى القلعة. ورسم السلطان لطاجار والدوادار أن يعرّيه فى قاعة الصاحب، ويضربه حتى يلزم بحمل عشرة آلاف دينار، أو يموت تحت العقوبة ؛ فعندما عرّاه طاجار رجف فؤاده وارتعدت مفاصله، فإنه كان ترفا ذا نعمة لم تمرّ به شدّة قط؛ فكتب خطه بعشرة آلاف دينار. ووقعت الحوطة على موجوده، وأخذ له نحو خمسين ألف درهم؛ وباع قماشه وأثاثه وأملاكه بدمشق حتى حمل مائة وأربعين ألف درهم؛ وسكن الطلب منه.

وفيها وشى النشو بالأمير آقبغا عبد الواحد أن له خمسة آلاف رأس من الغنم، قدمت من بلاد الصعيد ورعت براسيم الجيزة، ومضت إلى الغربية فرعت الزرع فطلبه السلطان وأخرق به، فلولا شاء الله أن يتلطف الأمير بشتاك فى أمره وإلا أوقع به المكروه.

وفيها خلع على الأمير عز الدين أيدمر كاشف الوجه القبلى، واستقر فى كشف الوجه البحرى.

وفيها أنشأ السلطان القناطر بجسر شيبين. وذلك أن بلاد الشرقية كانت لا تروى إلا من بحر أبى المنجا، وفى أكثر السنين تشرق بلاد العلو منها، مثل مرصفا وسنيت [١] وكان للأمير بشتاك بها ناحية شرقت، فركب السلطان للنظر فى ذلك وصحبته المهندسون، وكشف عدة مواضع؛ وكان له بصر جيد وحدس صحيح، فوقع اختياره على عمل جسر من شيبين إلى بنها العسل، وتعمر عليه قناطر لتحبس الماء، فإذا فتح بحر أبى المنجا امتلأت المخازن رجع الماء إلى هذا الجسر ووقف عليه؛ فوافقه المهندسون على ذلك. ورجع السلطان إلى القاهرة، فكتب إلى الأعمال بجمع اثنى عشر ألف راجل

---

(١) سنيت إحدى قرى مركز بنها من مديرية القليوبية. فهرس مواقع الأمكنة، ص٥.

وتجهيز مائتى قطعة جراريف. فلم تمض إلا أيام حتى قدم مشدّو البلاد بما عليهم من الرجال، وشرعوا فى العمل حتى تمّ فى ثلاثة أشهر؛ وكان يصرف فى كل يوم أجرة رجال وثمن كلف مبلغ أربعين ألف درهم من مال النواحى التى للأجناد. فلما كانت أيام النيل أبطل السلطان وفتح عوضه سدّ شيبينى؛ فرويت البلاد كلها، وروى مالم يكن يروى قبل ذلك واستنجزت عدة أماكن.

وفيها قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء، للعبه وشغفه ببعض شباب أهل الكرك، وإسرافه فى العطاء لواحد منهم اسمه الشهيب، وكان جميل الصورة، وقد هام به أمير أحمد غراما وتهتك فيه. فلم يخرج أحد من الأمراء إلى لقائه، فطلع مع بكتاش النقيب وحده؛ فتلقاه طاجار من باب القلّة، ودخل به حتى قبّل الأرض، ووقف واسعة؛ ثم رسم له بتقبيل اليد، ومضى إلى الدور من غير أن يقبل السلطان عليه. وأمر السلطان بعقوبة الشاب الذى كان يهواه حتى يحضر المال الذى وهبه له؛ فبعث أحمد إلى الأمراء بسببه حتى عفى عنه ومازال يجدّ فى أمره إلى أن أذن له أن يدخل عليه ويقيم عنده.

وفيها أنعم السلطان على الأمير ملكتمر الحجازى بإقطاع بهادر المعزى بعد موته، وزاده النحراوية وكانت عبرتها فى الشهر سبعين ألف درهم.

وفيها توجه الأمير تنكز نائب الشام من دمشق يريد بلاد سيس، لكشف البلاد التى أنعم بها عليه؛ فمرّ على حماة، ونادى بها ألا يقف أحد لملك الأمراء بقصة، ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة؛ وخلع على صاحب حماة. ومضى تنكز إلى حلب ودخل بلاد سيس؛ فأهدى إليه تكفور هدية سنية مع أخيه، فقبلها وخلع عليه؛ وعمر تنكز تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال، وعاد.

وفيها عملت أوراق بما على الدولة من الكلف، فبلغت نحو مائتين وثمانين ألف درهم فى الشهر، فوفرّ السلطان منها ما يصرف للمباشرين والأمراء من التوابل، ووفّر شيئا من مصروف العمائر، ووفّر الدجاج المرتب برسم السماط والمخافى [(١)] الخاصة بالسلطان، والمخافى التى تحمل الطيور المطبوخة؟ كلّ يوم إلى الأمراء وعدّتها سبعمائة طائر فى كلّ يوم؛ فكانت جملة ما توفّر فى كلّ شهر مبلغ تسعين ألف درهم. واتفق بعد ذلك أن السلطان طلب أربعة أطيار دجاج، فكتب بها وصول من بيت المال؛ فاستقبح الناس ذلك، ونسب توفير ما توفر إلى النشو.

---

(١) المخافى جمع مخيفية وهى طبق واسع كبير العمق يشبه فى شكله ما كان يعرف من الآنية فى العصور الوسطى باسم طيفور وهو الآن يعرف باسم سلطانية أو زبدية.

وفيها التزم النشو بتدبير الدولة، على أن يتسلم الجهات [(١)]، فأجيب إلى ذلك. فطلب السلطان الشمس نصر الله وخلع عليه، واستقر به نظر الجهات عوضا عن [...] [(٢)]؛ وخلع على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الدين عبدالله بن الغنام، واستقرّ به نظر الدولة، عوضا عن العلم بن فخر الدولة؛ وولى استيفاء الصحبة كريم الدين أخو تاج الدين المذكور. وجلس النشو فى قاعة الصاحب بالقلعة، وضرب يعقوب مستوفى الجهات بالمقارع، وألزمه بمال كثير؛ وألزم جميع مباشرى الدولة من الكتاب والشهود والشادّين بحمل معاليمهم المقرّرة لهم عن أربعة أشهر، واحتجّ عليهم بأنهم أهملوا مال السلطان؛ فاستعاد من الجميع جوامك أربعة أشهر وقطع عليق جميع الأمراء والدواوين وبعض الخاصكية، وطلب أرباب الأموال من أهل النواحى، وأوقع الحوطة على موجودهم، ولم يدع من يشار إليه بغنى أو زراعة إلا وألزمه بمال. حتى مشى على والى المحلة، فإنه بلغه عنه أنه جمع مالا كثيرا، فعاقبه وأخذ منه ثلاثين ألف درهم. وكتب النشو لجميع الولاة بشراء الشعير، ودفع عنه ثلاثة دراهم الأردب، وعن الحمل التبن درهما. فشكا الجند ذلك، فلم يلتفت السلطان إليهم.

وفيها استقرّ المخلص أخو النشو مباشر ديوان الأمير آنوك ابن السلطان، وخلع عليه تشريف من الخزانة بألف وستمائة درهم، وجهز له حمار بألف درهم، وعدّته بخمسمائة درهم.

وفيها كانت وقعة بين ابن دلغادر نائب أبلستين وبين الروم، قتل فيها خمسمائة نفس؛ ونهب ابن دلغادر من أموال الروم شيئا كثيرا، ردّ منه بعدما اصطلحا نحو عشرين ألف رأس ما بين غنم وخيل وجمال.

وفيها كثرت مصادرة النشو للناس من أهل مصر والقاهرة والوجه القبلى والوجه البحرى، حتى خرج فى ذلك عن الحدّ، وادَّغر [(٣)] الناس على اختلاف طبقاتهم.

وفيها استقرّ زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلقيائى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن على بن عثمان - المعروف بابن خطيب جبرين [(٤)].

---

(١) الجهات المقصود بها الحاصلات السلطانية. انظر الأعشى (٣٣/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ادَّغر أى: أن النشو ضغط الناس وأساء إليهم حتى استسلموا. انظر محيط المحيط.

(٤) عثمان بن على بن عثمان بن إبراهيم الختعمى التيمى الطائى. أبو عمرو فخر الدين. ابن=

وفيها استقرّ شهاب الدين أحمد بن فخر الدين أحمد بن قطب الدين إسماعيل بن يحيى الأنصارى المصرى فى كتابه السرّ بحلب، عوضا عن تاج الدين محمد بن الزين خضر.

وفيها حدثت زلزلة بطرابلس[١] فى رجب، هلك فيها ستون إنسانا.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعا وعشر أصابع، فلم ترْوُ الأراضى كلها، وغرق كثير منها، وتحسنت أسعار الغلال، وكانت سنة كثيرة الحوادث.

* * *

ومات فيها من الأعيان

جمال الدين أحمد بن شرف الدين هبة الله بن المكين الإسنائى الفقيه الشافعى بإسنا[٢] ـ وقد جاوز السبعين ـ فى شوال.

وتوفى الأديب أبو المعالى خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن يحيى الرفا الخفاجى المصرى، عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى خطيب القدس زين الدين عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعى[٣].

=خطيب جبرين: قاض من فقهاء الشافعية كان من معارفه الأدب والموسيقا ولى وكالة بيت المال بحلب. ثم قضاء القضاة بها وصنف «الشرح الشامل الصغير ـ خ». انظر ابن الوردى ٣٢٣/٢ وإعلام النبلاء ٥٦٩/٤ وشذرات الذهب ٩٣/٦ والنجوم الزاهرة ٣٢٠/٩ وغاية النهاية ٥٠٧/١ والدرر الكامنة ٤٤٣/٢ - ٤٤٦ والأعلام ٢١٠/٤.

(١) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور صخر منيع، ولها رساتيق وأكوار وضياع جليلة، وتضاف إليها عدة قلاع وحصون داخلة فى أعمالها، وحول مدينتها أشجار الزيتون. انظر: معجم البلدان ٢٥/٤، ٢٦، والروض المعطار ٣٩٠. ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) إسنا: بالكسر ثم السكون، ونون، وألف مقصورة: مدينة بأقصى الصعيد، وليس وراءها إلا أدفو وأسوان ثم بلاد النوبة. انظر: معجم البلدان ١٨٩/١.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. له تصانيف، منها «المنهل الروى فى الحديث النبوى ـ خ» فى طوبقبو (٦:٢) و«كشف المعانى فى المتشابه فى المثانى ـ خ» و«غرة التبيان لمن لم يسم فى القرآن ـ خ» و«تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم ـ ط» وأراجيز فى «قضاة مصر ـ خ» و«قضاء دمشق ـ خ». و«الفوائد الغزيرة من حديث بريرة ـ خ» قطعة منه، فى المكتبة العربية بدمشق. انظر: فوات الوفيات ١٧٤:٢، ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٤٨٠:٢.

وتوفى قاضى الشافعية بحلب[١] فخر الدين عثمان بن زين الدين على بن عثمان[٢] - المعروف بابن خطيب جبرين - الفقيه الشافعى، بالقاهرة فى المحرم، وله مصنفات فى الفقه والأصول.

وتوفى علاء الدين على بن بلبان الفارسى الجندى الفقيه الحنفى[٣] بالقاهرة عن أربع وستين سنة.

ومات أمير على بن أمير حاجب، كان والى مصر، وأحد أمراء العشرات، وكانت وفاته وهو معزول، وقد عنى بجمع القصائد النبوية، حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلدا.

ومات الأمير سيف الدين بهادر المعزى أحد أمراء الألوف، فى ليلة الجمعة تاسع شعبان، وبلغت تركته مائة ألف دينار، أخذها النشو.

ومات علم الدين عبد الله بن كريم الدين الكبير.

ومات ناظر الجيش بدمشق فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله بن نجم الدين أحمد بن على - المعروف بابن الحلى - بالقدس، وكان قد قدم إليها، فولى عوضه نظر الجيش بدمشق جمال الدين سليمان بن ريان الحلبى.

---

(١) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رحل العمالقة، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى. انظر: تقويم البلدان ٢٩٩/١، والروض المعطار ١٩٦/ ١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

(٢) عثمان بن على بن عثمان بن إبراهيم الخثعمى السنبسى الطائى أبو عمرو، فخر الدين، ابن خطيب جبرين: قاض من فقهاء الشافعية، كان من معارفه الأدب والموسيقى. ولى وكالة بيت المال بحلب. ثم قضاء القضاة بها. وصنف شرحه «الشامل الصغير - خ» فى فقه الشافعية، و«شرح مختصر الحاجب» فى الأصول، و«شرح البديع» لابن الساعاتى، أصول. وله «الفرائض» كتابان أحدهما نظم والثانى نثر، ومجموع فى «اللغة» صغير. ورفعت عنه شكاية إلى السلطان بمصر، فطلب إليها، ومرض فتوفى بالقاهرة. وجبرين التى ينسب إليها: من قرى حلب. انظر: ابن الوردى ٣٢٣:٢، وإعلام النبلاء ٥٦٩:٤ وشذرات الذهب ٩٣:٦، وغاية النهاية ٥٠٧:١، الدرر الكامنة ٤٤٣:٢-٤٤٦.

(٣) على بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسى، المنعوت بالأمير: فقيه حنفى، سكن بالقاهرة وتوفى بها. من كتبه «المقاصد السنية فى الأحاديث الإلهية - خ» و«الأحاديث العوالى - خ» و«المناسك». انظر: الفوائد ١١٨ والجواهر المضيئة ٣٥٤:١ والدرر الكامنة ٣٢:٣.

وتوفى قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد ابن عبد الكريم القزوينى الشافعى[١] بدمشق فى يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة، ومولده بالموصل[٢] فى سنة ست وستين وستمائة.

ومات الحافظ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزلى بخليص[٣] وهو محرم فى رابع ذى الحجة، عن أربع وسبعين سنة.

ومات الأمير علم الدين بن هلال الدولة بقلعة شيزر[٤] بعدما ولى بالقاهرة شدّ الخاص وشد الأوقاف وشد المارستان وشد الدواوين، وصار يضاهى الوزراء.

ومات السعيد بن الكردوش، وأخذ له النشو بعد موته خمسة عشر ألف دينار .

ومات الأمير بدر الدين بيليك المحسنى بطرابلس، بعدما كان والى القاهرة.

وتوفى المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر[٥] الجزرى الدمشقى، عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفى بدر الدين محمد بن عز الدين محمد بن عبد القادر ابن الصائغ الأنصارى الدمشقى الشافعى.

* * *

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبى دلف العجلى: قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاء بمصر سنة ٧٢٧هـ، ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ، ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح - ط» فى المعانى والبيان و«الإيضاح - ط» فى شرح التلخيص. انظر: لفظ الفوائد - خ. ومفتاح السعادة ١٦٨:١ ثم ٢١٧:٢. البداية والنهاية ١٨٥:١٤ والدرر الكامنة ٣:٤.

(٢) الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء الدجلة، وهى مدينة عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان. انظر: معجم البلدان ٢٢٣/٥، والروض المعطار ٥٦٣، ونزهة المشتاق ١٩٩.

(٣) خليص: حصن بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٤٤٩/٥، ٤٥٠.

(٤) قلعة شيزر: بتقديم الزاى على الراء، وفتح أوله: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، فى وسطها نهر الأردن عليه قنطرة فى وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد فى كورة حمص وهى قديمة. انظر: معجم البلدان ٢٨٣/٣، والروض المعطار ٣٥٢.

(٥) محمد بن إبراهيم بن أبى بكر إبراهيم بن عبد العزيز الجزرى الدمشقى شمس الدين، أبو عبد الله: مؤرخ دمشقى المولد والوفاة. له كتاب «التاريخ المسمى بحوادث الزمان وأنبائه - خ» جزءان منه، ومرتبان على السنين، ويبتدئ أحدهما بحوادث سنة ٦٠٨-٦٥٨هـ. وهو من مخطوطات خزانة الرباط (١٩٤ أوقات) ويبتدئ الثانى وهو الأخير منه بحوادث سنة ٧٢٦هـ، وينتهى بسنة وفاته (٧٣٩هـ). انظر: الدرر الكامنة ٣٠١:٣ وذيل تذكرة الحفاظ، للحسين ٢٢ طبعة القدس.

سنة أربعين وسبعمائة

فى يوم السبت مستهل المحرم: قدم رسول الأمير يوسف بن أتابك الكردى ـ صاحب الجبال ووطاة نصيبين ـ يخبر بكثرة جموعه من الأكراد وأنه رغب فى الانتماء إلى السلطان وضرب السكة فى بلاده باسمه، وطلب نجدته بعسكر يتسلم ما بيده من البلاد ليكون نائب السلطنة بها، وأن يشرف بصناجق سلطانية عليها اسم السلطان لتعينه فى غاراته، فأجيب بالشكر، وجهزت له هدية وخيول وسلاح.

وفيه: قدم الخبر بكثرة الفتن والغارات والاختلاف ببلاد المشرق، من نحو الصين وبلاد الخطا إلى ديار بكر.

وفيه: قدم مبشرو الحاج برخاء الأسعار وسلامة الحاج.

وفى يوم الأحد ثانيه: قدم الأمير بشتاك من الحج، وطلع القلعة بعد الظهر فى اثنى عشر رجلا ـ منهم أربعة نجابة ـ وصحبته الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الحاجب. وكان السلطان والأمراء أجيبوا لنواب قد قدموا له عند سفره شيا يجل عن الوصف، فبعث السلطان له مائتى ألف درهم ومائة هجين وأربعين بختيا وستين جملا. فلما قدم مكة فرق فى الأمراء مالاً كثيرًا، فبعث إلى كل من الأمراء المقدمين ألف دينار، وإلى كل من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار، وفرق فى الأجناد، وبعث إلى بيوت الأمراء بمال كثير، ثم استدعى المجاورين جميعهم والأشراف وغيرهم من أهل مكة والزيالعة، وفرق فيهم المال، ولم يبق بمكة أحد حتى أسدى إليه معروفًا، فكان جملة ما فرق بشتاك ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم، سوى ما وصل إليه فى المراكب من الغلال. فلما قدم بشتاك المدينة النبوية بعد قضاء نسكه فعل بها خيرًا كثيرًا، ومضى منها إلى الكرك[1] فتلقاه الأمير شطى بن عبية أمير آل عقبة فى أربعمائة فارس من عربه وأضافه، ثم سار بشتاك ومعه الأمير شطى ومن معه من العرب إلى العقبة[2] وقدم إلى القاهرة ثانى المحرم كما تقدم.

وفى رابع عشريه: قدم ركب الحاج.

---

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر: معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) سبق ترجمتها.

وفيه انقطع مقطع بالقناطر التى أنشأها السلطان على جسر شيبين، فركب إليه الأمير برسبغا الحاجب، وجمع له من النواحى أربعة آلاف رجل، واستدعى بالأخشاب والصوارى من دار الصناعة بمصر، وغرّق فيه عدة مراكب. فأقام برسبغا اثنين وعشرين يومًا حتى سد المقطع، وبلغ المصروف عليه فى ثمن مراكب غرقت وثمن صوارى وحجارة وجير وجبس وحلفا وأجرة رجال ثلاثين ألف دينار، غير سخر البلاد.

وفيها قدم زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائى قاضى حلب باستدعاء، فولى عوضه برهان الدين إبراهيم بن خليل بن إبراهيم الرسعنى.

وفى هذا الشهر: وضعت الست طولو قرطقا زوجة الأمير يلبغا اليحياوى، وأخت خوند زاد وزوجة السلطان، فعمل لها السلطان مهما عظيما، أقامت الأفراح سبعة أيام بلياليها، ولم يبق أحد من الأمراء إلا وبعث بزوجته، ففرق السلطان فى نساء الأمراء جميعهن ما بين خمسمائة دينار إلى أربعمائة دينار إلى ثلاثمائة الواحدة. وكان السلطان قد عمل للنفساء قبل ولادتها داير بيت وبشخاناه ونحو ذلك بعشرين ألف دينار، وعمل لها عصابة مرضعة بأنواع الجواهر قوّمت بخمسين ألف دينار، وأنعم على زوجها بثلاثة آلاف دينار.

وفى يوم الإثنين ثانى صفر: قبض على النشو، وعلى أخيه شرف الدين رزق الله، وعلى أخيه المخلص، ورفيقه مجد الدين، وعلى صهره ولىّ الدولة.

وسبب ذلك أنه لما أسرف النشو فى الظلم بحيث قل الجالب للبضائع، وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان، وطلب السلطان منه يتزايد، خاف النشو العجز، فرجع عن ظلم العامة إلى التعرض إلى الخاصة، ورتب مع أصحابه ذلك.

وكانت عادته فى كل ليلة أن يجمع إخوته وصهره ومن يثق به للنظر فيما يحدثه من المظالم فيدله ظل منهم على آبدة، ثم يفترقون وقد أبرم للناس بلاءً يعذبهم الله به من الغد على يده، فكان مما اقترحه أن رتب أوراقًا تشتمل على فصول يتحصل فيها ألف ألف دينار عينًا، وقرأها على السلطان: ومنها التقاوى السلطانية المخلدة بالنواحى من الدولة الظاهرية بيبرس[1] والمنصورية قلاوون[2] فى إقطاعات الأمراء والأجناد، وجملتها

---

(١) نسبة إلى بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات والأخبار والآثار. مولده بأرض القبجاق. وأسر فبيع فى سيواس ثم نقل إلى حلب ومنها إلى القاهرة. واشتراه الأمير علاء الدين حتى قبض عليه الملك الصالح. فأخذ بيبرس وجعله من خاصة خدمه ثم أعتقه وقاتل مع قطز التتار ثم قتله وتولى سلطنة مصر والشام (سنة ٦٥٨هـ) وتلقب بالملك القاهر أبى الفتوحات ثم بالملك الظاهر. وفى أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ. انظر: فوات=

مائة ألف وستون ألف أردب، سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى، ومنها الرزق الأحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك، وهى مائة ألف فدان وثلاثون ألف فدان ـ وقرر النشو مع السلطان أن يأخذ التقاوى السلطانية المذكورة، بأن يلزم متولى كل إقليم باستخراجها وحملها، وأن يقيم شادا يختاره لكشف الرزق الأحباسية، فما كان منها على موضع عامر بذكر الله يعطيه نصف ما هو وقف عليه، ويأخذ من مزارعه عن النصف الآخر بحساب مائة درهم الفدان، ويلزمه بخراج ثلاث سنين، وما كان من الرزق على موضع خراب أو على أهل الأرياف من الخطباء الجهال ونحوهم أخذ واستخرج من مزارعه خراج ثلاث سنين من حساب مائة درهم الفدان، ومنها أراضى الروضة تجاه مدينة مصر، فإنها بيد أولاد الملوك، ويستأجرها منهم الدواوين وينشئون بها سواقى الأقصاب ونحوها مما بلغ قيمة الفدان منه ألف درهم، ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان ـ وقرر النشو مع السلطان أخذ أراضى الروضة للخاص، وأن يقاس ما أبيع منها، ويؤخذ ممن هى بيده تفاوت قيمتها، أو تجدد عليه إجارة للسلطان بالقيمة ـ، ومنها أرباب الرواتب السلطانية، فإن أكثرهم عبيد الدواوين وغلمانهم ونساؤهم، ويكتبونها باسم زيد وعمرو، ومنها ما هو مرتب لجماعة من النصارى والرهبان سكان الديارات ـ وقرر النشو مع السلطان عرض جميع أرباب الرواتب والنظر فى تواقيعهم، وإبقاء أرباب البيوت ومن يستحق على ما بيده، وأخذ تواقيع من عداهم وإلزامه بحل جميع ما استأداه من تاريخ توقيعه إلى آخر وقت، ومنها ذكر حواصل الأمير آقبغا عبد الواحد، وتفصيل ماله من أملاك وأراضى ومتاجر ومرتبات ورسوم على أرباب الوظائف السلطانية وعلى صناع العمائر، وتفصيل ما حُمل إليه من العمائر السلطانية من الأصناف ـ وذكر النشو العمائر التى عمرها آقبغا من ديوان السلطان وما له ببلاد الشام، وجملتها وحدها خمسمائة ألف دينار، سوى ما له بديار مصر، ومنها ذكر ما أخذه الأمير طاجار الدوادار من البلاد الشامية ومن أهل مصر على قضاء أشغالهم، وتفصيل أملاكه. وقرر النشو مع السلطان القبض على آقبغا وطاجار، فوافقه السلطان على ذلك.

=الوفيات ١:٨٥ والنجوم الزاهرة ٧:٩٤ والأعلام ٢/٧٩.

(٢) نسبة إلى قلاوون الألفى العلائى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر.

كان من المماليك، قبجا قنى الأصل. أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ، فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر: النجوم الزاهرة ٧:٢٩٢ وفوات الوفيات ٢:١٣٣ والأعلام ٥/٢٠٣.

وكان أول ما بدأ به النشو أن ندب جماعة لقياس الروضة جميعها من مذدرعها وأراضى دورها، وألزم أرباب الدور التي بها بإحضار كتب دورهم، وأن يقوموا عن أراضيها بقيمتها من تاريخ شرائها، ووكّل ابن صابر باستخراج ذلك منهم، وأخذ عن البروز فى الدور خاصة مائة ألف وعشرين ألف درهم.

وأمر النشو مباشرى الجوالى بقطع ما عليها من المرتبات عن جوامك القضاة والشهود ومشايخ العلم ونحوهم وكتب إلى جميع الأعمال بحمل مال الجوالى إلى خزانة الخاص، ومن تعجل منها شيا يستعاد منه، فجمع من ذلك مالا كبيرًا. فانزعج الناس كلهم، ولم يتجاسر أحد من الأمراء على السلطان فى الحديث معه فى ذلك، حتى ذكر السلطان لهم أن له نحو المائتى ألف أردب غلة فى البلاد وأنه يريد أخذها، فتلطف به الحاج آل ملك وبيبرس الأحمدى وجنكلى بن البابا حتى سمح بأن يتمهل بطلبها حتى يفرغ الحرث ويقبض المغلّ.

فلما فرغ النشو من قياس الروضة ألزم أرباب الرواتب أن يحضروا إلى القلعة ومعهم تواقيعهم، وألزم المباشرين بعمل الحساب وحمل ما تحت أيدهم من ذلك، وألزم جميع أرباب الرزق الأحباسية بإحضار تواقيعهم، وبعث البريد إلى الأعمال بذلك، وألزم ديوان الأحباس بكتابة الرزق كلها، فزلزل أرض مصر قبليها وبحريها، ولم يقبل لأحد شفاعة حتى الأميرين بشتاك وقوصون، فإنهما كانا إذا بعثا إليه فى شفاعة رد عليهما ردًّا جافيًا وأغلظ على رسلهما.

فاتفق الخاصكية جميعًا عليه، وندبوا للحديث مع السلطان الأمير يلبغا اليحياوى والأمير ملكتمر الحجازى وغيرهما، فصار كل منهم يسمع السلطان قبح سيرة النشو وهو يتغافل، إلى أن حدثه يلبغا وهو يومئذ أخص الخاصكية عنده، وقال عنه: «يا خوند وا لله النشو يضرك أكثر ما ينفعك»، فتخيل[١] السلطان من كلامه.

واتفق وصول الأمير قرمجى الحاجب من دمشق، فأعاده السلطان سريعا ليستشير الأمير تنكز نائب الشام فى أمر النشو، وأنه قد بعضه أهل الدولة كلهم، مع كثرة نفعه لى. ثم وجد السلطان عدة أوراق فى حق النشو قد رميت له من غير أن يعرف رافعها، منها رقعة فيها:

أيا ملكا أصبح فى نشوة	من نشوة الظالم فى نشيه
أنشيته فلتنشئن ضغائنًا	سترى غباوتها بصحبة غيه

---

(١) المراد: فتخوف.

حكمته فحكمت أمـرًا فاسـدًا | وتوحشت كـل القلوب لفحشه
ستـرى بوارقهـا إذا مـا أظلمـت | وتحكمـت أيـدى الزمـان ببطشـه
ودستنــدمن ندامــة كُسَعِيــةً | يومـًا إذا ذبـح الخـروف بكبشه

فلما قرأها السلطان تغير لونه ومزقها. ووجد السلطان ورقة أخرى فيها:

أمعنـت فـى الظلـم وأكثرتـه | وزدت يـا نشـو علـى العـالم
تـرى مـن الظـالم فيكـم لنـا | فلعنـة الله علـــى الظـالم

وعن قريب عاد قرمجى فى سادس عشرى المحرم، وأخبر عن نائب الشام بأنه قد استفيض ما ذكره السلطان من بغض مماليكه للنشو، وأن التجار وأرباب الأموال فى خوف شديد من ظلمه، ورأى السلطان فيه أعلى. وكان يوم وصوله بالقلعة منظرًا مهولا، فإنه اجتمع بها أرباب الرواتب والصدقات، وفيهم الأرامل والأيتام والزمناء والعميان، وصاروا فى بكاء ونحيب، فتقطعت القلوب حسرات رحمة لهم. وشغل الله النشو عنهم بنفسه، فحد له قولنج[1] وهو بخزانة الخاص.

فأمر السلطان الناس أن ينصرفوا ويحضروا أول الشهر، ومن تأخر شطب على اسمه. فنزل بعد الظهر من القلعة، وتفرقوا تلك الليلة بالجوامع فى القاهرة ومصر، وهى ليلة سابع عشرى المحرم، للدعاء بسبب توقف النيل عن الزيادة، فإنه كان قد توقف توقفًا زائدًا فلما قرب الوفاء نقص واستمر على نقصه أيامًا، فصرفوا دعاءهم على النشو طول ليلتهم، وكانوا جموعًا كثيرة إلى الغاية. فأصبح النشو مريضًا، وانقطع بداره حتى فرغ المحرم، فحذره الفاضل شمس الدين محمد بن الأكفانى مع قطع مخوف فى أول صفر، يخشى منه إراقة دمه.

فلما كان يوم الأحد أول صفر: ركب النشو إلى القلعة، وبه أثر المرض فى وجهه، فقرر مع السلطان إيقاع الحوطة على آقبغا عبد الواحد من الغد. فتقرر الحال على أنه يجلس على باب الخزانة، فإذا خرج الأمير بشتاك من الخدمة جلس معه على باب الخزانة ثم قاما إلى بيت آقبغا وحاطا بموجوده كله.

فلما عاد النشو إلى داره عبر إلى الحمام ليلة الإثنين، ومعه ابن الأكفانى، فأمر بعض عبيده السود أن يحلق رأسه ويجرحه بحيث يسيل الدم على جسمه، ليكون ذلك حظه من القطع المخوف، ففعل به ذلك، وتباشروا بما دفع الله عنهم بهذا، وباتوا ليلتهم فى لذات ومسرات.

---

(١) قولنج: مرض معوى مؤلم يصيب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون. انظر: المعجم الوجيز ٥٢١.

هذا وقد كان الأمير يلبغا اليحياوى قد وعك جسمه، فقلق السلطان لمرضه، وأقام عنده لكثرة شغفه به. فقال له يلبغا فيما قال: «يا خوند قد عظم إحسانك لى، ووجب نصحك علىَّ، والمصلحة القبض على النشو، وإلا دخل عليك الدخيل، فإنه ما عندك أحد من مماليكك إلا وهو يترقب غفلة منك، وقد عرّفتك ونصحتك قبل أن أموت»، وبكى. فبكى السلطان لبكائه، وقام وهو لا يعقل لكثرة ما داخله من الوهم لثقته بيلبغا وطلب بشتاك وعرفه أن الناس قد كرهوا النشو، وأنه عزم على الإيقاع به، فخاف بشتاك أن يكون ذلك امتحانا من السلطان، فوجد عزمه قويا فى القبض. واقتضى الحال إحضار الأمير قوصون أيضًا، فقوى عزم السلطان على ذلك، ومازال به حتى قرر معهما أخذه.

وأصبح النشو يوم الإثنين ثانى صفر - وفى ذهنه أن القطع الذى خُوف منه قد زال عنه بما دبره له ابن الأكفانى من إسالة الدم، فعلق عليه عدة من العقود والطلسمات والحروز -، وركب إلى القلعة. وجلس النشو بين يدى السلطان على عادته وأخذ معه فى القبض على آقبغا عبد الواحد كما قرره، فأمره السلطان أن يجلس على باب خزانة القصر حتى يخرج إليه الأمير بشتاك، ثم يمضيا لإيقاع الحوطة على موجوده، فقام. وطلب السلطان المقدم ابن صابر، وأسر إليه أن يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة، ولا يَدَعُوا أحدًا من حواشى النشو واقاربه وإخوته أن ينزلوا، وأن يقبضوا عليهم كلهم. وأمر السلطان الأمير بشتاك والأمير برسبغا الحاجب أن يمضيا إلى النشو، ويقبضا عليه وعلى أقاربه. فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة، وطلب النشو من داخلها، فظنّ النشو أنه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود آقبغا عبد الواحد، فساعة ما وقع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه إلى بيته من القلعة، وبعث إلى الأمير ملكتمر الحجازى فأخذ أخاه رزق الله وأخذ أخاه المخلص وسائر أقاربه. فطار الخبر إلى القاهرة ومصر، فخرج الناس كأنهم جراد منتشر.

وركب الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير طيبغا المجدى والأمير بيغرا والأمير برسبغا لإيقاع الحوطة على بيوت النشو وأقاربه وحواشيه، ومعهم جمال الكفاة كاتب الأمير بشتاك، وشهود الخزانة.

وأخذ السلطان للأمراء: «وكم تقولون النشو نهب أموال الناس! الساعة ننظر المال الذى عنده»، وكان السلطان يظن أنه يؤديه الأمانة، وأنه لا مال له. فندم الأمراء على تحسينهم مسك النشو خوفًا من أن لا يظهر له مال، سيما قرصون وبشتاك من أجل

أنهما كانا قد بالغا فى الحط عليه وإغراء السلطان به، فكثر قلقهما و لم يأكلا طعامًا، وبعثا فى الكشف عن الخبر. فلما أوقع الأمراء الحوطة على دور الممسوكين بلغهم أن حريم النشو فى بستان بجزيرة الفيل، فساروا إليه وهجموه، فوجدوا ستين جارية وأم النشو وامرأته وأخته وولديه وسائر أهله، وعندهم مائتا جنبة عنب وقند كثير ومعاصر، وهم فى عصر العنب. فختموا على الدور والحواصل، و لم يتهيأ لهم نقل شىء منها.

هذا وقد غلقت أسواق القاهرة ومصر، واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال، وقد أشعلوا الشموع، ورفعوا على رءوسهم المصاحف ونشروا الأعلام، وهم يضجون ويصيحون استبشارًا وفرحا بقبض النشو، والأمراء تشير لهم أن يكثروا مما هم فيه، واستمروا ليلة الثلاثاء على ذلك.

فلما أصبحوا وقع الصوت داخل باب القلة من القلعة بأن رزق الله أخو النشو قد ذبح نفسه. وذلك أنه لما قبض عليه تسلمه الأمير قوصون، ووكل به أمير شكار، فسجنه أمير شكار فى بعض خزائن بيته، وبات يحرسه حتى طلع الفجر، ثم قام أمير شكار للصلاة.

فاستغفله رزق الله وأخذ من حياصته سكينًا ووضعها فى نحره حتى نفذت منه وقطعت وريده، فلم يشعر أمير شكار إلا وهو يشخر وقد تلف. فصاح أمير شكار حتى بلغ صياحه قوصون، فانزعج لذلك وضرب أمير شكار ضربا مبرحا إلى أن علم السلطان بالخبر، فلم يكترث به.

وفى يوم الإثنين: المذكور أفرج عن الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وأخيه، ونزلا من القلعة إلى الجامع الجديد خارج مصر، فقال الكمال جعفر الأدفوى[1] فى يوم الإثنين هذا، وفى معنى مسك النشو وغيره هذه الأبيات:

إن يوم الإثنين يوم سعيد ... فيه لاشك البرية عيد
أخذ الله فيه فرعون جهرًا ... وغدا النيل فى ربُاه يزيد

(١) جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوى، أبو الفضل، كمال الدين: مؤرخ، له علم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقى. ولد فى أدفو (بصعيد مصر) وتعلم بقوص والقاهرة، وتوفى بها بعد عودته من الحج. له «الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ـ ط» ترجم به رجال عصره و«البدر السافر وتحفة المسافر ـ خ» بمجلدان وله نظم ونثر. انظر: ديوان الإسلام ـ ح ـ وشذرات الذهب ٦:١٥٣ والدرر الكامنة ١:٥٣٥ والأعلام ٢/١٢٢.

وقال شمس الدين محمد بن الصائغ المصرى[١] فى معنى مسك النشو والإفراج عن شمس الدين موسى، وزيادة النيل، هذه الأبيات:

لقد ظهرت فى يوم الاثنين آية ... أزالت بنعماها عن العالم البوسا
تزايد بحر النيل فيه وأغرقت ... به آل فرعون وفيه نجا موسى

وفيه زاد النيل بعد توقفه، فقال فى ذلك علاء الدين بن فضل الله كاتب السر:

فى يوم الإثنين ثانى الشهر من صفر ... نادى البشير إلى أن أسمع الفلكا
يا أهل مصر نجا موسى ونيلكم ... طغا وفرعون وهو النشو قد هلكا

وذلك أنه كان قد نقص، فلما قبض على النشو زاد ستة أصابع ثم ثمانية أصابع.

وفى يوم الثلاثاء ثالث صفر: نودى بالقاهرة ومصر: «بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو».

وفيه أخرج رزق الله أخو النشو فى هيئة تابوت امرأة حتى دفن فى مقابر النصارى، خوفًا عليه من العامة.

وفيه أدخل الأمير بشتاك على السلطان وطلب الإعفاء من تسليم النشو إليه، خشية مما جرى على أخيه. فأمره السلطان أن يهدده على إخراج المال، ثم يسلمه لابن صابر. فأوقفه بشتاك وأهانه. فالتزم أنه إن أفرج عنه جمع للسلطان من أقاربه خزانة مال، فسبه ثم سلمه لابن صابر. فأخذه ابن صابر ليمضى به إلى قاعة الصاحب، فتكاثرت العامة تريد رجمه حتى طردهم نقيب الجيش، وأخرجه ابن صابر فى زنجير[٢] بعنقه حتى أدخله قاعة الصاحب، والعامة تحمل عليه حملة بعد حملة، والنقباء تطردهم.

وفيه طلب السلطان جمال الكفاة إبراهيم كاتب الأمير بشتاك، وخلع عليه واستقر فى نظر الخاص عوضًا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله[٣] ـ المعروف بالنشو،

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصائغ: أديب، من العلماء، مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة» فى النحو، عدة مجلدات، و«المبانى فى المعانى» و«المنهج القويم فى فوائد تتعلق بالقرآن العظيم». انظر: بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٩٩/٣ وشذرات النهب ٢٤٨:٦ والأعلام ١٩٢/٦.

(٢) زنجير: هو صيغة عامية للفظ الفارسى الأصل «زنجير» ومعناه السلسلة من حلقات الحديد الغليظة. انظر: محيط المحيط.

(٣) شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله (المعروف بالنشو) عبد الوهاب بن فضل الله العربى القرشى، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف والملك الناصر وسيف الدين تنكز-

بعد تمنعه. ورسم له أن ينزل للحوطة على النشو وأقاربه، ومعه الأمير آقبغا والأمير برسبغا وشهود الخزانة. فنزل جمال الكفاة بتشريفة وركب بغلة النشو، حتى أخرج حواصله. وقد أغلق الناس الأسواق وتجمعوا من كل موضع، ومعهم الطبول والشموع وأنواع الملاهى وأرباب الخيال، بحيث لم يوجد حانوت مفتوح نهارهم كله. ثم ساروا مع الأمراء على حالهم إلى تحت القلعة، وصاحوا صيحة حتى انزعج السلطان، وأمر الأمير أيدغمش بطردهم.

ودخل الأمراء على السلطان بما وجدوه للنشو، وهو من العين خمسة عشر ألف دينار مصرية، وألفان وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين ألفى درهم إلى ألف درهم، وسبعون فص بلخش قيمة كل فص ما بين خمسة آلاف درهم إلى ألفين، وقطعتان زمرد فاخر زنتهما رطل ونيف، وستون حبلا من لؤلؤ كبار زنة ذلك أربعمائة مثقال، ومائة وسبعون خاتم ذهب وفضة بفصوص مثمنة، وكف مريم مرصع بجوهر، وصليب ذهب مرصع، وعدة قطع زركش، سوى حواصل لم تفتح. فخجل السلطان لما رأى ذلك، وقال للأمراء: «لعن الله القبط ومن يأمنهم أو يصدقهم».

وذلك أن النشو كان يظهر الفاقة[1] بحيث يقترض الخمسين درهما والثلاثين درهما حتى ينفقها. وبعث فى بعض الليالى إلى جمال الدين إبراهيم بن المغربى رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم، ويذكر له أنه طرقه ضيف ولم يجد ما يعشيه به.

وقصد بذلك أن يكون له شاهدًا بما يدعيه من الفقر. فلما كان فى بعض الأيام شكا النشو للسلطان الفاقة وابن المغربى حاضر، فذكر أنه اقترض منه فى ليلة كذا مائة درهم، فمشى ذلك على السلطان، وتقرر فى ذهنه أنه فقير لا مال له، وصار السلطان يذكر ذلك كل قليل للأمراء.

واستمر الأمراء ينزلون كل يوم لإخراج حواصل النشو، فوجد له من الأوانى الصينى والبلور والتحف السنية شىء كثير.

وفيه ولى الموفق نظر البيوت.

وفيه ولى المجد بن المعتمد ديوان الأمير ملكتمر الحجازى.

=ونقله الملك الناصر إلى كتابة السر فى دمشق، فتوفى بها. انظر: فوات الوفيات ٢:٢٢ والدرر الكامنة ٢:٤٢٨ والنجوم الزاهرة ٩:٢٤٠ والأعلام ٤/ ١٨٥.

(١) الفاقة: الفقر. انظر: المعجم الوجيز.

وفى يوم الخميس خامسه: زينت القاهرة ومصر زينة عظيمة مدة سبعة أيام، وعملت بها أفراح كثيرة، ونظم فيه العامة عدة أزجال وبلاليق[١] وأظهروا من الخيال واللهو ما يجل وصفه.

ووجدت مآكل كثيرة فى حواصل النشو: منها نحو مائتى مطر مملوءة ملوحة[٢] وثمانين مطر جبن، وأحمال كثيرة من سواقة[٣] الشام، ولحم كثير من لحم الخنزير، وأربعة آلاف جرة خمر، سوى ما نهب. ووجد له أربعمائة بدلة قماش جدد، وثمانون بدلة مستعملة، وزراكش ومفرجات كثيرة. ووجد له ستون بغلطاق نسائى مزركش، ومناديل زركش عدة كثيرة. ووجد له عدة صناديق بها قماش سكندرى مما عمل برسم الحرة جهة ملك المغرب قد اختلسه، وكثير من قماش الأمراء الذين ماتوا والذين قبض عليهم. ووجد له مملوك تركى، وكان النشو قد خصاه هو واثنين معه ماتا، وكان قد خصى أيضًا أربعة عبيد فماتوا. فطلب الذى خصاهم، وضرب بالمقارع وجرس. وتتبعت أصحاب النشو، وضرب منهم جماعة وشهروا.

وفى يوم الإثنين تاسعه: خلع على نجم الدين أيوب الكردى أستادار الأكز ــ وهو يومئذ والى الشرقية، واستقر والى القاهرة عوضا عن علاء الدين على بن المروانى، وأحيط بموجود ابن المروانى وصودر.

وفيه خلع أيضا على عز الدين ممدود بن علاء الدين على بن الكورانى، واستقر فى ولاية مصر.

وفيه خرج البريد بطلب الصاحب أمين الدين وزير الشام من دمشق.

وفيه وجد لأخوة النشو ذخائر نفيسة: منها لصهره ولى الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فص بلخش، وستة وثلاثون مرملة[٤] مكللة بالجواهر الرائعة، وإحدى عشر عنبرية مكللة بلؤلؤ كبار، وعشرون طراز زركش، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرد، وكوافى زركش، قوم الجميع بأربعة وعشرين ألف دينار.

وفيه ضرب المخلص أخو النشو ومفلح عبده بالمقارع، فأظهر المخلص الإسلام.

---

(١) بلاليق: جميع بليق وهو الأغنية الشعبية وتكون عادة هزيلة الألفاظ والمعانى.

(٢) الملوحة: تسمية مصرية لنوع من السمك المملح.

(٣) سواقة: ربما كان المقصود بذلك البضاعة التى اشتريت شيئًا فشيئًا، على أن هذه تسمى فى محيط المحيط باسم «المسواق». انظر: محيط المحيط.

(٤) مرملة: طرف يوضع به الرمل الذى كان الكتاب يستعملونه لتجفيف الكتابة.

وفى يوم الأربعاء رابعه ـ وثالث عشرى مسرى ـ: وفى وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج من الغد على العادة.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: قدم أمين الدين من دمشق على البريد وطلع إلى بين يدى السلطان من الغد. وأجلسه السلطان وحادثه، وخلع عليه خلعة الوزارة، بطرحة خبعة القدوم، فنزل أمين الدين إلى داره، وتردد الناس إليه.

وفيه أفرج عن الصفى كاتب الأمير قوصون، وأعيدوا إلى ديوان قوصون عوضا عن علاء الدين ابن الحرّانى.

وفيه خلع على ابن الحرّانى، واستقر فى نظر الشام، عوضا عن أمين الدين.

وفى هذه السنة: لم يركب السلطان إلى الميدان للعب الأكرة، فإن الأمراء لما تأخرت عقوبة النشو تنكروا السلطان وتنكر لهم.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرى ربيع الأول: وجدت ورقة بين فرش السلطان، فيها: «المملوك بيرم الناصح للسلطان يقبل الأرض، وينهى أننى أكلت رزقك، وأنت قوام المسلمين، ويجب على كل أحد نصحك، وأن بشتاك وآقبغا قد اتفقا على قتلك مع جماعة من المماليك، فاحترس على نفسك».

وكان الأمير بشتاك فى هذا اليوم قد توجه بكرة النهار إلى جهة الصعيد، فطلب السلطان الأمير قوصون والأمير آقبغا، وأوقفهما على الورقة. فكاد عقل آقبغا أن يختلط من شدة الرعب، وأخذ قوصون يعرف السلطان أن هذا فعل من يريد التشويش على السلطان وتغيير خاطره على مماليكه. فأخرج السلطان البريد فى الحال لرد الأمير بشتاك، فأدركه بإطفيح وقد مد سماطه، فقام ولم يمد يده إلى شىء منه، وجدَّ فى سيره حتى دخل على السلطان. فأوقفه السلطان على الورقة، فتنصل مما رمى به كما تنصل آقبغا، واستسلم وقال: «هذه نفسى ومالى بين يدى السلطان وإنما حمل من رمانى بذلك الحسد على قربى من السلطان وعظيم إحسانه إلى»، ونحو هذا حتى رق له السلطان، وأمره أن يعود إلى طلبه ويتوجه إلى جهة قصده، فسار.

ثم طلب السلطان ديوان[1] الجيش، ورسم له أن يكتب كل من اسمه بيرم ويحضره إلى الأمير آقبغا. فارتجت القلعة والقاهرة لطلب المذكورين وعرضهم وتهديدهم وأخذ

---

(١) الديوان هنا الموظف الذى يقوم بعمل من أعمال الدواوين السلطانية، وهو فيما يظهر غير ناظر الجيش.

خطوطهم، ليقابل بها كتابة الورقة. فلما أعيا آقبغا الظفر بالغريم وهو يراجع السلطان فى أمرهم، اتهم النشو أنها من مكايده. واشتد قلق السلطان وكثر انزعاجه، بحيث لم يستطع أن يقر بمكان واحد.

ثم طلب السلطان والى القاهرة لالا، وأمره أن يهدم ما بالقاهرة من حوانيت صناع النشاب، وينادى: «من عمل نشابا شنق»، فامتثل ذلك. وخرجت أيضا جميع مرامى النشاب، وغلقت حوانيت القواسين. ونزل الأمير برسبغا الحاجب إلى الأمراء جميعهم، وعرفهم عن السلطان أن من رمى بالنشاب من مماليكهم أو حمل قوسا كان أستاذه عوضا عنه فى التلاف، وألا يركب أحد من الأمراء بسلاح ولا تركاش نشاب.

وبينا الناس فى هذا الهول الشديد، إذ دخل شخص يعرف بابن الأزرق ـــ كان أبوه ممن مات فى عقوبة النشو له عند مصادرته لجمال الكفاة ـ وطلب الورقة ليعرفهم من كتبها. فقام والى القاهر؟ إلى السلطان ومعه الرجل، فلما وقف عليها قال:«يا خوند هذه خط محمد الخطابى، وهو رجل عند ولى الدولة صهر النشو، يلعب معه النرد ويعاقره الخمر» فطلب المذكور، وحاققه الرجل محاققة طويلة، فلم يعترف، فعوقب عقوبات مؤلمة إلى أن أقر بأن ولى الدولة أمره بكتابتها، فجمع بينه وبين ولى الدولة، فأنكر ذلك. وطلب ولى الدولة أن يرى الورقة، فلما رآها حلف جهد أيمانه أنها خط ابن الأزرق لينال عرضه من أجل أن النشو قتل أباه، وحاققه على ذلك. فاقتضى الحال عقوبة ابن الأزرق، فاعترف أنها كتابته، وأنه أردا أن يأخذ بثأر أبيه من النشو وأهله. فعفا السلطان عن ابن الأزرق، وأمر بحبس الخطابى.

ورسم السلطان لبرسبغا الحاجب وابن صابر المقدم أن يعاقبا النشو وأهله حتى يموتوا وأذن للأجناد فى حمل النشاب فى السفر لا غيره.

ويقال إن سبب عقوبة النشو أن أمراء المشورة تحدثوا مع السلطان فى يوم الخميس رابع عشريه فى أمر النشو، فابتدأ الأمير علم الدين سنجر[1] الجاولى وقبل الأرض وقال: «حاشا مولانا السلطان من شغل الخاطر وضيق الصدر» فقال السلطان: «يا أمراء، هؤلاء مماليكى أنشأتهم وأعطيتهم العطاء الجزيل، وقد بلغنى عنهم ما لا يليق».

---

(١) سنجر بن عبد الله الجاولى، أبو سعيد، علم الدين: فقيه فاضل، من أمراء الجند بالديار المصرية. ولد بآمد، ثم كان من مماليك جاول أحد أمراء الظاهر بيبرس، وأخرج فى أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك، وعاد إلى مصر فى أيام العادل كتبغا بحال زرية، فتقدم وولى نيابة غزة ثم عدة ولايات بمصر والبلاد الشامية، وطالت أيامه، وبنى جوامع أحدها بغزة، يعرف بالجاولية. وصنف «كتبا» فى الفقه وغيره، وتوفى بالقاهرة. انظر: النجوم الزاهرة ١٠٩:١٠ والدرر الكامنة ١٧٠:٢ والأعلام ١٤١/٣.

فقال الجاولى: «حاشا لله أن يبدو من مماليك السلطان شىء من هذا غير أن علم مولانا السلطان محيط بأن ملك الخلفاء ما زال إلا بسبب الكتاب، وغالب السلاطين ما دخل عليهم الدخيل إلا من جهة الوزراء. ومولانا السلطان ما يحتاج فى هذا إلى أن يعرفه أحد بما جرى لهم، ومن المصلحة قتل هذا الكلب وإراحة الناس منه»، فوافقه الجميع على ذلك. فضرب فى هذا اليوم المخلص أخو النشو بالمقارع مع ليلة الجمعة حتى هلك يوم الجمعة العصر، ودفن بمقابر اليهود، ثم ماتت أمه عقيبه.

وقتل بعدها ولى الدولة عامل المتجر[1] ورمى إلى الكلاب.

هذا والعقوبة تتنوع للنشو حتى هلك فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، فوجد بغير ختان. وكتب به محضر، ودفن فى مقابر اليهود بكفن قيمته أربعة دراهم، ووكل بقبره من يحرسه مدة أسبوع خوفا من العامة أن تخرجه وتحرقه. فكانت مدة ولايته وجوره سبع سنين وسبعة أشهر.

ثم أحضر ولى الدولة صهر النشو ليعاقب، وهو بخلاف ولى الدولة عامل المتجر الذى تقدم، فدل على ذخائر للنشو ما بين ذهب وأوانى فى صندوق كبير. وطلبت جماعة بسبب ودائع اتهموا بها عندهم للنشو، وشمل الضرر غير واحد منهم.

وكان موجود النشو سوى الصندوق المذكور شيئًا كثيرًا، وعمل لمبيعه تسع وعشرون حلقة، آخرها حلقة لا يوجد لها مثل، إذ بلغت خمسا وسبعين ألف درهم، فكان جملة ما أخذ منه سوى الصندوق نحو مائتى ألف دينار. ووجد لولى الدولة عامل المتجر ما قيمته خمسون ألف دينار، ولولى الدولة صهر النشو زيادة على ثمانين ألف دينار. وبيعت للنشو دور بمائة ألف درهم.

ثم ركب الأمير أقبغا إلى دور آل النشو بالمصاصة من مصر ومعه الأسرى، وخربها كلها حتى سوى بها الأرض، وحرثها بالمحاريث فى طلب الخبايا، وحملت أنقاضها ورخامها، فلم يوجد بها من الخبايا إلا القليل.

وفى ثالث عشره: أفرج عن القاضى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى[2] من سجنه بقلعة الجبل، بعدما أقام مسجونا سبعة أشهر وثمانية عشر يوما.

---

(١) المتجر: المقصود بلفظ «المتجر» ما يتجر فيه السلطان من البضائع لحسابه الخاص.

(٢) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى العدوى العمرى، شهاب الدين: مؤرخ حجة فى معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان إمام فى الترسل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول. مولده ومنشأه ووفاته فى دمشق. =

وسبب الإفراج عنه أنه كان فى السجن كاتب قد سجن على تزوير خط السلطان وكان قد قبض عليه فى أيام مباشرة شهاب الدين لوظيفة كاتب السر، ورسم السلطان بقطع يده، فمازال شهاب الدين يتلطف فى أمره حتى عفى من قطع يده وسجن.

فاتفق في هذا الوقت أنه رفع قصة ينهى فيها توبته، ويسأل العفو عنه، فلم يتذكر السلطان شيئًا من خبره، فقيل له إن شهاب الدين يعرف خبره، فبعث إليه فى ذلك وطالعه بأمره، فأفرج عن الكاتب وعن شهاب الدين، ونزل شهاب الدين إلى داره.

وفيه خلع على الأمير عز الدين أيدمر الزراق، واستقر فى ولاية ثغر الإسكندرية عوضًا عن بيبرس الجمدار الركنى.

وفيه توجه جمال الكفاة ناظر الخاص، والأمير نجم الدين وزير بغداد، والأمير بيغرا، والأمير طيبغا المجدى، لإيقاع الحوطة على موجوده. وذلك أن ابن الصاوى شاد معدن الزمرد رفع فيه أن يربح فى سنة من صنف الخمر وحده ثلاثين ألف دينار، وأن له بالإسكندرية عقارًا كثيرًا، من جملته ثلاثون بستانا أقلها بألف دينار. فوجد أكثر ما قيل عنه صحيح، فحمل إلى القاهرة، وتعصب له عدة من الأمراء حتى تقرر عليه حمل عشرين ألف دينار، فحملها وأفرج عنه.

وفيه نودى بالقاهرة أن يكون صرف الدينار بخمسة وعشرين درهما بعدما كان بعشرين درهما. وسبب ذلك أن جمال الكفاة ناظر الخاص عمل أوراقًا بما على السلطان للتجار، فكان مبلغ ألف ألف دينار. فأجاب السلطان بأن النشو ذكر أنه وفى التجار ما لهم، وقصد ألا يعطيهم شيئًا، فأشار عليه جمال الكفاة بوفاء جماعة منهم، وأن يحسب عليهم الدينار بخمسة وعشرين درهما، وما عدا هذه الجماعة لا يدفع لهم شىء، فتوقفت أحوال الناس لزيادة سعر الذهب. ولما نزل جمال الكفاة إلى دار القند بمصر ابتهج الناس به، فطرح السكر بأقل مما كان يطرحه النشو على السكريين بعشرة دراهم القنطار.

ووقع ببلاد البحيرة والغربية مطر عظيم فيه برد كبار، تلف به عدة مزارع وكثير من الأغنام، وهبت مع ذلك رياح عاصفة ألقت النخل.

وفيها فرغت مدرسة الأمير آقبغا عبد الواحد، بجوار الجامع الأزهر. وبلى الناس فى

=أجل آثاره «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ــ خ» كبير، وله «مختصر قلائد العقيان ــ خ». و«يقظة الساهر» فى الأدب و«دمعة الباكى» أدب وله شعر فى منتهى الرقة. انظر: فوات الوفيات ٧:١ والسحب الوابلة، والدرر الكامنة ٣٣١:١ والنجوم الزاهرة ٢٣٤:١٠ والأعلام ٢٦٨/١.

عمارتها ببلايا كثيرة: منها أن الصناع كان قد قرر عليهم آقبغا أن يعملوا بهذه المدرسة يوما فى الأسبوع بغير أجرة، فكانوا يتناوبون بها العمل سخرة، ومنها أنه حمل لها الأصناف من الناس ومن العمائر السلطانية، فكانت ما بين غضب وسرقة. ومع ذلك فإنه ما نزلها قط إلا وضرب وفيها من الصناع عدة ضربا ومؤلما فيصير ذلك الضرب زيادة على شدة عسف مملوكه الذى أقامه شادا بها. فلما تمت جمع بها القضاة والفقهاء، و لم يول بها أحدا، وكان الشريف المحتسب قد عمل لها بسطا بنحو ستة آلاف درهم، على أن يلى تدريسها، فلم يتم له ذلك.

وفيه قدم رسول الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين سبط القان أرغون أبغا بن هولاكو بن طولى بن جنكزخان متولى العراق، بكتابه يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد والموصل وعراق العجم ليقام بها الدعوة للسلطان، وسأل أن يبعث السلطان إلى طغاى بن سونتاى فى الصلح بينه وبين الشيخ حسن فأجيب إلى ذلك، ووعد بتجهيز العسكر. وركب أمير أحمد قريب السلطان إلى طغاى، ومعه هدية لينظم الصلح بينه وبين الشيخ حسن.

وفيه فرغت عمارة الخان الذى أنشأه الأمير طاجار الدوادار بجينين من طريق الشام، وعمل به حوض ماء للسبيل يجرى إليه الماء، وعمل به حماما وعدة حوانيت يباع بها ما يحتاج إليه المسافر، فكثر النفع به.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الآخر: ركب السلطان إلى قصوره بسرياقوس[1] ومضى إلى خانكاته، وقد تقدمه إليها الشيخ شمس الدين محمد الأصفهانى والقوام الكرمانى وجماعة من صوفية سعيد السعداء. فوقف السلطان على الباب بفرسه، وخرج إليه جميع صوفيتها، ووقفوا بين يديه، فسألهم من يختاروه شيخا لهم بعد وفاة الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى، فلم يعينوا أحدا. فولى السلطان مشيخة الشيوخ بها الركن الملطى خادم المجد الأقصرائى.

وفيها قدم الخبر بأن أرتنا لم يقم الخطبة ببلاد الروم للسلطان ولا ضرب السكة، فكتب بالغارة على أطراف بلاده. فقدم رسوله بهدية فيها خركاة كسوتها من داخلها، ومن خارجها حرير أطلس، ودايرها فرو سمور، وبسطها حرير قومت بثلاثين ألف درهم، ومعها ثلاثون إكديشا، وأربعة سناقر، وعشرة بزاة وعشرة صقورة، وستون تفصيلة حرير، ومع ذلك كتاب يتضمن الشكوى من غارة التركمان على أطراف

---

(١) سرياقوس: بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر: معجم البلدان ٢١٨/٣.

بلاده. فأجيب بأن ذلك بسبب أنه لم يقم الخطبة ولا ضرب السكة باسم السلطان فى بلاده، كما أخبر به.

وفيها انقطع السلطان عن الخروج إلى دار العدل نحو عشرين يوما، لشغل خاطره بمرض الأمير يلبغا اليحياوى وملازمته له.

وفيها ادعى صلاح الدين يوسف بن المغربى الحكيم على أولاد الملوك بمبلغ عشرة آلاف درهم عند قاضى القضاة حسام الدين الغورى، تعجلوها منه عن أرض بروضة مصر. وكان النشو قد أخذها منهم وأدخلها فى ديوان الخاص، فوجب حقه على أولاد الملوك. فلم يوافق القاضى على سجنهم وجرت بينه وبين ابن المغربى مفاوضة جرى فيها على عادته من السفه، فلم يترخص له ابن المغربى. وآل الأمر إلى أن خرج الغورى من المدرسة الصالحية ماشيا، وجمع الحنفية ليطلعوا إلى السلطان ويشكوا من ابن المغربى. ومشى الغورى بالشارع وبيده عكاز - وكان يومًا مطيرا - والعامة تنظر به وبجماعته، وقد سبقه ابن المغربى وشكاه إلى السلطان. فبعث السلطان إليه الأمير طاجار، فوجده قد طلع إلى القلعة ماشيًا ليمين حلف بها، فبلغه طاجار الرسالة، وأراده أن يرجع، فأبى أن ينصرف حتى يجتمع بالسلطان. فلم يمكنه السلطان من ذلك، وواعده إلى دار العدل، فلما لم يجد سبيلا إلى الاجتماع به عاد، وطلع يوم الخدمة إلى دار العدل. واستدعى السلطان أولاد الملوك، وادعى عليهم ابن المغربى فألزمهم بالمال، وتسلمهم برسبغا الحاجب، حتى أدوه لابن المغربى بعد إخراق وإهانة بالغة.

وفيه عمل سماط جليل بالميدان لعافية الأمير يلبغا اليحياوى فيه من الأطعمة والأشربة والحلاوات ومشروب السكر ما يجل وصفه. واستدعى السلطان لحضوره جميع صوفية الخوانك والزوايا وأهل الخير وسائر الطوائف، وأخرج من الخزانة السلطانية ثلاثين ألف درهم أفرج بها عن المسجونين على دين، وأخرج للأمير يلبغا ثلاث حجورة بمائة ألف درهم، وحياصة ذهب مرصعة بالجواهر، وأفرج عن شعبان قريب ألماس.

وفيه خلع على الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى الغربية، واستقر كاشف الوجه القبلى عوضًا عن أخى ظلظيه، لشكوى الجند منه.

واستقر أسندمر مملوك القنجقى فى ولاية الغربية عوضًا عن ابن الكورانى، بتعيين الأمير برسبغا الحاجب.

وفيها جهزت التعابى من الخزانة لنائب الشام ونائب حلب ونائب حماة[١] ونائب طرابلس، على العادة فى كل سنة. ورسم بتجهيز تعبئة للأمير ألطنبغا نائب غزة[٢] وأنعم عليه من مال دمشق بخمسين ألف درهم وألف غرارة من غلة، وحمل إليه ألف دينار وتعبئة قماش وتشريف كامل.

وفيها خلع على الأمير نكبيه البريدى متولى قطيا، واستقر فى ولاية الإسكندرية عوضا عن الزراق لاستعفائه منها.

وفيه قدم أمير أحمد من بلاد الشرق، وقد عقد الصلح بين طغاى بن سونتاى وبين الشيخ حسن الكبير.

وفيها طلبت النساء المغانى وصودرن ما بين ثلاثة آلاف درهم و ألفى درهم الواحدة، وسجن بالحجرة أياما حتى تاب بعضهن عن الغناء، وتزوج بقيتهن. وسبب ذلك أن الأمير آنوك بن السلطان كان يركب إلى جهة بركة الحبش، وعمر له بها حوشا لطيوره وموضعا يتنزه به، وأحضر إليه مغنية تعرف بالزهرة، فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك. فأسر السلطان للأمير آقبغا عبد الواحد أن يلزم شاد المغانى والضامنة بالإنكار على المغانى حضورهن مجالس الخمر وإقامة الفتن، وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك، وأكد عليه فى أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لآنوك.

فلما وقع ذلك شق على آنوك امتناع الزهرة عنه عدة أيام، ومازال حتى أتته سرا، ولهى بها عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقى، حتى علمت أمه بذلك، فلشفقتها عليه ترخصت له، وأمكنته من هواه. فخاف آنوك من السلطان، ودبر هو وبعض مماليكه حيلة أشغل بال السلطان عنه، وكتب ورقة يخيله فيها من الأمير بشتاك والأمير آقبغا، وألقيت إلى السلطان. فنم بعض مماليكه للأمير آقبغا بذلك، فبلغه السلطان، فدخل إلى الدور واستدعى آنوك وهم بقتله بالسيف، فمنعته أمه وحواريه. فأرعد آنوك من الخوف، ولزم الفراش، وتغير السلطان على لالاه أرغون العلائى، وأقام طيبغا المجدى عوضه، ورسم ببيع الدار التى عمرها آنوك ببركة الحبش.

---

(١) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. انظر: معجم البلدان ٢/٣٠٠،٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤/١٤٠.

(٢) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان. انظر: معجم البلدان ٤/٢٠٢،٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨. ومعجم ما استعجم ٩٩٧.

وفيه قدم أبو بكر ابن السلطان من الكرك باستدعاء، ومعه هدية قيمتها نحو مائتى ألف درهم، بعد ما أخذ أموال الناس بها على سبيل القرض، وكان يقتل من يمتنع عليه ويصادره، فمات جماعة من الناس تحت العقوبة.

وفيه توجه جمال الدين الكفاة ناظر الخاص إلى الإسكندرية وأوقع الحوطة على دور بيبرس الجمدار الركنى نائب الإسكندرية بعد موته، فوجد له عدة دور وحوانيت وعشرين بستانا باعها بخمسمائة ألف وستين ألف درهم، وعاد.

وفيها قوى الماء على الجسر الذى استجده السلطان بناحية شيبين، وصارت البلاد الواطئة تستبحر. فاقتضى رأى السلطان عمل زربية كالجسر ترد قوة الماء، فندب لعملها الأمير بيبغا حارس الطير. وفرض السلطان لذلك على البلاد عن كل دينار ثمن درهم، فجبى نحو أربعمائة ألف درهم. وجمعت البناة والفعلة، وعملت أقمنة الجير والجبس والطوب حتى تمت الزربية فى طول زيادة على ثلاثين ألف قصبة. فعظم النفع بها، وشمل الرى عدة أراض ما كانت تروى قبل ذلك إلا فى الأنيال العالية، وزاد ارتفاع النواحى برى الأراضى. وبطل سد بحر أبى المنجا، وتأخر فتحه بعد أوانه بعشرة أيام، وقام مقامه سد قناطر شيبين، وبطل ما كان من ركوب الناس وفرجهم فى فتح أبى المنجا، وأراح الله تعالى مما كان يعمل فيه يوم فتحه من المنكرات والفواحش.

وفيه توجه الأمير بشتاك بآنوك وأبى بكر ولدى السلطان إلى العباسة، وحضر بهما بعد أيام.

ثم توجه الأمير يلبغا اليحياوى والأمير بشتاك بطيور السلطان إلى البحيرة، وصحبة يلبغا عشرة أمراء طبلخاناه. فدخلوا إلى الإسكندرية، وقد تقدمهم جمال الكفاة إليها وجهز لهم الإقامات والتعابى والإنعامات، فأقاموا ثلاثة أيام وعادوا. فأنعم السلطان على يلبغا يوم وصوله بناحية سوهاى[1] من الصعيد، وعبرتها خمسة عشر ألف دينار، وكتب بتمكين أهل الإسكندرية من فتح دكاكين الرماة على العادة، والإفراج لهم عن السلاح، وذلك بشفاعة يلبغا.

وفيه قدم البريد بموت الأمير طقتمر الخازن نائب قلعة حلب، وأنه وجد له عشرة آلاف دينار ومائة وستون ألف درهم.

وفيها توقفت الأحوال بسبب صرف الذهب، وعدم وجود الفضة من بين الناس فى

---

(١) سوهاى: قرية بمصر من قرى أخميم. انظر: معجم البلدان ٢٨٦/٣.

الأسواق. فأخرج السلطان من الخزانة ألفى درهم فضة فرقت مدة شهر فى الصيارف، وأخذ عنها ذهب، فمشت الأحوال قليلا ثم توقفت.

وفيها قدمت طائفة من العجم لهم زى غريب، على رءوسهم أقباع طوال جدًا، من فوقها عمائم مضلعة كهيئة الطرطور، ولهم شيخ يعرف بالشيخ زاده. فاحتفل بهم الأمير قوصون وأنزلهم بخانكاته، وعمل لهم فيها عدة أوقات، ثم تحدث قوصون مع السلطان فى أمرهم، فولى زاده مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس، فباشرها وعمل بها فى كل ليلة جمعة سماعا قام به الأمير قوصون.

وفى رابع عشرى شوال: رحل ركب الحاج من بركة الحجاج، صحبة الأمير بُكا الخضرى. وكانت العادة أن يرحل الركب فى سادس عشره، فقصد السلطان ألا تطول إقامة الحاج بمكة رفقًا بالها، فأخر الرحيل إلى رابع عشريه، ليوافى الحجاج مكة أول ذى الحجة، واستمر ذلك فيما بعد. وسار أيضًا الأمير آقبغا عبد الواحد إلى الحج بأهله.

وفيها تسلم الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر قلعة طرندة[١] وأقام بها الدعوة للسلطان. وذلك أن مرجان الخادم نائب طرندة من قبل أرتنا توجه منها إلى مخدومه فى مهم له، فنزل عليها من أمراء التركمان أمير على بن الكركرى، وإبراهيم كندلكى، وقرا خليل بن البكى، وابن قرا، فى زهاء أربعين رجلا. ـ وقد باطنهم رجل من أهل القلعة وجذب الأربعين بحبال إليها، فقتلوا من بها من جماعة أرتنا، واستولوا عليها وأسلموها لابن دلغادر.

فكتب إلى السلطان بذلك، فأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام، فبعث إليها تنكز وعمرها، ولم تزل قلعة طرندة بأيدى سلاطين مصر إلى أن مات الظاهر برقوق[٢].

---

(١) قلعة طرندة: قال الواقدى: كان المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ وبنوا بها مساكن وهى من ملطية على ثلاث مراحل داخلة فى بلاد الروم وملطية يومئذ خراب. انظر: معجم البلدان ٣٢/٤.

(٢) برقوق بن أنص ـ أو أنس ـ العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوبًا إليه ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر، فكان (أمير عشرة) وتقدم فى دولة المنصور القلاوونى (على بن شعبان) فولى أتابكية العساكر وانتزع السلطنة من آخر بنى قلاوون «الصالح، أمير حاج» سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر وانقادت إليه مصر والشام. وخلع سنة ٧٩١ ثم عاد إلى مصر سلطانًا سنة ٧٩٢ وتوفى بالقاهرة ومدة حكمه «أتابكا» وسلطانًا قرابة ٢١ عامًا. انظر: ديوان الإسلام والضوء اللامع ٣: ١٠ والأعلام ٤٨/٢.

وفيها هبت سموم ورياح عاصفة بجبل طرابلس، وسقط نجم اتصل نوره بالأرض مع رعد قوى إلى الغاية، وعلقت منه نار فى أراضى الجون أحرقت عدة أشجار ومنازل فكان ذلك آية. ونزلت من السماء نار بقرية الفيجة[1] من عمل دمشق على قبة خشب أحرقتها، وأحرقت ثلاثة بيوت بجانبها.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشريه: وقع بدمشق فى أول الليل حريق بالدهشة شرقى الجامع الأموى، فعظم الأمر حتى وصل إلى الجامع، وتعلق بالمنارة الشرقية وسقط على الجملون الرصاص. فبادر الناس جميعًا إليه، وأطفأوه بحضرة الأمير تنكز فى مدة يومين بلياليها.

ثم وقع أيضًا فى ليلة السبت أول ذى القعدة: حريق آخر بقيسارية القواسين والكفتيين وسوق الخيل من دمشق، وكان أمرا مهولا مدة يومين بلياليها. فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس، وعدمت أموالا عظيمة، منها للتجار خاصة ما مبلغة ألف وستمائة ألف دينار، وخربت أماكن كثيرة.

فبينا الناس فى ذلك إذ وجدت ورقة فيها: «المملوك الناصح» تتضمن أن أمر الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش، فقبض على المذكور وعوقب، فاعترف على أستاذه عدة من كتّاب النصارى، وأحضروا بين يدى الأمير تنكز، فأقروا جميعًا بذلك.

فأوقع تنكز الحوطة على موجودهم، وكتب عليهم محضرا ملخصه: أن الرشيد سلامة بن سليمان بن مرجا النصرانى كاتب الأمير علم الدين سنجر البشمقدار أشهد عليه أنه حضر إليه منتصف شوال المكين يوسف بن مجلى كاتب الأمير بهادر آص والمكين يوسف عامل الجيش، وصحبتهما راهبان أحدهما اسمه ميلانى والآخر اسمه عازر، وقدما من القسطنطينية ليجاهدا فى الملة الإسلامية ومعابدها وقد باعا نفسيهما على ذلك، وأنهما يعلمان صناعة النفط.

فاجتمعوا فى بستان المكين يوسف، وأحضر لهم ما يحتاجون إليه من النفط، وعملوا كعكات، وتنكروا فى لباسهم، ونزلوا إلى الدهشة وتفرقوا فى جوانبها، وابتاعوا منها قماشًا ودفعوا ثمنه لصاحبه، وجعلوا القماش عنده وديعة، وقد دسوا فيه تلك الكعكات المصنوعة، فوقع منها ذلك الحريق، ثم دفعوا إلى الجرائحى النصرانى الذى على باب قيسارية القواسين خمسمائة درهم وكعكة من تلك الكعكات، فرمى بها فى دكان

---

(١) قرية الفيجة: بالكسر ثم السكون، وجيم: قرية بدمشق. انظر: معجم البلدان ٤/٢٨٢.

داخل القيسارية، فكان منها الحريق الثانى، وأن الراهبين المذكورين خرجا بعد ذلك بكتب الجماعة إلى بيروت[١] حتى سيرهم العامل بها فى مركب إلى قبرص[٢] وأرخ المحضر بعشرى ذى القعدة، وحمل إلى السلطان.

ثم سمر الجماعة فى يوم السبت ثانى عشرى ذى القعدة، بعدما عوقبوا عقوبات عظيمة، وعددهم أحد عشر رجلا: وهم المكين يوسف بن مجلى عامل الجيش وأخوه، والمكين جرجس كاتب الحوطات، والمكين كاتب بهادر آص، وسمعان، وأخوه بشارة، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار، والعلم عامل بيروت، والجرائحى، وجزاران نصرانيان، وشخص يعرف بسبيل الله، وكان هذا الرجل بالقاهرة سنة خمس وعشرين بزى غريب يلبس جلدا، ويحمل على كتفه زيرا نحاسا أندلسيا، وبيده شربات كذلك، ويقول بلسان غتمى: «سبيل الله»، ويسقى الناس بغير جعل، فمن الناس من اعتقده، ومنهم من اتهم أنه جاسوس، ثم خرج هذا الرجل حاجا، وقدم دمشق وأقام بها يسقى الماء، حتى دخل مع النصارى فيما قاموا فيه من أمر الحريق ولما سمروا وسطوا بعد يومين، ووجد لهم ما ينيف على ألف درهم، أنفق منها فى عمارة منارة الجامع والدهشة.

فكتب السلطان إلى تنكز ينكر عليه قتل النصارى، وأن فى ذلك إغراء لأهل القسطنطينية[٣] بمن يرد إليهم من التجار المسلمين وقتلهم، ويأمر بحمل ما وجد من المال، وأن يجهز بناته اللاتى عقد لأولاد السلطان عليهن.

فأجاب تنكز بالاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق، وأن المال الذى وجد للنصارى قد جعله لعمارة الجامع، وجهر قرمجى بذلك فلم يرض السلطان، وتغير

---

(١) بيروت: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٥٢٥/١، والروض المعطار ١٢٢، ١٢٣، وصبح الأعشى ١١١/٤.

(٢) قبرص - أو قبرس -: جزيرة على البحر الشامى كبيرة القطر مقدارها ستة عشر يومًا، ومن قبرص إلى طرابلس الشام بحريان. انظر: معجم البلدان ٣٠٥/٤، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

(٣) القسطنطينية: كانت رومة فى القديم دار مملكة الروم نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكًا، ثم ملك بها قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورًا وسماها القسطنطينية، وقد كان اسمها طوانة ثم نسبت إلى قسطنطين، وبينها وبين عمورية ستون ميلاً فى قرى وعمارات، ومدينة القسطنطينية ثلاث نواحى: ناحيتان منها فى البحر الأعظم مما يلى القبلة والمشرق والمغرب، والناحية الثالثة مما يلى البر. انظر: معجم البلدان ٣٤٧/٤، ٣٤٨.

على قرمجى، وكتب معه إليه بأنه لابد من تجهيز بناته. ثم أركب السلطان الأمير طاجار الدوادار على البريد إلى دمشق بملطفات، فى يوم الجمعة ثانى عشرى ذى الحجة، وكان طاجار قد ثقل عليه أمر تنكز، وأخذ فى زواله، وجعل توجهه إنما هو لعتب تنكز على تأخيره حمل بناته.

وكان قد بلغ تنكز تغير السلطان عليه، فجهز أمواله ليحملها إلى قلعة جعبر[1] ويخرج إليها بحجة أنه يتصيد. فقدم عليه طاجار قبل ذلك فى يوم الأحد رابع عشره، وعتبه وبلغه عن السلطان ما حمله، فتغير الأمير تنكز وبدا منه ما حفظه عليه طاجار.

وعاد طاجار إلى السلطان فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة قبل الصلاة، فأغرى السلطان به، وأنه قد عزم على الخروج من دمشق. فطلب السلطان بعد الصلاة الأمير بشتاك والأمير بيبرس الأحمدى والأمير جنكلى بن البابا والأمير أرقطاى والأمير طقزدمر فى آخرين، وعرفهم أن تنكز قد خرج عن الطاعة، وأنه يبعث إليه بتجريدة مع الأمير جنكلى والأمير بشتاك والأمير أرقطاى والأمير أرنبغا أمير جندار والأمير قمارى أمير شكار والأمير قمارى أخو بكتمر الساقى والأمير برسبغا الحاجب.

ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبلخاناه وعشرون أمير عشرة، ومن الطبلخاناه ملكتمر السرجوانى وقبائمر الجمدار المظفرى وبلك الجمدار المظفرى وبكا الخضرى ومحمد بن الأمير جنكلى وأمير على بن صغريل وأمير أحمد الساقى قريب السلطان ونيروز وطقتمر قلى وبيغرا السلاح دار وقراجا السلاح دار وطيبغا المجدى وطاجار الدوادار وبغائمر وتمربغا العقيلى وطقتمر الصلاحى وجركتمر بن بهادر وسيف الناصرى وطقبغا الناصرى وبيبغا حارس الطير وأيتمش الناصرى وأباجى الوافد وأرلان التترى الوافد وملكتمر السعيدى وأمير محمود بن خطير وخمسون نفرا من مقدمى الحلقة، وأربعمائة من المماليك السلطانية، وجلس السلطانية، وجلس السلطان وعرضهم. ثم جمع السلطان فى يوم السبت عشريه الأمراء جميعهم، وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبى بكر من بعده، وطلب الأجناد من النواحى للحلف، فكانت بالقاهرة حركات كثيرة.

وحمل السلطان لكل مقدم ألف مبلغ ألف دينار ولكل أمير طبلخاناه أربعمائة دينار، ولكل مقدم حلقة ألف درهم، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرس وقرقل وخوذة وغير ذلك.

---

(١) قلعة جعبر: قلعة على الفرات بين بلس والرقة قرب صفين. انظر: معجم البلدان ١٤٢/٢.

فاتفق قدوم الأمير موسى بن مهنا[١] فى يوم السبت هذا، فقرر معه السلطان القبض على تنكز وكتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز.

وبعث السلطان بهادر حلاوة من طائفة الأوجاقية على البريد إلى ألطنبغا الصالحى نائب غزة وسيف الدين طشتمر نائب صفد[٢] وإلى أمراء دمشق، بملطفات كثيرة، وأخرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان وإقامته على حمص، واهتم بأمر تنكز اهتماما زائدًا، وكثر قلقه وتنغص عيشه. وخرج العسكر إلى دمشق فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذى الحجة، وكان حلاوة الأوجاقى قد قدم على الأمير ألطنبغا الصالحى نائب غزة بملطفه، وفيه أنه قد استقر فى نيابة الشام عوضا عن تنكز، وأن العسكر واصل إليه ليسيروا به إلى دمشق، وأن الأمير طشتمر نائب صفد قد كتب إليه بالركوب إلى دمشق، ليركب هو والأمير قطلوبغا الفخرى، ويقبضا على تنكز، فسر ألطنبغا بذلك ووجه حلاوة إلى صفد، فقدمها ليلة الإثنين ثالث عشريه أول الليل، وأوقف الأمير طشتمر على ملطفه فركب فى ساعته فى ثمانين فارسا، وساق إلى دمشق.

واجتمع طشتمر مع قطلوبغا الفخرى وسنجر البشمقدار وبيبرس السلحدار، ـ وكان قد قدم حلاوة إلى أمراء دمشق بكرة يوم الثلاثاء وهو متنكر، وأوصل الملطفات إلى أصحابها، وقد سبقته ملطفات الأمير ألطنبغا من غزة.

فاتفق ركوب الأمير تنكز فى ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصا فى خواصه للنزهة، وبينما هو فى ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد فعاد إلى دار السعادة، وألبس مماليكه السلاح، فلم يكن بأسرع من أن أحاط به أمراء دمشق. ووقع الصوت بوصول طشتمر نائب صفد، فخرج العسكر إلى لقائه، وقد نزل مسجد القدم. فأمر طشتمر جماعة من الأمراء أن يعودوا إلى تنكز ويخرجوه إليه، فدخل عليه منهم تمر الساقى وطرنطاى والبشمقدار وبيبرس السلاح دار، وعرفوه مرسوم السلطان وأخذوه وأركبوه إكديشا، وساروا به إلى نائب صفد، وهو واقف بالعسكر فى ميدان الحصا، وقبض على جنغيه وطعيه مملوكى تنكز وسجنا بالقلعة. وأمر طشتمر بتنكز فأنزل عن فرسه على

---

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن نافع الطائى رئيس آل فضل أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر: ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠، والأعلام ٣٢٩/٧.

(٢) صفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٤١٢/٣.

ثوب سرج[١] وقيده قرمجى مملوكه، وأخذه الأمير بيبرس السلاح دار، وتوجه به إلى الكسوة، فحدث له إسهال ورعدة خيف عليه منه الموت، وأقام بها يوما وليلة، ثم مضى به بيبرس إلى القاهرة، ونزل الأمير طشتمر نائب صفد بالمدرسة النجيبية.

وتقدم بهادر حلاوة عندما قبض على تنكز ليبشر السلطان فقدم ليلا بلبيس والعسكر نازل عليها، وعرف الأمير بشتاك ثم سار إلى السلطان، فقدم ومعه أحد مماليك السلطان ومملوك طاجار الدوادار فى خامس عشريه وأخبره الخبر، فسر سرورًا كثيرًا. وكتب السلطان بعود العسكر من بلبيس خلا الأمير بشتاك والأمير أرقطاى والأمير برسغبا الحاجب وجماعة، فإنهم يتوجهون إلى دمشق، وأن يقيم الأمير بيغرا أمير جندار والأمير قمارى أمير شكار بالصالحية إلى أن يقدم الأمير تنكز، فيدخلا به.

فعاد العسكر من بلبيس، وتوجه بشتاك ورفيقاه إلى دمشق، فركب معهم الأمير ألطنبغا من غزة، فلقوا الأمير تنكز على بيسان.

وفيها فرغ قصر الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى، بخط بين القصرين من القاهرة. وذلك أن الأمير قوصون لما أخذ قصر بيسرى وجدد عمارته، أحب الأمير بشتاك أن يعمل له قصرا تجاه قصر بيسرى، فدل على دار الأمير بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح، وهى أحد قصور الخلفاء الفاطميين التى اشتراها بكتاش من ذريتهم، وأنشأ بها دورا واسطبلات، وأبقى ما وجد فيها من المساجد، فشاور بشتاك السلطان على أخذها، فرسم له بذلك، فأخذها من أولاد بكتاش وأرضاهم، وأنعم له السلطان بأن كانت داخلها برسم الفراشخاناه[٢] السلطانية، وأخذ دار أقطوان الساقى بجوارها وهدم الجميع، وأنشأ قصرا مطلا على الطريق - ارتفاعه أربعون ذراعا وأساسه أربعون ذراعا، وأجرى إليه الماء ينزل من شادروان[٣] إلى بركة. وأخرب بشتاك فى عمل هذا القصر أحد عشر مسجدا وأربعة معابد أدخلها فيه، ولم يجدد منها سوى مسجد الفجل - وقد سمى هذا المسجد بذلك الاسم من أجل أن قيمه يعرف بالفجل، وأنشأ خانا تجاه خان الزكاة، ثم باع بشتاك هذا القصر لزوجته التى كانت تحت بكتمر الساقى. وفيها

---

(١) سرج: السرج الرحل، والمعنى فيما يظهر أنه لم يفرش للأمير تنكز سوى ثوب من الأثواب المستعملة للسروج، دلالة على قرب تسفيره إلى حضرة السلطان. انظر: محيط المحيط.

(٢) الفراشخاناة: الفراشخاناة السلطانية كانت تشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام للسلطان فى أسفاره وإقاماته خارجًا عن القاهرة.

(٣) شادروان والجمع شادروانات ويقال شاذروات أيضًا -، لفظ فارسى الأصل، ومعناه هنا أنبوبة مبينة أو «تأزيرة» - فى الحائط، يجرى فيها الماء إلى بركة مثلاً.

خطب للخليفة الواثق با لله إبراهيم بن محمد المستمسك بن أحمد الحاكم بأمر ا لله[1].

وذلك أن الخبر قدم فى يوم الجمعة ثانى عشر شعبان بموت الخليفة المستكفى با لله أبى الربيع سليمان[2] بقوص فى مستهل شعبان، بعد موت ابنه صدقة بقليل، وأنه اشتد جزعه عليه، وأنه قد عهده لولده أحمد[3] بشهادة أربعين عدلا وأثبت قاضى قوص ذلك. فلم يمض السلطان عهده، وطلب إبراهيم فى يوم الإثنين خامس عشرى شعبان، وأجلسه بجانبه وحادثه، ثم قام إبراهيم وخرج معه الحجاب بين يديه، ثم طلع إلى السلطان فى يوم الإثنين ثالث عشر رمضان، وقد اجتمع القضاة بدار العدل على العادة، فعرفهم السلطان بما أراد من إقامة إبراهيم فى الخلافة وأمرهم بمبايعته، فأجابوا بعدم أهليته، وأن المستكفى عهد إلى ولده أحمد بشهادة أربعين عدلا وحاكم قوص، ويحتاج إلى النظر فى عهده. فكتب السلطان بطلب أحمد وعائلة أبيه، وأقام الخطباء بديار مصر والشام نحو أربعة أشهر لا يذكرون فى خطبهم الخليفة. فلما قدم أحمد من قوص لم يمض السلطان عهده، وطلب إبراهيم وعرفه قبح سيرته، فأظهر التوبة منها والتزم بسلوك طريق الخير، فاستدعى السلطان القضاة فى يوم الإثنين وعرفهم أنه أقام إبراهيم فى الخلافة، فأخذ قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة يعرفه سوء أهليته للخلافة، فأجاب بأنه قد تاب، « والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد وليته

---

(١) إبراهيم الواثق بن محمد المستمسك با لله بن أحمد العباس، أبو إسحاق من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. وهو ابن أخى المستكفى با لله سليمان بن أحمد وكان المستكفى قد عهد إلى ابنه أحمد بن سليمان بالخلافة، فلما مات المستكفى سنة ٧٤٠هـ توقف الناصر القلاوونى عن البيعة لابنه ثم أقام صاحب الترجمة خليفة ولقبه بالواثق با لله فخطب له بالقاهرة جمعة واحدة ومات الناصر القلاوونى وخلفه المنصور أبو بكر بن محمد فخلع الواثق وبايع لأحمد بن سليمان سنة ٧٤٢ هـ. انظر: البداية والنهاية ١٩١:١٤ والنجوم الزاهرة ١٥١:٩ والأعلام ٦٣:١.

(٢) من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر، ولد ببغداد وخطب له بمصر بعد وفاة أبية سنة ٧٠١هـ بعهد منه ففوض الأمور إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وسار لغزو التتر ثم ساءت حاله مع السلطان الناصر فأخرجه إلى قوص بالصعيد سنة ٧٣٨هـ فأقام إلى أن توفى بها استمرت خلافته ٣٩سنة وشهرين و١٣ يوما ولم يكن له منها غير مرسمها. انظر: البداية والنهاية ١٨٧:١٤ والدرر الكامنة ١٤١:٢ والنجوم الزاهرة ١٦٩:١٠ والأعلام ١٢١:٣.

(٣) أحمد بن المستكفى با لله سليمان بن الحاكم بأمر الله الأول، أبو القاسم الحاكم بأمر ا لله، الثانى: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر بويع سنة ٧٤٢هـ، ولبس السواد وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان وفوض الأمور على العادة للمنصور القلاوونى أبى بكر بن محمد، واستمر إلى أن مات فى القاهرة ولم يكن له من الأمر شيء. انظر: الدرر الكامنة ١٣٧:١ والبداية والنهاية ١٩١:١٤ والنجوم الزاهرة ٢٨٤:١٠ والأعلام ١٣٢:١

فاشهدوا على بولايته». ورتب له السلطان ما جرت به العادة، وهو ثلاثة آلاف وخمسمائة وستون درهمًا وتسعة عشر أردب شعيرًا فى كل شهر، فلم يعارضه أحد. وخطب له فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة. ولقب بالواثق با لله أبى إسحاق، فكانت العامة تسميه المستعطى فإنه كان يستعطى من الناس ما ينفقه، وشهر بارتكاب أمور غير مرضية.

وفيها استقر فى قضاء الشافعية برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل بن إبراهيم الرسعنى، عوضًا عن زين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائى.

وفيها استقر ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يشوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى الحلبى فى كتابة السر بحلب، عوضًا عن شهاب الدين أحمد بن القطب المصرى.

وفيها استقر الشيخ حسن الكبير بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين وهو سبط القان أرغون بن أبغا بن هولاكو، فى مملكة بغداد، قدم إليها من خراسان، وكان الشيخ حسن الصغير بن دمرداش إذ ذاك حاكم توريز.

وكان قاع النيل فى هذه السنة أربعة أذرع وخمسة أصابع، وانتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا.

ومات فيها من الأعيان شهاب الدين أحمد بن عيسى بن جعفر الأرمنتى المصرى عرف بابن الكمال - فى جمادى الأولى، سمع من الأبرقوهى، وكان ثقة.

وتوفى الشيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى الشافعى[١] ليلة الثلاثاء رابع ربيع الأول، وله شرح التنبيه فى الفقه وغيره، وولى مشيخة خانكاه بيبرس.

وتوفى الخليفة المستكفى با لله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر ا لله أبى العباس أحمد بن الحسن بن أبى بكر بن أبى على بن الحسن العباسى، بمدينة قوص، عن ست وخمسين سنة وستة أشهر وأحد عشر يوما، وفى خامس شعبان، وكانت خلافته تسعا وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما، وكان حشما كريما فاضلا.

---

(١) أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى: فقيه شافعى أصولى نسبته إلى زنكلون (وتسمى الآن الزنكلون) من شرقية مصر. عاش وتوفى بالقاهرة. وله تصانيف فى فقه الشافعية منها «تحفة النبيه لشرح التنبيه ــ خ» خمس مجلدات. انظر: الدرر الكامنة ١:٤٤١ وشذرات الذهب ٦:١٢٥ والأعلام ٢/٦٢.

وتوفى خطيب أخميم علم الدين على، وكان له مال كثير وإفضال كثير. أضاف السلطان مرتين وكفاه بجميع ما يحتاج إليه، وأهدى إلى جميع الأمراء، وعمر مدرسة بمدينة أخميم ومات الأمير ركن الدين بيبرس الأوحدى والى القلعة، أحد المماليك المنصورية، فى يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى، وكان خيرا.

ومات بدمشق الأمير آقسنقر مشد العمارة، المنسوب إليه قنطرة آقسنقر على الخليج خارج القاهرة، والجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية فيما بين القاهرة ومصر.

ومات الأمير علم الدين على بن حسن المروانى والى القاهرة، فى ثانى عشر رجب، بعد مقاساة أمراض شنيعة مدة سنة، وكان سفاكا أفاكا ظلوما غشوما، اقترح فى ولايته عقوبات مهولة: منها نعل الرجل فى رجليه بالحديد كما تنعل الخيل، ومنها تعليق الرجل بيديه وتعليق مقابرات العلاج فى رجليه، فتنخلع أعضاؤه ويموت، وقتل خلقًا كثيرًا من الكتاب وغيرهم فى أيام النشو، ولما حملت جنازته وقف عالم عظيم لرجمه، فركب الوالى وابن صابر المقدم حتى طردهم.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الدوادار الناصرى بدمشق، وكان خيرًا فاضلا.

ومات الأمير بهادر البدرى نائب الكرك، وهو منفى بطرابلس.

وتوفى شرف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر القيراطى الشافعى، بالقاهرة عن سبعين سنة، تصدر بالجامع الأزهر، وباشر قضاء دمياط.

وتوفى جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم التبريزى الحرانى الشافعى[1] قاضى دمياط، كان فقيها أديبًا شاعرًا خطيبًا.

وتوفى الشيخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى شيخ الشيوخ، فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر - وقد أناف على السبعين - بخانكاه سرياقوس.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس الركنى المظفرى، كاشف البحيرة ووالى ثغر الإسكندرية، عن مال كثير.

---

(١) قاض، له شعر. أصله من تبريز. ولد فى حران ونشأ بدمشق، وولى قضاء صفد وعزل وولى قضاء دمياط، فاستمر إلى أن توفى فيها. له «مجموعة خطب - خ». انظر: فوات الوفيات ١:٢٩٦ والأعلام ٤:٤٩.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله ـ المعروف بالنشو ـ ناظر الخاص، فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، كان أبوه يكتب عند الأمير بكتمر الحاجب وهو ينوب عنه، ثم انتقل إلى مباشرة ديوان الأمير أركتمر الجمدار، ثم ولى استيفاء الدولة، ثم باشر ديوان الأمير آنوك ابن السلطان، وأكره حتى أظهر الإسلام، وولى نظر الخاص السلطانى، فبلغ ما لم يبلغه أحد من الأقباط فى دولة الترك، وتقدم عند السلطان على كل أحد، وخدمه جميع أرباب الأقلام، وكان محضر سوء لم يشتهر عنه شىء من الخير، وجمع من الأموال ما لم يجمعه وزير للدولة التركية، وكان مظفرا، ما ضرب على أحد إلا ونال غرضه منه بالإيقاع به وتخريب دياره، وقتل على يديه عدة من الولاة والكتاب، واجتهد غاية جهده فى قتل موسى بن التاج إسحاق، وعاقبة ستة أشهر بأنواع العقوبات، من الضرب بالمقارع والعصر فى كعابه وتسعيطه بالماء والملح وبالخل والجير وغير ذلك ـ مع نحافة بدنه ومرضه بالربو والحمى، فلم يمت، وعاش التاج موسى هذا ثلاثين سنة بعد هلاك النشو.

ومات مجد الدين رزق الله بن فضل الله أخو النشو، خدم وهو نصرانى فى استيفاء الخاص أيام أخيه، ثم أسلم على يد السلطان فى سنة ست وثلاثين كرها، وخدم عند الأمير ملكتمر الحجازى، فعظم شأنه وفعل خيرًا، فلما قبض على أخيه قبض عليه معه، فذبح نفسه فى ثالث صفر.

* * *

سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

فى يوم الثلاثاء سابع المحرم: وصل الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام وهو متضعف، صحبة الأمير بيبرس السلاح دار، وأنزل من القلعة بمكان ضيق حرج. وقصد السلطان ضربه بالمقارع فقام الأمير قوصون فى الشفاعة له حتى أجيب إلى ذلك. وبعث إليه السلطان يهدده حتى يعترف بما له من المال، ويذكر من كان موافقًا على العصيان من الأمراء.

فأجاب تنكز بأنه لا مال له سوى ثلاثين ألف دينار وديعة عنده لأيتام بكتمر الساقى، وأنكر أن يكون خرج عن الطاعة. فأمر السلطان فى الليل فأخرج مع ابن صابر المقدم وأمير جندار، وحمل فى حراقة بالنيل إلى الإسكندرية، فقتله بها إبراهيم بن صابر المقدم، فى يوم الثلاثاء خامس عشره.

وفى يوم الإثنين سادسه: قدم الأمير بشتاك والأمير ألطنبغا الصالحى إلى دمشق فيمن معهما من الأمراء وقد خرج الناس إلى لقائهم، فكان يومًا مشهودًا. ونزل الأمير ألطنبغا بدار السعادة، ونزل الأمير بشتاك بالميدان. ثم قبض على الأمير صاروجا المظفرى ألجيبغا العادلى، وطلب من ألزام تنكز مملوكاه جنغيه وطغيه، وسلما للأمير برسبغا، فعاقبهما أشد عقوبة على المال، وقبض على أولادهما وحواشيهما، وأوقع الحوطة على موجوديهما وموجود صاروجا وألجيبغا، ثم وسط جنغيه وطغيه بسوق الخيل، وأكحل صاروجا.

وتتبعت أموال تنكز، فوجد له ما يجل وصفه، وعملت لبيع حواصلة عدة حلق، تولى البيع فيها الأمير ألطنبغا نائب الشام والأمير أرقطاى، وهما أعدى عدو له، وكان فى ذلك عبرة لمن اعتبر.

وظهر له من التحف السنية ما يعز وجود مثله: منها مائتا منديل زركش، ومائة حياصة مرصعة بالجوهر، وأربعمائة حياصة ذهب، وستمائة كلفتاه، وثمانية وستون بقجة بها بدلات ثياب زركش، وألفا ثوب أطلس ومائتا تخفيفة زركش وذهب مختوم أربعمائة ألف مثقال. واشتملت جملة ما أبيع له على مائتى ألف دينار، فكان جملة العين ستمائة ألف دينار وأربعمائة دينار.

ووجد له من الهجن والخيل والجمال البخاتى وغيرها نحو أربعة آلاف ومائتى رأس وذلك سوى ما أخذه الأمراء ومماليكهم، فإنهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهبًا. ووجد له

من الثياب الصوف ومن النصافى ما لا ينحصر، وظفر الأمير بشتاك بجوهر له ثمين اختص به. وحملت حرمه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا، بعدما أخذ لهم من الجوهر واللؤلؤ والزركش شيء كثير.

ووجد لألجيبغا العادلى مبلغ مائة وعشرين ألف درهم، وألف ومائتى دينار وأصناف كثيرة، فبلغت تركته ستمائة ألف درهم. ولم يؤخذ لصاروجا غير أربعين ألف درهم، وصودر جماعة من ألزام تنكز فأخذ منهم نحو الألفى ألف درهم.

ثم توجه الأمير بشتاك من دمشق، وقدم قلعة الجبل، فخلع عليه وأكرم إكرامًا زائدًا. ثم قدم الأمير قطلوبغا الفخرى باستدعاء، فخلع عليه، وأنعم عليه بتقدمة ألف، ثم قدم الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد، فخلع عليه بنيابة حلب، عوضًا عن طرغاى الجاشنكير.

وخلع على الأمير مسعود بن خطير الحاجب بنيابة غزة، وأنعم على برسبغا بتقدمته وحجوبيته، وكتب بحضور طرغاى من حلب.

وفيها استقر الأمير أرقطاى فى نيابة طرابلس عوضًا عن طينال، وأقام طينال بدمشق.

وفيها استقر الأمير أقسنقر السلارى فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير طشتمر. ولما قدم حريم تنكز أنزلوا فى داره بخط الكافورى، وكان قد أخرج جمال الكفاة ناظر الخاص منها حواصل جليلة، ما بين أوانى صينى ومسك وعود وغير ذلك، أقام فى بيعه مدة أربعة أشهر، وبلغت قيمتها نحو ثمانين ألف درهم وألفى دينار، سوى ما أنعم به على الأمراء.

ووجد لتنكز بقلعة جعبر مبلغ ثلاثين ألف دينار، وثلاثين حمل سلاح، ووجد له حاصل سروج ولجم وسلاسل ذهب وفضة وعدة سلاح بما ينيف على مائة ألف دينار، وقومت أملاكه بما ينيف على مائة ألف دينار.

وكان لتغير السلطان على تنكز أسباب: منها أنه كتب يستأذن فى سيره إلى ناحية جعبر، فمنعه السلطان من ذلك، لما فى تلك البلاد من الغلاء، وألح تنكز فى الطلب والجواب يرد بمنعه حتى حنق من السلطان وقال: «والله لقد تغير عقل أستاذنا، وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ووالله لو سمع منى لكنت أشير عليه بأن يقيم أحد أولاده، وأقوم أنا بتدبير أمره، ويبقى هو مستريحًا». فكتب بذلك جركتمر للسلطان، وكان يتخيل بدون هذا، فأسر فى نفسه منه شيئًا.

واتفق أن أرتنا نائب الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه، ولم يكتب معه كتابا إلى تنكز، فخنق تنكز لعدم مكاتبته، ورد رسوله من دمشق.

فكتب أرتنا يعرف السلطان بذلك، ويسأل ألا يطلع تنكز على ما بينه وبين السلطان، ورماه بأمور أوجبت شدة تغيره عليه، واتفق أيضًا أن غضب تنكز على جماعة من مماليكه، وضربهم وسجنهم بالكرك والشوبك[1] فكتب منهم جوبان - وكان أكبر مماليكه - إلى الأمير قوصون يشفع به فى الإفراج عنه من سجن الشوبك. فكلم قوصون السلطان في ذلك فكتب إلى تنكز يشفع فى جوبان فلم يجب عن أمره بشىء، فكتب إليه ثانيًا وثالثا، فلم يجب، فاشتد غضب السلطان حتى قال للأمراء: «ما تقولون فى هذا الرجل؟ هو شفع عندى فى قاتل أخى فقبلت شفاعته، وأخرجته من السجن وسيرته إليه - يعنى طشتمر أخا بتخاص - وأنا أشفع فى مملوكه ما يقبل شفاعى» وكتب لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان فأفرج عنه.

وكان تنكز رحمه الله فى نيابة دمشق قد أزال المظالم، وأقام منار الشرع وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات، وبالغ فى العقوبة على ذلك حتى قتل فيه. وأنصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الأمراء، وحملهم مع أخصامهم إلى الشرع. واحتجب عن الاجتماع بالشاميين وغيرهم، وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملة. وتتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعها، ومنع مستحقيها من تناول ريعها حتى كملت عمارتها. وجدد عدة أماكن قد دثرت أوقافها، وأعاد فيها وظائف العبادات بعدما بطلت وجدد عمارة الجامع الأموى، وعمر أوقافه، وأصلح تقاسيم المياه بعد ما كانت فاسدة ونظف مجاريها ووضح طرقها، وهدم الأملاك التى استجدها الناس وضيقوا بها الشوارع والطرقات المسلوكة. وألزم والى المدينة أن يعلمه بمن يشرب الخمر من الأمراء وأولادهم، فتعذر وجود الخمر فى أيامه، ولم يكن يوجد. واستجد ديوانًا للزكاة، وصرفها للفقراء والمساكين وأرباب البيوت. وانكفت الولاة فى أيامه عن الظلم، وأحبته العامة ومنع الأمراء من تسخير الفلاحين والمزارعين فى أعمالهم، ومنعهم أيضًا من الاجتماع فى الفرج والمتنزهات وغيرها، فصاروا إذا ركبوا فى المواكب لا يقدر أحد منهم يكلم رفيقه وإذا صاروا إلى بيوتهم لا يستطيع الواحد أن يجتمع بالآخر، وإذا أخرج تنكز إلى سفر لا يتأخر منهم أحد، سواء قال له: أخرج أو لم يقل له. ومنع أكابر الأمراء أن تترجل له أو تمشى فى خدمته، فأقام الله له من الحرمة ما لا حصل لأحد من نواب الدولة التركية وكتب لنواب البلاد الشامية ألا يكاتبوا السلطان إلا

(١) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. انظر: معجم البلدان ٣/٣٧٠.

ويكاتبوه، وأن ترد مكاتباتهم للسلطان عليه بغير ختم ليقف عليها، فإن أرضته بعث بها إلى السلطان وإلا ردها. وأضيف إليه أمر صفد وغزة وكان مغرمًا بالصيد، بحيث يركب له فى السنة ثلاث مرات، آخرها تعدية الفرات فى الشتاء، فإذا ضرب الحلقة تشتمل على ثلاثمائة غزال ونيف، وعلى مائتى رأس من بقر ونعام، وغير ذلك.

وعمر قلعة جعبر بعد خرابها من عهد غازان، وشحنها بالرجال والسلاح والغلال والذخائر.

وعدى الفرات مرارًا، فاتفق أنه عدى مرة، فحمل إليه الشيخ حسن الكبير وابن سونتاى الهدايا الجليلة، وخافه أهل بغداد والموصل، فجلا كثير منهم، وخافته الأكراد والتركمان والعربان بأجمعهم.

وكانت أولاد دمرداش فى أعمال توريز، فإذا بلغهم مسيره رحلوا خوفًا منه، حتى يبلغهم عوده إلى دمشق.

فلما كانت آخر أيامه صادر جماعة كثيرة من كتاب السر وغيرهم، ومن الضمان والعرفاء. واتخذ الأملاك، وأخذ عدة أوقاف من أولاد الملوك، حتى كانت غلة أملاكه كل سنة مائة ألف درهم. وسخر الفلاحين، وقطع الزكاة. وأخرق بكثير من الأمراء، وأخرج منهم جماعة عن دمشق، وبالغ فى العقوبة، وساء خلقه كثيرًا.وكانت مدة نيابته ثمانيا وعشرين سنة وأشهرًا.

وفيه طلب شهاب الدين أحمد بن فضل الله، وخلع عليه بكتابة السر بدمشق، بعدما خلفه السلطان عوضًا عن شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن خالد بن محمد بن نصر بن القيسرانى. فقدم ابن فضل الله إلى دمشق، وقد كاد الأمير برسبغا الحاجب أن يقطع يد ابن القيسرانى بمرسوم السلطان، بعدما صادره، فقام فى ذلك ابن فضل الله حتى أفرج عنه.

وفيه طلب أيضًا شمس الدين موسى بن التاج إسحاق، وخلع عليه، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضًا عن فخر الدين محمد بن الحلى بعد موته.

وأخرجت له بغلة النشو التى كان يركبها، وجهز من الخزانة حتى سافر، فباشر الجيش بعفة زائدة، وأبطل ما كان يستهديه من قبله.

وفيه قبض على الأمير مكين الدين إبراهيم بن قروينة ناظر الجيش، وسلم للأمير برسبغا الحاجب، وطلب جمال الكفاة ناظر الخاص، وخلع عليه لنظر الجيش مع نظر الخاص، ولم يجمعهما أحد قبله، ثم أفرج عن ابن قروينة بعدما حمل مائة وثلاثين ألف درهم، بشفاعة الأمير بشتاك.

وفيه قبض على الصاحب أمين الدين أبى سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنام وسلم إلى الأمير برسبغا، ورسم له بعقوبته من أجل أنه اتهم بأنه كان من جهة تنكز فعاقبه برسبغا، وعاقب ولده تاج الدين أحمد ناظر الدولة، وأخاه كريم الدين أبا شاكر مستوفى الصحبة، وأخذ أموالهم، ثم خنق أمين الدين.

وفى يوم الجمعة حادى عشرى ربيع الآخر: مات الأمير آنوك ابن السلطان بعد مرض طويل، فدفن بالتربة الناصرية بين القصرين، وكان يومًا مهولا، نزل فى جنازته جميع الأمراء. وباعت أمه ثيابه وتصدقت بها على الفقراء، ورتبت القراء على قبره بجار لهم فى كل شهر من وقف وقفته على قبره، وأقامت سنة تعمل فى كل ليلة جمعة على قبره مجتمعًا يحضره القراء لقراءة ختمة كريمة، وتمد لهم الأسمطة الجليلة.

وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا بإقطاع آنوك.

وفى هذه السنة: كثر وقوع الحريق بالنواحى فى أجران الغلال بنواحى قليوب وسنديون وبلاد الغربية والبحيرة[1] ولم يعلم من أين هو. ثم وقع بالقاهرة فى أماكن منها ربع طقزدمر بدار التفاح، فاستعد الناس لذلك.

وفى أخريات جمادى الآخرة: هبت ريح شديدة من بحر الإسكندرية، فاقتلعت نخلا كثيرًا، وهدمت دورًا عديدة، ثم أعقبها مطر غزير هلك به أغنام كثيرة وعظم اضطراب النيل حتى غرق فيه أحد وعشرون مركبًا، وصار يقذف المركب إلى البر حتى يبعده نحو عشر قصبات عن الماء. وشمل ذلك جميع أراضى مصر قبليها وبحريها وأرض برقة.

وفيه نقل الأمير عز الدين أزدمر الكاشف من كشف الوجه البحرى إلى كشف الوجه القبلى.

وفيه نقل علاء الدين على بن الكورانى إلى ولاية الغربية.

وفيه ركب السلطان إلى جهة بركة الحبش، وصحبته عدة من المهندسين، وأمر أن يحفر خليج من البحر إلى حائط الرصد، ويحفر فى وسط الشرق المعروف بالرصد عشرة آبار ـ عمق كل بئر نحو أربعين ذراعا ـ يركب عليها السواقى حتى يجرى الماء من النيل إلى القناطر التى تحمل الماء إلى القلعة، ليكثر بها الماء.

---

(١) البحيرة: كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ٢/٣٥١.

وأقام السلطان الأمير آقبغا عبد الواحد على هذا العمل فشق الخليج من بحرى رباط الآثار، ومروا به وسط بستان الصاحب تاج الدين بن حنا المعروف بالمعشوق، وهدمت عدة بيوت كانت هناك، وجعل عمق الخليج أربع قصبات. وجمعت عدة من الحجارين للعمل فكان مهما عظيما.

وفيه قدم الشيخ أحمد بن موسى الزرعى، فركب الأمراء والقضاة للسلام عليه. ثم عاد الشيخ إلى الشام بعد أيام، ولم يجتمع بالسلطان.

وفيه تغير السلطان على ولده أحمد بسبب بينات عنده، وأخرجه منفيًا إلى صرخد[1] وباع خيله. فلم يزل به الأمراء حتى أمر برده، فرجع من سرياقوس.

وفيه كتب السلطان بطلب ابنه أبى بكر من الكرك، فقدم ومعه هدية بمائة ألف درهم، فتوجه الأمير طيبغا المجدى إلى الكرك، وأحضر طلب أبى بكر ومماليكه وخواصل الكرك كلها.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك، وتوجه إليها ومعه أحمد ابن السلطان، وأوصاه السلطان ألا يدع لأحمد حديثًا ولا حكما بين اثنين.

وفيه قدم البريد بأن الغلاء شديد ببلاد المشرق، وأنه ورد من أهله عالم عظيم إلى شط الفرات وبلاد حلب، فكتب إلى نائب حلب بتمكينهم من العبور إلى حيث شاءوا من البلاد وأوصاه السلطان بهم، فملأوا بلاد حلب وغيرها.

وقدم منهم إلى القاهرة صحبة قاصد نائب حلب نحو المائتى نفر، فاختار السلطان منهم طائفة نحو ثمانين شخصًا، جعل بعضهم فى الطباق، وأسكن منهم عدة القلعة، وأمر منهم جماعة وفرق فى الأمراء منهم جماعة.

وفيها جدد السلطان جامع راشدة، وقد تهدم أكثر جدرانه.

وفيها ابتاع الأمير قوصون من الأمير مسعود بن خطير قصر الزمرد بخط رحبة باب العيد من القاهرة، وكان سعته نحو عشرة فدادين، وشرع قوصون فى عمارته سبع قاعات، لكل قاعة إصطبل.

وفيها قدم الخبر بخروج ابن دلغادر عن الطاعة.

---

(١) صرخد: بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب إليها الخمر. انظر: معجم البلدان ٤٠١/٣.

وفيها استقر ركن الدين بيبرس السلاح دار - أحد أمراء الألوف بدمشق — فى نيابة أياس، عوضًا عن مغلطاى الغزى بعد موته.

وفيها شنعت القالة بسوء سيرة الطائفة الأقباعية بخانكاه بيبرس، فرسم السلطان بنفيهم ونفى شيخهم، فأخرجوا منها بأجمعهم. واستقر فى المشيخة بها الشيخ شيرين.

وفيه خرج الأمير بشتاك إلى البلاد الشامية ليتصيد، وقد كتب إلى النواب بملاقاته وتعبية الإقامات له.

وفيها توجه بكلمش الماردينى على البريد بهدية لصاحب ماردين فيها عشرة آلاف دينار، وعشرة رءوس من الخيل ومائتا قطعة قماش، وأربعة فهود.

وفيها قدم الخبر باختلال حال البريد، من كثرة ركوب التجار والعرب البريد، فرسم ألا يركب البريد إلا من يأذن له السلطان فى ركوبه، ويكون معه ورقة بتمكينه من ذلك، وأن يفتش بقطيا كل من ورد، فمن وجد معه ورقة وكتب لغير السلطان أخذت منه وحملت إلى السلطان.

وفيها ركب أمير أحمد الساقى قريب السلطان البريد إلى بلاد الشرق لمهمات سلطانية: منها طلب رهائن طغاى بن سونتاى والشيخ حسن بك الكبير، وكانا قد سألا أن يجهز السلطان عسكرا ليسلماه بلاد الشرق، فأجيبا إلى ذلك على أن يبعثا بأولادهما رهنًا على العسكر، فجهز ابن سونتاى ولده برهشين، وجهز الشيخ حسن ابن أخيه إبراهيم شاه إلى حلب.

وفيه استقر الأمير بهاء الدين أصلم فى نيابة صفد، عوضا عن آقسنقر السلارى، ونقل آقسنقر إلى نيابة غزة، عوضا عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى دمشق، وأنعم عليه بإقطاع بيبرس السلاح دار المستقر فى نيابة أياس.

وفيه أنعم على الأمير أبى بكر ابن السلطان بإقطاع الأمير أصلم، ورسم للأمير بشتاك أن يتولى أمره، فاستخدم له الوافدية من حلب وغيرهم، حتى أكمل عدته. وعمل السلطان الأمير ألطنقش مملوك الأفرم أستاداره، وزوجه بابنة الأمير ملكتمر الساقى التى كانت تحت أخيه آنوك، وبنى عليها.

وفيه رسم بطلب أجناد الحلقة من الأعمال، فلما تكامل حضورهم تقدم السلطان إلى الأمير برسبغا بعرضهم، فكتبت أوراق بعبرة كل خبز. ثم جلس السلطان بالإيوان، وعرض عليه جماعة كبيرة من المشايخ ومن المحارفين، فقطع الجميع وكتب بإقطاعاتهم

مثالات المماليك السلطانية أرباب الجوامك. وعرض برسبغا بقية الأجناد بالقلعة وفتش عن ثيابهم التى هى عليهم، وقد كتبت أوراق بأرباب المرتبات الذين على مدينة بلبيس[١] وبساتينها وحوانيتها، وأوراق بمتحصل المعادى[٢] ببولاق، وأوراق بجهات النطرون، وأوراق بأسماء الأجناد المقطعين على الحكورة. فرسم السلطان أن يوفر الجميع، وأن يؤخذ من الجند المقطعة على الحكر أخبارهم، وينعم بها على الأمير ألطنبغا الماردينى، ليكون وقفا على جامعه خارج باب زويلة، وعلى الأمير بشتاك ليكون وقفا على جامعه المطل على بركة الفيل.

فلما تم عرض الأجناد قطع السلطان منهم الزمنى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات، وفرق إقطاعاتهم على المماليك السلطانية، وأخرج بعضها للوافدية الذين يفدون من البلاد، فكانت مدة العرض شهرين، أولها مستهل رمضان وآخرها سلخ شوال.

وكتب إلى الأعمال بحمل ما توفر عن الأجناد من الإقطاعات لبيت المال.

وفيه كتبت أوراق بأسماء المجردين إلى بلاد الشرق: وهم الأمير برسبغا الحاجب والأمير كوكاى السلاح دار، والأمير طوغاى الجاشنكير، والأمير قمارى أمير شكار، ومعهم جماعة كثيرة، ورسم أن يكون خرجهم إلى توريز فى نصف ذى الحجة. فاشتد ذلك على الناس، وكثر الدعاء على السلطان بسبب قطع أرزاق الجند.

وفيه كتب بتجهيز عساكر دمشق وحلب وغيرهما للتجريدة إلى توريز، صحبة الأمير طشتمر نائب حلب، ويكون معه عامة أمراء التركمان والعربان.

فتجهز الأمراء والأجناد بمماليك الشام، وبرز نائب حلب بمخيمه إلى ظاهر المدينة وأقام ينتظر قدوم عساكر مصر. فأصبح السلطان فى مستهل ذى الحجة وبه وعك من قرف حدث عنه إسهال لزم منه الفراش خمسة أيام، فتصدق بمال جزيل، وأفرج عن المسجونين بسجن القضاة والولاة بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال.

وفى يوم الأربعاء سادسه: قدم برهشين بن طغاى بن سونتاى وإبراهيم شاه ابن أخى الشيخ حسن الكبير، فى مائتى فارس، فأنزلوا بالميدان، وأجريت لهم الرواتب السنية.

---

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٢) المعادى: المقصود بلفظ المعادى هنا المراكب التى كانت تستخدم لتعدية الناس عبر النيل وكان لها مواضع معينة لضبط رسوم التعدية.

ثم أحضروا بين يدى السلطان فى يوم الجمعة ثامنه وفيهم قاضى بغداد وقاضى الموصل وقاضى ديار بكر، فقدموا كتاب طغاى وكتاب الشيخ حسن الكبير، ونسخة أيمانهما وأيمان عامة أهل بلادهم من الأمراء والأجناد وأرباب المعايش بطاعة السلطان، وأنهم من جنده ومقاتلة من عاداه، وقدموا الخطبة التى خطب بها للسلطان فى بغداد والموصل وديار بكر.

فقرئ ذلك كله على السلطان، فعرفهم السلطان أنه رسم بتجهيز العسكر إليهم، وبعد عشرة أيام يستقل بالسفر نحو بلادهم ثم خلع السلطان على الجميع، ورسم لنقيب الجيش باستعجال الأمراء والأجناد فى الحركة للسفر، فشرعوا فى تجهيز أمرهم. وكانت الأحوال متوقفة لقلة وجود الدراهم ورد الباعة من التجار والمتعيشين الذهب لغلو صرفه، فشق ذلك على الناس مشقة زائدة.

وفيه قوى الإسهال بالسلطان، ومنع الأمراء من الدخول إليه، فكانوا إذا طلعوا إلى الخدمة خرج لهم السلام من أمير جندار عن السلطان فانصرفوا.

وكثر الكلام إلى يوم الإثنين ثانى عشره، فخف عن السلطان الإسهال فجلس للخدمة وطلع للأمراء، ووجهه متغير.

فلما انقضت الخدمة نودى بزينة القاهرة ومصر، وجمعت أرباب الملاهى بالقلعة وجمع الخبز الذى بالأسواق، وعمل ألف قميص، وتصدق السلطان بذلك مع جملة مال.

وقام الأمراء بعمل الولائم والأفراح سرورًا بعافية السلطان، وعمل الأمير ملكتمر الحجازى نفطًا كثيرًا فى سوق الخيل تحت القلعة، والسلطان قاعد لنظره، فاجتمع الناس من كل جهة لرؤيته.

وقدمت عربان الشرقية بخيولها وقبابها المحمولة على الجمال، ولعبوا بالرماح تحت القلعة. وخرجت الركابة والكلابزية وطائفة العتالين والحجارين إلى سوق الخيل للعب، ثم داروا على بيوت الأمراء وأخذوا الخلع هم والطبلكية فحصل لهم شىء كثير جدًا، بحيث جاء نصيب مهتار الطبلخاناه ما قيمته ثمانون ألف درهم، وحصل لأرباب الملاهى ما لا ينحصر.

وفيه رسم بعرض الجند المجردين فى غد، فطلعوا إلى القلعة. وبينا هم فى انتظار العرض إذ قدم إدريس القاصد صحبة مملوك صاحب ماردين بكتابه يتضمن أن أولاد دمرداش لما بلغهم طلب الشيخ حسن الكبير وطغاى بن سونتاى من السلطان أن يجهز

لهم عسكرًا ليأخذ البلاد، وأنهما حلفا له وحلفا أهل البلاد وخطبا باسمه على منابر بغداد والموصل، ركبوا إلى محاربتهما، فطلب منهم الشيخ حسن الكبير الصلح، وحلف لهم وسار إليها طائعًا، فأكرموه وكتبوا لطغاى بن سونتاى أمانا، واتفقوا على أن يعدوا الفرات إلى الشام. وأشار صاحب ماردين ألا تخرج التجريدة إلى توريز، فإنه ليس لسيرها فائدة. فتفرقت الأجناد من القلعة بغير عرض، وبعث السلطان من ليلته بجواب صاحب ماردين، واقتضى رأيه أن يكشف عما ذكره، فإن برهشين بن طغاى اتهمه في ذلك.

فلما كان نصف ليلة: العيد هبت ريح عاصفة ألقت الزينة، ثم أمطرت مطرًا عظيما أتلف كثيرًا من الزينة.

وكانت عامة ببلاد الشرقية[١] والغربية والمنوفية[٢]، ونزل بتلك الأعمال برد كبار قتل من الغنم والدجاج كثيرًا، وتلفت غلال كثيرة كانت بالأجران، فإنه كان في شهر بشنس.

وأصبح يوم الأحد: يوم العيد، وقد اجتمع الأمر لخروج السلطان إلى صلاة العيد، وقد قوى به الإسهال وأجمع رأيه على ألا يشهد صلاة العيد، فمازال به الأمير قوصون والأمير بشتاك حتى ركب ونزل إلى الميدان. وأمر السلطان قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة أن يوجز في خطبته، فما هو إلا أن صلى السلطان وجلس لسماع الخطبة تحرك باطنه، فقام وركب إلى القصر، وأقام يومه. ثم قدم البريد من حلب بصحة الخبر بصلح الشيخ حسن الكبير وطغاى مع أولاد دمرداش، فانزعج السلطان لذلك انزعاجًا شديدًا، واضطرب مزاجه، فحدث له إسهال دموى.

وأصبح يوم الإثنين: وقد منع الناس من الاجتماع به ثم أشاع الأمير قوصون والأمير بشتاك أن السلطان قد أعفى الأجناد من التجريدة إلى توريز، ونودى بذلك في يوم الخميس رابع عشره، ففرح الناس فرحًا زائدًا، إلا أنه انتشر بين الناس أن السلطان انتكس، فساءهم ذلك. وأخذ الأمراء في إنزال حرمهم وأموالهم من القلعة حيث سكنهم إلى القاهرة، فارتجت المدينة وماجت بأهلها.

واستعد الأمراء لاسيما قوصون وبشتاك، فإن كلا منهم احترز من الآخر وجمع عليه أصحابه، وأكثروا من شراء الأزيار والدنان وملأوها ماء، وأخرجوا القرب والروايا والأحواض، وحملوا إليهم البشماط والرقاق والدقيق والقمح والشعير، خوفًا من وقوع

---

(١) الشرقية: نسبة إلى الشرق: كورة من كور مصر.

(٢) منوفية: من قرى مصر القديمة لها ذكر في فتوح مصر. انظر: معجم البلدان ٥/٢١٦.

الحرب ومحاصرة القلعة. فكان يومًا مهولا، ركب فيه الأوجاقية وهجموا الطواحين لأخذ الدقيق، ونهبوا الحوانيت التى تحت القلعة وسوق صليبة جامع ابن طولون. فارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهما إلى ثلاثين درهما، وغلق التجار وأرباب المعايش حوانيتهم خوفًا من وقوع الفتنة.

هذا وقد تنكر ما بين قوصون وبشتاك، واختلفا حتى كادا يقتتلان. وبلغ ذلك السلطان فزاده مرضًا على مرضه، وكثر تأوهه وتقلبه من جنب إلى آخر، وتهوس بذكر قوصون وبشتاك نهاره. ثم استدعى السلطان بهما، فتنافسا بين يديه فى الكلام فأغمى عليه، وقاما من عنده على ما هما عليه.

فاجتمع فى يوم الإثنين ثامن عشره الأمير جنكلى والأمير آل ملك والجاولى والأحمدى وأكابر الأمراء للمشورة فيما يدبرونه، حتى اجتمعوا على أن بعث كل منهم مملوكا إلى قوصون وبشتاك ليأخذا لهم الإذن على العبور على السلطان، فأخذوا لهم الإذن. فلما أخذ الأمراء مجالسهم قال الأمير الجاولى وآل ملك للسلطان كلاما حاصله أن يعهد أن أحد أولاده، فأجاب إلى ذلك، وطلب ولده أبا بكر، وطلب قوصون وبشتاك، وأصلح بينهما. ثم جعل السلطان ابنه أبا بكر سلطانًا بعده، وأوصاه بالأمراء، وأوصى الأمراء به، وعهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك وحذرهم من إقامته سلطانًا، وجعل قوصون وبشتاك وصييه، وإليهما تدبير ابنه أبى بكر وحلفهما.

ثم حلف السلطان الأمراء والخاصكية، وأكد على ولده فى الوصية بالأمراء، وأفرج عن الأمراء المسجونين بالشام، وهم طيبغا حاجى وألجيبغا العادلى وصاروجا، ثم قام الأمراء. فبات السلطان ليلة الثلاثاء، وأصبح وقد تخلت عنه قوته، وأخذ فى النزع يوم الأربعاء، فاشتد عليه كرب الموت حتى مات أول ليلة الخميس حادى عشريه، وله من العمر سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام. وأمه أشلون بنت سكناى بن قراجين بن جيغان، وقدم سكناى هو وأخوه قرمشى بن قراجين فى سنة خمس وسبعين وستمائة، صحبة سنجر الرومى فى أيام الظاهر بيبرس، فتزوج الأمير قلاوون بابنة سكناى، فى سنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها. زوجه إياها عمها قرمشى، فولدت الناصر محمدا على فراش الملك المنصور قلاوون[١] فى الساعة السابعة من يوم السبت

---

(١) قلاوون الألفى العلائى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، قبجاقى الأصل، وأعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر: النجوم الزاهرة ٢٩٢:٧ وفوات الوفيات ١٣٣:٢ والأعلام ٢٠٣/٥.

سادس عشر المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة. وأقيم الناصر فى السلطنة بعد أخيه الملك الأشرف خليل[(١)] سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وعمره تسع سنين ثم خلع فى سادس عشر المحرم سنة أربع وتسعين، وجرى له ما تقدم ذكره إلى أن حضر من الكرك، وأعيد إلى الملك ثانيا. فأقام فى الملك إلى سنة ثمان وسبعمائة، وخرج يريد الحج، فتوجه إلى الكرك غيظا من حجر سلار وبيبرس عليه. فقام بيبرس فى السلطنة ثم اضطربت أموره، وقدم الناصر من الشام إلى مصر، فملك مرة ثالثة فى شوال سنة تسع وسبعمائة واستبد الناصر من حينئذ بالأمر من غير معارض مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما، كانت له فيها سير وأنباء كما تقدم. وكان الناصر أطول ملوك زمانه عمرا وأعظمهم مهابة: فإنه أول ما بدأ به بعد قدومه من الكرك القبض على الأمراء البرجية وغيرهم فى يوم واحد، وعدتهم زيادة على ثلاثين أميرًا.

وأوقع مهابته فى القلوب بالقتل وأخذ الأموال، فمنهم من قتله جوعا وعطشا، ومنهم من أتلفه بالخنق، ومنهم من غرقه، ومنهم من نفاه، ومنهم من سجنه فأقام مسجونا العشرين سنة فما دونها. وأكثر الناصر من جلب المماليك والجوارى، وطلب التجار إليه وبذل لهم المال، ووصف لهم حلى المماليك والجوارى وسيرهم إلى بلاد أزبك وتوريز والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد. فكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له فيها أغلى القيم، وأنعم على تلك المماليك فى يومهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم. ولم تكن هذه عادة من تقدمه من الملوك، فإنهم كانوا إذا قدم لهم المملوك عرفوا جنسه، ثم أسلموه إلى الطواشى المقدم فيضيفه إلى جنسه من المماليك، ويرتبه عند الفقيه فيربيه بالآداب والحشمة والحرمة، ويمرنه فى الرمى بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وأنواع الفروسية، وتكون كسوته من الثياب القطن البعلبكى، ومن الثياب الكتان الخام المتوسط. ثم يدرج المملوك فى الجامكية من ثلاثة دنانير إلى خمسة إلى سبعة إلى عشرة دنانير، فإذا التحق بالرحال أقيم ذلك الوقت فى وظيفة من الوظائف اللائقة به، فيقوم بها على ما ينبغى من الأدب الذى تأدب به فى صغره، ثم يترقى المملوك، فإذا وصل إلى منزلة كبيرة ورتبة عالية عرف مقدارها، وما كان فيه من الشقاء وما صار إليه من النعيم فأعرض الملك الناصر عن هذا وكان يسفه

---

(١) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشافعية وقاتل الإفرنج وقتله بعض المماليك غيلة بمصر انظر: فوات الوفيات ١:١٥١ والنجوم الزاهرة ٨:٣ والأعلام ٢/٣٢١.

رأى المملوك فيه، ويقول إذا عرض له بشىء من ذلك وبقى يبلغ المملوك قصده من أستاذه أو أستاذه منه إذا فعل معه هذا، بل إذا رأى المملوك سعادة تملأ عينه وقلبه نسى بلاده، ورغب فى أستاذه.

فأكثر التجار من جلب المماليك إليه، فطار فى البلاد فعل السلطان معهم، فأعطى المغل أولادهم وبناتهم وأقاربهم للتجار، وباعوهم منهم رغبة فى سعادة مصر، فبلغ ثمن المملوك على التاجر ما بين عشرين ألف درهم إلى ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألف درهم، ففسد بذلك حال المغل فيما بينهم وقدموا إلى مصر. فكان السلطان يدفع فى المملوك للتاجر المائة ألف درهم فما دونها، واقتدى به الأمراء فى ذلك، حتى إن بعض أمرائه كان له مملوك حظى كان له فى كل يوم ثمانون عليقة وكان لأمير آخر مملوك حظى له فى كل يوم أربعون عليقة. وكان فى الأمراء من يبلغ خاصة فى كل سنة زيادة على مائتى ألف دينار، مثل بكتمر وقوصون وبشتاك، ومن عداهم يزيد خاصه على مائة ألف دينار فى السنة، ومنهم من ينقص عن ذلك.

وشغف السلطان الناصر أيضا بالخيل، فجلبت له من البلاد، لاسيما خيول العرب آل منها وآل فضل، فإنه كان يقدمها على غيرها، ولهذا كان السلطان يكرم العرب ويبذل لهم الرغائب فى خيولهم، ويتغالى فى أثمانها.

وكان إذا سمع العربان بفرس عند بدوى أخذوها منه بأغلى القيم، وأخذوا من السلطان مثلى ما دفعوه فيها. وكان له فى كل طائفة من طوائف العرب عين يدله على من عنده منهم الفرس السابق أو الأصيل حتى يأخذها بأكثر مما فى نفس صاحبها من الثمن. فتمكنت منه بذلك العربان، ونالوا المنزلة العلية، وحظوا بأنواع السعادات فى أيامه. وكان يكره خيول برقة[1] فلا يأخذ منها إلا ما بلغ الغاية فى الجودة، وما عدا ذلك منها إذا حملت إليه فرقه بخلاف خيول العرب آل مهنا وآل فضل، فإنه كان لا يسمح بها إلا للخاصكية.

وكانت له معرفة بالخيل وأنسابها وذكر من أحضرها ومبلغ ثمنها، بحيث يفوق فيها من عداه. وكان إذا استدعى بفرس يقول لأمير آخور: «هات الفرس الفلانية التى أحضرها فلان واشتريناها بكذا وكذا». ولما اشتهرت رغبته فيها بين العرب جلبت له

---

(١) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهى مرج فسيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين. انظر: معجم البلدان ٣٨٨/٢، ٣٨٩، والروض المعطار ٩١، والاستبصار ١٤٣، والإدريسى ٩٨/٣١، والبكرى ٤.

من بلاد العراق ومن البحرين والحسا والقطيف وبلاد الحجاز، وتقرب بها إليه عامة طوائف العرب، وجلبوها له. وكان إذا جاءه شىء منها عرضه، ودفع فى الفرس العشرة آلاف والعشرين ألف والثلاثين ألف درهم، سوى الإنعام على مالكها، وكان صاحب الفرس إذا اشتد عليه زاده حتى يرضيه، فإذا أخذ ثمن فرسه وأراد السفر إلى بلاده أنعم عليه بتفاصيل ثياب تصلح له ولعياله، سوى السكر ونحوه. وطالما وزن كريم الدين الكبير فى أثمان خيول العربان التى جلبت للسلطان دفعة واحدة مبلغ ألف ألف درهم، ومبلغ خمسمائة ألف درهم، ودون ذلك.

وكانت خيول مهنا وأولاده فيها ما بلغ الفرس منها إلى ستين ألف وسبعين ألف درهم وفى حجورتهم ما بلغ ثمانين ألف وتسعين ألفا ومائة ألف درهم. وبلغ ثمن بنت الكرتا التى أحضرها محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا[١] للسلطان، سنة خمس عشرة وسبعمائة مائة ألف درهم وضيعة بثمانين ألف درهم. وأقطع السلطان الناصر عرب آل مهنا وآل فضل بسبب الخيل عدة ضياع بأراضى حماة وحلب، سوى أثمانها.

فكان أحدهم إذا أراد من السلطان شيئًا له قدم عليه فى معنى أنه جاء ليدله على فرس عند فلان يقال لها كذا، ويعظم أمرها عنده، فيكتب السلطان من فوره بطلب تلك الفرس، فيشتد صاحبها ويمتنع من قودها، ثم يقترح ما شاء من الضياع، ولايزال حتى يبلغ غرضه، وصار ذلك معروفا فيما بينهم. وكان السلطان الناصر أول من اتخذ من ملوك الأتراك ديوانا للإصطبل، عمل له ناظر وشهودا وكتابا لضبط أسماء الخيل وشياتها وأوقات ورودها وأسماء أربابها ومبلغ ثمنها ومعرفة سواسها، وغير ذلك من أحوالها. وكان لايزال يتفقد الخيول، فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به مع أحد الأوجاقية إلى الجشار[٢] بعد ما يحمل عليها حصانا يختاره، ويأمر بضبط تاريخ نزوه،

---

(١) مهنا (الثانى) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى حسام الدين من آل فضل ويلقب سلطان العرب: أمير بادية الشام وصاحب «تدمر» وآل فضل من طىء. كانت إمارته بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ ثم حبسه الأشرف سنة ٦٩٢هـ إلى أن أفرج عنه العادل كتبغا سنة ٦٩٤هـ فرجع إلى إمارته ثم عزله الناصر سنة ٧١٢هـ وولى أخيه فضل مكانه ثم أعيد إلى إمارته سنة ٧١٧. مات بالقرب من سلمية وقد أناف على الثمانين. انظر: ابن خلدون ٤٣٨/٥ وصبح الأعشى ٢٠٦/٤ والدرر الكامنة ٣٦٨/٤-٣٧٠ والبداية والنهاية ١٧٢/١٤ والأعلام ٣١٦/٧، ٣١٧.

(٢) الجشر: بقل الربيع، وجشروا الخيل وجشروها: أرسلوها فى الجشر، والجشر: أن يخرجوا بخيلهم فيرعوها أمام بيوتهم، وأصبحوا جشرًا. وجشرًا إذا كانوا يبيتون مكانهم لا يرجعون إلى أهليهم، والجشار: صاحب الجشر، وفى الحديث عن عثمان، رضى الله عنه، أنه قال: «لا يغرنكم جشركم من صلاتكم فإنما يقصر الصلاة من كان شاخصًا أو يحضره عدو»، قال أبو عبيد: الجشر القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى ويبيتون مكانهم، ولا يأوون إلى البيوت، وربما رأوه سفرًا فقصروا الصلاة،=

فتوالدت عنده خيول كثيرة حتى أغنته عن جلب ما سواها، ومع ذلك فإنه كان يرغب في الفرس الذى يجلب إليه أكثر مما توالد عنده. فعزت العرب من آل مهنا وآل فضل وآل مرا فى أيامه، وكثرت سعادتها واتسعت أحوالها بالأموال والضياع، وحملتهم الدالة حتى طلبوا من السلطان الناصر بلاد أمراء حلب وحماة ودمشق، فأنعم بها عليهم، وعوض الأمراء عنها، حتى صاروا من القوة والكثرة بحيث يخافهم من عداهم من سائر العرب. وشمل الغنى عامتهم، فكانوا إذا رحلوا إلى مشاتيهم أو مصائفهم تكون أموالهم من الذهب والفضة ملء رقاب الجمال، إلى غير ذلك من الإبل والغنم والخيل التى لا تدخل تحت حصر. ولبسوا فى أيامه الحرير الأطلس المعدنى بالطرز الزركشى والشاشات المرقومة بالطرز، ولبسوا القرضيات بالطرز الزركشى والداير الباولى والإسكندرى المطرز بالذهب وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصع، وعمل لهن الشنابر المشهرة بأكر الذهب، والأساور المرصعة بالجوهر واللؤلؤ، وبعث لهن القماش السكندرى والشرب والشمع، وعمل لهن البراقع المزركشة والمسك وأنواع الطيب.

وذلك بعدما كان لبس أمرائهم إلى آخر الأيام المنصورية قلاوون الطراطير الحمر من تحت العمائم الشامية من القطن، وكانت خلعهم إما مسمط أو كنجى.

وأول من لبس منهم طرد وحش مهنا بن عيسى فى أيام المنصور لاجين لمودة بينهما، فأنكر الأمراء ذلك، فاعتذر لهم لاجين بتقدم صحبته له وأياديه عنده، وأنه أراد أن يكافئه على ذلك. وقدم مهنا وأخوه فى أيام تحكم بيبرس وسلار فى الدولة، فسألا أن يقطعا ضيعة من بلاد حلب، وينزلا عما بأيديهما عوضًا عنها، فغضب الأمين سلار من ذلك، وقال: «يا عرب وصلتم إلى أن تأخذوا ضياع القلاع والأجناد وتعملوها لكم إقطاعًا»، ونهرهما، فخرجا من عنده على حالة غير مرضية. ولما عدى الظاهر بيبرس الفرات، وكسر المغل، وكان معه مهنا بن مانع بن حذيفة[1] فى ألفين من عربه وكانوا يقفون على مخائص الفرات، ويتقدمون بين يدى العسكر خوفا من غرقهم.

=فنهاهم عن ذلك؛ لأن المقام فى المرعى وإن طال فليس بسفر، وفى حديث ابن مسعود: «يا معشر الجشار لا تغتروا بصلاتكم»، الجشار جمع حاشر. انظر لسان العرب ٦٢٦، الجشار مرج الخيل، والجشر إفراج الدواب للرعى. انظر: القاموس المحيط.

(١) مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة (أو عصبة) بن فضل بن ربيعة، من طىء من قحطان: رأس آل مهنا آل فضل أمراء البادية وفى نسبه اختلاف يسير. تولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٣٠هـ وحضر مع المظفر لقتال هولاكو ملك التتار سنة ٦٥٨هـ فكافأ قطز بانتزاع مدينة سلمية من الملك المنصور محمد بن محمود صاحب حماة، وتسلمها إليه إقطاعًا. انظر: صبح الأعشى ٤:٢٠٥،٢٠٦ الضوء اللامع ١٤٦:٥، والأعلام ٣١٧/٧.

فلما قدم السلطان الظاهر بيبرس إلى حلب سأل مانع أبو مهنا[١] الأمير قلاوون أن يكون لابنه مهنا أرض على سبيل الرزقة، ويقوم عليها أربعة أفراس وعشرة جمال. فلما تحدث قلاوون فى ذلك مع السلطان بيبرس لم يجبه بشىء حتى حضر مانع فى الخدمة مع الأمراء، فقال له: «ويلك يا بدوى نحس وصلت أن تطلب زيادة على إقطاع ولدت، وتبرطل السلطان على ملكه، والله لئن سمعت عنكم شيئًا من هذا لأخرجنكم من البلاد خروجًا نحسًا» وأكثر من هذا وشبهه، فما زال به قلاوون والأمراء حتى سكن غيظه. فخالف السلطان الناصر سيرة من تقدمه من الملوك فى أمر العرب حتى قال له صفرة بن سليمان بن مهنا: «لقد أفسدت علينا نسواننا»، يريد لكثرة ما غمرهن السلطان بالمال. وأرسل له مرة بن مهنا مع قاصده يقول له: «خف الله فى المسلمين وبيت المال، فإنك تفرقه على العرب ونسائهم وصغارهم. فكيف يحل لك هذا؟ ومتى سمعت عن بدوية أنها تلبس غير الثوب من القطن والبرقع المصبوغ وفى يدها سوار من حديد؟ وإن شمت طيبًا فمن زاد بهذا لها؟ فوالله لقد أفسدت حال العرب وحال نسائهم وأطمعتهم فى شىء لم يكونوا يطمعون فيه قبلك». ونحو ذلك من العتب.

ومات السلطان الناصر وفى الجشارات ثلاثة آلاف فرس، يعرض فى كل سنة عليه فيدمغها ويسلمها للركابين من العربان لرياضتها، ثم ينعم بأكثرها على الأمراء والخاصكية، ويفرح بذلك، ويقول: «هذه فلانة بنت فلانة أو فلان ابن فلانة، عمرها كذا وشراء أمها كذا، وشراء أبيها كذا» وكان يتقدم إلى الأمراء أن يضمروا الخيول، ويرتب على كل أمير من أمراء الألوف أربعة أرؤس فى كل سنة يضمرها، ويسير للأمير أيدغمش أمير آخور أن يضمر خيلا من غير أن يعلم الأمراء أنها للسلطان بل يشيع أنها له، ويرسلها للسباق مع خيل الأمراء فى كل سنة.

وكان عند الأمير قطلوبغا الفخرى حصان أدهم سبق خيل مصر كلها ثلاث سنين متوالية. وكان السلطان يرسل إلى مهنا وأولاده أن يحضروا بالخيل السبق عندهم للسباق ثم يركب إلى ميدان القبق ظاهر القاهرة فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر، ويرسل الخيل وعدتها دائما ما ينيف على مائة وخمسين فرسا، إلى أن بعث، مهنا مع ولديه سليمان[٢]

---

(١) مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة من بنى حراح من طىء: أمير عربان البادية بين الشام والعراق، ولى مانع أمرهم فى أيام الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكتب له «تقليد شريف» بذلك على العادة الجارية فى تولية أمثاله واستمر إلى أن توفى. انظر: صبح الأعشى ٤:٢٠٦ وهو فيه: مانع. وكل ما بين أيدينا من تراجم أبنائه وأحفاده بالنون والأعلام ٥/٢٦٨.

(٢) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة ويلقب علم الدين: أمير عرب=

وموسى[1] حجرة شهباء على أنها إن سبقت كانت للسلطان، وإن سُبقت ردت عليه، بشرط ألا يركبها للسباق إلا بدويها الذى قادها.

فلما ركب السلطان والأمراء، ووقفوا على العادة ومعهم أولاد مهنا بالميدان، وأرسلت الخيل من البركة كما جرت به العادة، ركب البدوى حجرة مهنا الشهباء عريا بغير سرج، وقد لبس قميصا ولاطية فوق رأسه. فأقبلت الخيل تتبع بعضها بعضا، وهى قدام الجميع وبعدها على قرب منها حصان لأيدغمش يعرف بهلال. فلما وقف البدوى بالشهباء بين يدى السلطان صاح بصوت ملأُ الخافقين: «السعادة لك اليوم يا مهنا، لا شقيت» وألقى نفسه إلى الأرض من شدة التعب، ثم قدم الحجرة للسلطان.

فكان هذا دأب السلطان الناصر فى كل سنة. وترك السلطان الناصر أيضًا بالإسطبلات أربعة آلاف فرس وثمانمائة فرس، ما بين حجورة ومهارة وفحولة وأكاديش، وترك من الهجن الأصائل والنياق خمسة آلاف ونيف، سوى أتباعها. وكان يحب الصيد، فلم يدع أرضًا تعرف بصيد الطير إلا وأقام بها صيادين مقيمين فى البرية أوان الصيد.

وجلب طيور الجوارح من الصقورة والشواهين والسناقر والبزاة، حتى كثرت السناقر فى أيامه، فصار كل أمير عنده منها عشرة سناقر وأقل وأكثر. وجعل لها بازدارية جوندارية[2]، وأقطع عدة منهم الإقطاعات، وأجرى لهم الرواتب من اللحم والعليق والكساوى وغير ذلك.

وترك بعد موته مائة وعشرين سنقرًا لخاصه، ولم يعهد مثل هذا لملك قبله بمصر، بل كان فى الأيام المنصورية سنقر واحد، فإذا ركب السلطان فى الموكب كان بازداره أيضًا راكبا والسنقر على يده.

=آل فضل، فى بادية حمص والفرات كان معروفًا بالنجدة مواليا لسلاطين مصر والشام قبل أن يلى الإمارة لجأ إلى قراسنقر نائب الشام سنة ٧١١هـ خائفًا من السلطان الناصر فرحل معه إلى ملك التتر فى ماردين وأقام إلى سنة ٧٣٢هـ وعاد فنزل الرحبة ثم ركب إلى مصر فأقبل عليه الناصر وولاه إمرة العرب بدلاً من أخيه موسى أو بعد وفاة موسى سنة ٧٤٢هـ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر: الدرر الكامنة ١٦٣:٢ والنجوم الزاهرة ١٠٣:١٠ وابن خلدون ٤٣٩:٥ والأعلام ١٣٥/٣.

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل أمراء بادية الشام ـ يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر: ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

(٢) على هامش ط: الجوندارية طائفة المكلفين بخدمة طيور الصيد من الكراكى والبلشونات وحملها إلى موضع تعليم الطيور الجوارح ومفرد هذا اللفظ جوندار وأصله حيوان دار.

ولما توجه الأمير حسام الدين طرنطاى لحصار سنقر الأشقر بصهيون سأل أن يكون هذا السنقر فى طلبه، ليتجمل به من غير أن يتصيد به ولا يرميه على صيد.

وترك من الصقورة والشواهين ونحوها ما لا ينحصر، وترك ثمانين جوقة كلاب الصيد بكلابزيتها، وكان قد اتخذ لها موضعًا بالجبل.

وعنى السلطان الناصر أيضًا بجمع الأغنام، وأقام لها خولة وكان يبعث فى كل سنة الأمير آقبغا عبد الواحد فى عدة من المماليك السلطانية ليكشف المراحات من قوص إلى الجزيرة، ويأخذ منها ما يتخيره من الأغنام، وكان يجرد أيضًا إلى عيذاب وبلاد النوبة لجلب الأغنام. وعمل السلطان لها حوشًا بقلعة الجبل، وأقام لها خولة نصارى من الأسرى.

وعنى أيضًا بالإوز، وأقام لها عدة من الخدم والجوارى، وجعل لها جايرا بحوش الغنم. فبلغت عدة الأغنام التى تركها بعد موته نحو الثلاثين ألف رأس، سوى أتباعها. فاقتدى به الأمراء وصارت لهم أغنام عظيمة جدًا فى عامة أرض مصر قبليها وبحريها.

وكان السلطان الناصر كثير العناية بأرباب وظائفه وحواشيه من الأمير آخورية والأوجاقية، وغلمان الإصطبل والبزدارية، والفراشين والخولة والطباخين. فكان إذا جاء أوان تفرقة الخيول على الأمراء بعث إلى الأمير بما جرت به عادته مع أمير آخور وأوجاقى وسايس وركبدار، وترقب عودتهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم، فإن شح الأمير عليهم فى عطائه تنكر له وبكته بين الأمراء ووبخه.

وقرر أن يكون أمير آخور الكبير بينهم بقسمين، ومن عداه بقسم واحد. وكان أيضًا إذا بعث إلى أحد من الأمراء طيرا مع أمير شكار أو أحد من البزدارية يحتاج الأمير أن يلبسه خلعة كامله بحياصة ذهب وكفلتاه زركش، فيعود بها ويقبل الأرض بين يدى السلطان، فيستدنيه ويفتش خلعته.

وكانت عادته أن يبعث يوم النحر أغنام الضحايا إلى الأمراء مع الأبقار والنوق، فبعث مرة صحبة بعض الخولة النصارى إلى الأمير بيبغا حارس الطير ثلاثة كباش، فأعطاه بيبغا عشرة دراهم فلوسًا، فعاد الخولى إلى السلطان فقال له: «وأين خلعتك» فطرح الفلوس بين يديه وعرفه بها، فغضب وأمر بعض الخدام أن يسير بالخولى إلى بيبغا، ويقول له: «قال لك السلطان: لا فتح الله عليك برزق. ويلك أما كان عندك قباء ترميه على غلامى؟. وخله يلبسه طرد وحش». فلما بلغه الخادم ذلك ندم وأخذ يعتذر، وألبس الخولى قباء طرد وحش.

وكانت حرمته ومهابتـه قـد تجاوزت الحـد، حتـى إن الأمـراء إذا وقفـوا بالخدمـة لا يجسر أحد منهم أن يتحدث مع رفيقه بكلمة واحدة، ولا يلتفت نحوه، خوفا من مراقبـة السلطان لهم.

وكان لا يجسر أن يجتمع مع خشداشه فى نزهة ولا غيرها، من رمى النشاب ونحـوه، فإذا بلغه اجتماع أحد مع آخر أسر ذلك فى نفسه، وأمسكه أو نفاه.

وخرب السلطان الناصر عدة مرار مرامى النشاب، ومنع المماليك من الرمى، وأغلق حوانيت البندقانيين وصناع قسى النشاب وقسى البندق، ونادى مـن عمـل قـوس بنـدق شنق. وخرب مرة دكاكينهم، من أجل أن مملوكا رمى بالبندق فوقعـت فـى عـين امـرأة قلعتها. ولقى غازان عهلى فرسخ من حمـص، ثـم كـانت لـه وقعـة شـقحب المشـهورة. ودخل بعساكره بلاد سيس، وقرر على أهلها الخراج أربعمائة ألف درهم فى السنة كما كان، بعد امتناعهم من حمله. وغزا ملطية[١] وأخذها، وغزا بلاد سيس[٢] بعسكر مصر ثلاث مرات ـ بعدما أمر التركمان بالغارة عليها ـ وخـرب بلادهمـا حتـى قـرر عليهـم الخراج ستمائة ألف درهم فى كل سنة، ومنعوا الخراج مرة، فبعث العسكر وأخذ مدينـة أياس، وخرب البرج الأطلس وسبعة حصون، وأقطع أراضيها للأمـراء والأجنـاد. وأخذ جزيرة أرواد من الفرنج، وغزا بلاد اليمن[٣] وبـلاد عانـة[٤] والحديثـة فـى طلـب مهنـا. وبعث العساكر فى طلب الشريف حميضة نحو الحسـا[٥] والقطيـف[٦] وجـرد إلى مكـة والمدينة العساكر لتمهيدها، ومنع أهلها من حمل السلاح بها.

وعمر قلعة جعبر بعد خرابها، وأجرى نهـر حلـب إلى المدينـة، وعمـر دمشـق. وولى

---

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم المشهورة، مذكورة تتاخم الشام وهـى للمسـلمين. انظـر: معجـم البلدان ١٩٢/٥.

(٢) بلاد سيس: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشـامية بـين أنطاكيـة وطرسـوس انظـر: معجـم البلدان ٢٩٧/٣.

(٣) اليمن: البلد المعروف الذى كان لسبأ فسمى يمنًا لأنه عن يمين الكعبة، كما سمى الشـام شـامًا لأنه عن شمال الكعبة، والحجاز حجازًا لأنه حاجز بينهما، وقيل سمى اليمن ليمنه والشام لشؤمه، وقيل سمى اليمن يمنًا بتيمن ابـن قحطـان. انظـر: معجـم البلـدان ٤٤٧/٥، ٤٤٨، والـروض المعطـار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ١٤٠١/٤.

(٤) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت تعد من فى أعمال الجزيرة. انظر: معجم البلدان ٧٢/٤.

(٥) الحسا: واد بأرض الشرعية من ديار عبس وغطفان. انظر: معجم البلدان ٢٥٨/٢.

(٦) القطيف: هى مدينة بالبحرين هى اليوم قصبتها وأعظم مدنها. انظر: معجم البلدان ٣٧٨/٤.

بلاد الروم نيابة لأرتنا، وخطب له بها وبماردين وبجبال الأكراد وحصن كيفا[١] وبغداد وغيرها من بلاد الشرق، وهو بكرسى ملك مصر. وأتته هدية ملوك المغرب والهند والصين[٢] والحبشة[٣] والتكرور[٤] والنوبة[٥] والترك والروم والفرنج.

وكان السلطان الناصر على غاية من الحشمة ورياسة النفس وسياسة الأمور، فلم يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش فى شدة غضبه ولا فى انبساطه وكان يدعو الأمراء وأرباب الولايات وأصحاب الأشغال بأحسن أسمائهم وأجل ألقابهم، وإذا غضب على أحد لا يذكر له ذلك. وكان يقتصد فى لباسه، فيلبس كثيرا البعلبكى والنصافى المتوسط، ويعمل حياصته فضة نحو مائة درهم بغير ذهب ولا جوهر، ويركب بالسرج المسقط بالفضة التى زنتها دون المائة درهم، وعباءة فرسه إما تدمرى أو شامى ليس فيها حرير.

وكان مفرط الذكاء، يعرف جميع مماليك أبيه وأولادهم بأسمائهم، ويعرف بهم الأمراء، وكذلك مماليكه لا يغيب عنه اسم أحد منهم ولا شغله عنده ولا مبلغ جامكيته.

وكان يعرف أيضا غلمانه وحاشيته على كثرة عددهم، ولا يفوته معرفة أحد من الكتاب، فإذا أرد أن يولى أحدا مكانا أو يرتبه فى وظيفة استدعى جميع الكتاب إلى بين يديه، واختار منهم واحد أو أكثر من غير أن يرجع فيهم إلى أحد، ثم يقيمه فيما يريد من الوظائف.

---

(١) حصن كيفا: ويقال كيبا، أظنها أرمينية: وهى بلدة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. انظر: معجم البلدان ٢/٢٦٥

(٢) الصين: بلاد فى مطلع الشمس، يقال إن فيها ثلاثمائة مدينة ونيفًا عامرة كلها سوى القرى والرساتيق، ومن خرج إليها قطع سبعة أبحر، لكل منها لون وريح ليس فى غيره، أول بحورهم بحر فارس. انظر: معجم البلدان ٣/٤٤٠:٤٤٨، والروض المعطار ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣) الحبشة: بالتحريك والشين معجمة، درب الحبش: بالبصرة فى خطة هذيل نسبة إلى حبش. انظر: معجم البلدان ٢/٢١٣.

(٤) تكرور: مدينة فى بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة على النيل، وهى أكبر من مدينة سلى وأكثر تجارة، ومن مدينة سلى وتكرور إلى سجلماسة أربعون يومًا بسير القوافل وأقرب البلاد إليها من بلاد لمتونة الصحراء أزقى وبينهما خمس وعشرون مرحلة. انظر: معجم البلدان٢/٣٨، والروض المعطار ١٣٤، والإدريسى ٣/٤، والاستبصار ٢١٧، والبكرى ١٧٢، وصبح الأعشى ٥/٢٨٦.

(٥) النوبة: بضم أوله وسكون ثانيه وباء موحدة، والنوب جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى موضعها وهى بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر، أول بلادهم بعد أسوان. انظر: معجم البلدان ٥/٣٠٨،٣٠٩.

وكان فيه تؤدة، فإذا غضب على أحد من أمرائه أو كتابه أسر ذلك فى نفسه، وتروى فيه مدة طويلة، وهو ينتظر له ذنبا يأخذه به، كما وقع له فى أمر كريم الدين الكبير والأمير أرغون النائب والأمير طغيه وغيرهم، فإنه أقام عدة سنين يريد القبض عليهم وهو يتأنى ولا يعجل، إلى أن عثر لهم على ذنوب توجب له أخذهم بها، حتى لا ينسب إلى ظلم ولا حيف، فإنه كان يعظم عليه أن يذكر عنه أنه ظالم أو جائر أو فيه حيف أو وقع فى أيامه خراب أو خلل، ويحرص على حسن القالة فيه وذكره بالجميل.

وكان يستبد بأمور مملكته، ويتفرد بالأحكام، حتى إنه أبطل نيابة السلطنة ليشتغل بأعباء الدولة وحده. وكان يكره أن يقتدى بمن تقدمه من الملوك، ولا يحتمل أن يذكر عنده ملك. وكان يكره شرب الخمر ويعاقب عليه، ويبعد من يشربه من الأمراء عنه.

وبلغ السلطان الناصر من الكرم والجود والأفضال وسعة العطاء غاية تخرج عن الحد، فوهب فى يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهبًا، ولم يزل مستمر العطاء لخاصكيته ما بين عشرة آلاف دينار ونحوها.

وسئل النشو: «هل أطلق السلطان يومًا ألف ألف درهم؟»، قال: «نعم كثيرًا». وأنعم فى يوم على بشتاك بألف ألف درهم فى ثمن قرية، وأنعم على موسى بن مهنا بألف ألف درهم فى ثمن القريتين. واشترى من الرقيق - فى مدة أولها شعبان سنة اثنين وثلاثين إلى سنة سبع وثلاثين - بأربعمائة ألف دينار وسبعين ألف دينار.

وكان ينعم على تنكز فى كل سنة يتوجه إليه بما يزيد على ألف ألف درهم، وأنعم يومًا على قوصون بزردخاناه بكتمر الساقى، وقيمة ما فيها ستمائة ألف دينار، أخذ السلطان من الجميع سرجًا واحدًا وسيفًا واحدًا.

ولما تزوج قوصون بابنته حمل إليه الأمراء شيئًا كثيرًا، ثم بعد ذلك زوج ابنته الأخرى بطغاى تمر وقال: «ما نعمل له عرسًا، لأن الأمراء يقولون هذه مصاردة بحسن عبارة»، ونظر إلى طغاى تمر فرآه وقد تغير. فقال للقاضى تاج الدين إسحاق ناظر الخاص: «يا قاضى اعمل لى ورقة بمكارمة الأمراء فى عرس قوصون»، فعمل ورقة وأحضرها، فقال: «كم الجملة؟»، فقال: «خمسون ألف دينار»، فقال: «أعط نظيرها من الخزانة لطغاى تمر»، وهذا سوى ما دخل مع الزوجة من الجهاز.

وجرى يومًا عند السلطان ذكر عشرين ألف دينار، فقال يلبغا اليحياوى: «يا خوند أنا والله عمرى ما رأيت عشرين ألف دينار»، فلما راح من عنده طلب النشو وقال له: «احمل الساعة إلى يلبغا عشرين ألف دينار، وجهزها مع الخازندارية، وجهز خمسة

تشاريف أحمر أطلس بكلفات زركش وطرز زركش وحوائص ذهب ليخلع ذلك عليهم».

وكان راتب مطبخه، ورواتب الأمراء والكتاب الذين هم على مطبخه، فى كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل لحم. وكانت نفقات العمائر الراتب لها فى كل يوم ألفا درهم، سوى ما يطرأ.

وبالغ السلطان الناصر أخيرًا فى مشترى المماليك: فاشترى صرغتمش بخمسة وثمانين ألف درهم، سوى تشريف أستاذه، وغير ما كتب له من المسامحة، وأما العشرة والعشرين والثلاثين فكثير. وغلا الجواهر واللؤلؤ فى أيامه. وبذل فى أثمان الخيل ما لم يسمع بمثله. وجمع من المال والجواهر واللؤلؤ ما لم يجمعه ملك من ملوك الترك قبله.

وعرفت رغبته فى الجواهر، فحلبها إليها التجار من الأقطار، وشغف بالسرارى، فحاز منهن كل بديعة الجمال. وجَهَّز إحدى عشرة ابنة له بالجهاز العظيم، فكان أقلهن جهازا بثمانمائة ألف دينار: منها قيمة بشخاناه وداير بيت وما يتعلق به بمائة ألف دينار، وبقية ذلك ما بين جواهر ولآلئ وأوانى ونحو ذلك. ثم إنه زوجهن من مماليكه: مثل الأمير قوصون، والأمير بشتاك، والأمير ألطنبغا المارديني، والأمير طغاى تمر، والأمير عمر بن النائب وغيرهم، وجهز سراريه وجواريه ومن يحسن بخاطره من النساء كل واحدة بنحو ذلك وبأكثر منه. واستجد النساء فى أيامه المقنعة والطرحة بنحو عشرة آلاف دينار، وبما دون ذلك إلى خمسة آلاف درهم، والفرجيات بمثل ذلك. واستجد أيضًا فى أيامه للنساء الخلاخيل الذهب، والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة، والقباقيب الذهب المرصعة بالجواهر، والأوطية[1] المرصعة، والأزر الحرير، فكانت قيمة إزار المرأة من آحاد النساء ألف درهم، عنها نحو الخمسين دينارا مصرية.

وكان السلطان الناصر يحمل إلى ملوك الشرق من المال ما لا ينحصر، وبذلك كان ينال مقاصده منهم ويبلغ أغراضه فيهم، فإنه كان يعم نواب الملك والخواتين بما يبهرهم به من المصاغ والجواهر والقماش الإسكندرى المناسب لهم.

واتفق أنه جهز مرة لأبى سعيد بن خربندا صحبة الأمير أيتمش المحمدى هدية عظيمة جدا، فقال له الفخر ناظر الجيش: «قد أغنى الله السلطان عن هؤلاء - فإنهم فى طاعته - عن أن يبعث لهم بهذا المال». فقال له: «اسكت يا قاضى فخر الدين والله لو علمت الذى أعلمه ما قلت هذا. اعلم يا قاضى أن المال الذى أسيره إليه ما يجىء قدر ثمن

---

(١) الأوطية والأوطئة جمع وطاء، وهو الحذاء.

الروايا وكلف السقايين الذين يذهبون معى فى البيكار، وأكون قد وفرت نفسى وعسكرى».

ولم يعهد فى أيام ملك قبله ما عهد فى أيامه من مسالمة الأيام له، وعدم حركة الأعداء برا وبحرًا وخضوع جميع الملوك له ومهاداتهم إياه وكان يصل إلى قتل من يريد قتله بالفداوية، لكثرة بذله لهم الأموال.

وكان يحب العمارة، فلم يزل من حين قدم من الكرك إلى أن مات مستمر العمارة، فجاء تقدير مصروفه كل يوم مدة هذه السنين ثمانية آلاف درهم. وكان ينفق على العمارة المائة ألف درهم، فإذا رأى فيها ما لا يعجبه هدمها كلها وجددها على ما يختار.

ولم يكن من قبله من الملوك فى الإنفاق على العمارة كذلك، بل أراد المنصور قلاوون مرة أن يبنى مصطبة عليها رفرف يقيه حر الشمس ليجلس عليها، فكتب له الشجاعى على تقدير مصروفها أربعة آلاف درهم، فتناول الورقة من يد الشجاعى ومزقها وقال: «أقعد فى مقعد بأربعة آلاف انصبوا لى صيوانًا إذا نزلت، ولا أخرج من بيت المال لمثل هذا شيئًا». وكذلك كان الظاهر بيبرس ومن قبله لا يستهون بالمال، وإنما يدخرونه صيانة وخوفا، ولم يعرف لأحد منهم أنه أنعم بألف دينار جملة واحدة.

وراك السلطان الناصر أرض مصر والشام، وأبطل عدة مظالم من المكوس والضمانات: مثل ساحل الغلة، وكان عليه ستمائة جندى، ما منهم إلا من له فى كل سنة ما بين ثمانية آلاف درهم إلى ستة آلاف درهم، سوى ما عليه للأمراء، ومثل الحقوق التى كانت على الأسربة إذا كسحت، وعليها أيضًا عدة أجناد مرتب لهم فى كل سنة جملة لكل منهم، ومثل جهات ابن البطونى، وكان هذا الرجل يأخذ على رد العبيد والجوارى الآبقين ضريبة، ويقيم من تحت يده رجالا على الطرقات لرد الهاربين، ويقوم للديوان فى كل سنة بمال. وأبطل السلطان غير ذلك من المكوس، كما تقدم عند عمل الروك.

وكان السلطان الناصر متسع الحال: بلغ راتبه من اللحم فى كل يوم لمطبخه ومرتب مماليكه ستة وثلاثين ألف رطل لحم.

واستجد فى أيامه عمائر كثيرة: منها حفر خليج الإسكندرية من بحر فوة فى مدة أربعين يومًا، عمل فيه فوق المائة ألف رجل من أهل النواحى، فاستجد عليه عدة سواقى، وبساتين فى أراضى كانت سباخا، فصارت مزارع قصب السكر والسمسم،

وعمرت هناك الناصرية، ونقل إليها مقداد بن شماس بأولاده وعدتهم مائة ولد ذكر، واستمر الماء طول السنة بخليج الإسكندرية. وأنشأ الميدان تحت القلعة، وأجرى له المياه، وغرس فيه النخل والأشجار، ولعب فيه بالكرة فى كل يوم ثلاثاء مع الأمراء والخاصكية، وعمر فوقه القصر الأبلق. وأخرب البرج الذى عمره أخوه الأشرف خليل على الإصطبل، وجعل فوقه رفرفا، وترك أصله من أسفله، وعمر بجانبه برجا نقل إليه المماليك. وغير باب النحاس بالقلعة، ووسع دهليزه. وعمر فى الساحة قدام الإيوان طباقا للأمراء والخاصكية، وغير الإيوان مرتين، وفى المرة الثالثة أقره على ما هو عليه الآن، وحمل إليه العمد الكبار من بلاد الصعيد، فجاء من أعظم المبانى الملوكية. وعمر بالقلعة دورًا للأمراء الذين زوجهم بناته، وأجرى إليها المياه، وعمل بها الحمامات، وزاد فى باب القلة من القلعة بابًا ثانيًا. وعمر حارة مختص، وعمر الجامع بالقلعة والقاعات السبع التى تشرف على الميدان وباب القرافة لأجل سكنى سراريه. وعمر المطبخ، وجعل عمائره كلها بالحجارة خوفا من الحريق. وعزم أن يغير باب القلعة المعروف بالمدرج، ويعمل له دركاه، فمات قبل ذلك. وعمل فى القلعة حوش الغنم وحوش البقر وحوش المعزى وحاير الأوز، وغير ذلك، فأوسع فيها نحو خمسين فدانًا.

وعمر الخانكاه بناحية سرياقوس ورتب بها مائة صوفى لكل منهم الخبز واللحم والطعام والحلوى وسائر ما يحتاج إليه. وعمر القصور بالقرب منها، وعمل لها بستانا حمل إليها الأشجار من دمشق وغيرها، فصار به عامة فواكه الشام. وحفر الخليج الناصرى خارج القاهرة حتى أوصله إلى سرياقوس، فَعُمِّر على هذا الخليج عدة قناطر: منها قنطرة بِفَمِهِ عند الميدان أنشأها الفخر ناظر الجيش، وقنطرة قدادار والى القاهرة، وغير ذلك، فصار بجانبى الخليج عدة بساتين، وعَمِرت به أرض الطبالة بعد خرابها من أيام العادل كتبغا. وعمرت فى أيام السلطان الناصر جزيرة الفيل وناحية بولاق بعدما كانت رمالا ترمى بها المماليك النشاب، وتلعب الأمراء فيها بالكرة، فصارت كلها دورا وقصورًا وجوامع وأسواق وبساتين.

وبلغت البساتين بجزيرة الفيل زيادة على مائة وخمسين بستانًا، بعدما كانت نحو العشرين بستانًا. واتصلت العمارة على ساحل النيل من منية الشيرج إلى جامع الخطيرى، إلى حكر ابن الأثير وزريبة قوصون، إلى منشأة الكتبة ومنشأة المهرانى، إلى بركة الحبش، حتى كان الإنسان يتعجب لذلك، فإنه كان يعهد هذا كله تلال رمل وحلفاء، فصار لا يرى فيه قدر ذراع إلا وفيه بناء.

وعُمّرت فى أيامه أيضًا القطعة التى فيما بين قبة الإمام الشافعى إلى باب القرافة،

بعدما كانت فضاء لسباق خيل الأمراء والأجناد والخدّام، فتحصل به اجتماعات جليلة للتفرج عليهم، إلى أن أنشأ السلطان تربة الأمير بيبغا التركمانى.

فعُمّر ذلك كله تُربًا وخوانك، حتى صارت العمائر متصلة من باب القرافة إلى بركة الحبش، لا يوجد بها قدر ذراع بغير عمارة، وتنافس الأمراء فى ذلك حتى بلغوا فى عمارته مبلغًا عظيما إلى الغاية. وعمَّر فى أيامه أيضًا الصحراء التى فيما بين القلعة وخارج باب المحروق إلى قبة النصر وكان هناك ميدان القبق من عهد الظاهر بيبرس، برسم ركوب السلطان وعمل الموكب به، وبرسم سباق الخيل.

وأول من عَمَّر فيه الأمراء قراسنقر تُربة، وعمل لها حوض ماء للسبيل يعلو مسجد، ثم اقتدى به الأمراء والأجناد وغيرهم حتى امتلأ الميدان من كثيرة العمائر.

وعمر السلطان لمماليكه عدة قصور : منها قصر الأمير طقتمر الدمشقى بحدرة البقر، وبلغ مصروفه ثمانمائة ألف درهم، فلما مات طقتمر أنعم به السلطان على الأمير طشتمر حمص أخضر، فزاد فيه.

ومنها قصر الأمير بكتمر الساقى على بركة الفيل، فعمل أساسه أربعين ذراعًا، وارتفاعه عن الأساس مثلها، فزاد مصروفه على ألف ألف درهم. ومنها الكبش حيث كانت عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب[1] فعمله السلطان سبع قاعات برسم نزول بناته وسراريه فيها للتفرّج على ركوب السلطان إلى الميدان الكبير، ولم ينحصر ما أنفق فيها لكثرته. ومنها إصطبل الأمير قوصون بسوق الخيل تحت القلعة، حيث كان إصطبل الأمير سنجر البشمقدار، وإصطبل سنقر الطويل. ومنها قصر بهادر الجوبانى، بجوار زاوية البرهان الصائغ بالجسر الأعظم تجاه الكبش. ومنها قصر قطلوبغا الفخرى، وقصر ألطنبغا الماردينى وقصر يلبغا اليحياوى ـ وهو أجلّ ما عمره من القصور، انصرف على أساسه خاصة عن ثمن جير وحجر وأجرة مائة وثلاثين ألف درهم، وعمل نزوله فى الأرض ثلاثين ذراعا، واحتيج فيه إلى زنة عشرة آلاف درهم لازورد لدهان سقوفه، ثمنها مائة ألف درهم.

وعمر الأمراء فى أيام السلطان الناصر عدة دور: منها دار الأمير أيدغمش أمير

---

(١) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبين بمصر ولد ونشأ بالقاهرة. وولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٤٧هـ. وفى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط سنة ٦٤٧هـ واحتلوها وأصاب البلاد ضيق شديد وكان الصالح غائبًا فى دمشق فقدم ونزل أيام الفرنج وهو مريض بالسل فمات بناحية المنصورة ونقل إلى القاهرة. انظر: خطط المقريزى ٢٣٦:٢ وابن إياس ٣/١ والأعلام ٣٨/٢.

آخور، ودار آقبغا، ودار طقزدمر، ودار بشتاك على النيل - وهى تشتمل على ربع كبير فوق زربية بجوار جامع طيبرس -، وقصر بشتاك بالقاهرة، وقد ذَكَرتُ هذه القصور والدور فى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمطار ذكرًا مستوعبًا لأخبارها.

وكانت للسلطان عناية كبيرة ببلاد الجيزة، وعَمِل على كل بلد بها جسرًا أو قنطرة وكانت أكثر بلادها تشرق لعلوها، فعمل جسر أم دينار فى ارتفاع اثنتى عشرة قصبة، أقام العمل فيه مدة شهرين، فحبس الماء حتى رويت تلك الأراضى كلها، وعم النفع بها. وقوى بسبب هذا الجسر الماء حتى حفر بحرًا يتصل بالجيزة وخرج فى أراضيها عدة مواضع زرعت بعدما كانت شاسعة، أخذ منها قوصون وبشتاك وغيرهما عدة أراضى عمروها ووقفوها، واستجد السلطان على بقيتها ثلاثمائة جندى.

واستجدت فى أيامه عدة أراضى بنواحى الشرقية وفوة وشباس، أقطعت لعدة أجناد وعمل أيضًا جسر شيبين، فزاد بسببه خراج الشرقية. وعمل جسرًا خارج القاهرة حتى رد النيل على منية الشيرج وغيرها، وعمرت بسببه بساتين جزيرة الفيل، وكثر عددها.

وأحكم السلطان عامة أرض مصر قبليها وبحريها بالترع والجسور، حتى أتقن أمرها، وكان يركب إليها برسم الصيد فى كل قليل، ويتفقد أحوالها، وينظر فى جسورها وتراعها وقناطرها بنفسه، بحيث أنه لم يدع فى أيامه موضعًا منها حتى عمل فيه ما يحتاج إليه. وكان له سعد فى جميع أعماله، فكان يقترح المنافع من قبله بعد أن كان يزهده فيما يأمر به حذاق المهندسين، ويقول بعضهم: «يا خوند الذين جاءوا من قبلنا لو علموا أن هذا يصح لفعلوه»، فلا يلتفت إلى قولهم، ويفعل ما بدا له من مصالح البلاد، فتأتيه أغراضه على ما يحب ويختار، فزاد فى أيامه خراج مصر زيادة هائلة فى سائر الأقاليم.

وكان إذا سمع بشراقى بلد أو قرية من القرى أهمه ذلك، وسأل المقطع بها عن أحوال القرية المذكورة غير مرة، بل كلما وقع بصره عليه، ولا يزال يفحص عن ذلك حتى يتوصل إلى ريها بكل ما تصل قدرته إليه. كل ذلك وصاحبها لا يسأله فى شىء من أمرها، فيكلمه بعض الأمراء فى ذلك فيقول: «هذه قريتى، وأنا الملزوم بها والمسئول عنها»، فكان هذا دأبه، وكان يفرح إذا سأله بعض الأجناد فى عمل مصلحة بلده بسبب عمل جسر أو تقاوى أو غير ذلك، وينبل ذلك الرجل فى عينه، ويفعل له ما طلبه من غير توقف ولا ملل فى إخراج المال، فإن كلمه أحد فى ذلك فيقول: «فلم نجمع المال فى بيت المسلمين إلا لهذا المعنى وغيره؟» فهذه كانت عوائده.

وكذلك فعل بالبلاد الشامية، حتى إن مدينة غزة هو الذى مصرها وجعلها على هذه

الهيئة، وكانت قبل كآحاد قرى البلاد الشامية، وجعل لها نائبًا، وسمى بملك الأمراء، ولم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة، ومثلها فكثير من قرى الشام وحلب والساحل[١] يطول الشرح فى ذكر ذلك.

وأنشأ السلطان الناصر الميدان الكبير على النيل وخرب ميدان اللوق الذى أنشأه الظاهر بيبرس، وعمله بستانا حملت إليه الأشجار من دمشق وغيرها، فكانت فواكه تحمل إلى الشراب خاناه السلطانية. ثم أنعم به على الأمير قوصون، فبنى تجاهه على الزريبة المعروفة بزريبة قوصون، ووقفهما. واقتدى به الأمراء فى العمارة، فأخذ قوصون بستان بهادر رأس نوبة - ومساحته خمسة عشر فدانا - وحكره للناس، فبنوه دورًا، وعرف بحكر قوصون.

وحكر السلطان حول البركة الناصرية أراضى البستان، فعمره الناس وسكنوا فيه. وحكر الأمير طقزدمر بجوار الخليج بستانا مساحته ثلاثون فدانًا، وبنى له قنطرة عرفت به وعمل هناك حماما وحوانيت، فصار حكرًا عظيما للمساكين. وحكر الأمير آقبغا عبد الواحد بستانا بجوار بركة الفيل، فعمر عمارة كثيرة بعدما كان مقطع طريق، فصار قدر مدينة كبيرة، وأخذ بقية الأمراء جميع ما كان من البساتين والجنينات ظاهر القاهرة وحكروها. وحكرت الدادة حدق - وهى المعروفة باسم ست مسكة القهرمانة - حكرين عرفا بها، فجاءا من أحسن الأحكار، وأنشأت لكل واحد منهما جامعًا تقام به الجمعة. فأنافت الأحكار التى استجدت فى أيامه على ستين حكرا، حتى لم يوجد موضع بحكر، واتصلت العمارات من خارج القاهرة إلى جامع ابن طولون والمشاهد، وقد ذكرنا أيضًا هذه الأحكار فى كتاب المواعظ والاعتبار ذكرًا شافيًا.

وفى أيامه عمر الأمير قوصون بالقاهرة وكالة حيث كانت دار تعويل البوغانى. وعمر الأمير طشتمر حمص أخضر ربعًا بجوار حدرة البقر، وهو الذى عمر قيسارية الحريريين بجوار الوراقين من القاهرة.

وعمر الأمير بكتمر الساقى بمدينة مصر ربعين وحوانيت على النيل ودار وكالة ومطابخ سكر. وعمر الأمير طقزدمر دار التفاح خارج باب زويلة، والربع الذى فوقه.

وتجددت عدة جوامع فى أيامه أنافت على ثلاثين جامعًا: منها الجامع الناصرى بقلعة الجبل جدده السلطان الناصر وأوسعه، والجامع الجديد الناصرى ظاهر من على

---

(١) الساحل: بعد الألف حاء مهملة، وآخره لام، بلفظ ساحل البحر وهو شاطئه: موضع من أرض العرب بعينه. انظر: معجم البلدان ٣/١٧٠.

النيل، وجامع المشهد النفيسى، وجامع الأمير كراى المنصورى بآخر الحسينية، وجامع الأمير طيبرس نقيب الجيش على النيل بجوار خانكاته، ـ وهو الذى عمر أيضًا مدرسة بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى بالقرب من باب البحر وجامع الفخر ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق وجزيرة الفيل، وهو الذى عمر جامعا آخر خلف خص الكيالة ببولاق، وجامعًا ثالثًا بالروضة، وجامع كريم الدين خلف الميدان، وجامع شرف الدين الجاكى بسويقة الريش، وجامع أمير حسين بالحكر، ـ وقد بنى له قنطرة على الخليج ـ وجامع الأمير قيدان الرومى بقناطر الوز، وجامع دولت شاه مملوك العلائى بكوم الريش، وجامع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بطرف الحسينية، وجامع ناصر الدين الحرانى الشرابيشى بالقرافة، وجامع الأمير آقسنقر شاد العمائر قريبًا من الميدان، وجامعًا خارج باب القرافة عمره جماعة من العجم، وجامع النوبة بباب البرقية ـ عمره مغلطاى أخو الأمير ألماس، وجامع بنت الملك الظاهر بيبرس بالجزيرة المستجدة وعمر ما حوله أملاكا كثيرة ـ، وجامع الأمير ألماس بالقرب من حوض ابن هنس، وجامع الأمير قوصون خارج القاهرة، وجامعه خارج باب القرافة، وجامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى على النيل ببولاق، وجامع أخى صاروجا بشون القصب، وجامع الحاج آل ملك بالحسينية، وجامع الأمير بشتاك على بركة الفيل تجاه خانكاته، وجامع ست حدق فيما بين قنطرة السد وقناطر السباع، وجامع ست مسكة قريبًا من قنطرة آقسنقر، وجامع الأمير ألطنبغا الماردينى خارج باب زويلة، وجامع مظفر الدين بن الفلك بسويقة الجميزة من الحسينية وجامع جوهر السحرتى قريبًا من باب الشعرية، وجامع فتح الدين محمد بن عبد الظاهر بالقرافة.

واستجد بدمشق فى أيام السلطان الناصر أيضًا جامع كريم الدين وجامع شمس الدين غبريال، وجامع الأفرم، وجامع تنكز، وجامع يلبغا.

وجددت الخطب فى أيامه بعدة مواضع: فجدد نائب الكرك خطبة بالمدرسة الصالحية، وجدد طقزدمر خطبة بالمعزية بمصر. وتجددت خطبة بزاوية فخر الدين بن جوشن خارج باب النصر، وجدد نجم الدين أبو بكر بن غازى دلال المماليك خطبة بمسجد فيما بين باب البحر وبولاق، وجددت خطبة بجامع محمود بالقرافة بعدما كان تربة. وآخر ما عمره السلطان السواقى بالرصد، فمات ولم يكمل عملها، إلا أنه فى آخر أيامه أقام النشو، فأفرط فى الظلم.

وشغف السلطان الناصر أيضًا بحب الجوارى، فكتب إلى أعمال مصر ببيع الجوارى

المولدات وحملهن إليه، وأخذهن حتى من المغنيات، فزادت عدتهن عنده على ألف ومائتى وصيفة. وكان يكره مماليك أبيه وأخيه، ومازال بهم حتى فنوا فى أيامه. وكان لا يمكن مماليكه بالاجتماع بالفقهاء، وتعنت على أجناد الحلقة وعرضهم وقطع منهم جماعة، فمات عقيب ذلك. ورسم بعد موته بغلق حوانيت بين القصرين، وطردت الناس بأجمعهم من هناك. وحمل فى محفة، وأخرج من القلعة، ومروا به من وراء السور إلى باب النصر، ومعه من الأمراء بشتاك وملكتمر الحجازى وأيدغمش وعدة من الخاصكية.

ثم شقوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصورية، وقدامه بعض الحراس تضىء عليه بمسرجة زيت حار، ثم لحقه فانوس فشيعه إلى المدرسة المنصورية. وحمل إلى القبة بها وغسل وحنط، وكفن من المارستان، وقد اجتمع الفقهاء والقراء، ثم دفن على أبيه.

وترك السلطان الناصر[١] من الأولاد محمدًا وإبراهيم، وعليا، وأحمد[٢] وأبا بكر[٣]

---

(١) من كبار ملوك الدولة القلاوونية. كانت إقامته فى طفولته بدمشق وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبى وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ فقام فى القلعة كالمحجور عليه. واستمر حكمه ٣٢ سنة وشهرين و٢٥يوما كانت له فيها سير وأنباء أوردها المقريزى فى مجلد ضخم. وتوفى بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢: ٢٦٣ والدرر الكامنة ٤: ١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨: ٤١، ١٥٥ ثم ٩: ٣ والأعلام ٧/ ١١.

(٢) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين الملك الناصر ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بالقاهرة وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية فاستمر فيها أيام أبيه وأخويه أبى بكر والأشرف كجك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢هـ بعد خلع الأشرف فانتقل إلى القاهرة وتلقب بلقب أبيه الناصر. وخلع فى أوائل سنة ٧٤٣هـ وولى أخاه إسماعيل (الصالح) وأرسل جماعة من أمراء الجيش لمحاصرة أحمد فى الكرك فقاتل وقوتل إلى أن أمسكه الأمير منجك اليوسفى فذبحه وأحضر رأسه فى علبة إلى القاهرة. ومدة حكمه بمصر ٧٢ يومًا. انظر: ابن إياس ١: ١٧٩و١٨٢ والدرر الكامنة ١: ٢٩٤ والنجوم الزاهرة ١٠: ٥٠ والبداية والنهاية ١٤: ١٩٣و٢٠٢ و٢٠٧و٢١٣، والأعلام١: ٢٢٣.

(٣) أبو بكر بن محمد بن قلاوون سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة فتولاها بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١هـ فخلع الخليفة الواثق إبراهيم وأقام الحاكم بأمر الله أحمد بن سليمان وجعل الأمير قوصون أتابكًا للعساكر ثم تغير عليه وأرسله إلى السجن فى قوص وأوعز إلى متولى قوص بقتله فقتله وأرسل إليه رأسه. ومدة سلطنته ثلاثة أشهر. انظر: البداية والنهاية ١٤: ١٩٠و١٩١ والنجوم الزاهرة ١٠: ٣٠ والأعلام ٢/ ٦٩.

وكجك[١] ويوسف، وشعبان[٢] ورمضان، وإسماعيل[٣] وحاجى[٤] وحسينا، وحسنًا[٥] وصالحا، وسبع بنات، فولى السلطنة من أولاده ثمانية: وهم أبو بكر، وكجك، وأحمد، وإسماعيل، وشعبان، وحاجى، وصالح[٦] وحسن.

وكانت نوابه بديار مصر كتبغا[٧] وسلار، وبيبرس[٨] الدوادار، وبكتمر الجوكندار

---

(١) كجك بن محمد بن قلاوون، علاء الدين الملك الأشرف ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام نصبه الأتابكى «قوصون» بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر سنة ٧٤٢هـ وكان الأشرف طفلا فأجلسه قوصون على السرير بمصر وتصرف هو فى أمور المملكة. فاضطربت أحوالها فثار الأمير أيدغمش وخلع الأشرف واعتقله فى دور الحرم فلبث بضع سنين ومات ومدة سلطنته خمسة أشهر وأيام. انظر: الدرر الكامنة ٣:٢٦٥ والنجوم الزاهرة ١٠:٢١و١٢٢ والبداية والنهاية ١٤:١٩٢و١٩٤ والأعلام ٥/٢٢٠.

(٢) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ وقام بأمور الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلبغا قاتل عمه الناصر، خالع ابن عمه محمد المنصور بن حاجى فى أيامه سنة ٧٦٧هـ. انظر: الدرر الكامنة ٢/١٩٠ والبداية والنهاية ١٤/٣٠٢،٣٢٤ والأعلام ٣/١٦٤.

(٣) إسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء، علاء الدين الملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد (أول سنة ٧٣٤هـ) إلى أن توفى عن نحو عشرين سنة بالقاهرة. انظر: البداية والنهاية ١٤:٢٠٢-٢١٦ والنجوم الزاهرة ١٠/٧٨ والدرر الكامنة ١/٣٨٠ والأعلام ١/٣٢٤.

(٤) من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى بالقاهرة بعد مقتل أخيه الكامل «شعبان» سنة ٧٤٧هـ. ومدة سلطنته سنة وأربعة أشهر وسمى بالحاجى لأنه ولد فى طريق عودة أبيه من الحج. انظر: الدرر الكامنة ٢:٣ والبداية والنهاية ١٤:٢١٩ والنجوم الزاهرة ١٠:١٤٨-١٧٤ والأعلام ٢/١٥٣.

(٥) الناصر بن محمد الناصر بن قلاوون أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام وبويع بمصر، صغيرًا بعد مقتل أخيه حاجى المظفر سنة ٧٤٨هـ وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة سمى (حسنًا). انظر: البداية والنهاية ١٤/٢٢٤-٢٧٨و٢٧٩ والأعلام ٢/٢١٦.

(٦) صالح: الملك الصالح صلاح الدين بن محمد الملك الناصر بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بقلعة الجبل بالقاهرة وبويع بها بعد خلع أخيه حسن (سنة ٧٥٢هـ). مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف. انظر: البداية والنهاية ١٤/٢٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٥٤-٢٨٧ والدرر الكامنة ٢/٢٠٣، ٢٠٢ والأعلام ٣/١٩٥.

(٧) كتبغا بن عبد الله المنصورى، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام. أصله من سبى التتار من عسكر «هولاكو» أخذه الملك المنصور «قلاوون» فى وقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩هـ وجعله من مماليكه. وتسلطن كتبغا سنة ٦٩٤هـ وتلقب بالملك العادل=

وأرغون الدوادار، ولم يستتب بعد أرغون أحد.

وكانت وزراؤه سنجر الشجاعى، وتاج الدين محمد بن حنا، وفخر الدين عمر بن الخليلى، وسنقر الأعسر، وعز الدين أيبك البغدادى، ومحمد بن الشيخى، وأيبك الأشقر - وسمى المدبر -، وسعد الدين محمد بن عطايا، وضياء الدين أبو بكر بن عبد الله النشائى، وبدر الدين محمد بن التركمانى[(١)] وأمين الدين عبد الله بن الغنام، وبكتمر الحاجب، ومغلطاى الجمالى. ولم يستوزر بعد الجمالى أحدًا.

وكانت قضاته تقى الدين محمد بن دقيق العيد[(٢)] وبدر الدين محمد بن جماعة[(٣)] وجمال الدين سليمان الزرعى[(٤)] وجلال الدين محمد بن القزوينى[(٥)] وعز الدين عبد

=وانتقل إلى مملكة حماة سنة ٦٩٩هـ واستمر إلى أن توفى بها ثم نقلت جثته إلى دمشق. وكان شجاعًا دينًا. انظر: ابن إياس ١٣٣:١ والنجوم الزاهرة ٥٥:٨ والأعلام ٢١٩/٥.

(٨) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ثمانين عامًا وكان من مماليك المنصور قلاوون. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة - خ» ويقع فى «مجلدًا» و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية - خ» فى تاريخ السلاطين المماليك من سنة ٦٤٧هـ إلى ٧٢١هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٦٣:٩ والدرر الكامنة ٥٠٩:١ والأعلام ٨٠/٢.

(١) محمد بن عيسى، بدر الدين، ابن التركمانى: بانى «جامع المقياس» بمصر. كان وزيرًا بها، وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل ونقل أميرًا إلى الشام ومنها إلى «شد الدواوين» بطرابلس (سنة ٧٢٦هـ) ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر: البداية والنهاية ١٨١:١٤ والدرر الكامنة ١٣٢:٤ والأعلام ٣٢٣/٦

(٢) محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقى الدين القشيرى، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. أصل أبيه من منفلوط بمصر انتقل إلى قوص، وولد له ابنه فى ينبع فنشأ بقوص وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. له تصانيف منها إحكام الأحكام فى الحديث. انظر: الدرر الكامنة ٩١/٤ وفوات الوفيات ٢٤٤/٢ والأعلام ٢٨٩/٦.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد فى حماة وتوفى بمصر. له تصانيف منها «المنهل الروى فى الحديث النبوى». انظر: فوات الوفيات ١٧٤/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ والأعلام ٢٩٧/٥،٢٩٨.

(٤) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع : قاضى القضاة من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعات وتوفى بمصر. انظر: الدرر الكامنة ١٥٩/٢ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ والأعلام ١٣١/٣.

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق: قاض من أدباء الفقهاء أصله من قزوين ومولده بالموصل. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى=

العزيز بن جماعة(١).

وكان كتاب سره شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله، وعلاء الدين على بن الأثير، ومحيى الدين يحيى بن فضل الله، وعلاء الدين على بن فضل الله.

كان دواداريته عز الدين أيدمر، وأرغون، وأرسلان، وألجاى، ويوسف بن الأسعد، وبغا، وطاجار.

وكان نظار جيشه بهاء الدين عبد الله بن أحمد الحلى، والفخر محمد بن فضل الله القبطى، وقطب الدين موسى بن شيخ السلامية، وشمس الدين موسى بن التاج إسحاق، والمكين إبراهيم بن قروينة، وجمال الكفاة إبراهيم. تم ذلك.

السلطان الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون(٢)

جلس على تخت السلطنة بالإيوان من قلعة الجبل بعهد أبيه له صبيحة توفى والده، من يوم الخميس حادى عشرى ذى الحجة، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ولقبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور، وجلسوا حوله، واتفقوا على إقامة الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر الحموى - زوج أمه - نائب السلطنة بديار مصر، وأن يكون الأمير قوصون مدبر الدولة ورأس المشورة، ويشاركه فى الرأى الأمير بشتاك.

ورَسم بتجهيز التشاريف والخلع، وعين الأمير قطلو بغا الفخرى لتعزية نواب الشام بالسلطان الناصر محمد، والبشارة بسلطنة ابنه وتحليفهم. ويكون صحبته تقاليدهم، فتوجَّه من يومه.

=المعانى والبيان، و«الإيضاح فى شرح التلخيص». انظر: البداية والنهاية ١٤/١٨٥ والنجوم الزاهرة ٩/٣١٨ والدرر الكامنة ٤/٣ والأعلام ٦/١٩٢.

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين، الحافظ قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز ومات بمكة وكتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر: الدرر الكامنة ٢/٣٧٨ والأعلام ٤/٢٦.

(٢) أبو بكر محمد بن قلاوون، سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة، فتولاها. بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١ هـ. انظر بدائع الزهور ١/١٧٦ والبداية والنهاية ١٤/١٩٠، ١٩١ والنجوم الزاهرة ١٠/٣٠، والأعلام ٢/٦٩.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسعر الله، فسر الناس ذلك، فإنهم كانوا منعوا من المعاملة بالفضة، وألا يكون معاملتهم إلا بالذهب.

وفيه أفرج عن بركة الحبش وقف الأشراف، وكان النشو قد أخذها منهم، وصار ينفق فيهم من بيت المال.

وفيه كتب إلى ولاة الأعمال برفع المظالم، وألا يُرْمَى على بلاد الأجناد شعير ولا تبن.

وفى يوم الخميس ثامن عشريه: أنعم على عشرة بإمريات طبلخاناة.

وفى يوم السبت سلخه: جمع القضاة بجامع القلعة للنظر فى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبى الربيع سليمان(١) وإعادته إلى الخلافة، وحضر معهم الأمير طاجار الدوادار وغيره.

فاتفقوا على إعادته، لعهد أبيه إليه بالخلافة، بمقتضى مكتوب ثابت على قاضى قوص.

وفيه، فرقت التشاريف والخلع على الأمراء. ليلبسوها فى يوم الخدمة من العام المقبل.

وفيه أقيم الأمير قوصون فى تدبير أمور الدولة.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين الحاج قطز الظاهرى، أحد أمراء الطبلخاناة، وقد أناف على مائة سنة وهو آخر من بقى من المماليك الظاهرية بيبرس وكان مشكورا.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا، فى يوم الرابع والعشرين من رجب. وكان فقيها أديبا شاعرًا جوادا.

وتوفى الصاحب أمين الدين أمين الملك أبو سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنْام تحت العقوبة مخنوقا، يوم الجمعة رابع جمادى الأولى. ووزر الصاحب أمين الدين ثلاث مرات، وباشر نظر الدولة واستيفاء الصحبة والدولة، وخدم من الأيام الأشرفية فولى بمصر ودمشق وطرابلس، وحسن إسلامه وكان رضى الخلق.

---

(١) أحمد بن المستكفى بالله سليمان ابن الحاكم بأمر الله الأول، أبو القاسم، الحاكم بأمر الله الثانى: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع سنة ٧٤٢ هـ، ولبس السواد، وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان. استمر إلى أن مات فى القاهرة. انظر الدرر الكامنة ١/١٣٧ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩١ وبدائع الزهور ١/ ٢٠٠ وابن الوردى ٢/ ٣٣١ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٨٤ الأعلام ١/ ١٣٣.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى العزى نائب أياس والفتوحات الأندلسية بها وكان مشكور السيرة.

ومات طوغان الشمسى سنقر الطويل والى الأشمونين وشاد الدواوين بمصر والشام، وهو منفى بالشام وكان ظالما غشوما مذموم السيرة.

ومات الأمير آنُوك ابن السلطان الناصر محمد، فى يوم الجمعة سابع ربيع الأول، فاشتد حزن والده السلطان عليه.

وتوفى الشيخ المعتقد عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين أبى طالب عبد الرحمن بن محمد بن الكمالى أبى القاسم عمر بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن المعروف بابن العجمى الحلبى الشافعى بمصر. تزهَّد بعد الرياسة والاشتغال بالعلم وكتابة الخط المنسوب، وحج ماشيًا من دمشق، وجاور بمكة مرارا، وقدم مصر سنة اثنتين وثلاثين، وأقام بها حتى مات. وكان لا يقبل لأحد شيئًا، ويقيم حاله مِنْ وَقف أبيه بحلب، وتزيا بزى الصوفية، وكان فيه مروءة، وله مكارم وصدقات، وله شعرجيد.

وتوفى افتخار الدين جابر بن محمد بن محمد الخوارزمى الحنفى شيخ المدرسة الجاولية بالكبش، فى يوم الخميس السادس عشر المحرم. وكان بارعا فى النحو شاعرا.

وتوفى عز الدين عبد الرحيم بن نور الدين على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز ابن محمد بن الفرات، أحد نواب القضاة الحنفية، فى ليلة الجمعة ثانى عشرى ذى الحجة.

وتوفى أوحد الدين بالقدس فى رابع عشرى شعبان.

ومات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب حلب، ببلاد المراغة[1]، وقد أقطعه إياها أبو سعيد بن خربندا. وكان موته بمرض الإسهال وقد أعيا الملك الناصر قتله، وبعث إليه كثيرًا من الفداوية، فصانه الله منهم، بحيث قتل من الفداوية بسببه نحو مائة وأربعة وعشرين فداويا. ولما بلغ السلطان الناصر محمد موته قال: «والله ما كنت أشتهى موته إلا من تحت سيفى، وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودى ولكن الأجل حصين».

وكانت له مع الفداوية أخبار طويلة: منها أن السلطان الناصر محمد أعطى يونس التاجر مالا كثيرا، وبعثه إلى توريز ليتخذ له بها أصحابا يثق بهم حتى يرد إليه الفداوية

(١) بلد مشهورة عظيمة وأشهر بلاد أذربيجان. انظر معجم البلدان ٩٣/٥.

فيأووا عنده، وعرَّف يونس بمقاصده. ثم إن السلطان تلطف مع صاحب مصياف[1]، وبذل له مالا كثيرا حتى ندب له من الفداوية طائفة. فبعثهم السلطان إلى يونس فآواهم وأعلمهم بالغرض، فانتظروا وقتا يصلح للوثوب مدة أيام إلى أن ركب النوين الكبير جوبان يريد مدينة توريز، وركب أقوش الأفرم وقراسنقر إلى جانبيه. فخرج اثنان من الفداوية، أحدهما للأفرم والآخر لقراسنقر، فبدر أحدهما وضرب أقوش الأفرم، فاتقى الضربة بيده، وكان عليه قرضية، فانشق كمه وجرحت يده، وجَبُن الآخر عن قراسنقر، فقتل الفدوای. ووقع الحذر، وكبست الفنادق والخانات بتوريز، وقبض على يونس، فقام الوزير ناصر الدين خليفة بن خواجا على شاه معه حتى تخلص من القتل. ولم يصب قراسنقر بسوء، وعولج الأفرم حتى برئ من جراحته واحترسا على أنفسهما

ومن غرائب الاتفاق فيما سبق أنه كان لقراسنقر فراش من العليقة، وله معرفة بأهل مصياف، فتتبع نواحى توريز حتى ظفر بفداوى أرسله السلطان الناصر محمد لقتل قراسنقر، فإذا هو أخوه، فاستماله وقرّبه من قراسنقر. فأعطاه قراسنقر مائة دينار ورتب له فى كل شهر ثلاثمائة درهم، وخدم عنده فراشا رفيقا لأخيه، وزاد فى الإنعام عليه حتى بلغت عطيته له خمسمائة دينار. فأعلم هذ الفداوى قراسنقر بما ندب إليه من قتله، وضمن له أنه يعرفه بجميع من يرد من الفداويّة. فسر قراسنقر بذلك وأعلم جوبان والوزير ناصر الدين خليفة، فكبسوا على جماعة ممن دلّهم عليهم، فظفروا، بواحد، وفر بعضهم، وقتل بعضهم نفسه، وجيء بالفداوى المقبوض عليه، فعوقب حتى مات ولم يعترف بشيء.

واشتد الأمر بتوريز وغيرها على الغرباء، وقصاد السلطان تطالعه بذلك فى كل وقت، إلى أن كتبوا إليه نائب بغداد بلغه عن تاجر أنه اشترى مملوكين للسلطان بمائة وعشرين ألف درهم، فأحضر نائب بغداد التاجرَ وألزمه بإحضارهما، فافتدى بأربعمائة دينار حتى تركه، وأخرجه من بغداد. فبعث التاجر بطائفة من الفداوية لقتله، وقتل قراسنقر، فتفرقوا بالأردو وتوريز وبغداد، وأقاموا فى الانتظار لانتهاز الفرصة. فبينا نائب بغداد يوما وقد مر فى الشارع، إذْ وَثَب عليه أحد الفداوية وصاح: «ياللملك الناصر»، وضربه بالخنجر فى صدره، ومر يعدو فلم يُقْدَر عليه. وعاد الفداوى إلى مصياف، وكتب إلى السلطان الناصر محمد بما جرى وقتل نائب بغداد. فلما بلغ ذلك قراسنقر وجوبان اشتد حذرهما، وألزم قراسنقر فَرّاشَه وأخاه الفداوى حتى دلاه على

---

(١) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس. انظر معجم البلدن ٤/٤٢١.

أربعة من الفداوية، فقبض عليهم، فاعترف أحدهم، وحكى له المنبر بنصه فقُتلوا وشُهِّرُوا. وأقام رجال جوبان مدة فى طلب الفداوية، فلم يدخل منهم أحد إلا ظفر به. فلما قدم المجد السلامى إلى القاهرة وصحب كريم الدين الكبير، واتصل بالسلطان، أقامه السلطان عينا له ببلاد الشرق، وبعثه بالهدايا والتحف. فصحب المجد السلامى جوبان والوزير، ولزمهما، وطالع السلطان بالأحوال. ثم بعث السلطان إليه بعدة من الفداوية، وكان من لطف الله به أنه يوم قدم المجد السلامى توريز قُبِضَ بها على ثلاثة من أربعة من الفداوية، وفرّ الرابع الذى معه كتاب السلطان إليه. فعوقب الثلاثة حتى ماتوا، ولم يعترفوا بشىء ووصل الذى فَرَّ إلى مصياف وكتب إلى السلطان بما جرى. فمازال السلامى يقرّر الصلح بين الوزير خواجا على شاه وجوبان وبين السلطان إلى أن تم، وشرطوا فيه ألا يدخل إليهم فداوى.

ثم حدث أنه بينما قراسنقر فى عدة من أمراء الساحل يتصيّد إذ وثب عليه من خلفه فداوى وضربه، فوقعت الضربة فى خاصرة الفرس، ألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فسلم، وقتل أصحابه الفداوى. ثم لما توجه الأمير أيتمش بن عبد الله المحمدى الناصرى فى المرة الثانية إلى أبى سعيد بعث السلطان الناصر فى أثره فداويين قُبض على أحدهما، وقتل الأخر نفسه، فلم يعترف المقبوض عليه بشىء حتى مات قتلا بحضور أيتمش. وعتب جوبان على أيتمش بسبب ذلك، وأنه وقع الصلح على ألا يدخل أحد من هؤلاء إلينا، فاعتذر أيتمش بأن هؤلاء إن كانوا فداوية فقد كانوا فى البلاد من قبل تقرير الصلح، وضمن أن السلطان لا يعود إلى إرسال أحد منهم. فمشى ذلك على جوبان، وأعيد أيتمش إلى مصر.

فلما عاد المجد السلامى أيضا بعث السلطان إلى مصياف بالإنكار على الفداوية فى تأخر قَضَاء شغله، فأرسلوا إليه رجلا منهم ليقوم بما يؤمر به، فخلا به السلطان وعرفه مقاصده، وأنزله عند كريم الدين بحيث لا يراه أحد، فكان راتبه فى كل يوم خروفا يأكله كله فى كشك من أول النهار، ثم يأكل فى وسط النهار دجاجا أو أوزا أو لحما مشويا، ثم يتعشى بثلاثة ألوان من الطعام، ويشرب فى كل يوم ستين رطلا من الخمر. فأقام الرجل الفداوى على ذلك أربعة وثلاثين يوما، ثم سافر لقصده. وتسلم القاصد الذى يدله على الغريم السكين ليعطيها للرجل الفداوى، وقد خُتمت. وتوجه السلامى أيضًا بهدية جليلة، فوصل الجميع إلى البلاد. وخفى أمر الفداوى حتى كان يوم عيد الفطر، ودخل الناس يهنون أبا سعيد وجوبان، وفيهم قراسنقر، ثم انصرفوا بعد أكلهم إلى الوزير خواجا عَلى شاه، وأكلوا طعامه. ثم بعث السلامى إلى الفداوى فأحضره،

وأوقفه بطريق قراسنقر، ودخل رفيقه حتى ينظر وقت فراغ قراسنقر من الطعام ليعرف به الفداوى. فاتفق أن قراسنقر قام ومشى إلى أثنا الدهاليز، وقد سبقه القاصد وعرف به الفداوى، وأعطاه السكين ووصف له شكله وزى ثيابه، وقال له هو أول من يركب. فعندما وضع قراسنقر رجله فى الركاب استدعاه الوزير، فعاد، وقد قام دمرداش نائب الروم من المجلس، وكان فيه شبه من قراسنقر وخلعته التي عليه حمراء مثل خلعة قراسنقر فعندما ركب دمرداش وتوسط الطريق مرّ بالفداوى، فظنّه قراسنقر، فألقى نفسه من سطح كان فوقه، فصار على كفل الفرس وصاح بسعادة السلطان الملك الناصر محمد، وضربه فى رقبته ألقاه عن فرسه قتيلا. وقام الفداوى يعدو، فأدركه القوم وأحضروه إلى جوبان، فاتهم بأنه كان مع السلامى، فلولا لطف الله به وعناية الوزير لقتل السلامى شر قتلة وقتل الفداوى بعد ما عوقب أشد العقوبة، ولم يعترف بشىء.

ومما حدث كذلك أنه بينا قراسنقر فى بعض الأعياد، وقد خرج مع أمراء المغل من حضرة أبى سعيد إلى عند جوبان، إذ وثب عليه فداوى، فألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فوقع الفداوى عليه وضربه بالسكين فأخطأه، ووقعت السكين فى الأرض. فقُطِّع الفداوى فوق صدر قراسنقر قطعا، وأقيم قراسنقر وقد خرب شاشه، وطاحت الكلفتاه[1] عن رأسه، وكاد عقله أن يذهب.

وكان قراسنقر أحد مماليك المنصور قلاوون، عمله كوكندار، ثم ترقى حتى ولى نيابة حلب، ونيابة دمشق. وكان كبير القدر، بشوش الوجه، صاحب رأى وتدبير ومعرفة، وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك. وكان كثير العطاء لا يستكثر على أحد شيئا، وكان مهابا كثير المال، وترك ولدين هما أمير عَلى، وأمير فرج، وإليه تنسب المدرسة القراسنقرية بخط رحبة باب العيد من القاهرة، ودار قراسنقر بحارة بها الدين.

ومات الأمير تنكز نائب الشام، يوم الثلاثاء نصف المحرم.

* * *

---

(١) الكلفتاه أو الكلفة أو الكلفتة وهى غطاء الرأس على شكل طاقية صغيرة تلبس وحدها أو بعمامة.

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الأحد:

ففى يوم الإثنين ثانيه: خلع على جميع الأمراء والمقدمين فى الموكب بدار العدل، وذلك أن الأمراء طلعوا بخلعهم التى فرقت عليهم كما تقدم، وطلع القضاة فاجتمعوا بدار العدل. وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبى الربيع سليمان على الدرجة الثالثة من تحت السلطنة، وعليه خلعة خضراء وفوق عمامته سوداء مرقومة. ثُم خرج السلطان من باب السرّ على العادة، فقام الخليفة والقضاة ومَن كان جالسا هناك من الأمراء. وجلس السلطان على الدرجة الأولى دون الخليفة، فقام الخليفة وافتتح الخطبة بقوله تعالى: ﴿**إنَّ الله يَأْمُرُ بالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وإيتَاءِ ذِى القُرْبى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بعَهدِ الله إِذَا عَاهَدْتُم وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾(١) ثم أوصى السلطان بالرفق بالرعية، وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين، ثم قال: «فوضتُ إليك جميع أحكام المسلمين، قلدتك ما تقلدته من أمور الدين»، ثم تَلا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبايعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمُ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(٢).

وجلس الخليفة فجيء فى الحال بخلعة سوداء فألبسها الخليفة للسلطان بيده، وقلّده سيفا عربيًا. وأخذ علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر فى قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرغ منه، ثم قدمه للخليفة، فكتب عليه، ثم كتب بعده القضاة بالشهادة عليه. ثم قدم السماط، فأكل الأمراء وانفضت الخدمة.

وفى يوم الأربعاء رابعه: كان ابتداء زيادة النيل.

وفى يوم الخميس خامسه: قدم الأمير بيغرا من عند أمير أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون(٣)، وقد حلفه بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور.

---

(١) سورة النحل الآية (٩٠، ٩١).

(٢) سورة الفتح آية (١٠).

(٣) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين ابن الملك الناصر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر ولد بالقاهرة، وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية فاستمر فيها أيام أبيه الناصر الأول وأخويه أبو=

وفيه أنعم على الأمير بَيْلَك العلائى الساقى بإمرة البروانى، وأنعم بعشرته على مغلطاى أمير شكار، وأنعم على بزلار الساقى بطبلخاناة أمير حاج ملك بن أيدغمش.

وفى عصر يوم الأحد ثامنه: قبض على أمير بشتاك الناصرى، وذلك أنه طلب أن يستقر فى نيابة الشام، ودخل على الأمير قوصون وسأله فى ذلك، وأعلمه أن السلطان الناصر محمد كان قبل موته وعده بها وألح بشتاك فى سؤاله، وقوصون يدافعه ويحتج عليه أنه قد كتب إلى ألطنبغا الصالحى نائب الشام تقليدًا باستقراره فى نيابة الشام على عادته، فلا يليق عزله سريعًا. فقام بشتاك عنه وهو غير راض، فإنه كان قد توهم من قوصون، وخشى منه لما كان بينهما قديمًا من المنافرة، ولأنه قد صار المتحكم فى الدولة، فطلب أن يخرج من مصر، ويبعد عنه. فلما لم يوافقه قوصون على ذلك سعى فيه بخاصكية السلطان، وحمل إليهم مالا كثيرًا فى السر، وبعث إلى الأمراء الكبار يطلب منهم المساعدة على قصده، فمازالوا بالسلطان حتى أنعم له بنيابة الشام. وطلب السلطان الأمير قوصون وأعلمه بذلك، فلم يوافقه وغض من بشتاك، وآخر ما قرره مع السلطان أنه يحدث الأمراء فى ذلك، ويعدهم بأنه يولى بشتاك إذا قدم الأمير قطلوبغا الفخرى بنسخة اليمين من الشام. فلما دخل الأمراء عرفهم السلطان طلب بشتاك نيابة الشام، فأخذوا فى الثناء عليه والشكر، فاستدعاه السلطان وطيب خاطره، ووعده بها عند قدوم قطلوبغا، وتقدم إليه بأن يتجهز للسفر.

فظن بشتاك أن ذلك صحيح، وقام مع الأمراء من الخدمة، وأخذ فى عرض خيوله، وبعث لكل من أكابر الأمراء المقدمين ما بين ثلاثة أروس إلى رأسين من الخيل بالقماش الفاخر، وبعث معها أيضًا الهجن المَهَرية[1]. ثم بعث بشتاك إلى الأمراء الخاصكية، مثل ملكتمر الحجازى، وطاجار بن عبد الله الناصرى الدوادار، ويلبغا اليحياوى، وألطنبغا الماردانى، وتنكز بغا بن عبد الله الماردينى، شيئا كثيرًا من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف، وفرق عدة من الجوارى فى الأمراء، بحيث لم يبق أحد من الأمراء إلا وأرسل إليه، ثم فرق بشتاك على مماليكه وأجناده وأخرج ثمانين جارية من جواريه أعتقهن وزوجهن من مماليكه، بعد ما شوَّرهن باللؤلؤ والزركش، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جدًا. وفرق بشتاك من شونته على الأمراء اثنى عشر ألف أردب غلة، وزاد حتى وقع

=بكر المنصور والأشرف كجك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢هـ. وكانت مدة حكمه بمصر ٧٢ يوما. انظر ابن إياس ١/ ١٧٩و ١٨٢ والدرر الكامنة ١/ ٢٩٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٥٠ والأعلام ١/ ٢٢٣.

(١) نسبة إلى قبيلة مهرة.

الإنكار عليه، واتهمه السلطان والأمير قوصون بأنه يريد التوثب على الملك وعملوا هـذا من فعله حجة للقبض عليه وكان ما خص الأمير قوصون من تفرقته هـذه حجرين من حجارة معاصر قصب السكر، بما فيها من القنود والأعمال والأبقار والأغلال والآلات، وخمسمائة فدان من القصب مزروعة فى أرض ملك لـه، فأدهش الأمراء بكثرة عطائه، واستغنى منه جماعة من مماليكه.

ولما كثرت القالة فيه بأنه يريد إفساد الدولة خلا به بعض خواصه وعرفه ذلك، وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء، فقال لهم: «إذا قبضوا على أخذوا مالى، وأنا أحق به منهم أن أفرقه وَأسر به إذا بذلته، ويبقى لى مكارم على الناس أذكر بها، وإذا سلمت فالمال كثير». هذا وقد قام قوصون فى أمر بشتاك، ومازال بالسلطان حتى قرر معه القبض عليه عند قدوم قطلوبغا الفخرى. وأشاع قوصون أن بشتاك يريد القبض على قطلوبغا، فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا، فبعث إليه من تلقاه وعرفه ما وقع من تجهيز بشتاك، وأنه على عزم من أن يلقاك فى طريقك ويقتلك، فكن على حذر، فأخذ قطلوبغا من الصالحية يحترز على نفسه حتى نزل سرياقوس.

واتفق من الأمر العجيب أن بشتاك خرج إلى حوشه بالريدانية خارج القاهرة؛ ليعرض هجنه وجماله، فطار الخبر إلى قطلوبغا الفخرى بأن بشتاك قد خرج إلى الريدانية «فى انتظارك»، فاستعد ولبس السلاح من تحت ثيابه، وسار وقد تلقاه عدة من مماليكه وهو على أهبة الحرب. وعرج قطلوبغا عن الطريق، وسلك من تحت الجبل لينجو من بشتاك، وكان عند بشتاك علم من قدومه. فلما قرب قطلوبغا من الموضع الذى فيه بشتاك لاحت له غبرة خيله، فحدس أنه قطلوبغا قد قدم، فبعث إليه أحد مماليكه يبلغه السلام، ويعرفه أن يقف حتى يأتيه ليجتمع به. فلما بلغ قطلوبغا ذلك زاد خوفه من بشتاك، وقوى عنده صحة ما بلغهُ عنه، فقال للمملوك: «سلم على الأمير، وقل له لا يكن اجتماعى به ولا بأحد حتى أقف قدام السلطان، ثم بعد ذلك أجتمع به». فمضى مملوك بشتاك، وفى ظن قطلوبغا أنه إذا بلغه مملوكه الجواب ركب إليه، فأمر مماليكه أن يسيروا قليلا قليلا، وساق بمفرده مشوارا[1] واحدا إلى القلعة. ودخل قطلوبغا على السلطان وبلغه طاعة النواب وفرحهم بأيامه. ثم أخذ يعرف السلطان والأمير قوصون وسائر الأمراء ما اتفق له مع بشتاك، وأنه كان يريد معارضته فى طريقه وقتله، فأعلمه السلطان وقوصون بما اتفقا عليه من القبض على بشتاك.

---

(١) المشوار هنا معناه الشوط الواحد من المشى أو الركوب.

فلما كان عصر هذا اليوم، دخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر، وفيهم الأمير بشتاك، وأكلوا السماط، تقدم الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طقزدمر الناصرى الساقى إلى بشتاك، وأخذا سيفه وكتّفاه. وقُبض معه على أخيه أيوان وعلى طولُوتمر ومملوكين من المماليك السلطانية كانا يلوذان به. وقُيدوا جميعا. وسفروا إلى الإسكندرية فى الليل صحبة الأمير أسندمر العمرى. وقبض على جميع مماليكه، وأوقعت الحوطة على دوره وإصطبلاته، وتتبعت غلمانه وحاشيته.

وأنعم من إقطاع بشتاك على الأمير قوصون بخصوص الشرق[1] زيادة على إقطاعه، وأخذ السلطان المطرية[2] ومنية ابن خصيب[3] وشبرا. وفرق السلطان بقية إقطاع بشتاك على ملكتمر الحجازى وغيره من الأمراء.

فلما أصبحوا يوم الإثنين تاسعه قبض على المجد السلامى، واتهم بأن لبشتاك عنده جواهر مودعة.

وفيه حملت حواصل بشتاك، وهى من الذهب مائتا ألف دينار مصرية، ومن اللؤلؤ والجواهر والحوائص الذهب والكلفتاه الزركش شىء كثير جدًا. ومن الغلال أحد عشر ألف أردب، سوى ما تقدم ذكره مما أنعم به شتاك وفرّقه.

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خاناه إلى طرابلس، لنقله كلامًا بين الأمراء، ولميلة مع شتاك.

وفى الخميس ثانى عشره أنعم على كل من شعبان ورمضان أخوى السلطان بإمرة وفيه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب وأنعم من الغد بإمرته على أخيه جمال الدين عبد الله بن الحاجب.

وفى يوم الإثنين ثالث عشريه: خلع على الأمير طُقُزْدَمرُ، واستقر فى نيابة السلطانة، فجلس فى دست النيابة،وحكم وسرف الأمور.

وفيه أيضًا خلع على الأمير نحم الدين محمود بن على بن شَرْوِين المعروف بوزير بغداد، واستقر فى الوزارة.

---

(١) المقصود هنا بلدة اسمها أبنوب بمديرية أسيوط بمصر.

(٢) من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن، وفى حانبها الشمالى عين شمس القديمة. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٣) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدن ٢١٨/٥.

وفى يوم الثلاثـاء رابع عشريه: قدم محمل الحاج من الحجاز، صحبة ملكتمر الحجازى وفيه أيضًا قدم الأمير ناصر الدين محمد بن بيلبك الحسنى من دمشق على البريد بالاستدعاء.

وفيه أنعم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بكتمر الساقى أحد العشرات، بإمرة طبلخاناة وقدم البريد من حلب بأن الأمير بن فياض[1] وسليمان بن مهنا[2] وأخوتهما قطعوا الطريق على التجار، عندما بلغهم أن أميرهم موسى بن مهنا[3] قد قبض عليه، بعد موت السلطان الناصر محمد، وكان موسى قد خلع عليه وسافر.

وفى يوم الإثنين سَلْخه: قبض على الأمير آقبغا عبد الواحد وأولاده، وخلع على الأمير طقتمر الأحمدى، وأستقر أستادار عوضه. وسبب ذلك أنه فى أيام السلطان الملك الناصر قد ولى الأستادارية وتقدمة المماليك وشد العمائر، وتحكم فى سائر الأمور وأرباب الأشغال، وعظمت مهابته. فاتفق أنه غضب على فراش له، وضربًا مبرحاء كما هى عادته. فخدم الفراش عند أبى بكر ابن السلطان؛ ليحميه من آقبغا، فبعث آقبغا فى طلبه، فمنعه أبو بكر، وأرسل مع مملوكه يقول له: «أريد أن تهبنى هذا الفراش» فأغلظ آقبغا على المملوك وسبه، وقال «قل له يرسل الفراش وهو جيد له» وكان أبو بكر قبل ذلك خرج من الخدمة السلطانية إلى بيته، وآقبغا يضرب مملوكا، فوقف وشفع فيه، فلم يعبأ به آقبغا، ولا قبل شفاعته، وسار واقفا وآقبغا قاعد، فانصرف أبو بكر وقد خجل. فلما أعاد مملوكه جواب آقبغا غضب وحلف لئن صار سلطانا ليصادرنه وليضربنه

---

(١) فياض بن مهنا بن عيس ين مهنا الفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل. ولى الإمرة بعد أخيه أحمد لسنة ٧٤٩ هـ، فى أيام الناصر القلاوونى، ثم عزل بأخيه حيار وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها وأطلق. ووقعت بينه وبين ابن عمه سيف بن مهنا فضل بن عيس وقعة بنواحى حلب انتصر فيها فياض. وأعيد بعد مدة طويلة إلى الإمارة، فدخل مصر، وعاد منها بإنعام وإكرام، ثم خشى من كائنة حدثت ففر إلى العراق، ومات هناك. وكان سيىء السيرة. انظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٣٤ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ وابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والأعلام ٥/١٦٤.

(٢) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب علم الدين: أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات، ولده الناصر إمرة العرب بدلا عن أخيه موسى سنة ٧٤٢هـ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر الدرر الكامنة ٢/ ١٦٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٣ وابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والقلقشندى ٤/ ٢٠٧ وإعلام النبلاء ٢/ ٤٠٦ والأعلام ٣/ ١٣٥.

(٣) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل الفضل أمراء بادية الشام، يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ، واستمر إلى أن توفى. انظر ابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٧٦ والأعلام ٧/ ٣٢٩.

بالمقارع، وحَمِىَ الفراش من آقبغا. فلما أفضت السلطنة إليه بعد موت أبيه، عرّف الأمير قوصون والأمير طقزدمر النائب بيمينه، فأجابه قوصون إلى مصادرته أولا قبل ضربه، وأراد بذلك مدافعة عنه، فقبض عليه ورُسم للأمير طيْبُغا المجدى والأمير نجم الدين بلبان الحسامى البريدى والى القاهرة بإيقاع الحوطة على موجوده، وسُلِّم ولده الكبير للمقدم إبراهيم بن صابر. فبات آقبغا ليلته بغير أكل وأصبح يوم الثلاثاء أول صفر، فتحدث له الأمراء أن ينزل فى ترسيم طيبغا المجدى ليتصرف فى أموره، فنزل صحبته، وأخذ فى بيع موجوده. وكان مما أبيع له سراويل لزوجته بمائتى ألف درهم فضه، وقبقاب وخف نسَائى وسرموجة لامرأته بخمسة وسبعين ألف درهم فَثَارَ به جماعة ممن ظلمهم فى أيام تحكمه، وطلبوا حقوقهم منه، وشكوه. فأقسم السلطان لئن لم يرضهم ليسمرنه على جمل ويشهره بالقاهرة، ففرق فيهم مائتى ألف درهم حتى سكتوا عنه.

وفى يوم الأحد سادسه: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن نجم الدين بلبان الحسامى البريدى لقلة حرمته. وخُلع على نجم الدين واستقر فى ولاية مصر.

وفيه قدم الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير من الشام على البريد، باستدعاء.

وفيه رسم لابن المحسنى والى القاهرة أن يستخلص من خالد وابن معين مقدمى دار الوالى مالا، من أجل طمعهما وكثرة تحكمهما.

وفيه أيضا قبض على الصدر الطيبى ناظر المواريث، وسلم إلى الوالى على مال يحمله، فعاقبه الوالى حتى حمل مالا جزيلا.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على الأمير بدر أمير مسعود، واستقر حاجبا، عوضا عن الأمير برسبغا على إمرته بغير وظيفة.

وفى يوم الأربعاء تاسعه: قبض على مقدم الدولة إبراهيم بن صابر، وسُلِّم لمحمد بن شمس الدين المقدم، وأحيط بأمواله. فوجد له نحو تسعين حجرة فى الجُشار، ومائة وعشرين بقرة فى الزرايب، ومائتى كبش، وجوقتين كلاب سلوقية، وعدة طيور جوارح مع بزدارية، ووجد له من الغلال وغيرها شىء كثير، فعوقب وحَمَل المال شيئًا بعد شىء.

وفيه جهز ابن طغيه وقريب الشيخ حسن كجك، وسُفِّرَا وكُتب إلى نواب الشام بإكرامهما.

وفيه وقع بين قاضى القضاة حسام الدين الغورى الحنفى وبين موفق الدين ناظر الدولة، بسبب معلومه، وقد توقف صرفه، فكتب قاضى القضاة حسام الدين إليه ورقة

يذكر فيها مساوئ الكتّاب، وأفحش القول فيهم. فشق ذلك على موفق الدولة وعلى بقية الكتاب، وبلغوا السلطان عنه تسلطه على أعراض الناس وسفه قوله.

فلما كان الغد يوم الخميس عاشره: وحضر القضاة بدار العدل على العادة تكلم القاضى الغورى مع السلطان بالتركى فى الكتاب بقوادح، وطعن فى إسلامهم. فغضب السلطان منه، واستدعى الوزير بعد الخدمة، وأنكر عليه ما وقع من الغورى، وقال: «لولا أنه من بلدك وإلا كنت ضربته بالمقارع، لكن إكرامه لك، فاطلبه وحذره ألا يعود لمثلها». فطلبه الوزير وعتبه عتبًا شديدًا.

وفيه قدم البريد من الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى نائب حلب بخروج زين الدين قراجا بن دلغادر عن الطاعة، وموافقته لأرتنا متملك الروم على المسير لأخذ حلب، وأنه قد قوى بالأبلستين وجمع جمعًا كثيرًا، وسأل الأمير طشتمر أن ينجد بعسكر من مصر.

وفيه رسم السلطان بضرب آقبغا عبد الواحد بالمقارع، فلم يمكنه الأمير قوصون من ذلك فاشتد حنقه، وأطلق لسانه بحضرة خاصكيته.

وفيه شفع الأمير ملكتمر الحجازى فى ولى الدولة أبى الفرج بن الخطير صهر النشو، فأفرج عنه، واستسلمه الحجازى، وخلع عليه، وجعله صاحب ديوانه.

وفيه عقد السلطان نكاحه على جاريتين من المولدات اللاتى فى بيت السلطان، وكتب علاء الدين كاتب السر صداقهما، فخلع عليه وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم. ورسم السلطان لجمال الكفاة ناظر الخاص أن يجهزهما بمائة ألف دينار، وشرع فى عمل المهم للعرس.

وفى يوم السبت تاسع عشره: ركب الأمير قوصون والأمراء على الملك المنصور أبى بكر، وخلعوه من الملك فى يوم الأحد عشريه، وأخرج أبو بكر هو وإخوته إلى قوص صحبة الأمير بهادر بن جركتمر.

وسبب ذلك أن السلطان قرب الأمير يلبغا اليحياوى، وشغف به شغفًا كثيرًا، ونادم الأمير ملكتمر الحجازى، واختص به وبالأمير طاجار الدوادار وبالشهابى شاد العمائر وبالأمير قُطُليجا الحموى، وجماعة من الخاصكية، وعكف على اللهو وشرب الخمور وسماع الملاهى. فشق ذلك على الأمير قوصون وغيره؛ لأنه لم يعهد من ملك قبله شرب خمر. فحملوا الأمير طقزدمر النائب على محادثته فى ذلك وكفه عنه، فزاده لومه

إغراء، وأفحش فى التجاهر باللهو حتى تحدث به كل أحد من الأمراء والأجناد والعامة.

وصار السلطان يطلب الغلمان فى الليل، ويبعثهم لإحضار المغانى، فغلب عليه الشراب فى بعض لياليه، فصاح من الشباك على الأمير أيدغمش: «يا آمير أخور! هات لى ابن عطعط» فقال أيدغمش: «يا خوند ما عندى فرس بهذا الاسم» فنقل ذلك السراخورية[1] والركابية، فتداولته الألسنة. فطلب قوصون الأمير طاجار والشهابى شاد العمائر، وعنفهما وقال: «سلطان الإسلام يليق به أن يعمل مقامات، ويحضر إليها البغايا والمغانى؟»، وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم هذا. فبلغوا السلطان كلام قوصون، وزادوا فى القول، فأخذ جلساؤه من الأمراء فى الوقيعة فى قوصون والتحدث فى القبض عليه، وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بيبرس الأحمدى والأمير طقزدمر النائب. فنم عليهم الأمر يلبغا اليَحيَاوى لقوصون - وكان قد استماله بكثرة العطاء فيمن استمال من المماليك السلطانية -، وعرفه أن الاتفاق قد تقرر على القبض عليه فى يوم الجمعة وقت الصلاة.

فانقطع قوصون عن الصلاة، وأظهر أن برجله وجعًا، وبعث فى ليلة السبت يعرّف الأمير بيبرس الأحمدى بالخبر، ويحثه على الركوب معه. وطلب قوصون المماليك السلطانية، وواعدهم على الركوب صحبته، وملأهم بكثرة مواعيده إياهم، وبعث إلى الأمير الحاج آل ملك، والأمير جنكلى بن البابا. فلم يطلع الفجر حتى ركب قوصون من القلعة من باب السرَ فى مماليكه ومماليك السلطان، وسار نحو الثغرة، وبث مماليكه فى طلب الأمراء. فأتاه جركتمر بن بهادر فى إخوته، وبرسبغا بيبرس، والأحمدى، وقطلوبغا الفخرى. وأخذوا أقبغا عبد الواحد من ترسيم طيبغا المجدى، فسار معه المجدى أيضًا. ووقفوا بأجمعهم عند قبة النصر، ودقوا طبلخاناتهم، فلم يبق أحد من الأمراء حتى أتاهم.

هذا والسلطان وندماؤه فى غفلة لهوهم وغيبة سكرهم، إلى أن دخل عليهم أرباب الوظائف وأيقظوهم من نومهم، وعرفوهم ما دهوا به. فبعث السلطان طاجار إلى طقزدمر النائب يسأله عن الخبر، ويستدعيه، فوجد عنده جُنْكُلى بن البابا والوزير وعدة من الأمراء المقيمين بالقلعة. فامتنع طقزدمر من الدخول إلى السلطان، وقال: «أنا مع الأمراء حتى أنظر عاقبة هذا الأمر»، وقال لطاجار: «أنت وغيرك سبب هذا حتى أفسدتم السلطان بفسادكم ولعبكم، قل للسلطان يجمع مماليكه ومماليك أبيه حوله» فعاد طاجار وبلّغ السلطان ذلك، فخرج السلطان إلى الإيوان وطلب المماليك، فصارت كل طائفة

---

(١) المقصود بها هنا فئة المكلفين بعلف الخيل.

تخرج على أنها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلـة حتى صـاروا نحـو الأربعمائـة مملـوك، وصاروا يدا واحدة من باب القلة إلى باب القلعة، فإذا هو قد أغلـق فرجعوا إلى النـائب طقزدمر بعد ما أخرقوا بوالى باب القلعة، وأنكروا عليـه وعلـى مـن عنـده مـن الأمـراء. فقال لهم طقزدمر: «السلطان ابن أستاذكم جالس على الكرسـى وأنتـم تطلبـون غـيره؟» فقالوا: «ما لنا أستاذ إلا قوصون. ابن أستاذنا مشغول عنـا لا يعرفنـا»، ومضـوا إلى بـاب القرافة، وهدموا منه جانبا وخرجوا، فإذا خيول بعضهم واقفة. فركب بعضهم، وأردف عدة منهم، ومشى باقيهم إلى قبة النصر. ففرح بهم قوصون والأمراء، وأمر لهم بالخيول والأسلحة، وأوقفهم مع أصحابه. وبعث الأمير مسعود بن خطير الحـاجب إلى السـلطان يطلب منه ملكتمر الحجازى ويلبغا اليحياوى وطاجار وغيره، ويعرفه أنه أستاذهـم وابـن أستاذهم، وأنهم على طاعته، وأنهم إنما يريدون هؤلاء، لما صدر عنهم من الفساد ورمى الفتن وطلع الأمير مسعود إلى القلعة، فوجد السلطان فى الإيوان، وهؤلاء الأمـراء حولـه فى طائفة من المماليك، فقبل الأرض، وبلغه الرسالة. فقال السلطان: «لا كيد ولا كرامة لهم، ولا أسير مماليكى ومماليك أبى لهم، وقد كذبوا فيما نقلوه عنهم، ومهما قدروا عليه يفعلوه». فما هو إلا أن خرج عنه أمير مسعود حتـى اقتضـى رأيـه أن يركـب بمـن معـه، وينزل من القلعة ويطلب النائب طقزدمر ومن عنده من الأمراء، ويدق كوساته. فتوجـه إلى الشباك وأمـر أيدغمـش أمـير آخـور أن يشـد الخيـل للحـرب، فأعلمـه أنـه لم يبـق بالإصطبل غلام ولا سايس ولا سراخورى يشد فرسا واحدًا. فبعث إلى النائب طقزدمـر يستدعيه، فامتنع عليه.

ثم بعث قوصون الأميرَ بُلك الجمدار والأمير برسبغا إلى النائب طقزدمر يعلمانه بأنـه متى لم يحضر الغرماء إليه وإلا زحف علـى القلعـة وأخذهـم غصبـا. فبعـث طقزدمـر إلى السلطان يشير عليه بإرسالهم، فعلم السلطان أن النـائب وأمـير آخـور قـد خـذلاه، فقـام ودخل على أمه. فلم يجد الغرماء بدا من الإذغان، وخرجـوا إلى النـائب طقزدمـر، وهـم ملَكْتمر الحجازى وألطنبغا المارديني ويلبغا اليحياوى وطاجـار الـدوادار والشـهابى شـاد العمائر وبَكْلَمِشْ الماردينى وقطليجا الحموى، فبعثهم طقزدمر النائب إلى قوصون صحبـة بلك وبرسبغا. فلما رآهم قوصون صاح فى الحاجب أن يرجلهم عن خيولهم مـن بعيـد، فأنزلوا منزلا قبيحا، وأخذوا حتى وقفوا بين يديه، فعنفهم ووبخهم، وأمـر بهـم فقيـدوا، وعملت الزناجير فى رقابهم والخشب فى أيديهم.

ثم نزل قوصون والأمراء فى خيم ضربت لهـم عنـد قبـة النصـر، واستدعى طقزدمـر النائب، والأمير جنكلى بن البابـا، وأيدغمـش أمـير آخـور، والوزيـر، والأمـراء المقيمـين

بالقلعة. واتفقوا على خلع الملك المنصور وإخراجه وإخوته من القلعة، فتوجه برسبغا فى جماعة إلى القلعة، وأخرج المنصور وأخوته، وهو سابع سبعة، ومع كل منهم مملوك صغير وخادم وفرس وبقجة قماش. وأركبهم برسبغا إلى شاطئ النيل، وأنزلهم فى حراقة، وسافر بهم جركتمر بن بهادر إلى قوص، ولم يترك برسبغا فى القلعة من أولاد السلطان إلا كجك. وسلم قوصون الأمراء المقيدين إلى والى القاهرة، فمضى بهم إلى خزانة شمايل بالقاهرة، وسجنهم بها إلا يلبغا اليحياوى، فإنه أفرج عنه.

وكان يوما عظيما بالقلعة والقاهرة، من تألم الناس على أولاد السلطان والأمراء وكثرة البكاء والعويل.

وبات قوصون ومن معه ليلة الأحد بخيامهم عند قبة النصر، وركبوا بكرة يوم الأحد عشريه إلى القلعة، واتفقوا على إقامة كجك. فكانت مدة سلطنة المنصور أبى بكر تسعة وخمسين يوما، ومن حين قلده الخليفة أربعين يوما.

ومن الاتفاق العجيب أن الملك الناصر أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان وأولاده إلى قوص مرسّما عليهم، فقوصص[1] بمثل ذلك، وأخرج الله أولاده مرسّما عليهم إلى قوص على يد أقرب الناس إليه، وهو قوصون مملوكه وثقته ووصيّه على أولاده، فليعتبر العاقل ويتجنب أفعال السوء.

* * *

السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون[2]

أقيم سلطانا فى يوم الإثنين حادى عشرى صفر، سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، ولم يكمل له من العمر خمس سنين، وأمه أم ولد اسمها أردو، تترية الجنس. ولقب كجك بالملك الأشرف، وعرضت نيابة السلطنة على الأمير أيدغمش أمير آخور فامتنع وامتنع منها، فوقع الاتفاق على إقامة الأمير قوصون فى النيابة، فأجاب وشرط على الأمراء أن

---

(١) المقصود فعوقب بمثل ذلك.

(٢) كجك بن محمد بن قلاوون، علاء الدين الملك الأشرف ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. نصبه الأتابكى قوصون بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر سنة ٧٤٢ هـ، وكان الأشرف طفلا، وتصرف هو فى أمور المملكة، فاضطربت أحوالها. وثار الأمير أيدغمش ويلقب بأمير آخور كبير، أى الرئيس الكبير للإصطبل، فظفر بقوصون وسجنه، وخلع الأشرف، واعتقله فى دور الحرم، فلبث بضع سنين ومات. ومدة سلطنته خمسة أشهر وأيام. انظر ابن إياس ١/١٧٧ والدرر الكامنة ٣/ ٢٦٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٢، ١٩٤ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٢٢/٢١ والأعلام ٤/ ٢٢٠.

يقيم على حاله بالأشرفية من القلعة، ولا يخرج منها إلى دار النيابة خارج باب القلعة. فأجابوه إلى ذلك، فاستقر من يومه نائب السلطان، وتصرف فى أمور الدولة فقال فى ذلك بعض الشعراء:

سلطاننا اليوم طفل والأكابر فى — خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
فكيف يطمع من مسَّته مظلمة — أن تبلغ السؤل والسلطان ما بلغا

وفى يومه: أفرج عن الأمير ألطنبغا الماردينى، وخُلع على الأمير مسعود بن خطير واستمر حاجبا على عادته.

وفى ليلة الأربعاء: أخرج بالأمير طاجار، والأمير قطلوبغا الحموى، والأمير ملكتمر الحجازى، والشهابى شاد العمائر، من خزانة شمايل، حملوا إلى ثغر الإسكندرية، فسجنوا بها وتوجه الأمير بلك الجمدار على البريد إلى حلب؛ لتحليف النائب والأمراء والأجناد وتوجه الأمير بيغرا إلى دمشق بسبب ذلك، والأمير جركتمر بن بهادر إلى طرابلس وحماه لتحليف من فيها، وكتب إلى الأعمال بإعفاء الجند من المغارم.

وفى يوم الخميس رابع عشريه: ركب الأمير قوصون فى دست النيابة، وترجل له الأمراء، فكان موكبا عظيما.

وفيه أنفق الأمير قوصون فى العسكر لكل مقدم ألف من الأمراء ألف دينار، ولكل أمير طبلخاناة خمسمائة دينار، ولكل أمير عشرة مائتى دينار، ولكل مقدم حَلقة خمسين دينار، ولكل جندى خمسة عشر دينار.

وفى يوم السبت سادس عشريه: سُمِّر والى الدولة أبو الفرج بن الخطير صهر النشو. وسببه أنه لما أفرج عنه كثرت الإشاعة بأن الأمير ملكتمر الحجازى يستقربه فى نظر الخاص، وأنه ينهض بما ينهض به النشو، وأنه صار يخلو بالسلطان المنصور أبى بكر ويحادثه فى أمور الدولة، وأنه كثر نزول ملكتمر الحجازى وغيره من الأمراء إلى بيته ليلا، وحضوره عنده إلى مجالس اللهو. واتهم الملك المنصور أبى بكر بأنه نزل إليه أيضًا. فنقل ذلك أعداؤه من الكتاب إلى الأمير قوصون، وأغروه به إلى أن كان من قيامه على السلطان ما كان، فقبض على والى الدولة وسجنه، فقام الكتاب فى قتله حتى أجابهم قوصون إلى ذلك، فطلب ابن المحسنى والى القاهرة. طوائف من العامة وألزمهم إن يشعلوا الشموع من بعد صلاة الصبح خارج باب زويلة، وأخرج والى الدولة من خزانة شمايل، وسمره على جمل تسميرا فاحشا بمسامير خافية، وأمر فنودى عليه: «هذا جزاء من يرمى الفتن ويتحدث فيما لا يعنيه ويفسد عقول الملوك». وشهر والى الدولة

والشموع بين يديه بالقاهرة ومصر، فطافوا به الأزقة والشوارع وهو ساكت يتجلد، فإذا مر بالشهود فى الحوانيت أو بجمع من القضاة صاحَ: «يا جماعة ! اشهدوا لى أننى مسلم، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأنا أموت عليها» فكان يوما مشهودا. ولم يزل والى الدولة على ذلك أياما حتى مات وقال فيه بعضهم.

قد أخلف النسو صهر سوء ... قبيح فعل كما رأوُه

أراد للشر فتح باب ... فأغلقوه. وسمروه

وكانت عدة الشموع التى أشعلت يوم تسميره ألفا وخمسمائة شمعة.

وفى يوم الخميس مستهل ربيع الأول: أنعم الأمير قوصون على أحد وعشرين رجلا من المماليك السلطانية بإمريات، منهم ستة طبلخاناة والبقية عشرات.

وفى يوم الجمعة تاسعه - ويوافقه أول أيام النسىء -: وفى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح سد الخليج بكرة يوم السبت. فنقص الماء أربعة أصابع، ثم رد النقص وزاد أصبعا من سبعة عشر ذراعا فى يوم الخميس خامس عشره، فسر الناس بذلك سرورا زائدا.

وفى يوم الأربعاء رابع عشره: توجه الأمير طوغان لإحضار أحمد ابن السلطان الناصر محمد من الكرك محتفظا به، لينفى إلى أسوان. وسبب ذلك ورود كتاب ملكتمر السرجوانى نائب الكرك يتضمن أن أحمد قد خرج عن طوعه، وكثر شغفه بشباب أهل الكرك وانهماكه فى معاقرة الخمر، وأنه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكركيين على قتله، وطلب الإعفاء من نيابة الكرك.

وفى يوم السبت سابع عشره: خلع على الأمير طقزدمر النائب، واستقر فى نيابة حماة عوضا عن الملك الأفضل ابن الملك المؤيد الأيوبى، وأنعم على الأفضل بإمرة ألف فى دمشق.

وفيه أنعم الأمير آقبغا عبد الواحد بإمرة فى دمشق، ورسم بسفره إليها.

وفى يوم الخميس ثانى عشريه: خُلع على جميع الأمراء وأهل الدولة بدار العدل، وقد أجلس السلطان على التخت، وقبَّل الأمراء الأرض بين يديه، ثم تقدموا إليه على قدر مراتبهم، وقبلوا يده. فكانت عدة الخلع يومئذ ألف خلعة ومائتى خلعة، وكان يوما مشهودًا.

وفيه توجه جركتمر بن بهادر إلى أسوان، للاحتفاظ على المنصور أبى بكر وإخوته، وكان قد حضر إلى القاهرة هو وغيره ممن توجه لتحليف نواب الشام بنسخ حَلفهم.

وفى تاسع عشريه: ورد البريد من الكرك بكتاب أحمد ابن السلطان يتضمن أنه لا يحضر حتى يأتيه الأمراء الأكابر إلى الكرك ويُحَلّفهم، ثم تحضر إخوته من بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك، ويحضر هو بعد ذلك وينتصب سلطانا. فأجيب من الغد بإنه لم يطلب إلا لشكوى النائب منه، وجهزت له هدية سنية، وأنه يحضر إلى القاهرة حتى تعمل المصلحة.

وفيه أفرج عن الشريف مبارك بن عطيفة.

وفيه أنعم على عشرة من مماليك السلطان بإمريات، ونودى بالقاهرة بألا يرمى على أحد من التجار والباعة شيء من البضائع.

وفيه قبض على بدوى معه كتاب أمير يحيى بن ظهير بغا المغلى لأحمد ابن السلطان الناصر محمد يحذره من دخول مصر، وأنه متى دخل إليها قتل، فأنكر قوصون على أمير يحيى ذلك، فزعم أنه كتاب أخته زوجة أحمد.

وفيه ورد كتاب عبد المؤمن والى قوص يخبر بوصول المنصور أبى بكر وإخوته، وأنه ركب فى خدمته. فلما عاد عبد المؤمن من خدمته بعث إليه المنصور بخمسمائة دينار، فكتب الأمير قوصون جوابه بالاحتراس عليه.

وفيه أخذت أمور قوصون تضطرب. وذلك أنه ألزم المماليك السلطانية بالمشى فى خدمته، كما كانوا فى الأيام الناصرية يمشون فى خدمة السلطان الناصر محمد، فلم يوافقوه على ذلك، وكان قوصون مع كثرة إحسانه قد ألقى الله بغضته فى قلوب الناس جميعًا حتى صاروا يلهجون بها.

وفى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر: قدم من الكرك الأمير شرف الدين ملكتمر السرجوانى نائبها، والأمير طرغاى الطباخى، وأخبرا بامتناع أحمد من الحضور، وأنه أقام على الخلاف.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: اجتمع الأمراء للمشورة فى أمر أحمد ابن السلطان حتى تقرر الأمر على تجريد العسكر لأخذه.

وفى يوم السبت سادس عشره: ابتدأت الفتنة بين الأمير قوصون وبين المماليك السلطانية. وذلك أنه أرسل يستدعى من الطواشى مقدم المماليك مملوكا من طبقة الزمرذية[1] جميل الصورة، فمنعه خشداشيته أن يخرج من عندهم. فتلطف بهم

---

(١) طائفة من المماليك وبخاصة المجلبين من بلاد القبجاق.

الطواشى المقدم حتى أخذه، ومضى به إلى قوصون وبات عنده. وطلب قوصون من الغد نحو أربعة أو خمسة مماليك، ومنهم شيخو وصرغتمش وأيتمش عبد الغنى فامتنع خشداشيتهم من ذلك، وقام منهم نحو المائة مملوك، وقالوا: «نحن مماليك السلطان ما نحن مماليك قوصون». وأخرجوا الطواشى المقدم على أقبح صورة. فمضى الطواشى المقدم إلى قوصون وعرفه ذلك، فأخرج إليهم الأمير برسبغا الحاجب وشاورشى دواداره فى عدة من مماليكه ليأتوه بهم، فإذا بالمماليك السلطانية قد تعصبوا مع كبارهم، وخرجوا على حمية إلى باب القلة يريدون الأمير بيبرس الأحمدى، فإذا به راكب. فمضوا إلى بيت الأمير جنكلى بن البابا، فلقوه فى طريقهم، فتقدموا إليه وقالوا له: «نحن مماليك السلطان مشترى ماله، كيف نترك ابن أستاذنا ونخدم غيره، فينال غرضه منا، ويفضحنا بين الناس؟»، وجهروا بالكلام الفاحش. فتلطف بهم جنكلى فلم يرجعوا عما هم عليه، فحنق منهم وقال لهم: «أنتم الظالمون بالأمس لما خرجتم قلت لكم أنا ونائب السلطان طقزدمر ارجعوا إلى خدمة أستاذكم، قلتم ما لنا أستاذ غير قوصون، والآن تشكون منه» فاعتذروا ومضوا، وقد حضر الأمير بيبرس الأحمدى فاجتمعوا به، وتوجهوا إلى منكلى بغا الفخرى، فإذا قد وافاه برسبغا من عند قوصون، فأرادوا أن يوقعوا به، فكفهم الفخرى عنه، ومازال يتلطف بهم.

هذا وقوصون قد بلغه خبرهم، فأراد أن يخرج ويجمع الأمراء، فمازال به من عنده من الأمراء حتى سكن إلى بكرة النهار، فكانت ليلة مهولة بالقلعة. ثم طلب قوصون جنكلى والأحمدى والفخرى وبقية الأمراء إليه، وأغراهم بالمماليك السلطانية. فبعثوا بأمير مسعود إليهم ليحضرهم، فإذا جمعهم قد كثف وكثر، فلم يلتفتوا إليه، فعاد. وخرج إليهم ألطنبغا الماردانى وقطلوُبغا الفخرى - وهما أكبر الناصرية - ومازالا بهم حتى أخذا من وقع عليه الطلب، ودخلا بهم إلى قوصون، فقبلوا يده، فقام لهم وقبل رءوسهم وطيب خاطرهم ووعدهم بكل خير، وانصرفوا وفى الظن أنه قد حصل الصلح، وذلك يوم السبت المذكور.

فلما كانت ليلة الإثنين: وقت الغروب تحالف المماليك السلطانية على قتل قوصون وبعثوا إلى من بالقاهرة منهم، فبات قوصون - وقد بلغه ذلك - على حذر. وركب قوصون يوم الإثنين ثامن عشره الموكب مع الأمراء تحت القلعة، وطلب أيدغمش أمير آخور وأخذ يلوم الأمراء على إقامته فى نيابة السلطنة، وهم يترضونه ويعدونه بالقيام معه. فأدركه الأمير بيبرس الأحمدى، وأعلمه بأن المماليك السلطانية قد اتفقوا على قتله، فمضى بالموكب مع الأمراء إلى جهة قبة النصر. فارتجت القلعة، وغلقت أبوابها،

ولبست المماليك السلطانية السلاح بالقلعة، وكسروا الزردخاناه. وقد امتلأت الرميلة بالعامة، وصاحوا: «يا ناصرية»، فأجابهم المماليك من القلعة. ثم رجعوا إلى باب إصطبل قوصون وهجموا عليه، وكسروا من كان يرجمهم من أعلاه. فبلغ ذلك قوصون، فعاد بمن معه من الأمراء، فأوقعوا بالعامة حتى وصلوا إلى سور القلعة، فرماهم المماليك السلطانية بالنشاب لحماية العامة. فقتل أمير محمود صهر الأمير جنكلى بن البابا بسهم، وقتل معه آخر. ووصل الأمراء إلى إصطبل قوصون، وقد بدأ النهب فيه، فقتلوا من العامة جماعة كبيرة، وقبضوا على جماعة. فلم تطق المماليك السلطانية مقاومة الأمراء، وكفوا عن الحرب، وفتحوا باب القلعة. فطلع إليها الأمير برسبغا الحاجب، وأنزل ثمانية من أعيان المماليك إلى قوصون، وقد وقف بجانب زاوية تقى الدين رجب تحت القلعة. فوسّط قوصون واحدًا منهم اسمه صربغا، فإنه هو الذى فتح خزائن السلاح وألبس المماليك، وأمر به قوصون فعلق على باب زويلة وشفع الأمراء فى البقية، فسجنوا بخزانة شمايل مقيدين. ورُسم بتسمير عدة من العامة، فسمٍّر منهم تسعة على باب زويلة، وأمر بالركوب على العامة وقبضهم، ففروا حتى لم يقبض منهم على حرفوش واحد. ثم طلع الأمير قوصون إلى القلعة قريب العصر، ومُدّ له وللأمراء سماط، فأكلوا. وبقيت الأطلاب وأجناد الحلقة تحت القلعة إلى آخر النهار، فكان يوما مشهودًا، وكانت جملة من قتل فيه من الفئتين ثمانية وخمسين رجلا.

وفى ليلة الثلاثاء: طلع الأمير برسبغا فى جماعة إلى طباق المماليك بالقلعة، وقبضوا على مائة مملوك منهم، وعملوا فى الحديد، وسجنوا بخزانة شمايل، فمنهم من قتل، ومنهم من نفى من مصر.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره: سُمِّر تسعة من العوام.

وفى يوم الأربعاء عشريه: سُمِّر ثلاثة من الطواشية على باب زويلة، فى عدة من الحرافيش. وسبب ذلك أن قوصون لما نزل من القلعة ومضى إلى قبة النصر، وقابلته المماليك أخذت الطواشية فى الصياح على نسائه، وأفحشوا فى سبهن. فمات أحدهم تحت العقوبة وأفرج عن الاثنين.

وفيه عرضت مماليك الطباق، وأنعم على مائتى مملوك منهم بإقطاعات كثيرة المتحصل، وعين جماعة منهم للإمريات. وأكثر قوصون من الإحسان إليهم، والإنعام عليهم.

وفيه قدم البريد من دمشق بكتب أحمد ابن السلطان إلى نائب الشام، وهى مختومة لم

تفك، فإذا فيها أنه كاتب الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب وغيره من النواب، وأنهم قد اتفقوا معه، وأكثر أحمد من الشكوى من قوصون. فأوقف قوصون الأمراء عليهما، ومازال بهم حتى وافقوه على تجريد العسكر إلى الكرك.

وفيه فرقت المماليك التي كانت الفتنة بسببهم على خشداشيتهم، فسلم صرغتمش إلى الأمير ألطنبغا الماردانى، وسلم أيتمش لأيدغمش أمير آخور، وسلم شيخو إلى أُرُنْبَغا السلاح دار.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: قدم البريد من الكرك بأن أحمد ابن السلطان لم يوافق طرغاى الطباخى على القدوم معه، وأن طرغاى توجه من الكرك عائدا بغير طائل. وكانت الإشاعة قد قويت بالقاهرة أن أحمد عزم على السير إلى مصر، وطلب السلطنة. فكثر الاضطراب، ووقع الشروع فى تجهيز العساكر صحبة الأمير قطلوبغا الفخرى، واستحلفه قوصون، وبعث إليه عشرة آلاف دينار، وعين معه الأمير قمارى أخو بكتمر الساقى، ومعهما أربعة وعشرون أميرا، ما بين طبلخاناة وعشرات، وأنفق عليهم جميعا ثم بعث قوصون إلى قطلوبغا الفخرى بخمسة آلاف دينار عند سفره، وركب لوداعه صحبة الأمراء حتى أناخ بالريدانية فى يوم الثلاثاء خامس عشريه.

ولم يكن الأمراء راضين بسفرهم، بل أشار الأمير آل ملك والأمير جنكلى بن البابا على قوصون بألا يحرك ساكنا فلم يقبل، فأشارا عليه بأن يكتب إلى أحمد يعتبه على مكاتبته نائب الشام، فكتب إليه بذلك، فأجاب بأن طرغاى الطباخى أسمعه كلاما فاحشا وأغلظ عليه فى القول، فحمله على مكاتبة نائب الشام، وأن الأمير قوصون والده بعد والده، ونحو هذا من القول.

وفيه قدم الأمير أزدمر الكاشف، ومعه ابن حُرَجا خولى الأغنام السلطانية تحت الاحتفاظ، فأخذ منه ألف ألف درهم من غير أن يضرب؛ لكثرة أمواله وسعادته.

وفيه قدم الخبر من شطى بن عبية أمير العرب بأن أحمد ابن السلطان الناصر قد اختلفت عليه مماليكه، وقتلوا الشاب الذى كان يهواه ويعرف بشهيب، من أجل أنه كان يهينهم.

وفيه أفرج عن مماليك دمرداش الذين بعثهم السلطان الملك الناصر محمد إلى صفد ورُسم بتفرقتهم على الأمراء.

وفى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأول: ركب الأمير نائب قوصون نائب السلطنة إلى

سرياقوس[١]، وصحبته الأمراء على جارى العادة.

وفيه خلع على ضياء الدين يوسف. بن خطيب بيت الآبار، وأعيد إلى حسبة القاهرة.

وفى هذا الشهر: ظهر لقوصون مخالفة الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب عليه، وسببه أنه شق عليه إخراج أولا السلطان الملك الناصر إلى الصعيد، ويجهز العسكر لقتال أحمد ابن السلطان. وكان قد بعث إليه أحمد يشكو من قوصون، وأنه يريد القبض عليه، ويطلب منه النصرة عليه. فكتب طشتمر حمص أخضر إلى الأمراء وإلى قوصون بالعتب، فقبض على قاصده بقطيا، وسجن. وكتب قوصون إلى الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام بأن نائب حلب قد شرع يتكلم فى الفتنة، وأنه لا يصغى إلى قوله، وحمل إليه إنعاما كثيرًا، فأجاب بالسمع والطاعة والشكر والثناء.

وفيه أيضًا تنكرت الأحوال بين الأمير قوصون وبين الأمير أيدغمش أمير آخور، وكادت الفتنة تقع بينهما. وذلك أن بعض مماليك أمير على بن أيدغمش وشى إليه بأن قوصون قدر مع برسبغا أنه يبيت بالقاهرة، ويكبس فى عدة من مماليك قوصون على أيدغمش. فأخذ أيدغمش فى الاحتراز، وامتنع من طلوع القلعة أياما بحجة أنه متوعك الجسم. وصار إذا سير قوصون فى سوق الخيل يغلق أيدغمش باب الإصطبل، ويوقف طائفة الأوجاقية عليه. فاشتهر الخبر بين الناس، وكثرت القالة. وبلغ قوصون تغير أيدغمش عليه، فحلف للأمراء أنه لا يعرف لتغيره سببًا، فمازالت الأمراء بأيدغمش حتى طلع إلى القلعة، وعرف قوصون بحضرتهم ما بلغه، فحلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ولا عنده منه خبر، وتصالحا. فبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإصطبل بالناقل له، فرده إليه ولم يعاقبه.

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بوفاة الأمير بشتاك بمحبسه، فاتهم قوصون بقتله.

وفيه قدم الخبر من جركتمر بن بهادر بأنه وصل إلى الملك المنصور أبى بكر، وشكى من ترفعه وتعَاظمه عليه، فكتب بطلب عبد المؤمن والى قوص على البريد، فلما قدم خلع عليه قوصون، وأكثر من الإنعام عليه، وقرر معه ما يعمله، وأعاده على البريد وكتب إلى جركتمر بن بهادر بمساعدته على ما هو بصدده.

وفيه أنشأ الأمير قوصون قاعة لجلوس مع الأمراء من داخل باب القلعة، وفتح لها شباكا يطل على الدركاه، وجلس فيه مع أكابر الأمراء ومد السماط بها، وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد. وزاد قوصون فى راتب سماطه كثيرًا من الحلوى

---

(١) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/ ٢١٨.

والدجاج ونحو ذلك، وأكثر من الخلع والإنعامات إلى الغاية، بحيث لم يمنع أحدا من خير يصل إليه منه. وكان قوصون قبل ذلك يجلس بباب القلعة موضع النيابة، في موضع صنعه وأدار عليه درابزين يحجبه عن الزحمة من كثرة الناس.

وفيه قدم الخبر من عبد المؤمن والى قوص بأن المنصور أبا بكر وجد فى نفسه تغيرا، وفى جسمه توعكا، لزم الفراش منه أياما، ومات. ثم قدم جركتمر بن بهادر وأخبر بذلك، فاتهم قوصون بأنه أمر بقتله.

وفيه قدم الخبر من العسكر المجرد إلى الكرك بغلاء السعر عندهم، وأن التبن بلغ أربعين درهما الحمل. ثم قدم الخبر بنزول العسكر مع قطلوبغا الفخرى على الكرك، وقد امتنعت واستعد أهلها للقتال، وكان الوقت شتاء، فأقام العسكر نحو العشرين يوما فى شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب، وتسلط أهل الكرك عليهم بالسب واللعن، وكثرت غاراتهم فى الليل عليهم، وتقطيع قربهم وروايهم.

هذا وقوصون يمد قطلوبغا الفخرى بالأموال، ويحرضه على لزوم الحصار.

وفيه قدم البريد من عند ألطنبغا الصالحى نائب دمشق بأن تمر الموساوى قدم من حلب، واستمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب.

فكتب قوصون بالقبض عليه، وحمل تشريف لنائب حلب. وكتب قوصون إلى ألطنبغا الصالحى نائب دمشق أن يطالع بالأخبار، وأعلم القاصد بأنه إنما أرسل لكشف أخباره. فلم يرض نائب حلب بالتشريف، وعابه، وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد السلطان، فأجابه بأعذار غير مقبولة.

ثم قدم الخبر من شطى بن عبية أمير العرب بأن قطلوبغا الفخرى قد خامر بالكرك على قوصون، وحلف لأحمد هو ومن معه من الأمراء، وأنهم أقاموه سلطانا ولقبوه بالملك الناصر، وذلك بمكاتبة طشتمر حمص أخضر نائب حلب له يعتبه على موافقة قوصون، وقد فعل بأولاد السلطان ما فعل، ويعزم عليه أن يدخل فى طاعة أحمد، ويقوم معه بنصرته. فصادف ذلك من قطلوبغا الفخرى ضجره من طول الإقامة على حصار الكرك، وشدة البرد وكثرة الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد وخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه، وكتب إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب بذلك، فأعاد جوابه بالشكر والثناء، وأعلمه بأن الأمير طقزدمر نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بأمر أحمد.

وكان الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام قد أحس بشىء من هذا، فاحترس على

الطرقات حتى ظفر بقاصد طشتمر حمص أخضر نائب حلب على طريق بعلبك، ومعه كتب من هؤلاء الأمراء إلى أحمد، فبعث ألطنبغا بهذه الكتب إلى قوصون فقدمت ثانى يوم ورود كتاب شطى بمخامرة قطلوبغا الفخرى، فإذا فيها «الملكى الناصرى» فاضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم بما وقع وأوقفهم على الكتب، وذكر لهم أنه وصل منه إلى قطلوبغا الفخرى فى هذه السفرة أربعين ألف دينار، سوى الخيل والقماش والتحف.

وفيه رسم قوصون بإيقاع الحوطة على دور الأمراء المجردين إلى الكرك، فمازال به الأمراء حتى كف عن ذلك. وألزم مباشريهم بحمل حواصلهم وصار فى أمر مريج. ثم كتب قوصون إلى ألطنبغا الصالحى نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر حمص أخضر نائب حلب، ومعه نائب حمص، ونائب صفد، ونائب طرابلس، وكتب إليهم بالسمع والطاعة له، وحمل قوصون النفقات إلى العساكر الشامية. فخرج الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام من دمشق بالعسكر فى جمادى الآخرة، فتلقاه الأمير أرقطاى نائب طرابلس على حمص، وصار من جملته، وأخبره بكتاب طشتمر حمص أخضر نائب حلب يدعوه لموافقته، وأنه أبى عليه. ثم كتب الأمير ألطنبغا نائب الشام إلى الأمير طقزدمر نائب حماة ليحضر معه، فاعتذر بأنه من وجع رجله ما يقدر على الركوب، - وكان قد وافق نائب حلب - فبعث إليه نائب الشام بقبول عذره، وحلفه على طاعة السلطان الأشرف كجك، وألا يوافق طشتمر حمص أخضر نائب حلب ولا قطلوبغا الفخرى، ولا يخرج من حماة حتى يعود ألطنبغا من حلب، فحلف الأمير طقزدمر على ذلك.

وعندما بلغ طشتمر حمص أخضر نائب حلب مسير ألطنبغا نائب الشام إليه بالعساكر، استدعى ابن دلغادر، فقدم عليه حلب، واتفق معه على الخروج إلى الأبلستين، وسار به ومعه ما خف من أمواله، وأخذ أولاده ومماليكه. فأدركه عسكر حلب، وقد وصل إليهم كتاب ألطنبغا نائب الشام بالاحتراس عليه ومنعه من الخروج عن حلب، وقاتلوه عدة وجوه، فلم ينالوا منه غرضا، وقتل من الفريقين خمسة نفر، وعادوا وأكثرهم جرحى. فلما وصل طشتمر حمص أخضر إلى الأبلستين كتب إلى أرتنا يستأذنه فى العبور إلى الروم، فبعث إليه أرتنا بقاضيه وعدة من ألزامه، وجهز له الإقامات. فمضى طشتمر حمص أخضر إلى قيصرية[1]، وتوجه أرتنا لمحاربة دمرداش بعد

---

(١) بلدة على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٤/٤٢١.

أن رتب للأمير طشتمر فى كل يوم ألفى درهم.

وأما ألطنبغا الصالحى نائب الشام، فإنه قدم إلى حلب، وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر حمص أخضر، وأنه استولى على حلب. فقدم كتابه فى يوم الأربعاء ثانى رجب، صحبة أطلمش الكريمى، فأخرجه قوصون فى رابعه إلى الشام لكشف الأخبار.

وفى خامسه: خلع على جميع الأمراء المقدمين والطبلخاناة والعشرات، ولبس معهم الأمير قوصون تشريف النيابة، وخلع على ثلاثمائة من المماليك السلطانية، فكان يوما مشهودًا.

وفى يوم الإثنين ثامنه: فرق قوصون إقطاعات الأمراء المجردين صحبة قطلوبغا الفخرى، وعدتهم اثنان وثلاثون أميرا، منهم أمراء طبلخاناة ستة عشر، وأمراء عشرات سته عشر، وأميران مقدمان. وأعطى قوصون إمرياتهم لأربعة وثلاثين أميرا، عوضا عن أولئك.

وفى يوم الأربعاء عاشره: نزل الوزير نجم الدين وناظر الخاص جمال الكفاة إلى بيوت الأمراء المجردين، وأخذوا ما قدروا عليه من أموالهم وخيولهم، ففرقها قوصون على الأمراء المستجدين. وأخرج قوصون أيضًا إقطاعات أولاد الأمراء المجردين، ومماليكهم ومن يلوذ بهم من أجناد الحلقة، لجماعة سواهم.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشريه: قدم الأمير الشيخ على بن دلنجى القازانى أحد الأمراء العشرات المجردين، وأخبر بمسير قطلوبغا الفخرى من الكرك إلى دمشق، ومواقعته مع ألطنبغا نائب الشام، وأنه فر منه فى ليلة الوقعة، فخلع عليه قوصون خلعة كاملة بكلفتاه زركش وحياصة ذهب.

وكان من خبر ذلك أن ألطنبغا الصالحى نائب الشام لما دخل حلب استولى على حواصل طشتمر حمص أخضر وأسلحته وخيوله وجماله، وباع ذلك على أهل حلب. وبينا هو فى ذلك إذ بلغه دخول قطلوبغا الفخرى إلى دمشق بمن معه من العسكر، وأنه دعا للناصر أحمد، وقد وافقه آقسنقر السلاى نائب غزة، وأصلم نائب صفد، ومن تأخر بدمشق من الأمراء، وهم شيخو البشمقدار وتمر الساقى، وأن آقسنقر نائب غزة وقفَ لحفظ الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر، واستولى على القصر المعينى بلد قوصون بالغور، وأخذ ما فيها من القند والسكر وغير ذلك، وقبض على نوابه وأمواله وغلاله وأن قطلوبغا الفخرى أخذ فى تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء والأجناد،

وأن الأمير طقزدمر نائب حماة قدم عليه فى غد دخوله، فركب وتلقاه وقوى به. واستخدم قطلوبغا الفخرى جندا كبيرًا، ونادى بدمشق: من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر، وأخذ مالا كثيرًا من التجار وأرباب الأموال، وأكره قاضى القضاة تقى الدين ابن السبكى حتى أخذ مال الأيتام، وأخذ أجر الأملاك والأوقاف لثلاث سنين، فلم يبق أحد بدمشق إلا وغرم المال على قدر حاله. فجمع قطلوبغا الفخرى مالا عظيما، وأتته جماعات من الجند والتركمان أوراقا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والبطالين لإقطاعات بالحلقة، فتجهزوا جميعهم بالخيل والأسلحة. وحلف قطلوبغا الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد، وعمل برسمه العصائب السلطانية والسناجق الخليفتية ورقاب الخيل والكنابيش والسروج والغاشية والقبة والطير، وسائر ما يحتاج إليه من أبهة السلطنة وجهز الكوسات والبغال. وكتب قطلوبغا إلى الناصر أحمد يعرفه بذلك فأجابه بالشكر والثناء، وبعث إليه موسى بن التاج إسحاق بمال، وسأل أن يكون ناظر الخاص على ما كان عليه أبوه فى أيام أبيه السلطان الملك الناصر محمد. فأجابه قطلوبغا إلى ذلك، وأقام بدمشق يدبر أمره، وطلب ابن صبح نائب صفد، وبعثه لجمع العشير والجبلية من بلاد صفد وطرابلس وغيرها، فأتاه منهم جمع كثير. وكتب قطلوبغا إلى سليمان بن مهنا أن يعرفه بمسير ألطنبغا الصالحى من حلب، فكتب الأمير ألطنبغا يعرف الأمير قوصون بذلك فازداد اضطرابه، وجمع الأمراء. فاتفق الرأى على تجريد أمراء إلى غزة، فتوجه برسبغا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين على بن طغريل فى جماعة وأجيب الأمير ألطنبغا نائب الشام على يد أطلمش الكريمى بأن يسير من حلب إلى قتال قطلوبغا الفخرى بدمشق، فتوجه أطلمش على البريد من البرية لانقطاع الدرب، ووصل إلى حلب، وعرف ألطنبغا الخبر، فسار ألطنبغا منها حتى قدم حمص، وقد خرج قطلوبغا الفخرى من دمشق إلى خان لاجين وأمسك المضيق، وأقام الجبلية والعشير على الجبلين، ووقف هو بالعسكر فى وسط الطريق.

وأما ألطنبغا الصالحى فإنه حلف من معه، وسار من حمص حتى قرب من قطلوبغا، وعدة الجمعين نحو ثلاثة عشر ألف فارس. فتمهل ألطنبغا كراهة لسفك الدماء، وراسل قطلوبغا مدة ثلاثة أيام، فلم يتم بينهما أمر، وبعث قطلوبغا إلى جماعة من أصحاب ألطنبغا يعدهم ويستميلهم حتى وافقوه.

فلما تعبت الرسل وملت العساكر من شدة البرد، بعث ألطنبغا فى الليل عدة ممن معه على طريق المرج ليهجموا على قطلوبغا من ورائه، ويلقاهم هو من أمامه. وركب ألطنبغا من الغد، فمال كل أمير ممن معه إلى جهة قطلوبغا، وصاروا من جملته. فلم يبق مع

ألطنبغا سوى أرقطاى نائب طرابلس، وأسنبغا بن بكتمر البوبكرى وأيدمر المرقبى من أمراء دمشق، فانتهزوا على طريق صفد إلى جهة غزة، والقوم فى أثرهم، بعد أن كانت بينهم وقبة هائلة انهزم فيها ألطنبغا نائب الشام، وهرب فيها من معهم، وخلصوا هم بأنفسهم.

وعاد قطلوبغا الفخرى إلى دمشق منصورًا. وكتب مع البريد إلى الأمير طشتمر حمص أخضر يعرفه بنصرته ويدعوه إلى الحضور، وأنه فى انتظاره بدمشق. وحلف قطلوبغا الفخرى من معه للملك الناصر أحمد. وأمر الخطباء فدعوا له على منابر دمشق وضرب السكة باسمه وكتب يعرفه بذلك. وبعث قطلوبغا إليه تقدمة جليلة، واستحثه على المسير إلى دمشق ليسير فى خدمته إلى مصر، وبعث بخطوط الأمراء إليه.

وأما ألطنبغا الصالحى نائب دمشق فإنه وصل إلى غزة ومعه أرقطاى وطرنطاى البشمقدار فيمن معهم، فتلقاهم الأمير برسبغا ومن معه. وكتب ألطنبغا إلى قوصون بذلك، فقامت، وقبض على أخوة أحمد شاد الشرابخاناة، وعلى قرطاى أستادار قطلوبغا الفخرى.

ثم قدم على قوصون كتاب قطلوبغا الفخرى يعنفه على إخراج أولاد السلطان الناصر محمد وقتل المنصور أبى بكر، وأن الاتفاق وقع على سلطنة الناصر أحمد، ويشير عليه بأن يختار بلدا يقيم بها حتى يسأل له السلطان الملك الناصر أحمد فى تقليده إياها. فقام قوصون وقعد، وجمع الأمراء، فوقع الاتفاق على تجهيز التقادم للأمراء بغزة. فجهز قوصون لكل من ألطنبغا الصالحى نائب الشام وأرقطاى نائب طرابلس ثلاثين بدلة وثلاثين قبَاء مسنجبة بطرازات زركش، ومائتى خف ومائتى كلفتاه، وكسوة لجميع مماليكهما وغلمانهما وحواشيهما، وجهز لكل من الأمراء الذين معهما ثلاث بدلات وأقبية بسنجاب، وكسوة لمماليكهم وأتباعهم. وأخذ قوصون فى الإنعام على المماليك السلطانية، وأخرج ثلاثمائة ألف دينار من الذخيرة لتجهيز أمره حتى يخرج بالعساكر إلى الشام. وأخرج أربعمائة قرقل وزرديات وخوذ وغيرها، وأنعم على جماعة من المماليك بإمريات، وغير إقطاعات جماعة منهم بإقطاعات المجردين، وكتب إلى الأمراء بمسيرهم من غزة، وهيأ لهم الإقامات والخيول، وبعث إليهم بالحلاوات والفواكه وسائر ما يليق بهم.

فبينا قوصون فى ذلك إذ ركب الأمراء عليه، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشرى رجب وقت عشاء الآخرة. وسبب ذلك تنكر قلوب أكابر الأمراء عليه، لأمور بدت منه، منها قتل الأمير بشتاك، ثم قتل الملك المنصور أبى بكر، ثم وقوع الوحشة بينه وبين

أيدغمش، فأخذ أيدغمش فى التدبير عليه. ثم كان من انتصار قطلوبغا الفخرى على ألطنبغا الصالحى نائب الشام ما كان، فكتب قطلوبغا إلى أيدغمش سرًا بأنه سلطن أحمد، وحرضه على الركوب إلى الكرك بمن قدر على استمالته.

وكان قوصون قد احتفل لِقدوم ألطنبغا الصالحى نائب الشام ومن معه، وفتح ذخيرة السلطنة، وأكثر من النفقات والإنعامات حتى بلغت إنعاماته علىَ الأمراء والخاصكية وما فرقه فيهم وفى العسكر ستمائة ألف دينار. فشاع بأنه يريد أن يتسلطن، فخاف أيدغمش وغيره من تحكمه فى السلطنة، وحرض الخاصكية حتى وافقه الأمير ألطنبغا المارداني ويلبغا اليحياوى، فى عدة من المماليك السلطانية، وعدة من أكابر الأمراء منهم الحاج آل ملك وجنكلى بن البابا، أنهم يسيرون جميعًا إلى الكرك عند قدوم ألطنبغا الصالحى نائب الشام وخروجهم إلى لقائه.

فلما كان يوم الإثنين: ركب قوصون فى الموكب تحت القلعة على العادة، وطلب الأمير يلجك ابن أخته، وأخرج إلى لقاء نائب الشام - وقد ورد الخبر بنزوله على بلبيس - ليأتى به سريعا. فوافى يلجك الأمير ألطنبغا الصالحى ومن معه على بلبيس، فلم يوافقه على السرعة، وقصد أن يكون حضوره فى يوم الخميس أول شعبان. وبات ألطنبغا ليلة الثلاثاء على بلبيس وركب من الغد ونزل سرياقوس، فبلغه ركوب الأمراء على قوصون وأنه محصور بالقلعة، فركب بمن معه إلى بركة الحاج، وإذا بطلب قوصون وصنجقه فى نحو مائة مملوك قد وافوه، وأعلموه أن فى نصف الليل ركب الأمراء وأحاطت بإصطبل قوصون، وحصروه فى القلعة، فخرجوا هم على حمية حتى وصلوا إليهم.

وكان من خبر ذلك أن قوصون لما بعث يلجك ليأتيه بنائب الشام سريعا، تواعد أيدغمش ومن وافقه على أن يركبوا فى الليل إلى الكوك. فجهز كل منهم حاله، حتى كان ثلث الليل فتح الأمراء باب السر، ونزلوا إلى أيدغمش بالإصطبل. ومضى كل واحد إلى إصطبله فلم ينتصف الليل إلا وعامة الأمراء بأطلابهم فى سوق الخيل تحت القلعة، وهم ألطنبغا المارداني ويلبغا اليحياوى وبهادر الدمرداشى والحاج آل ملك والجاولى وقمارى الحسنى أمير شكار وأرنبغا وآقسنقر السلارى. وبعثوا إلى إصطبلات الأمراء مثل جنكلى بن البابا وبيبرس الأحمدى وطرغاى الطباخى وقياتمر وغيرهم، فأخرجوا أطلاب الجميع إليهم. وخرج لهم أيدغمش بمماليكه ومن عنده من الأوجاقية، فوقفوا جميعا ينتظرون نزول قوصون إليهم، حتى يمضوا إلى الكرك. فأحسن قوصون

بهم، وقد انتبه، فطلب الأمراء المقيمين بالقلعة، فأتاه منهم اثنى عشر أميرا منهم جنكلى ابن البابا والأحمدى وطرغيه وقباتمر والوزير. ولبست مماليكه التى كانت عنده بالقلعة، وسألته أن ينزل ويدرك إصطبله، ويجتمع بمن فيه من مماليكه وكان يعتز بهم، فإنهم كانوا سبعمائة مملوك، وطالما كان يقول: «إيش أبالى بالأمراء وغيرهم ! عندى سبعمائة مملوك ألقى بهم كل من فى الأرض»، فلم يوافقهم قوصون لما أراد الله به، وأقام إلى أن طلع النهار. فلما لم تظهر له حركة أمر أيدغمش أن يطلع الأوجاقية إلى الطبلخاناة السلطانية وأخرج لهم الكوسات. ودق أيدغمش حربيا، ونادى: «معاشر أجناد الحلقة ومماليك السلطان وأجناد الأمراء والبطالين يحضروا، ومن ليس له لبس ولا فرس ولا سلاح يحضر يأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا» فأتاه جماعة كثيرة من أجناد الحلقة والمماليك، ما بين لابس السلاح راكب وبين ماش أو على حمار، وأقبلت العامة كالجراد المنتشر. فنادى أيدغمش: «ياكسابة ! عليكم بإصطبل قوصون، انهبوه» فأحاطوا به ومماليك قوصون من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلفوا منهم عدة كثيرة. فركب مماليك يلبغا اليحياوى أعلا بيت يلبغا حيث مدرسة السلطان حسن الآن، ورموا مماليك قوصون بالنشاب مساعدة للعوام، وجرحوا منهم جماعة، وحالوا بينهم وبين العامة. فهجم العامة عند ذلك على إصطبل قوصون، ونهبوا ركبخاناته وحواصله، وكسروا باب قصره بالفئوس بعد مكايدة شديدة، وطلعوا إليه. فخرجت مماليك قوصون على حمية، وشقوا القاهرة، وصاروا إلى ألطنبغا الصالحى نائب الشام. فبعث أيدغمش فى أثرهم إلى ألطنبغا نائب الشام ومن معه من الأمراء بالسلام عليهم، وأن يمنعوا مماليك قوصون من الاختلاط بهم، فإن الأمير يلبغا اليحياوى والأمير آقسنقر قادمان فى جمع كبير لأخذ مماليك قوصون وحاشيته. فأمر ألطنبغا نائب الشام مماليك قوصون ويلجك وبرسبغا أن يكونوا على حدة. ولبس الجميع، وأخذ برسبغا وجماعته نحو الجبل، فلقيهم يلبغا اليحياوى ومن معه، وكان ذلك بعدما أمسك قوصون، فسار خلفهم إلى قرب إطفيح، وهم فى جمع كبير.

ولم تمض إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما فى إصطبل قوصون من الخيل والسروج وآلات الخيل والذهب وغير ذلك، وقوصون ينظر ويضرب يدا على يد، ويقول «يا أمراء ! هذا تصرف جند؟ يُنهب هذا المال جميعه؟!»، وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون. فبعث قوصون إلى أيدغمش بأن «هذا المال عظيم، وهو ينفع المسلمين والسلطان، فكيف تفعل هذا وتنادى بنهبه؟» فرد جوابه: « نحن قصدنا أنت، ولو راح هذا المال وأضعافه». هذا والقلعة مغلقة الأبواب، وجماعة قوصون

يرمون الأشرفية بالنشاب إلى قرب العصر، والعامة تجمع نشابهم وتعطيه لأجناد الأمراء المحاصرين للقلعة. فألقى حينئذ قوصون بيديه، واستسلم ودخل عليه مماليكه وقد خُذلوا، فدخل عليه بلك الجمدار وملكتمر السرجوانى يأمرانه أن يقيم فى موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك، فيتصرف فيه كما يختار، فلم يجد بدا من الإذعان، وأخذ يوصى الأمير جنكلى على أولاده. وأخذ قوصون وقيد، ومضوا به إلى البرج الذى كان به بشتاك، ورسم عليه جماعة من الأمراء. وكان الذى تولى مسكه وحبسه أرنبغا أمير جندار وجنكلى بن البابا وأمير مسعود حاجب الحجاب.

وأما ألطنبغا الصالحى نائب الشام ومن معه، فإن برسبغا ويلجك والقوصونية لما فارقوه سار هو وأرقطاى نائب طرابلس والأمراء يريدون القلعة. فأشار الأمير ألطنبغا نائب الشام على الأمير أرقطاى نائب طرابلس أن يرد برسبغا ويلجك والقوصونية ويقاتل أيدغمش، فإنه ينضم إليهم جميع حواشى قوصون ويأخذون أيدغمش، ويخرجون قوصون ويقيمونه كبيرا لهم ويخرجونه إلى حيث يختار، ويقيمون سلطانا أو ينتظرون قدوم أحمد، فلم يوافقه أرقطاى لعفته عن سفك الدماء. فلما وافيا تحت القلعة وأيدغمش واقف فى أصحابه، أقبل إليها أيدغمش وعانقهما، وأمرهما أن يطلعا إلى القلعة، فطلعا. وأمر أيدغمش فقبض على ابن المحسنى والى القاهرة، وأحضره والأمراء واقفون تحت القلعة، فأنزله عن فرسه وسجنه بالقلعة، بعدما كادت العامة أن تقتله لكونه من جهة قوصون، ثم أرسل أيدغمش الأمير آقسنقر والأمير قازان فى عدة مماليك وراء برسبغا ويلجك ومن معهما. وجلس أيدغمش مع ثقاته من الأمراء، وقرر معهم تسفير قوصون فى الليل إلى الإسكندرية، والقبض على ألطنبغا الصالحى نائب الشام وأرقطاى نائب طرابلس ومن يلوذ بهما من الغد، وتسفير الأمير بيبرس الأحمدى والأمير جنكلى بن البابا لإحضار السلطان من الكرك.

وفى يوم الأربعاء، سلخه: خرج الحصنى بواب المدرسة الصالحية تجاه باب المارستان وقت الصبح، بأعلام خليفتية ومصحف على رأسه، وهو ينادى بصوت عال: «يا مسلمين قاض يفعل كذا بنساء المسلمين من غير كناية، ويأكل الحشيش، هذا لا يحل». فاجتمع الناس عليه، ومضى بهم إلى بيت قاضى القضاة حسام الدين الغورى الحنفى بالمدرسة الصالحية، وكسروا بابه ودخلوا عليه. ففر منهم حسام الدين إلى السطح وهو فى أثره، وقد نهبوا جميع ما عنده حتى خشب الرفوف حتى وجدوه، فضربوه ونتفوا لحيته، وهو يعدو إلى أن خرج من البيت. واستجار حسام الدين بقاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، فأجاره وأدخله داره، وأقام الحنابلة على بابه لمنع العامة منه

وقد اقتحموا بابه، فقال لهم قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى: «معكم مرسوم بنهبى؟» قالوا: «لا! لكن سلمنا الغورى» فقيل لهم: «هذا غريم السلطان قد صار عندى، وأنتم قد أخذتم ماله»، ومازال بهم حتى انفضوا عنه وشنع الحال فى النهب، وكان ذلك من سوء تدبير أيدغمش، فإنه جرأ العامة على نهب إصطبل قوصون لغرضه، فوجدوا فيه مَا لاَ يكاد يوصف. وبلغ ذلك مماليك الأمراء والأجناد فأتوهم ووقفوا لانتظار من يخرج بشىء حتى يأخذوه، فإن امتنع من دفعه إليهم قتلوه. فوجد لقوصون أربع سرارى نهب جميع مالهن، وحملت أكياس الذهب والفضة ونثرت بالدهليز والطرق. فأخذ مماليك أيدغمش وغيره شيئا كثيرا من المال ونزلت مماليك يلبغا اليحياوى من سور إصطبله وقووا على الناس، واقتسموا الذهب وأخرجت النهابة من البسط الرومية والآمدية وعمل الشريف شيئا كثير، قطعوها قطعا وتقاسموها، وكسروا أوانى البلور والصينى وسلاسل الخيل الفضة والذهب، ومن السروج واللجم ما لا يحد، وقطعوا الخيم وثياب الخركاوات ما بين حرير وزرنيب بحاصله.

وكان بحاصل قوصون لما نهب ما ينيف على أربعمائة ألف دينار ذهبا فى أكياس، ومن الحوايص والزركش والأوانى - ما بين أطباق وخونجات[1] - زيادة على مائة ألف، ومن حلى النساء ما لا ينحصر، وثلاثة أكياس أطلس فيها جواهر بما ينيف على مائة ألف دينار، ومائة وثلاثين زوج بسط، منها ما طوله أربعون ذراعا وثلاثون ذراعا، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز[2]، وستة عشر زوجا من عمل الشريف بمصر، قيمة كل زوج اثنا عشر ألف درهم، وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها، ونوبة[3] خام جميعها أطلس معدنى قص. فانحط لذلك سعر الذهب حتى كان صرفه بأحد عشر درهما الدينار، من كثرة ما صار فى الأيدى، بعدما كان الدينار بعشرين درهما، ولأن أيدغمش نادى فى القاهرة ومصر أن من أحضر من العامة ذهبا لتاجر أو صيرفى أو متعيش يقبض عليه ويحضر به إليه، فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يدفع إليه من غير توقف. وكثرت مرافعة الناس بعضهم لبعض فيما نهب، فجمع أيدغمش شيئا كثيرا من ذلك. ثم إن العامة - بعد نهب إصطبل قوصون وقصره، حتى أخذوا سقوفه ورخامه وأبوابه، وتركوه خرابا - مضوا إلى خانكاته بباب القرافة، فمنعهم أهلها من

---

(١) على هامش ط: خونجات مفردها خونجة وخونجا، وهو مصغر لفظ خوان فى اللغة الفارسية، والمقصود هنا صينية من الخشب أو المعدن.

(٢) بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة بلاد فارس فى الإقليم الثالث. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٨٠.

(٣) النوبة اسم لطائفة من آلات الطرب.

النهب، فمازالوا حتى فتحوها ونهبوها، وسلبوا الرجال والنساء ثيابهم، فلم يدعوا لأحد شيئا، وقطعوا بسطها، وكسروا رخامها، وخربوا بركتها، وأخذو الشبابيك وخشب السقوف والمصاحف وشعثوا الجدر. ثم مضوا إلى بيوت مماليك قوصون، وهم حشد عظيم، فنهبوها وأحرقوها وما حولها حتى بيعت الغلة بستة دراهم كل أردب من القمح وتتبعوا حواشى قوصون بالقاهرة والحكورة وبولاق والزريبة وبركة قرموط وغير ذلك، وباعوا الأمتعة والأوانى والثياب بأبخس ثمن، وصاروا إذا رأوا نهب أحد قالوا هو قوصونى فللحال يذهب جميع ماله. وزادت الأوباش حتى خرجوا عن الحد، وشمل الخوف كل أحد، فقام الأمراء على أيدغمش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب، فأمر بسبعة من الأمراء، فنزلوا إلى القاهرة والعامة مجتمعة على باب الصالحية فى نهب بيت قاضى القضاة حسام الدين الغورى، فقبضوا على عدة منهم، وضربوهم بالمقارع. وأشهروهم، فانكفوا عن النهب.

وفى ليلة الخمس: أخرج الأمير قوصون من سجنه بالقلعة، فى مائة فارس حتى ركب النيل، ومضى إلى الإسكندرية.

وكان قوصون فى أول أمره على حاله، وفى أوسطه وآخره من أعاجيب الزمان ومما قيل فيه:

قوصون قد كانت له رتبة	تسمو على بدر السما الزاهر
فحطه فى القيد أيدغمش	من شاهق عال على الطائرِ
ولم يجد من ذلةٍ صَاحبًا	فأين عين الملك الناصرِ
صار عجيبا أمره كله	فى أول الأمر وفى الآخرِ

وفى يوم الخميس أول شعبان: خُلع السلطان الملك الأشرف كجك من السلطة، وكانت مدته خمسة أشهر وعشرة أيام لم يكن له فيها أمر ولا نهى، وتدبير أمور الدولة كلها إلى قوصون. وكان إذا حضرت العلامة أعطى قلما فى يده، وجاء فقيهه الذى يقرئ أولاد السلطان، فكيف العلامة والقلم فى يد السلطان.

* * *

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى

أمه اسمها بياض، كانت تجيد الغناء، وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة. وكانت شهوتها قوية، ولها بالناس اجتماعات فى مجالس أنسهم. فلما بلغ السلطان الناصر محمد خبرها اختص بها، وحظيت عنده، فولدت أحمد هذا على فراشه. ثم تزوجها الأمير ملكتمر السرجوانى، وقد مضى من أخباره جملة. فلما استولى الأمير

أيدغمش على الدولة بعد قوصون، وقرر مع الأمراء خلع الأشرف كجك فى يوم الخميس أول شعبان، بعث الأمير جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدى والأمير قمارى أمير شكار إلى السلطان أحمد بالكرك بكتب الأمراء يخبرونه بما وقع، ويستدعونه إلى تخت ملكه، وضربوا اسمه على أملاك قوصون جميعها، وأعلن بالدعاء له فى خانكاه سعيد السعداء.

وفيه جلس أيدغمش وألطنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى وبهادر الدمرداش واستدعوا بقية الأمراء.

وفيه قبض على ألطنبغا الصالحى نائب الشام وعلى أرقطاى نائب طرابلس ومضى بهما أمير جندار إلى قاعة سجنهما. وأخذوا بعدهما سبعة عشر أمير طبلخاناة وقيالمر أحد مقدمى الألوف وجركتمر بن بهادر وغيره، حتى كانت عدة من قبض عليه فى هذا اليوم خمسة وعشرين أميرا.

وفيه قبض على مزين مغربى كان حاقق جركتمر بن بهادر بأنه هو الذى قتل الملك المنصور، وكتب بذلك أيضًا إلى الأمير قطلوبغا الفخرى.

وفيه طلب أيدغمش جمال الدين يوسف والى الجيزة، وخلعَ عليه بولاية القاهرة، فنزل إلى القاهرة، فإذا بالعامة فى نهب بيت بعض مماليك قوصون، فقبض على عشرين منهم، وضربهم بالمقارع وسجنهم، بعدما أشهرهم. فاجتمعت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش، وصاحوا عليه: «وليت على الناس قوصونى ما يخلى منا أحد»، وعرفوه ما وقع. فبعث أيدغمش الأوجاقية إليه فى طلبه، فوجدوه بالصليبة يريد القلعة، فصاحت عليه الغوغاء: «قوصونى! يا غيرية على الملك الناصر» ورجموه من كل جهة. فقامت الجبلية والأوجاقية فى ردهم، فلم يطيقوا ذلك، وجرت بينهم الدماء. فهرب الوالى إلى إصطبل ألطنبغا الماردانى، وحمته مماليك ألطنبغا من العامة. فطلب أيدغمش الغوغاء، وخيرهم فيمن يلى، فقالوا نجم الدين الذى كان قبل ابن المحسنى، فطلبه وخلع عليه، فصاحوا: «بحياة الملك الناصر عزل عنا ابن رخيمة المقدم وحمامص رفيقه، ومَكِّنا منهما».

فأذن لهم فى نهبهما، فشرع نحو الألف منهم إلى دار ابن رخيمة بجانب بيت الأمير كوكاى بالقاهرة، فنهبوه ونهبوا بيت رفيقه.

وفى يوم الجمعة ثانيه: دعى على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد.

وفى يوم الإثنين خامسه: تجمعت الغوغاء بسوق الخيل، ومعهم الرايات الصفر، وتصايحوا بأيدغمش: «زودنا لنروح إلى أستاذنا الملك الناصر، ونجيء صحبته»، فكتب لهم مرسوما بالإقامة والراتب فى كل منزلة، وتوجهوا مسافرين من الغد.

وفى يوم الأربعاء سابعه: وصل الأمراء الذين كان سجنهم قوصون من سجن الإسكندرية، وهم ملكتمر الحجازى وقطليجا الحموى، وأربعة وخمسون نفرا من المماليك السلطانية. ومن الغريب أن الحراقة التى سارت بهؤلاء الأمراء إلى الإسكندرية، لما قبض عليهم قوصون، هى الحراقة التى سار فيها قوصون إلى الإسكندرية حتى سجن بها. وكان قوصون لما دخل إلى الإسكندرية مقيدا خرج والى الثغر ليتسلمه وقد ركب بالأمراء عندما أفرج عنهم ليتوجهوا إلى القاهرة، فسلموا على قوصون، فبكى واعتذر لهم مما صدر منه فى حقهم. وعندما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت العامة لرؤيتهم، بحيث غلقت الأسواق يؤمئذ حتى طلعوا إلى القلعة. فتلقت خوند الحجازية زوجها الأمير ملكتمر الحجازى بجواريها وخدامها، ومغانيها تضرب بالدفوف والشبابات فرحًا به، وجارتُها أختها امرأة قوصون فى عويل وبكاء وصياح هى وجواريها وخدامها، كما كان بالأمس لما انتصر قوصون على الحجازى والأمراء، فى بيته الأفراح والتهانى، وفى بيت الحجازى البكاء والعويل، وكان فى ذلك عبرة للمعتبر.

وفيه قدم كتاب الأمراء المتوجين إلى الكرك، وهم جنكلى بن البابا وبيبرس الأحمدى وقمارى، بأنهم لما وصلوا إلى الكرك نزلوا بظاهرها، وبعث كل منهم بمملوكه يعرف السلطان أحمد بقدومه. فبعث إليهم السلطان رجلا من نصارى الكرك فقال: «يا أمراء، السلطان يقول لكم إن كان معكم كتب فهاتوها، أو مشافهة قولوها: » وفى الحال عادت مماليكهم، ولم يمكنوا من الاجتماع بالسلطان، وقيل لهم إن السلطان قد سير كتابه إلى الأمراء. فدفعت الكتب إلى النصرانى فمضى بها، ثم عاد من آخر النهار بكتاب مختوم، وقال عن السلطان إنه قال: «سلم على الأمراء، وعرفهم أن يقيموا بغزة إلى أن يرد لهم ما يعتمدوه كذا». وحضر مملوك من قبل السلطان يأمر الأمير قمارى بالإقامة على ناحية الصافية، وبعث إليه بخاتم.

وجاء فى كتاب الأمراء المتوجهين إلى الكرك أنهم وجدوا الكتاب يتضمن إقامتهم على غزة، والاعتذار عن لقائهم، فعاد الأميران جنكلى بن البابا وبيبرس الأحمدى إلى غزة. فلما وقف الأمير أيدغمش على ذلك كتب من وقته إلى الأمير قطلوبغا الفخرى يسأله أن يستحث السلطان فى قدومه إلى تخت ملكه، وكتب إلى الأمراء بانتظار السلطان، وعرفهم بمكاتبته للفخرى. وأخذ أيدغمش فى تجهيز أمور السلطنة، وأشاع قدوم السلطان خوفا من إشاعة ما عامل به الأمراء، فيفسد عليه ما دبره.

فلما قدم البريد إلى دمشق بكتاب أيدغمش وَافى قدوم كتاب السلطان أيضًا من الكرك يتضمن القبض على الأمير طرنطاى البشمقدار والأمير طينال، وحمل ماهم إلى الكرك.

وكان الأمير قطلوبغا الفخرى قد ولى طينال نيابة طرابلس، وطرنطاى نيابة حمص فاعتذر فى جوابه طينال فى شغل بحركة الفرنج، وأشار بألا يحرك ساكن فى هذا الوقت، وسأل سرعة حضور السلطان ليسير بالعسكر فى ركابه إلى مصر، وأكثر الأمير قطلوبغا الفخرى من مصادرة الناس بدمشق.

وفى يوم السبت حادى عشره: كان حضور يلجك ابن أخت قوصون، وبرسبغا الحاجب صحبة آقسنقر الناصرى من الصعيد.

وفى خامس عشره: استقر شمس الدين موسى بن التاج إسحاق فى نظر الخاص.

وفيه أخرج الأمير قطلوبغا الفخرى الإقطاعات بأسماء الأجناد، وعزل وولى، وكان دواداره يعلم عنه.

وفى هذه الأيام: قدم الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب من بلاد أرتنا إلى دمشق، فتلقاه الأمير قطلوبغا الفخرى وأنزله فى مكان يليق به، وبعث قطلوبغا من يومه بالأمير آقسنقر السلارى نائب غزة ليتلقى الأمراء.

وفيه قدم كتاب السلطان من الكرك إلى قطلوبغا الفخرى يتضمن قدوم الأمراء من مصر، وأنه لم يجتمع بهم، وأنه فى انتظار قدوم الأمير طشتمر حمص أخضر من بلاد أرتنا إلى حلب، وأنه لا يخرج من الكرك قبل ذلك. فكتب قطلوبغا الفخرى الجواب بقدوم طشتمر، وأشار على السلطان بسرعة الحركة إلى دمشق. وأخذ الفخرى فى تجهيز جميع ما يحتاج إليه السلطان، وفى ظنه أن السلطان يسير إليه بدمشق، فيركب فى خدمته بالعساكر إلى مصر، فلم يشعر إلا وكتاب السلطان قد ورد عليه مع بعض الكركيين يتضمن أنه يركب من دمشق ليجتمع مع السلطان على غزة. فشق ذلك عليه، وسار من دمشق بعساكرها، وبمن استجده من أهل الطاعة حتى قدم غزة فى عدد كبير، فلتقاه جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدى والأمير قمارى.

وكان قدوم قاصد السلطان من الكرك لكشف من فى السجون من الأمراء، فمضى إلى الإسكندرية بسبب ذلك، وورد كتابه على الأمير أيدغمش بالشكر على ما فعله، وجعل له أن يحكم حتى يحضر السلطان.

وفيه قبض على خمسة وثمانين من مماليك قوصون، فقيدوا وسجنوا بخزانة شمايل.

وفى يوم الثلاثاء عشريه: قبض على ولد الأمير جركتمر بن بهادر وعمره نحو اثنتى عشرة سنة، إرضاء لأم المنصور أبى بكر.

وفى الخميس سلخه: وصل عبد المؤمن والى قوص مقيدا، صحبة شجاع الدين قنغلى المتوجه إلى قوص، وكان قد توجه لإحضاره، وكتب إلى الوافدية أجناد قوص، وإلى العربان بأخذ الطرقات عليه. فلما قدم قنغلى إلى قوص ركب ليلا بالوافدية، وأحاط بدار الولاية، فلبس عبد المؤمن سلاحه، وألبس جماعته، وقاتل قنغلى ورجاله حتى نجا منهم، وهم فى أثره يومين وليلتين، يأخذون من انقطع من أصحابه، حتى أمسكوه وقيدوه. وعندما وصل ابن المؤمن إلى القاهرة خرجت العامة إلى رؤيته، وقصدوا قتله، فأركب إليه الأمير أيدغمش جماعة حتى حموه، وأتوا به إلى القلعة، فلما طلعها أقامت أم المنصور أبى بكر العزاء، وأمر به فسجن.

وفى ليلة الجمعة أول شهر رمضان: نزلت أم المنصور أبى بكر من القلعة، ومعها مائة خادم ومائة جارية لعمل العزاء؛ فدخلت بيت جركتمر بن بهادر ونهبت ما فيه، وألقته إلى من تبعها من العامة، ففرت حرم جركتمر منها حتى نجت من القتل.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: تفاوض الأميران ملكتمر الحجازى ويلبغا اليحياوى حتى خرجا إلى المخاصمة، وصار لكل منها طائفة، ولبسوا آلة الحرب. فتجمعت الغوغاء تحت القلعة لنهب بيوت من ينكسر من الفريقين، فلم يزل الأمير أيدغمش بهم حتى كفوا عن القتال، وبعث إلى العامة جماعة من الأوجاقية، فقبضوا على جماعة منهم، وأودعهم السجن.

وفى سادسه: قبض على جماعة من القوصونية.

وفى يوم الخميس سابعه: قدم أولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من قوص، وعدتهم ستة. فركب الأمراء إلى لقائهم، وهرعت العامة إليهم. فساروا من الحراقة على القرافة حتى حاذوا تربة جركتمر، فصاحت العامة: «هذه تربة الذى قتل أستاذنا الملك المنصور»، وهجموها، وأخذوا ما فيها وخربوها حتى صارت كوم تراب. فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة أتاهم الأمير جمال الدين يوسف والى الجيزة الذى تولى القاهرة، وقتل ركبة رمضان ابن السلطان، فرفسه برجله وسبه، وقال: «أتنسى ونحن فى الحراقة عند توجهنا لقوص، وقد طلبنا مأكلا من الجيزة، فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله، ما عندنا شيء؟» فصاحت به العامة: «لله مكنا من نهبه، هذا

قوصونى»، فأشار بيده أن انهبوا بيته، فتسارعوا فى الحال إلى بيته المجاور للجامع الظاهرى من الحسينية، حتى صاروا منه إلى باب الفتوح. فقامت إخوته ومن يلوذ به فى دفع العامة بالسلاح، وبعث الأمير أيدغمش أيضا بجماعة ليردهم عن النهب، وخرج إليهم نجم الدين والى القاهرة، وكان أمرا مهولا قتل فيه من العامة عشرة رجال، وجرح خلق كثير، ولم ينتهب شىء.

وفى يوم الأحد عاشره: قدم مملوك الأمير قطلوبغا الفخرى ومملوك الأمير طقزدمر بوصول العساكر إلى غزة فى انتظار قدوم السلطان إليهم من الكرك، وأن يحلف جميع أمراء مصر وعساكرها على العادة. فجمعوا بالميدان، وأخرجت نسخة اليمين المحضرة، فإذا هى تتضمن الحلف للسلطان، ثم للأمير قطلوبغا الفخرى. فتوقف الأمراء عن الحلف لقطلوبغا حتى ابتدأ الأمير أيدغمش وحلف، فتبعه الجميع خوفا من وقوع الفتنة، وجهزت نسخة اليمين إلى قطلوبغا.

وفيه قبض على عدة من العامة نهبوا بعض كنائس النصارى، وصلبوا تحت القلعة، ثم أطلقوا.

وأما العسكر الشامى فإنه أقام بغزة، وقد جمع لهم نائبها آقسنقر الإقامات من بلاد الشوبك وغيرها، حتى صار عنده ثلاثة آلاف غرارة من الشعير وأربعة آلاف رأس من الغنم، غير ذلك مما يحتاج عليه. وكتب الأمراء إلى السلطان بقدومهم صحبة مماليكهم مع الأمير قمارى أمير شكار، فساروا إلى الكرك، وقد قدمها أيضًا الأمير يحيى بن طايربغا صهر السلطان برسالة الأمير أيدغمش يستحثه على المسير إلى مصر، فأقاموا جميعا ثلاثة أيام لم يؤذن لهم فى دخول المدينة. ثم أتاهم كاتب نصرانى وبازدار يقال له أبو بكر ويوسف بن البصال، وهؤلاء الثلاثة هم خاصة السلطان من أهل الكرك، فسلموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب. فشق ذلك على الأمير قمارى، وقال لهم: «معنا مشافهات من الأمراء للسلطان، ولابد من الاجتماع به». فقالوا: «لا يمكن الاجتماع به، وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة أن تعلمونا بها». فلم يجدوا بدا من دفع الكتب إليهم، وأقاموا إلى غد. فجاءتهم كتب مختومة، وقيل للأمير يحيى: «اذهب إلى عند الأمراء بغزة»، فساروا جميعا عائدين إلى غزة، فإذا فى الكتب الثناء على الأمراء، وأن يتوجهوا إلى مصر، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده، ويسبقهم. فتغيرت خواطرهم، وقالوا وطالوا، وخرج قطلوبغا الفخرى عن الحد وأفرط به الغضب، وعزم على الخلاف. فركب إليه الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب والأمير جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدى، ومازالوا به حتى كف عما عزم عليه، ووافق على المسير، وكتبوا بما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش، وتوجهوا جميعا من غزة يريدون مصر.

وكان أيدغمش قد بعث ولده بالخيل الخاص إلى السلطان، فلما وصل الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل، ورسم بعوده إلى أبيه. وأخرج السلطان من الكرك رجلا يعرف بأبى بكر البزدار ومعه رجلان ليبشروا بقدومه، فوصلوا إلى الأمير أيدغمش فى يوم الإثنين خامس عشريه، بلغوه السلام من السلطان، وعرفوه أنه قد ركب الهجن وسار على البرية صحبة العرب، وأنه يصابح أو يماسى، فخلع عليهم أيدغمش، وبعثهم إلى الأمراء فأعطاهم كل من الأمراء المقدمين خمسة آلاف درهم وأعطاهم بقية الأمراء على قدر حالهم، وخرج العامة إلى لقاء السلطان.

فلما كان يوم الأربعاء سابع عشريه: قدم قاصد السلطان إلى الأمير أيدغمش بأن السلطان يأتى ليلا من باب القرافة، وأمره أن يفتح له باب السر حتى يعبر منه، ففتحه. وجلس أيدغمش وألطنبغا الماردانى حتى مضى جانب من ليلة الخميس ثامن عشريه، أقبل السلطان فى نحو العشرة رجال من أهل الكرك، وقد تَلَثَّم وعليه ثياب مفرجة، فتلقوه وسلموا عليه، فلم يقف معهم، وأخذ جماعته ودخل بهم. ورجع الأمراء وهم يتعجبون من أمره، وأصبحوا فدقت البشائر بالقلعة، وزينت القاهرة ومصر.

واستدعى السلطان الأمير أيدغمش فى بكرة يوم الجمعة، فدخل إليه وقبل له الأرض فاستدناه السلطان وطيب خاطره، وقال له: «أنا ما كنت أتطلع إلى الملك، وكنت قانعا بذلك المكان، فلما سيرتم فى طلبى ما أمكننى إلا أن أحضر كما رسمتم»، فقام أيدغمش وقبل الأرض ثانيا.

ثم كتب أيدغمش عن السلطان إلى الأمراء الشاميين يعرفهم بقدومه إلى مصر، وأنه فى انتظارهم، وكتب علامته بين الأسطر «المملوك أحمد بن محمد»، وكتب إليهم أيدغمش أيضًا. وخرج مملوكه بذلك على البريد، فلقيهم على الورادة، فلم يعجبهم هيئة عبور السلطان، وكتبوا إلى أيدغمش بأن يخرج إليهم هو والأمراء إلى سرياقوس، ليتفقوا على ما يفعلونه.

فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان السماط، ومنع الأمراء من طلوع القلعة، ورسم أن يعمل كل أمير سماطه فى داره، ولم ينزل لصلاة العيد، وأمر الطواشى عنبر المسحرتى مقدم المماليك ونائبه الطواشى الإسماعيلى أن يجلسا على باب القلعة، ويمنعا من يدخل عليه. وخلا السلطان بنفسه مع الكركيين، فكان الحاج على إخوان سلار[1] إذا أتى مع الطعام على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البزدار، وأطعماه ششنى[2]،

(١) المقصود وظيفة تقديم الطعام للسلطان.

(٢) المقصود حصة قليلة تؤخذ من الشىء.

وتسلما منه السماط، وعبرا به إلى السلطان، ووقف خوان سلار ومن معه حتى يخرج إليهم الماعون.

وحدث جمال الدين بن المغربى رئيس الأطباء أن السلطان استدعاه وقد عرض له وجع فى رأسه، فوجده جالسًا وإلى جانبه شاب من أهل الكرك جالس، وبقية الكركيين قيام، فوصف له ما يناسبه، وتردد إليه يومين وهو على هذه الهيئة.

وفى يوم الأحد تاسع شوال: قدم الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طشتمر حمص أخضر، وجميع أمراء الشام وقضاتها، والوزراء ونواب القلاع، فى عالم كبير حتى سدوا الأفق، ونزل كثير منهم تحت القلعة فى الخيم. وكان قد خرج إلى لقائهم الأمير أيدغمش والحاج آل ملك والجاولى وألطنبغا الماردانى، وأخذ قطلوبغا الفخرى يتحدث مع أيدغمش فيما عمله السلطان من قدومه فى زى العربان، واختصاصه بالكركيين، وإقامة أبى بكر البزدار حاجبًا. وأنكر أيدغمش ذلك على السلطان غاية الإنكار، وطلب من الأمراء موافقته على خلعه ورده إلى مكانه، فلم يمكنه الأمير طشتمر حمص أخضر من ذلك، وساعده الأمراء أيضًا، ومازالوا به إلى أن أعرض عما هم به.

فلما كان يوم الإثنين عاشره: ألبس السلطان، وجلس على تخت الملك، وقد حضر الخليفة الحاكم بأمر الله[١] وقضاة مصر الأربعة، وقضاة دمشق الأربعة، وجميع الأمراء والمقدمين. وعهد إليه الخليفة، وقبل الأمراء الأرض على العادة، ثم قام العالمان على قدميه، فتقدم الأمراء وباسوا يده واحدًا بعد واحد، على مراتبهم، وجاء الخليفة بعدهم، وقضاة القضاة ما عدا الحسام حسن بن محمد الغورى، فإنه لما طلع مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتى يؤذن لهم على العادة، جمع عليه صبى من صبيان المطبخ السلطانى جمعًا كبيرًا من الأوباش؛ لحقد كان فى نفسه عليه عندما تحاكم هو وزوجته عنده، فإنه أهانه، وضربه. وهجم هذا الصبى على القضاة بأوباشه، ومد يده إلى الغورى من بينهم، فأقامه الأوباش وحرقوا عمامته، وقطعوا ثيابه، وهم يسحبونه ويصيحون عليه: «يا قوصونى!» ثم ضربوه بالنعال ضربا مؤلما، وقالوا له: «يا كافر! يا فاسق!» فارتجت

---

(١) أحمد بن المستكفى بالله سليمان بن الحاكم بأمر الله الأول، أبو القاسم، الحاكم بأمر الله، الثانى: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع سنة ٧٤٢هـ، ولبس السواد، وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان، وفوض الأمور (على العادة) للمنصور القلاوونى (أبى بكر بن محمد) واستمر إلى أن مات فى القاهرة ولم يكن من الأمر شىء. انظر الدرر الكامنة ١/ ١٣٧ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩١ وبدائع الزهور ١/ ٢٠٠ وابن الوردى ٢/ ٣٣١ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٨٤ والأعلام ١/ ١٣٣.

القلعة، وأقبل علم دار حتى خلصه منهم، وهو يستغيث: «يا مسلمين! كيف يجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين». فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش، وجروهم إلى الأمير أيدغمش فضربهم، وبعث طائفة من الأوجاقية فساروا بالغورى إلى منزله، ولم يحضر الموكب. فثارت العامة على بيته بالمدرسة الصالحية ونهبوه، وكان يومًا شنيعًا.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: خُلع على جميع الأمراء الكبار والصغار ومقدمى الحلقة، وأنعم على الأمير طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار، وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى بما حضر صحبته من الشام، وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضة، ونزل فى موكب عظيم. وكان قد قدم معه من أمراء الشام سنجر الجمقدار وتمر الساقى وطرنطاى البشمقدار وآقبغا عبد الواحد، وتمر الموساوى والجلالى وابن قراسنقر وأسنبغا ابن البوبكرى، وبكتمر العلائى وأصلم نائب صفد.

وفيه طلب السلطان الوزير نجم الدين، ورسم له أن يكون يوسف البزدار ورفيقه مقدمى البزدارية ومقدمى الدولة، وخلع السلطان عليهما كلفتاه زركش وأقبية طرد وحش بحوائص ذهب فحكما فى الدولة وتكبرا على الناس، وصارا فيهم بحمق زائد، وصارا لا يأتمران بأمر الوزير، ويمضيان ما أحبا. وصحبهما كثير من الأشرار، وعرفوهما بأرباب الأموال، فشملت مضرتهما كثيرًا من الناس، وانهمكا فى اللهو، فثقل أمرهما على الكافة.

وفى عصر يوم السبت خامس عشره: خُلع على الأمير طشتمر حمص أخضر، واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر، فجلس والحجاب قيام بين يديه، والأمراء فى خدمته. فكان أول ما بدأ به أن قلع الشباك الذى كان يجلس فيه قوصون، وخلع الخشب الذى عمله فى باب القلعة، وباشر النيابة بحرمة وافرة.

وفى يوم الخميس سابع عشره: أخرج السلطان محمل الحاج.

وفيه أخرج السلطان عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى والى قوص من السجن، وسمر على باب المارستان المنصورى من القاهرة بمسامير جافية شنعة، وطيف به مدة ستة أيام، وهو يحادث الناس فى الليل بأخباره. فمما حدثهم به أنه هو الذى ركب حتى ضرب النشو كما تقدم ذكره، وأنه لما سقطت عمامته ظنها رأسه. وكان إذا قيل له اصبر يا عبد المؤمن يقول أسأل الصبر، وينشد كثيرًا:

يُبكى علينا ولا نبكى على أحد ... ونحن أغلظ أكبادًا من الإبل

فلما كان يوم السبت ثانى عشريه: شنق عبد المؤمن على قنطرة السد ظاهر مدينة مصر عند الكيمان، وترك حتى ورم وأكلته الكلاب.

وكان عبد المؤمن من السلامية بالعراق، فبعثه المجد السلامى إلى السلطان الناصر محمد مرارا حتى عُرف عنده. ثم تنكر عبد المؤمن على المجد السلامى ورافعه إلى السلطان حتى تغير عليه، وكتب إلى أبى سعيد بإحضاره. فأثبت المجد السلامى محضرا على عبد المؤمن بأنه رافضى كافر قتال الأنفس، وقدم به على السلطان وتحاقق معه. فتعصب قوصون لعبد المؤمن حتى بطلت حجة المجد السلامى عليه مع ظهورها، فاختص عبد المؤمن بقوصون، ولبس الكلفتاه، ثم ولى قوصون. وكان شجاعا فاتكا، يتجاهر بالرفض، ويقول إذا حلف على شىء: «وحياة مولاى على».

وفى هذه الأيام: أخرج بأحد وعشرين أميرا إلى الإسكندرية، صحبة الأمير طشتمر طُلليه، منهم أرقطاى نائب طرابلس، وجركتمر بن بهادر، وابن المحسنى والى القاهرة، وأسنبغا بن البوبكرى، ويلجك ابن أخت قوصون، وبرسبغا الحاجب. فلما وصلوا إلى الثغر وسجنوا به، قُتل قوصون وألطنبغا الصالحى نائب الشام، وجركتمر بن بهادر، وبرسبغا الحاجب.

وفيه رسم للأجناد الذين استخدمهم قطلوبغا الفخرى بعودهم إلى دمشق بطالين، فكثر تشكيهم، ووقفوا للنائب فلم تسمع لهم شكوى.

وفيه أكثر السلطان من الإنعام على أهل الكرك حتى خرج عن الحد، وعزم على مسك بيبرس الأحمدى وغيره من الأمراء، فاحترزوا على أنفسهم إلى أن وقع الكلام مع السلطان فى شىء من ذلك فاجتمع عنده الأمراء، وابتدأ الحاج آل ملك فى طلب بلد يتوجه إليه، وسأل نيابة حماة، فخلع عليه فى يوم الخميس عشريه واستقر فى نيابة حماة، عوضا عن طقزدمر. وخلع السلطان على بيبرس الأحمدى، واستقر فى نيابة صفد، وعلى آقسنقر واستقر فى نيابة غزة.

وفى يوم الإثنين مستهل ذى القعدة: سار الأمير الحاج آل ملك إلى نيابة حماة.

وفيه خلع السلطان على الأمير قطلوبغا الفخرى، واستقر فى نيابة الشام، وعلى الأمير أيدغمش بنيابة حلب.

وفى يوم الثلاثاء: استقر قمارى أمير آخور، عوضا عن أيدغمش. أحمد شاد الشرابخاناه أمير شكار، عوضا عن قمارى، واستقر آقبغا عبد الواحد فى نيابة حمص.

وفيه رسم السلطان أن يستقر سنجر البشمقدار وتمر الساقى من جملة أمراء مصر.

وفيه أنعم السلطان على قراجا بن دلغادر، وقد قدم إلى مصر بإنعامات كثيرة، وكتب له بالأمرية على التركمان، وتوجه إلى نيابة الإبلستين.

وفى يوم الأحد سابعه: خرج الأمير أيدغمش متوجها إلى نيابة حلب.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: خرج الأمير قطلوبغا الفخرى متوجها إلى دمشق، ومعه من تأخر من عسكر الشام. وخرج الأمير طشتمر حمص أخضر النائب ومعه جميع الأمراء لوداعه، ومد له سماطا عظيما.

وفى يوم السبت عشريه: قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر نائب السلطنة، وسببُ ذلك أنه أكثر من معارضة السلطان بحيث تغلب عليه ورد مراسيمه، وصار يتعاظم ويظهر من الترفع على الأمراء والأجناد ما لا يحتمل مثله، وإذا شفع إليه أحد من الأمراء رد شفاعته و لم يقبلها، ولا يقف لأمير إذا دخل إليه، وإذا أتته قصة عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك وطرد من هى باسمه، وأحرق به. وقرر طشتمر مع السلطان أنه لا يمضى من المراسيم السلطانية إلا ما يختاره، وتقدم إلى الحاجب بألا يقدم أحد قصة إلى السلطان حتى يكون حاضرا، ومنع ذلك، فلم يتجاسر أحد أن يقدم قصة للسلطان فى غيبته وتقدم جماعة من المماليك لطلب ما يزيد فى مراتبهم، فرسم طشتمر أن كل من خرج عن خبزه يعود إليه، و لم يمكن المماليك السلطانية من أخذ شيء. وأخذ طشتمر إقطاع الأمير بيبرس الأحمدى وتقدمته لولده، فكرهته الناس. وصارت أرباب الدولة وأصحاب الأشغال كلها فى بابه، وتقربوا إليه بالهدايا والتحف. وانفرد طشتمر بأمور الدولة، وحط على الكركيين، وقصد منعهم من الدخول على السلطان، فلم يتهيأ له ذلك. وكان ناصر الدين المعروف بفأر السقوف قد توصل بالكركيين حتى استقر بفضل توصيتهم فى وظيفة إمام السلطان يصلى به، وصار كذلك ناظر المشهد النفيسى، عوضا عن تقى الدين على بن القسطلانى خطيب جامع عمرو وجامع القلعة.

وخلع السلطان على ناصر الدين بغير علم النائب طشتمر، فبعث إليه طشتمر عدة نقباء ونزع عنه الخلعة، وسلّمه إلى المقدم إبراهيم بن صابر، وأمر بضربه وإلزامه بحمل مائة ألف درهم. فضربه ابن صابر عريانا ضربا مبرحا، واستخرج منه أربعين ألف درهم، ثم أفرج عنه بشفاعة أيدغمش وقطلوبغا الفخرى، بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلع إلى القلعة.

وأخذ طشتمر قصر معين بالغور من مباشرى قوصون، وأحاط بما فيه من القند والعسل والسكر، وغير ذلك. فكثر حنق السلطان منه وتغيره عليه، إلى أن قرر مع المقدم عنبر السحرتى والأمير آقسنقر السلارى فى القبض عليه وعلى قطلوبغا الفخرى،

وأن يستدعى مماليك بشتاك وقوصون وينزلهم بالأطباق من القلعة، ويقطعهم إقطاعات بالحلقة؛ ليصيروا من جملة المماليك السلطانية، خوفا من حركة طشتمر النائب فعارض طشتمر السلطان فيهم، فرتب السلطان عدة مماليك بداخل القصر للقبض عليه.

وكان مما جدد طشتمر فى نيابته أن منع الأمراء أن تدخل إلى القصر بمماليكها، وبسط من باب القصر بسطًا إلى داخله، فكان الأمير لا يدخل القصر وقت الخدمة إلا بمفرده، فدخل هو أيضًا بمفرده ومعه ولداه إلى القصر، وجلس على السماط على العادة. فعندما رفع السماط قبض كشلى السلاح دار أحد المماليك - وكان معروفًا بالقوة - على كتفيه من خلف ظهره قبضًا عنيفا، وبدر إليه جماعة فأخذوا سيفه، وقيدوه وقيدوا ولديه. ونزل أمير مسعود الحاجب فى عدة من المماليك السلطانية، فأوقع الحوطة على بيته، وأخذ مماليكه جميعهم فسجنهم.

وخرج فى الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير ألطنبغا الماردانى والأمير أروم بغا السلاح دار، ومعهما من أمراء الطبلخاناة والعشرات نحو من خمسة عشر أميرًا، ومعهم من المماليك السلطانية وغيرهم ألف فارس؛ ليقبضوا على قطلوبغا الفخرى نائب الشام. وكتب السلطان إلى الأمير آقسنقر الناصرى نائب غزة بالركوب معهم بعسكره، فجمع من عنده ومن فى معاملته من الجبلية. وكان قطلوبغا الفخرى قد ركب من الصالحية فبلغه مسك طشتمر ومسير العسكر إليه من هجان بعث به إليه بعض ثقاته، فساق إلى قطيا وأكل بها شيئا، ورحل وقد استعد حتى تعدى للعريش[1]، فإذا آقسنقر بعسكر غزة فى انتظاره على الزعقة. وكان ذلك وقت الغروب، فوقف كل منهما تجاه صاحبه حتى أظلم الليل فسار الفخرى بمن معه وهم ستون فارسًا على البرية. فلما أصبح آقسنقر علم أن الفخرى فاته، فمال أصحابه على أثقال الفخرى فنهبوها، وعادوا إلى غزة.

واستمر الفخرى ليلته ومن الغد حتى انتصف النهار وهو سائق، فلم يتأخر معه إلا سبعة فرسان ومبلغ أربعة آلاف دينار، وقد وصل بيسان وعليها الأمير أيدغمش نازل. فترامى عليه الفخرى وعرفه بما جرى، وأنه قطع خمسة عشر بريدًا فى مسير واحد. فطيب أيدغمش خاطره، وأنزله فى خام ضُرِبَ له، وقام له بما يليق به، فلما جنّه الليل أمر به فقيد وهو نائم، وكتب بذلك إلى السلطان مع بُكا الخضرى.

---

(١) هى مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم فى وسط الرمل. انظر معجم البلدان ٤/ ١١٣.

وكان السلطان لما بلغه هروب قطلوبغا الفخرى تنكر على الأمراء، واتهمهم بالمخامرة عليه، وهم أن يمسكهم فى يوم الإثنين تاسع عشريه، فتأخر عن الخدمة الجاولى وجماعة، فلما كان وقت الظهر بعث السلطان لكل أمير أربعين طائر أوز، وَسأل عنهم، ثم بعث آخر النهار إليهم، بأمرهم أن يطلعوا من الغد. فقدم بُكا عشية يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة ومعه سيف قطلوبغا الفخرى، فسر السلطان بذلك، وكتب بحمله إلى الكرك. فلما طلع الأمراء إلى الخدمة فى يوم الثلاثاء ترضاهم، وبشرهم بمسك قطلوبغا الفخرى، ثم أخبرهم أنه متوجه إلى الكرك، وأنه يعود بعد شهر. وكان السلطان قد تجهز إلى الكرك، فأخرج فى ليلة الأربعاء طشتمر حمص أخضر فى محارة[1] بقيده، ومعه جماعة من المماليك السلطانية موكلون بحفظه، وعين مع المقدم عنبر السحرتى عدة من المماليك.

وتقدم السلطان إلى الخليفة بعدما ولاه نظر المشهد النفيسى، عوضًا عن ابن القسطلانى، أن يسافر معه إلى الكرك. ورسم لجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش، ولعلاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، أن يتوجها معه إلى الكرك، وركب معه الأمراء من قلعة الجبل يوم الأربعاء ثانيه، بعدما ألبس ثمانية من المماليك خلع الإمريات على باب الخزانة. وخلع السلطان على آقسنقر السلارى، وقرره نائب الغيبة، وخلع على شمس الدين محمد بن عدلان[2]، واستقر قاضى العسكر، وخلع على زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى، واستقر به قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن حسام الدين الغورى.

فلما قارب السلطان قبة النصر خارج القاهرة وقف حتى قبل الأمراء يده على مراتبهم، ورجعوا عنه. فنزل عن فرسه، ولبس ثياب العربان، وهى كاملية مفرجة وعمامة بلثامين، وسايَرَ الكركيين، وترك الأمراء الذين معه وهم قمارى والحجازى وأبو بكر بن أرغون النائب - مع المماليك السلطانية والطلب. وتوجه السلطان على البرية إلى الكرك، ولبس معه إلا الكركيين ومملوكين، وهم فى أثره، فقاسوا مشقة كبيرة من العطش وغيره، حتى وصلوا ظاهر الكرك، وقد سبقهم السلطان إليها،

---

(١) الميم والحاء والراء أصل، وهو صندوق للسفر. انظر مقاييس اللغة ٦/ ٨٦.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكنانى: فقيه شافعى مصرى ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون. وتوفى بالطاعون بمصر. انظر طبقات الشافعية ٥/ ٢١٤ ودار الكتب ١/ ٥٢٢ والأعلام ٥/ ٣٢٦.

وقدمها فى يوم الثلاثاء ثامنه، فكتب السلطان إلى الأمراء بمصر يعرفهم ذلك، ويسلم عليهم، فقدم كتابه يوم الخميس سابع عشره.

ولما دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يمكن أحدا من العسكر أن يدخل المدينة سوى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، وجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش، فقط. ورسم السلطان أن يسير الأمير المقدم عنبر السحرتى بالمماليك إلى قرية الخليل عليه السلام، وأن يسير قمارى وعمر ابن النائب أرغون والخليفة إلى القدس. ثم رسم السلطان أن ينتقل المقدم بالمماليك إلى غزة؛ لغلاء السعر بالخليل.

وفى أثناء ذلك وصل أمير على بن أيدغمش بالأمير قطلوبغا الفخرى مقيدا إلى غزة، وبها العسكر المجهز من مصر، ومضى به إلى الكرك. فبعث السلطان إليه من تسلم الفخرى منه، وأعاده إلى أبيه، ولم يجتمع به فسجن قطلوبغا الفخرى وطشتمر حمص أخضر بقلعة الكرك، بعد ما أهين الفخرى من العامة إهانة بالغة ونكل به نكالا فاحشا.

وفيه كتب السلطان لآقسنقر نائب غزة بإرسال حريم قطلوبغا الفخرى إلى الكرك، وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسيره بيوم، فجهزهن آقسنقر إليه، فأخذ أهل الكرك جميع ما معهن حتى ثيابهن، وبالغوا فى الفحش والإساءة.

وفيه كتب السلطان لآقسنقر السلارى نائب الغيبة بمصر أن يوقع الحوطة على موجود طشتمر حمص أخضر، وقطلوبغا الفخرى، ويحمل ذلك إليه بالكرك.

وكان السلطان إذا رسم بشىء جاء كاتب كركى لكاتب السر وعرفه عن السلطان بما يريد، فيكتب ذلك ويناوله للكاتب، فيأخذ عليه علامة السلطان. ويبعثه حيث رسم به.

وأما العسكر المتوجه من القاهرة إلى غزة، فإن ابن أيدغمش لما قدم عليهم غزة ومعه قطلوبغا الفخرى، أراد الأمير ألطنبغا الماردانى أن يؤخره عنده بغزة، حتى يراجع فيه السلطان. فلم يوافقه ابن أيدغمش، وتوجه إلى الكرك، فرحل الماردانى وبقية العسكر عائدين إلى القاهرة، فقدموها يوم السبت خامس ذى الحجة.

وفيه أخذ السلطان فى تحصين الكرك وشحنها بالغلال والأقوات وأخرج بكتمر العلائى منها إلى طرابلس ومحمد أبوه إلى صفد.

وفى هذه السنة: أخرج حسام الدين حسن الغورى من مصر بعد عزله من قضاء القضاة الحنفية، فتوجه إلى العراق. وسبب ذلك أنه كان قد توحش ما بينه وبين القضاة

الثلاثة؛ لقبح أفعاله. وكان إذا جلس مع السلطان احتوى عليه وخاطبه باللسان التركى، ونكب على القضاة. وكان يتجرأ على الناس ويضع منهم، ولا يزال ينصر المرأة على زوجها إذا شكته إليه حتى يخرج فى ذلك عن الحد. فادعت امرأة عنده على زوجها بما استحق من صداقها وكسوتها، وأظهرت صداقها عليه فإذا فيه أن المَنَجّم[1] فى كل سنة دينار. فاستدناها منه، وأمرها فكشف عن وجهها وأعجبته، وقال لأبيها وكان قد حضر معها: «يا مدمغ! مثل هذه تزوجها بدينار كل سنة؟ والله يا مدمغ يساوى مبيتها كل ليلة مائة درهم» والتفت القاضى إلى زوجها: وقال: «يا تيس! تستغلى هذه بهذا القدر؟ والله أنت أدمغ من أبيها، هذه يساوى مبيتها كل ليلة مائة درهم».

وحكى القاضى الغورى عن نفسه فى مجلس الأمير قوصون بحضرة الأمراء، أنه لما كان محتسبا ببغداد وقف على حانوت حلوانى قد حل صاحبه تمرا وقصّرهُ حتى ابيض فسأل عنه، فقال هذه قَسْب[2] وقصرته بالبيض، فقال له: «ويلك! مجنون أنت؟ أنا عندى جارية سوداء، لى عشر سنين أقصرها بالبيض، وما ابيضت». وادعت امرأة على زوجها عنده بحق وجب عليه، فكتب بحبسه، فقال له الزوج: «والمرأة أيضا تكون برواق البغدادية حتى أحصل لها حقها»، فقال له الغورى «ويلك! أنت مجنون؟ أنا أكون أحق من البغدادية بهذى، وتكون عندى أحفظها»، وأشار لنقيبه فأخذ المرأة إلى طبقته، وأقامت عنده مدة حتى أصلح أمرها مع زوجها.

وكان القاضى الغورى إذا تداعى عنده اثنان يأمر موقعه فيكتب ما يقول أحدهما فى غيبة الآخر، فإذا انتهى كلامه أخرجه، وأحضر خصمه فيكتب أيضا ما يقول. وكذلك إذا شهد عنده جماعة فرق بينهم، وكتب ما يقول كل واحد على انفراد، فكانت المحاكمة لا تنتهى عنده إلا بعد مدة. وكان من الغى على جانب كبير. ودُعى مرة إلى عقد نكاح أولاد الأمراء هو والقضاة الثلاثة، فلما دخل معهم وقد فرش البيت بالحرير والزركش تجنب القضاة الجلوس على ذلك، وتنجوا عنه. فجلس هو على مقعد

---

(١) المقصود المال الذى ينبغى تأديته على أقساط.

(٢) القسب: التمر اليابس يفت فى الفم، صلب النواة؛ قال الشاعر يصف رمحًا:

أسمر خطيا كأن كعوبه ... نوى القسب قد أرمى ذراعًا على العشر

قال ابن البرى: هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائى، ولم أجده فى شعره، وأرمى وأربى، لغتان، قال الليث: ومن قاله بالصاد، فقد أخطأ، ونوى القسب: أصلب النوى، والقسابة: ردىء التمر. انظر لسان العرب ٣٦٢٢.

حرير مزركش، وقال: «يا جماعة الجند أتبصروا كذا فعل هؤلاء يدعوا كذا الجلوس على هذا الحرير، وأقسم بالله لو قدروا عليه باعوه فى الأسواق، وأكلوا ثمنه» فضحك من فى المجلس، ونزل بالقضاة من الخجل ما لا يعبر عنه، وتقدم إليه مرة مديون وضامنه فى الدين ضمانَ إحضار، فادعى عليه غريمه، فاعترف بما عليه، وأقر الضامن له بضمانه. وكان المديون رث الهيئة زَرِىّ الحال، فصاح القاضى: «أخرجوا هذا المعثر من قدامى»، ونظر إلى ضامنه وقال: «أعط هذا ماله». فقال: «يا مولانا هذا غريمه أحضرته إليه، فقال: هاتوا الجحش - يعنى الفلقة -، واقتلوا هذا حتى يعطى المال وأنت تلبس المسنجب والفرجيات واللباس الرفيع حتى أحوج هذا أن يعطى ماله لمعثر»، فلم يجد الضامن بدا من التزامه بالمال خوفا من الإخراق.

ورأى القاضى الغورى مرة رجلا بيده فروجين، قد مسك أرجلهما بيده، وصارت رأسهما إلى أسفل، فأمر به أن يصلب، فمازال به الناس حتى ضربه ضربا مؤلما، وتركه.

وألزم القاضى الغورى الشهود أن يكون فى كل مسطور شهادة أربعة، وأن يكتبوا سكن المديون، ومجونه وجنونه كثير، له فيه نوادر مستقبحة وقبائح شنيعة. فلما رسم بعزله أثبتت عليه محاضر توجب إراقة دمه، فقام بعض الأمراء معه، ومازال ببعض قضاة الشافعية حتى حكم بحقن دمه وتسفيره من مصر.

وفى هذه السنة: اتفقت واقعة غريبة، وهى أن رجلا بوارديًا[1] يقال له محمد بن خلف - بخط السيوفيين من القاهرة - قبض عليه فى يوم السبت سادس عشر رمضان، وأحضر إلى المحتسب، فوجد بمخزنه من فراخ الحمام والزرازير المملوحة عدة أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين، من ذلك فراخ حمام عدة ألف ومائة وستة وتسعين فرخا، وزرازير عدة ثلاثة وثلاثين ألف زرزور، وجميعها قد نتنت وتغيرات ألوانها. فأدب وشهر، وأتلفت كلها.

وفيها قدم الأمير بيبرس الأحمدى نائب صفد[2] بمن معه إلى دمشق، وليس بها نائب. فجاء مرسوم السلطان من الكرك بمكة، فقبض عليه أمراؤها، وأنزلوه بقصر تنكز.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

---

(١) على هامش ط: البواردى هو تاجر الطيور المحفوظة بالتبريد أو التمليح.

(٢) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

جمال الدين إبراهيم بن أيبك الصفدى، أخو الصلاح الصفدى، فى رابع جمادى الآخرة بدمشق. وكان يتقن عدة صنائع، وسمع بالقاهرة والشام، وشَدَّ أطرافا من الحساب والفرائض، وغير ذلك.

ومات السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى، مقتولا بقوص[1]، وحمل رأسه إلى قوصون.

ومات الأمير علاء الدين ألطنبغا الصالحى نائب دمشق، وهو أحد المماليك المنصورية قلاوون، وربى عند السلطان الناصر محمد، وتوجه معه إلى الكرك.

فلما عاد الناصر إلى السلطنة أنعم عليه بإمرة، وعمله جاشنكيره، ثم ولاه حاجبًا، ونقله من الحجوبية إلى نيابة حلب، بعد موت أرغون النائب، فسار سيرة مشكورة. ثم عزله السلطان الناصر فى سبيل رضى الأمير تنكز، وأقدمه إلى مصر، ثم ولاه غزة. ثم ولاه قوصون نيابة الشام، وآل أمره إلى أن مات مسجونا بالإسكندرية.

ومات القان أزبك بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكز خان، ملك الططر بالمملكة الشمالية، بعدما حكم بها مدة ثمان وعشرين سنة، وقام بعده ابنه جانى بك خان. وكان أزبك قد أسلم وحسن إسلامه.

وتوفى قاضى القضاة الشافعية بحلب برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل بن إبراهيم الرسعنى.

ومات الأمير بشتاك الناصرى مقتولا بالإسكندرية، فى ربيع الآخر. وكان إقطاعه سبع عشرة إمرة طبلخاناة، تعمل مائتى ألف دينار كل سنة. وأنعم عليه الناصر محمد فى يوم بألف ألف درهم، وكان راتب سماطه كل يوم خمسين رأس غنم وفرسا، لابد من ذلك، وكان كثير التيه، لا يحدث مباشريه إلا بترجمان، ويعرف بالعربى ولا يتكلم به.

ومات الأمير طاجار الدوادار، قتلا.

ومات الأمير جركتمر بن بهادر رأس نوبة، قتلا.

ومات أمير على ابن الأمير سلار، يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر.

ومات الأمير سيف الدين قوصون مقتولا بسجن الإسكندرية. رقاه السلطان الناصر

---

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يومًا. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٢.

محمد حتى صار أكبر الأمراء، يركب فى ثلاثمائة فارس صفين، قدام كل صف رجل يضرب بالقُبُز[١] كما يركب ملوك المغل، وكان يفرق كل سنة ثلاثين حياصة ذهب ومائة قباء بسنجاب، ويفرق فى عيد الأضحى ألف رأس غنم وثلاثمائة رأس بقر.

وتوفى خطيب الجامع الأموى بدمشق بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى.

ومات وكيل بيت المال بدمشق نجم الدين محمد بن عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن أبى الطيب الدمشقى.

وتوفى الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل بن الأفضل على ابن المظفر محمود ابن المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان صاحب حماة، وكان باشرها عشر سنين، ثم نقل إلى إمرة مائة بدمشق، فمات بها فى ليلة الثلاثاء حادى عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة.

ومات الأمير موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل ابن ربيعة أمير آل فضل، بتدمر[٢].

ومات الأمير بيبرس السلاح دار الناصرى نائب الفتوحات، بأياس.

ومات شرف الدين ابن الملك المغيث صاحب الكرك[٣]، بالقاهرة.

ومات عز الدين أيبك، يوم الإثنين تاسع المحرم.

ومات الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف القضاعى المزى الدمشقى بها، عن ثمان وثلاثين سنة.

ومات الأمير عز الدين الكبكى، يوم الأربعاء، ثامن عشر المحرم.

ومات الأمير تمر الساقى، يوم الأحد ثامن عشرى ذى العقدة.

وتوفى تاج الدين بن الفكهانى المالكى، يوم الإثنين سابع ذى الحجة.

ومات مسمرًا والى الدولة أبو الفتوح بن الخطير، وكان قد تزوج وهو نصرانى بابنة

---

(١) على هامش ط: لفظ تركى، وهو آلة موسيقية.

(٢) مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام. انظر معجم البلدان ٢/ ١٧.

(٣) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٥٣.

شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص، قبل اتصاله بالسلطان الناصر محمد، فلما تولى النشو نظر الخاص عظم والى الدولة، وتقدم على أخوة النشو، وباشر عند عدة من الأمراء. فلما أمسك النشو أمسك معه، وصودر هو وأخوه الشيخ الأكرم، ومازالا فى الحبس حتى أفرج عنهما فى مرض السلطان الناصر محمد الذى مات فيه، وفى جملة من أفرج عنه. وخدم أبو الفتوح عند ملكتمر الحجازى إلى أن نكب، وسمّر فى يوم السبت سادس عشرى صفر. وكان جميل الوجه حسن الخلق، يذوق الأدب، ويحفظ الأشعار والوقائع، ويعرف الأحاجى والتصحيف.

ومات الأمير بدر الدين لؤلؤ الحلبى. وكان ضامن حلب، وقدم القاهرة غير مرة ورافع أهلها إلى أن سلمهم السلطان له، فعاقبهم وأخذ أموالهم. ثم ولى شد الدواوين بحلب، فكثر شاكوه، فتسلمه الأكز مشد الجهات بديار مصر. ثم نقل إلى شد الدواوين بالقاهرة، وعزل وأخرج بعد محنة إلى حلب شاد الدواوين.ثم ضرب بالمقارع حتى مات، قال ابن الوردى:

أشكو إلى الرحمن لؤلؤًا الذى ... أضحى يصَادر سادةً وصدورا
نثر الجنوب بل القلوب بسوطه ... فمتى أشاهد لؤلؤا منثورا

* * *

سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

أهلت والناس فى أمر مريج لغيبة السلطان بالكرك، وعند الأمراء تشوش كبير، لما بلغهم من مصاب قطلوبغا الفخرى. وصار الأمير آقسنقر نائب الغيبة[1] فى تخوف، فإنه بلغه أن جماعة من مماليك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه، فترك الركوب للموكب أياما حتى اجتمعوا عنده، وحلفوا له. ثم اتفق رأيهم على أن كتبوا للسلطان كتابا فى خامس المحرم، بأن الأمور ضائعة لغيبة السلطان، وقد نافق عربان الصعيد، وطمع الناس، وفسدت الأحوال كلها، وسألوه الحضور. وبعثوا به الأمير طقتمر الصلاحى، فعاد جوابه فى حادى عشره: «بأننى قاعد فى موضع أشتهى، وأى وقت أردت أحضر إليكم». وذكر طقتمر أن السلطان لم يمكنه من الاجتماع به، وأنه بعث مَن أخذ منه الكتاب، ثم أرسل إليه الجواب.

وفيه قدم الخبر بأن السلطان قتل الأمير طشتمر حمص أخضر والأمير قطلوبغا الفخرى، وذلك أنه قصد أن يقتلهما بالجوع، فأقام يومين بلياليهما لا يطعمان طعامًا. فكسرا قيدهما، وقد ركب السلطان للصيد، وخلعا باب السجن ليلا، وخرجا إلى الحارس وأخذ سيفه وهو نائم، فأحس بهما وقام يصيح حتى لحقه أصحابه، فأخذوهما. وبعثوا إلى السلطان بخبرهما، فقدم فى زى العربان، ووقف على الخندق وبيده حربة، وأحضرهما وقد كثرت بهما الجراحات. فأمر السلطان يوسف بن البصَارة ورفيقه بضرب أعناقهما، وأخذ يسبهما ويلعنهما، فردا عليه ردا قبيحا، وضرب رقابهما، فاشتد قلق الأمراء.

وفيه قدم كتاب السلطان إلى الأمراء يطيب خواطرهم، ويعرفهم أن مصر والشام والكرك له، وأنه حيث شاء أقام، ورسم أن تجهز له الأغنام من بلاد الصعيد، وأكد فى ذلك، وأوصى آقسنقر بأن يكون متفقا مع الأمراء على ما يكون من المصالح.

فتنكرت قلوب الأمراء ونفرت خواطرهم، واتفقوا على خلع السلطان وإقامة أخيه إسماعيل، فى يوم الأربعاء حادى عشريه، فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما، منها مدة إقامته بالكرك ومراسيمه نافذة بمصر أحد وخمسون، وإقامته بمصر مدة شهرين وأيام.

وكانت سيرته سيئة، نقم الأمراء عليه فيها أمورًا، منها أن رسله التى كانت ترد من قبله إلى الأمراء برسائله وأسراره أوباش أهل الكرك، فلما قدموا معه إلى مصر أكثروا من

---

(١) هو الذى يتولى شئون الدولة فى غياب السلطان.

أخذ البراطيل وولاية المناصب غير أهلها، ومنها تحكمهم على الوزير وغيره، وحجبهم السلطان حتى عن الأمراء والمماليك وأرباب الدولة، فلا يمكن أحدا من رؤيته سوى يومى الخميس والإثنين نحو ساعة. ومع ذلك فإنه جمع الأغنام التى كانت لأبيه، والأغنام التى كانت لقوصون، وعدتها أربعة آلاف رأس وأربعماية من البقر التى استحسنها أبوه. وأخذ الطيور التى كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها، وحملها على رءوس الحمالين إلى الكرك. وساق الأغنام والأبقار إليها، ومعهم عدة سقائين وسائر ما يحتاج إليه. وعرض الخيول والهجن، وأخذ ما اختاره منها، ومن البخاتى وحمر الوحش والزراف والسباع، وسيرها إلى الكرك. وفتح الذخيرة[1]، وأخذ ما فيها من الذهب والفضة، وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التى جمعها أبوه فى مدة سلطنته. وتتبع جوارى أبيه حتى عرف المتمولات منهن، فكان يبعث إلى الواحدة منهن يعرفها أنه يدخل عليها الليلة، فإذا تجملت بحليها وجواهرها أرسل من يحضرها إليه، فإذا خرجت من موضعها ندب من يأخذ جميع ما عندها، ثم يأخذ جميع ما عليها حتى سُلب أكثرهن ما بأيديهن. وعرض الركاب خاناه، وأخذ جميع ما فيها من السروج واللجم والسلاسل الذهب والفضة، ونزع ما عليها من الذهب والفضة. وأخذ الطائر الذهب الذى على القبة، وأخذ الغاشية الذهب وطلعات الصناجق، وما ترك بالقلعة مالاً حتى أخذه. وشئع فى قتل أمراء أبيه، وأتلف موجودهم، وأحضر حريم طشتمر حمص أخضر من حلب وقد تجهزن للمسير، فأخذ سائر ما معهن، حتى لم يترك عليهن سوى قميص وسروال لكل واحدة. وأخذ أيضًا جميع ما مع حريم قطلوبغا الفخرى، حتى لم تجد زوجته سرية تنكز ما تتقوت به، إلى أن بعث لهم جمال الكفاة شيئًا تحملوا به إلى القاهرة.

* * *

السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى[2]

جلس على تخت الملك يوم الخميس ثانى عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين

---

(١) المقصود ممتلكات السلطان من المنقولات عامة.

(٢) إسماعيل بن محمد بن قلاوون، أبو الفداء، علاء الدين، الملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد أول سنة ٧٤٣هـ. استمر إلى أن توفى عن نحو عشرين سنة، بالقاهرة، ومدة سلطنته ثلاث سنين وشهر ونصف. انظر فهرس الكتبخانة ١/ ١٨١ ونزهة الجليس ٢/ ٣٠٣ وشذرات الذهب ٥/ ٣٦١ وطبقات الشافعية ٥/ ٥٠ والتاج ١٠/ ٢١٧ والأعلام ١/ ٣٢٤.

وسبعمائة، بعد خلع أخيه باتفاق الأمراء على ذلك؛ لأنه بلغهم عنه أنه لما أخرجه الأمير قوصون فيمن أخرج إلى قوص أنه كان يصوم يومى الإثنين والخميس، ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن، مع العفة والصيانة عما يرمى به الشباب من اللهو واللعب.

وحلف له الأمراء والعساكر، وحلف لهم السلطان ألا يؤذى أحدا، ولا يقبض عليه بغير ذنب يجمع على صحته. ودقت البشائر، ولقب بالملك الصالح عماد الدين، ونودى بالزينة.

وفيه فرق السلطان أخباز الأمراء البطالين ورسم بالإفراج عن المسجونين، وكتب بذلك إلى الوجه القبلى والوجه البحرى، وألا يترك بالسجون إلا من وجب عليه القتل.

وفبه أخرج السلطان عددًا كبيرا من سجون القاهرة ومصر، وتوجه القصاد للإفراج عن الأمراء من الإسكندرية.

وفيه استقر الأمير أرغون العلائى زوج أم السلطان الصالح رأس نوبة ويكون رأس المشورة ومدبر الدولة وكافل السلطان. واستقر الأمير آقسنقر السلارى نائب السلطنة.

وفى يوم الجمعة ثالث عشريه: دعى للسلطان على منابر مصر والقاهرة، وكتب إلى الأمراء ببلاد الشام بالأمان والاطمئنان، وتوجه بذلك طقتمر الصلاحى.

وفيه كتب تقليد الأمير أيدغمش نيابة الشام، واستقر عوضه فى نيابة حلب الأمير طقزدمر الحموى نائب حماة. واستقر فى نيابة حماه الأمير علم الدين سنجر الجمولى.

وفيه كتب السلطان بحضور الحاج آل ملك، وحضور الأمير بيبرس الأحمدى إلى القاهرة.

وفيه كتب السلطان الملك الصالح إلى أخيه الناصر أحمد بالسلام، وإعلامه بأن الأمراء أقاموه فى السلطنة، لأنهم علموا أن الملك الناصر أحمد ليس له رغبة فى ملك مصر، وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك[1]، «فهى بحكمك وملكك» ورغب إليه فى أن يبعث القبة والطير والغاشية والنمجاة، وتوجه بكتاب السلطان الأمير قبلاى.

وفيه خرج الأمير بيغرا ومعه عدة أمراء وأوجاقية؛ لجر الخيول السلطانية من الكرك.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشريه: قدم الأمراء والمسجونون بالإسكندرية، وعدتهم

---

(١) قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. انظر معجم البلدان ٣/٣٧٠.

ستة وعشرون أميرا، منهم قياقر، والمرقبى، وطيبغا المحمدى، وابن طوغان جق، ودقماق وأسنبغا بن البوبكرى، وابن سوسون، وناصر الدين محمد بن المحسنى والى القاهرة، وأمير على بن بهادر، والحاج أرقطاى نائب طرابلس.

فى يوم الخميس تاسع عشريه: وقفوا بين يدى السلطان، فرسم أن يجلس أرقطاى مكان الجاولى، وأن يتوجه البقية على أمريات ببلاد الشام.

وفى يوم السبت أول صفر: قدم من غزة الأمير قمارى، والأمير أبو بكر بن أرغون النائب، والأمير ملكتمر الحجازى، وصحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد والمقدم عنبر السحرتى، والمماليك السلطانية، مفارقين للناصر أحمد.

وفيه توجه الأمير طقزدمر الحموى لنيابة حلب.

وفى يوم الإثنين ثالثه: خلع على الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب حماة[١] خلعة السفر، وخلع على أمير مسعود بن خطير خلعة السفر لنيابة غزة.

وفيه خلع على بدر الدين محمد بن محيى الدين بن يحيى بن فضل الله، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن أخيه شهاب الدين أحمد.

وفيه رُسم بسفر مماليك قوصون ومماليك بشتاك إلى البلاد الشامية متفرقين، وكتب للنواب بإقطاعهم الأخباز شيئًا فشيئا.

وفيه استقر الأمير جنكلى بن البابا فى نظر المارستان، عوضا عن الجاولى.

وفيه جلس الأمير آقسنقر السلارى النائب بدار النيابة، بعد ما عمرها وفتح بها شباكا، ورُسِم له أن يعطى الأخباز من ثلاثمائة إلى أربعمائة دينار، ويشاور فيما فوق ذلك.

وفيه استقر المكين إبراهيم بن قروينة فى نظر الجيش، وعُين ابن التاج إسحاق لنظر الخاص، عوضا عن جمال الكفاة، ناظر الجيش والخاص؛ لغيبته بالكرك، فقام الأمير جنكلى فى إبقاء الخاص على جمال الكفاة حتى يحضر.

وفى يوم الخميس سادسه: توجه الأمير سنجر الجاولى وأمير مسعود بن خطير، إلى محل ولايتهما.

وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناة، وعلى خليل بن خاص ترك

---

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠، ٣٠١.

بإمرة طبلخاناة، ونودى بأن أجناد الحلقة، ومماليك السلطان وأجناد الأمراء، لا يركب أحد منهم فرسًا بعد عشاء الآخرة، ولا يقعدوا جماعة يتحدثون.

وفى يوم الإثنين رابع عشريه: خلع على جميع الأمراء، كبيرهم وصغيرهم.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشريه: قدم علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، ومعه جمال الكفاة والشريف شهاب الدين بن أبى الركب، ومن الكرك، مفارقين للناصر أحمد. بحيلة دبرها جمال الكفاة. وكان قد بلغه عن الناصر أنه يريد قتلهم خوفا من حضورهم إلى مصر، ونقلهم ما هو عليه من سوء السيرة، فبذل جمال الكفاة مالا جزيلا ليوسف بن البصارة حتى مكنهم من الخروج من المدينة. وأسر إليه السلطان الناصر أنه يبعث من يقتلهم ويأخذ ما معهم، فعرجوا فى مسيرهم عن الطريق صحبة بدوى من عربان شطى إلى أن قدموا غزة[1]، فخلصوا ممن خرج فى طلبهم. فأقبل عليهم الأمراء والسلطان، وخلع عليهم بالاستمرار على وظائفهم.

وفى يوم الخميس سابع عشريه: نهب سوق خزانة البنود بالقاهرة، حتى عم النهب حوانيته كلها من النهب فى الجانبين، وكسرت عدة جرار خمر من خزانة البنود، وهتكت نساء الفرنج. وبلغ ذلك الوالى، فركب نائبه لرد العامة عن الفرنج، فرجموه وردوه رَدًّا قبيحا إلى أن احتمى بالمدرسة الجمالية المجاورة لخزانة البنود، وأساءوا الأدب على الفقهاء المجاورين بها، فخرجوا يحملون المصاحف، ووقفوا للسلطان. فرسم السلطان بضرب الوالى على باب الجمالية، ونودى من الغد ألا يتعرض أحد لأسير من الفرنج وهدد من أخذ لهم شيئا بالشنق.

وفيه قدم الخبر من حلب بأنه قد وقع فى بلاد الموصل وبغداد وأصفهان وعامة بلاد الشرق غلاء شديد، حتى بلغ الرطل الخبز بالمصرى إلى ثمانية دراهم نقرة، وأكلت الجيف. وصار من مات يلقى فى العراء عجزا عن مواراته، وفنيت الدواب عندهم.

ثم عقب هذا الغلاء جراد عظيم سد الأفق، ومنع الناس من كثرته رؤية السماء وأكل جميع الأشجار حتى خشبها. وانتشر الجراد إلى حلب ودمشق والقدس وغزة، فأضر بما هناك ضررا شديدا بالغا، وأفسد الثمار كلها. فلما دخل الجراد الرمل هلك بأجمعه حتى ملأ الطرقات، وتحسنت أسعار بلاد الشام.

وفى هذا الشهر: عقد السلطان على بنت الأمير أحمد ابن الأمير بكتمر الساقى من

---

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤.

بنت تنكز، وأصدقها عشرة آلاف دينار. وخلع السلطان على الأمير قمارى وجميع أقاربها، وعمل مهما عظيما، ورسم أن يعمل لها بشخاناه[1] وداير بيت زركش بثمانين ألف دينار.

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرقطاى بتقدمة ألف، فطُلب ناظر طرابلس بسبب تقرير ما نهب لأرقطاى أيام نيابته، فذكر أنه نهب له شىء كثير، من ذلك زردخاناه ضمن ثلاثين صندوقا، وفيها نحو اثنى عشر جوشنا، وفيها بركصطوانات حرير قيمة الواحدة منها زيادة على عشرين ألف درهم، ومن السروج والخيول والخيام والجمال وغيرها شىء كثير. فكتب إلى نواب الشام يتتبع من معه شىء من ذلك، وحمله إليه.

وفيه أخرج الأمير قرمجى الحاجب إلى صفد حاجبا، بسؤاله.

وفيه خلع على قراجا وأخيه أولاجا، واستقرا حاجبين.

وفيه سأل الأمير آقسنقر السلارى الإعفاء من النيابة، فلم يعف.

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول: قدم الأمير الحاج آل ملك، من حماة.

وفيه قبض على فياض بن مهنا؛ لشكوى الأمير الحاج آل ملك منه، وسجن بالقلعة.

وفيه رسم للأمير طقتمر الأحمدى بنيابة طرابلس، بحكم وفاة الأمير طينال.

وفيه وقعت منازعة بين الأمير جنكلى بن البابا وبين الضياء المحتسب، بسبب وقف الملك المنصور أبى بكر على القبة المنصورية، فإنه أراد إضافته إلى المارستان وصرف متحصله فى مصرف المارستان. فلم يوافقه الضياء، واحتج بأن هذا مصرفًا عينه واقفه لقراء وخدام، ووافقه القضاة على ذلك. فاستقر وقف المنصور أبى بكر على ما شرطه لطلبة العلم والفقراء والأيتام، وقرر فيه نحو ستين نفرًا بمعاليم ما بين خبز ودراهم، فعم النفع به ويعرف اليوم هذا الوقف بالسيفى.

وفيه وشى الخدام للسلطان بقاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، بأنه قد استولى على الأوقاف هو وأقاربه، ولم يوصلوا أربابها استحقاقهم. فرسم للطواشى محسن الشهابى والطواشى كافور الهندى بأن يتحدثا فى المدرسة الأشرفية المجاورة للمشهد النفيسى، وكتب لهما توقيع بذلك، ورسم لعلم دار بنظر المدرسة الناصرية بين القصرين، وبنظر جامع القلعة. فشق ذلك على ابن جماعة، وسعى عند الأمير أرغون العلائى، فلم ينجح سعيه.

---

(١) لفظ فارسى، ومعناه السرير.

وفيه استقر سيف الدين وأخوه من آل فضل على أخباز آل مهنا، سليمان بن مهنا وأخوته، بعد ما توفر منها جملة أقطعت للأجناد وأمراء الشام.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشريه: رسم للأمير ألطنبغا الماردانى بنيابة حماة، عوضًا عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وخلع عليه وركب البريد من يومه، وسار فى خمسة من مماليكه، وسبب ذلك ترفعه على الأمير أرغون العلائى.

وفيه كتب بحضور الأمير سنجر الجاولى إلى نيابة غزة، عوضًا عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى إمرة طبلخاناة بدمشق.

وفيه قدم خبر من شطى بأن الناصر أحمد قرر مع بعض الكركيين أن يدخل إلى مصر ويقتل السلطان، فتشوش الأمراء من ذلك، ووقع الاتفاق على تجريد العسكر لقتاله.

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه: خلع على شجاع الدين عزلوا والى الأشمون[1]، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضًا عن نجم الدين، واستمر نجم الدين على إمرته.

وفى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر: توجهت التجريدة إلى الكرك صحبة بيغرا، وهى أول التجاريد. وعقيب ذلك حدث بالسلطان رعاف مستمر، فاتهمت أمه أردو أم الأشرف كجك بأنها سحرته، وهجمت عليها، وأوقعت الحوطة على جميع موجودها، وضربت عدة من جواريها ليعترفوا عليها. فلم يكن غير قليل حتى عوفى السلطان، فرسم بزينة القاهرة ومصر، وحملت أم السلطان إلى مشهد السيدة نفيسة قنديل ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية.

وفى يوم الجمعة خامس عشريه – وهو آخر توت –: انتهت زيادة النيل إلى ثمانية ذراعا وتسعة أصابع.

وفيه قامت الزينة لعافية السلطان، ثم انتكس السلطان وعوفى.

وفى يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى: قدم الأمير بيبرس الأحمدى نائب صفد. وكان من خبره أن الناصر أحمد لما كان بالكرك قبل خلعه كتب لآقسنقر نائب غزة أن يركب إلى صفد ويقبض عليه، وأنه كتب لأمراء صفد بالاحتفاظ عليه. فبلغ ذلك الأحمدى من عيونه، فركب ليلا بمن معه وهو مستعد، وخرج من صفد. فتبعه عسكرها، فمال عليهم وقتل منهم خمسة، وجرح جماعة وهو منهم. فبلغ ذلك آقسنقر نائب غزة، وقد قرب من صفد، فكر راجعا إلى غزة، وكتب بالخبر إلى السلطان الناصر

---

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

أحمد. ومر الأحمدى سائرًا إلى دمشق، وفيها الأمير بيبرس الحاجب وطرنطاى الحاجب. فنزل الأحمدى ميدان الحصا، وخرج الأميران المذكوران فى عدة من العسكر إليه فسلموا عليه وتوجعوا له، ثم عادوا. فقدم فى ثانى يوم قدومه كتاب السلطان الناصر أحمد على نائب دمشق بإكرامه واحترامه، ثم قدم من الغد يوسف بن البصارة بكتاب السلطان الناصر أحمد إلى أمراء دمشق، بأنه قد طلب بيبرس الأحمدى إلى الكرك فعصى، وخرج من صفد بعد ما قتل جماعة منها، وأمرهم بأخذ الطرقات عليه ومسكه وحمله إلى الكرك. فأخذوا فى أهبة الحرب، وركبوا لقتاله فى يوم الخميس ثامن المحرم، وبعثوا إليه سرًا يعرفونه بما ورد عليهم. فركب الأحمدى إلى لقائهم حتى تراءى الفريقان، فبعث إليه الأمراء بعض الحجاب يعلمه بمرسوم السلطان فيه، فأعاد الجواب «بأنى طائع للسلطان إذا كان على كرسى ملكه بمصر، وأسير إليه وفى عنقى منديل، ليعاقبنى أو يعفو عنى. وأما سلطان يقيم بالكرك، ويضرب رقاب الأمراء، ويهتك حريمهم ويخرجهم بحيث يتصدق الناس عليهم، ثم يطلبنى إليه، فلا سمع ولا طاعة. وهأنا لا أسلم نفسى حتى أموت على فرسى، ومن كان فى نفسه منى فليأت إلى قتالى».

فلما سمعوا جوابه أمرهم ابن البصارة بأن يهجموا عليه ويمسكوه، فاحتجوا عليه بأن المرسوم لا يتضمن قتاله، «وهذا الذى قلته يحتاج إلى قتال شديد. ولكنا نكتب إلى السلطان بما اتفق، ونستأذنه فى قتاله، ونمتثل ما يرسم به»، وتكفلوا له بحفظه حتى يعود بالجواب، فمشى ذلك عليه، وسار بكتبهم. واجتمع الأمراء بالأحمدى، وكتبوا إلى أمراء مصر بما اتفق، وكتبوا لأيدغمش نائب حلب وللحاج آل ملك بحماة، وعرفوا الجميع أن هذا الأمر إن تمادى بهم ركبوا جميعهم وعبروا لبلاد العدو، فكان هذا أكبر الأسباب فى خلع الناصر أحمد. ولم يزل بيبرس الأحمدى بدمشق حتى كتب إليه الملك الصالح أن يقدم إلى مصر، فقدمها واستقر على إقطاعه.

وفى هذا الشهر: عزل آقبغا عبد الواحد من نيابة حمص، وأنعم عليه بإمرة مائة بدمشق.

وفى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة: خرج أروم بغا السلاح دار لنيابة طرابلس، غضبا عليه لمكاتبته الناصر أحمد له.

وفيه كتب بقدوم طقتمر الأحمدى إلى القاهرة.

وفيه قبض على جمال الكفاة ناظر الجيش والخاص، والموفق ناظر الدولة، والصفى ناظر البيوت، وزجماعة من الكتاب، وسلموا لشاد الدواوين.

وفيه قبض على ابن رخيمة مقدم الوالى وسبب القبض على جمال الكفاة كراهة آقسنقر السلارى النائب له؛ لنقله للسلطان أخباره، مع توقف الدولة على الوزير، وكثرة شكوى المماليك والخدام.

وكان السلطان قد كثر إنعامه على الخدام وحواشيهم، وعلى جواريه، ورتب لهم رواتب كبيرة، وأنعم عليهم بعدة رزق. وصار كثير من الناس يحملون إلى الخدام الهدايا، لتستقر لهم الرواتب والمباشرات وغيرها. فكثرت كلف الوزير وطلب الإعفاء، فرسم له ألا يمضى إلا بما كان بمرسوم الشهيد الملك الناصرمحمد، فوفر ألفا وأربعمائة دينار فى كل شهر. وأخذ النائب يغرى الأمير أرغون العلائى بجمال الكفاة، فتعين موسى بن التاج إسحاق لنظر الخاص بسعى الخدام، وتعين أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر لنظر الجيش. وإبراهيم بن يوسف هذا كان من سامرة دمشق، كتب عند الأمير بكتمر الحاجب فأسلم، ثم كتب بعد مسك بكتمر عند بهاء الدين أرسلان الدوادار، ثم بعد موته عند الأمير طشتمر حمص أخضر، ومن بعد موته كتب عند الأمير قمارى أستادار. ثم طلب هو وموسى بن التاج فى يوم الإثنين حادى عشرة ليخلع عليهما، فقام الأمير جنكلى بن البابا والحاج آل ملك وأرقطاى فى مساعدة جمال الكفاة، وتلطفوا بالنائب حتى كف عنه، على أن يحمل مالا هو ورفيقه. فالتزم جمال الكفاة بمائة ألف دينار، وخلع عليه وعلى بقية الممسوكين، فحمل المال شيئًا بعد شيء، ثم أعفى عما بقى منه.

وفيه قدم أياز الساقى على البريد بموت أيدغمش نائب الشام فجأة، فوقع الاختيار على استقرار الأمير طقزدمر الحموى فى نيابة الشام، ويستقر عوضه فى نيابة حلب ألطنبغا الماردانى، ويستقر يلبغا اليحياوى عوضه فى نيابة حماة. فكتب بذلك فى يوم الخميس رابع عشره، وخرج يلبغا اليحياوى إلى نيابته بحماة، ومعه كل من يلوذ به.

وفيه قدم كتاب سليمان بن مهنا يسأل فى الإفراج عن أخيه فياض، ورد ما أخرج عن آل مهنا من الإقطاعات، وإلا سار بعربه إلى الشرق. فأعيدت الإقطاعات إلى مهنا وأولاده، وأوقف إفراج فياض على ضمانه إياه.

وفيه أنعم على الأمير أرغون العلائى بعشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم.

وفيه أنعم على الأمير بهادر الدمرداشى بثلاثة بلاد، زيادة على ما بيده.

وفيه قدم الخبر بأن قاضى القضاة الشافعى بدمشق تقى الدين السبكى لما أراد أن يخطب بالجامع الأموى لم يرض به أهل دمشق خطيبا، وكرهوا خطبته، ولم يؤمنوا على

دعائه، وصاحوا عليه صياحا منكرا، وترك جماعة الصلاة، وقالوا ما نصلى خلفك، فثارت عليه العامة. فلما كانت الجمعة الثانية جرى أفحش ما جرى فى الأولى، فآل الأمر إلى أن أشهد على نفسه أنه ترك الخطابة.

وفيه قدم الخبر بأن شطى وثب عليه رجل وهو مع العسكر على الكرك، فضربه بحربة أرداه عن فرسه فحمل إلى بيوته، وأن العسكر فى شدة من الأمطار وقلة الواصل إليهم، وأن الناصر أحمد رد جواب كتاب السلطان إليه بما لا يليق. فكتب السلطان لأحمد بتعداد مساوئه، وتهديده بتخريب الكرك حجرا حجرا، وكتب بمسير عسكر غزة وصفد إلى نجدة الأمير بيغرا، وحمل الغلال والإقامات، وحشد العربان معهم، ومحاصرة الكرك.

وفيه أفرج عن فياض بن مهنا بمساعدة الأمير الحاج آل ملك، وسُلِّم إلى الأمير آقسنقر السلارى النائب حتى يحضر كتاب أخيه سليمان بن مهنا.

وفيه أنعم على أرغون العلائى بإقطاع قمارى بعد موته، واستقر تمر الموساوى أمير شكار عوضا عن قمارى.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة، فقدم عليه التقى السبكى قاضى دمشق، فأقبل عليه السلطان والأمراء. فلما عاد السلطان من سرحة سرياقوس مرض أياما حتى استرخت أعضاؤه، وصار العلائى وآقسنقر النائب يدبران أمور الدولة.

وفيه ورد الخبر بعافية شطى، وأنه ركب مع العسكر على الكرك، وقاتلوا أهلها وهزموهم إلى القلعة. فأذعن الناصر أحمد، وسأل أن يمهل حتى يكاتب السلطان؛ ليرسل من يتسلم منه القلعة، فرجعوا عنه. فلم يكن غير قليل حتى استعد، وقاتل بمن معه، فخرج جركتمر الماردانى ليجهز ألفى راجل من غزة وصفد.

وفيه أنعم على فياض بالعود إلى بلاده، فتوجه إليها بعدما حلف على التزام الطاعة، وألا يتعرض لأمور التجار.

وفى رابع عشره: أخرج جماعة من الأمراء إلى الشام، منهم ملكتمر السرجوانى وبكا الخضرى، وقطلقتمر، وأباجى، ويحيى بن ظهير الدين بغا وأخيه، ثم أعيد ملكتمر من يومه.

وفيه قدمت رسل متملك الخطا[1]، وقد خرجوا من بلادهم سنة تسع وثلاثين

---

(١) بلاد الخطا، هى بلاد مجاورة للصين، واسم ملكها فى هذه الفترة هو سندمر.

وسبعمائة، ومعهم كتاب للسلطان الملك الناصر محمد، يتضمن أن بعض الفقراء قدم عليهم وأقام عندهم مدة، وهم يسجدون للشمس عند طلوعها، فمازال ينكر عليهم ذلك ويدعوهم إلى الإسلام حتى عرف به الملك، فأحضره إليه وسمع كلامه، ودعاه إلى الإسلام وهداه الله إليه وأسلم، فبعث رسله إلى مصر فى طلب كتب العلم وإرسال رجل عارف يعلمهم شرائع الإسلام، فإن الرجل الذى هداهم به مات. فأقبل السلطان الملك الصالح إسماعيل عليهم، وخلع عليهم، ورسم بتجهيز الكتب العلمية لهم.

وفى يوم الإثنين ثانى رجب: أنعم على أربعة بإمريات طبلخاناة، منهم أمير حاجى ابن الناصر محمد.

وفيه أنعم على خمسة بإمريات عشرة، ونزلوا إلى المدرسة المنصورية على العادة بالقاهرة، فكان يوما مشهودا.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى الوزارة عوضا عن نجم الدين محمود بن على بن شروان وزير بغداد؛ لتوقف أحوال الدولة وشكوى المماليك السلطانية من تأخر جوامكهم.

وفى يوم الأربعاء رابعه: كانت فتنة رمضان أخى السلطان، وذلك أنه كان قد أنعم عليه بتقدمة ألف، فلما خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس تأخر عنه بالقلعة، وتحدث مع جماعة من المماليك فى إقامته سلطانا. فلما مرض السلطان بالاسترخاء قوى أمره، وأشاع ذلك، وراسل بكا الخضرى ومن خرج معه من الأمراء، وواعد من وافقه على الركوب بقبة النصر. فبلغ ذلك السلطان ومدبر دولته الأمير أرغون العلائى، فلم يعبأ به إلى أن أهل رجب جهز الأمير رمضان خيله وهجنه بناحية بركة الحبش، وواعد أصحابه على يوم الأربعاء. فبلغ الأمير آقسنقر أمير آخور عند الغروب من ليلة الأربعاء ما هم فيه من الحركة، فركب بمن معه، وندب عدة من العربان ليأتوه بخبر القوم إذا ركبوا.

فلما أتاه خبرهم ركب وسار إليهم، وأخذهم عن آخرهم من خلف القلعة ليلا، وساقهم إلى الإصطبل. وعرف آقسنقر أمير آخور السلطان وأرغون العلائى من باب السر بما فعله إليهما، فصعد بما ظفر به من أسلحة القوم. واتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده، والاحتفاظ بهم. فلما طلع الفجر خرج أرغون العلائى من بين يدى السلطان، وطلب الإخوة، ووكل ببيت رمضان حتى طلعت الشمس. وصعد الأمراء الأكابر باستدعاء، وأعلموا بما وقع، فطلبوا رمضان إليهم فامتنع من الحضور، وهم يلحون فى طلبه إلى أن خرجت أمه وصاحت عليهم، فعادوا عنه إلى أرغون العلائى.

فبعث أرغون عدة من الخدام والمماليك لإحضاره. فخرج رمضان فى عشرين مملوكا إلى خارج باب القلة، وسأل عن النائب آقسنقر السلارى، فقيل لـه إنـه عنـد السلطان مـع الأمراء، فمضى إلى باب القلعة، وسيوف أصحابه مصلتة، وركـب مـن خيـول الأمـراء، ومرّ بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة، فلم يجد أحدا من الأمـراء، فتوجـه جهـة قبـة النصر. ثم وقف رمضان ومعه بكا الخضرى، وقد اجتمع الناس عليه.

وبلـغ السلطان والأمـراء خبره، فـأخرج بالسـلطان محمـولا بـين أربعـة لمـا بـه مـن الاسترخاء، وركب النائب وآقسنقر أمير آخور وقمارى أخو بكتمر. وأقام أكابر الأمراء عند السلطان، ووقفت أطلابهم تحت القلعة، وضربت الكوسات حربيا، ونزل النقباء فى طلب الأجناد. فوقف النائب بمن معه تجاه رمضان وقد كثر جمعه من أجنـاد الحسينية ومن مماليك بكا ومن العامة، وبعث يخبر السلطان بذلك، فمـن شـدة انزعاجـه نهضـت قوته، وقام على قدميه يريد الركـوب بنفسـه، فقـام الأمـراء وهنـوه بالعافيـة، وقبلـوا لـه الأرض، وهوّنوا عليه أمر أخيه. فأقام السلطان إلى بعد الظهر، والنـائب يراسـل رمضـان ويعده الجميل، ويخوفه العاقبة، وهو لا يلتفت إلى قوله. فعزم النائب على الحملة عليه بمن معه، وسار فلم يثبت العامة والمتجمعة من الأجنـاد مـع رمضـان، وانفلّـوا عنـه، فـانهزم رمضان هو وبكا الخضرى فى عدة من المماليك، وتوجهوا نحو البرية، والأمراء فى طلبه، ثم عاد النائب إلى السلطان.

فلما كان بعد عشاء الآخرة من ليلة الخميس أحضر برمضان وبكا، وقـد أدركوهمـا بعد المغرب عند البويب[١]، ورموا بكا بالنشاب حتى ألقوه عن فرسه، وقد وقف فرس رمضان من شدة السوق، فوكـل برمضـان مـن يحفظـه، وأذن للأمـراء بـنزولهم بيوتهـم، فنزلوا وطلعوا بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة.

وجلس السلطان وطلب مماليك رمضان، فأحضروا. وأمر السلطان بحبسهم، وحبسوا أياما، ثم فرقوا على الأمراء.

وفيه رسم لجمال الكفاة بتجهيز التشاريف للأمراء الأكابر، فحمل إلى كل من الأمير جنكلى بـن البابـا، والأمير بيـبرس الأحمـدى والأمـير بيـبرس الحـاج آل ملـك، والأمـير قمارى، والأمير أرقطاى، تشريف كامل وألف دينار، وللنائب آقسنقر السلارى تشريف وألفا دينـار وفرسـان، ولمقدمـى الحلقـة تشـاريف بأقبيـة سـاذجة[٢] مـروزى[٣]؛ لأجـل إعادتهم، فإنها كانت بغاليطق ملونة.

---

(١) مدخل أهل الحجاز إلى مصر.

(٢) الساذج هو ما ليس فيه نقش.

(٣) على هامش ط: قماش سميك من الحرير الجيد أو القطن.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: أمر السلطان ستة أمراء.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: قدم الأمير بيغرا ومن معه من العسكر المجرد لقتال الناصر أحمد، بعد ما حاربوه. وكان قد جرح منهم جماعة، وقلت أزوادهم، فكتب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصرية، ولما مثلوا بالخدمة خلع عليهم.

وفيه كتب السلطان باستقرار طرنطاى البشمقدار فى نيابة غزة، عوضًا عن الجاولى، وقدم الجاولى إلى مصر.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشريه: وُسّط الأمير بكا الخضرى، ومعه مملوكان من المماليك السلطانية، بسوق الخيل تحت القلعة.

وفى هذا الشهر: استجد السلطان بالقلعة عمارة جليلة، وأقام آقجبا الحموى شاد العمائر، وقرر على أرباب الدواوين رخاما يحملونه إليها. وقصد بذلك محاكاة عمارة الملك المؤيد بحماة المعروفة بالدهشية. فتوجه آقجبا وأبجيج المهندس إلى حماة حتى عرفا ترتيبها. وكتب السلطان إلى حلب بطلب ألفى حجر أبيض، وألفى حجر أحمر من دمشق فحملت وسخر لها الجمال، فبلغت أجرة الحجر منها ثمانية دراهم من دمشق واثنى عشر درهما من حلب. ووقع الاهتمام فى العمل، فكان المصروف فى العمارة كل يوم عشرة آلاف درهم.

وفى هذا الشهر: أيضًا وقف السلطان الملك الصالح ثلثى ناحية سندبيس، من القليوبية، على ستة عشر خادما لخدمة الضريح الشريف النبوى، فتمت عدة خدام الضريح الشريف أربعون خادما.

وفى يوم الخميس رابع شعبان: قدم الأمير عِلم الدين سنجر الجاولى من غزة.

وفيه قدم البريد بموت الأمير أرنبغا نائب طرابلس، فعملت عليه أوراق بحقوق سلطانية مبلغها ألفا ألف درهم.

وفيه قدمت أولاد الأمير أيدغمش من دمشق، فألزموا بتفاوت الإقطاعات التى انتقلت إلى أبيهم من مصر وحلب ودمشق، فبلغت جملة كثيرة باعوا فيها خيولا وعصابة مرصعة لأمهم بلغت مائة ألف درهم. وباعوا حمام أيدغمش أبيهم خارج باب زويلة إلى خوند طغاى[1]، وعدة أملاك أيضا.

وفى يوم السبت ثالث شوال: توفى الأمير بهادر الجوبانى.

(١) خوند طغاى: هى زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

وفى عاشره: توجه الأمير بيبرس الأحمدى والأمير كوكاى فى ألفى فارس تجريدة لقتال الناصر أحمد بالكرك، وهى ثانى تجريدة. وكتب بخروج تجريدة من دمشق، وحمل المنجنيق ونصبه على الكرك.

وفى يوم الإثنين ثانى عشريه: صار نقل الأمير يلبغا اليحياوى إلى حماة مع طُلْبه، فركب الأمير أرغون العلائى فى عدة من الأمراء حتى زين خيله زينة عظيمة، ورتبها بنفسه، وشقوا القاهرة، وكتب لهم بالإقامات فى الطرقات.

وفيه أيضا أعيد نجم الدين محمود وزير بغداد إلى الوزارة، وأعفى ملكتمر السرجوانى منها لتوقف أحوال الدولة. وخلع على جمال الكفاة، واستقر مشير الدولة، بسؤال وزير بغداد فى ذلك، فنزلا معا بتشاريفهما. وصار جمال الكفاة يطلع بكرة النهار إلى باب القلعة ومعه الوزير، فيصرفان الأشغال. وطلب جمال الكفاة ضمان جميع الجهات وزاد فى كل جهة نحو العشرين ألف درهم، ومنع أن يحمل شىء من مال الجيزة، ولا يصرف منها إلا بمرسوم السلطان، فمشت أحوال الدولة.

وفى يوم الأربعاء خامس ذى القعدة: استقر لاجين أمير آخور، عوضا عن الأمير آقسنقر الناصرى. وسبب ذلك أنه سأل أن يتزوج بخوند أردو أم الأشرف كجك، فأجيب إلى ذلك وتزوج بها، وكانت جميلة الصورة. ثم بعد زواجها بأيام سأل الأمير آقسنقر أن يمشى صرغتمش الناصرى فى خدمته، وكان قد اشتراه السلطان الناصر محمد بنحو مائة ألف درهم، دفع عنها السلطان قريبا من نحو خمسة آلاف دينار مصرية، لجماله، وبسببه كانت فتنة الأمير قوصون مع المماليك السلطانية، لما طلبه بالليل. وكان آقسنقر يهواه وهو يترفع عليه، فاستشار السلطان الأمير أرغون العلائى فى إرسال صرغتمش إلى آقسنقر، فأنكر ذلك. ثم طلب السلطان صرغتمش، وعرفه بطلب آقسنقر له، فامتنع أشد امتناع، وقال: «أقتل نفسى، ولا أمضى إليه وأمشى فى خدمته» فبعث السلطان إلى قمارى والحجازى والنائب آقسنقر السلارى وعرفهم بذلك كله، فكلهم أنكر على آقسنقر الناصرى طلبه صرغتمش وصابه، وأخذ الحجازى يتلطف بآقسنقر الناصرى حتى كف عن طلبه على كره.

ثم رسم السلطان لآقسنقر الناصرى أن يتوجه مع التجريدة إلى الكرك، وحمل إليه عشرة آلاف دينار وخمسمائة جمل. وأخذ الأمراء فى حمل التقادم إليه على حسب هممهم حتى لم يبق إلا سفره. ثم تخيل الأمير أرغون العلائى من سفره أن يخامر مع الناصر أحمد، فبعث إليه يمنعه من السفر، فشق عليه ذلك ولم يوافق، فأرسل إليه

السلطان الأمير قمارى أستادار، فتلطف به حتى وافق بشرط الإعفاء من الأمير آخورية فأعفى، وسكن الحجازى بالأشرفية من القلعة، وتحول آقسنقر إلى دار الحجازى.

وفى هذه السنة: بعث أرتنا صاحب الروم بهدية جليلة صحبة قاضى الروم، وسأل أن تجرى على ما كان عليه الأمر فى أيام الشهيد السلطان الناصر محمد من تجهيز التقليد بنيابة الروم.

وفيها رتب السلطان دروسًا للمذاهب الأربعة بالقبة المنصورية، ووقف عليها وعلى قراء وخدام وغير ذلك ناحية دهمشا من الشرقية، فاستقر ذلك، وعُرِف بوقف الصالح.

وفيها استقر علاء الدين على بن عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن البرهان إبراهيم الرسعنى. ثم صُرف الزرعى ببدر الدين إبراهيم بن الصد، أحمد بن عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المصرى.

وفيها ولدت امرأة بدمشق مولودا، برأسين وأربعة أيدى.

وفيها كان بعرفة يوم عرفة فتنة بين العرب والحجاج من قبل الظهر إلى غروب الشمس قتل فيها جماعة. وسببها أن الشريف رميثة بن أبى نمى أمير مكة شكا من بنى حسن إلى أمير الحاج. فركب أمير الحاج فى يوم عرفة بعرفة لحربهم، وقاتلهم وقتل من الترك ستة عشر فارسا، وقتل من جماعة بنى حسن عدة، وانهزم بقيتهم، فنفر الناس من عرفة على تخوف، ولم ينهب لأحد شىء، ولا تزال بنو حسن بمنى. ثم رحل الحاج بأجمعهم يوم النفر الأول، ونزلوا الزاهر خارج مكة، وساروا منه ليلا إلى بطن مرو.

وفى يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة: رسم بتجريد الأمير أبى بكر بن أرغون النائب والأمير أصلم، والأمير أرنبغا.

وبلغت زيادة النيل فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا وتسعة أصابع.

* * *

ومات فيها من الأعيان

برهان الدين إبراهيم بن محمد السفاقسى[1] المالكى فى ذى الحجة، وله إعراب القرآن، وشرح ابن الحاجب فى الفقه.

---

(١) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسى السفاقسى، أبو إسحاق برهان الدين: فقيه مالكى. تفقه فى بجاية وحج فأخذ عن علماء مصر والشام. وأفتى ودرس سنين. له مصنفات منها «المجيد فى إعراب القرآن المجيد»، و«شرح ابن الحاجب» فى أصول الفقه. انظر الدرر الكامنة ١/ ٥٥ وبغية الوعاة ١٨٦ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٩١ وعلوم القرآن ٣٩٣ والأعلام ١/ ٦٣.

ومات الأمير أرنبغا الناصرى، نائب طرابلس.

ومات الأمير أيدغمش الناصرى، نائب الشام.

ومات الأمير بيبرس الأحمدى الحاجب وهو بدمشق، فى رجب. وهو أحد المماليك الناصرية، ترقى فى الخدم حتى صار أمير آخور، ثم عزل بأيدغمش، واستقر حاجبا. وتجرد إلى اليمن، ثم لما عاد سجن فى العشرين من ذى القعدة سنة خمس وعشرين، وأقام معتقلا تسع سنين وثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه فى ثانى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين. وأخرج إلى حلب أميرا بها، ثم نقل إلى إمرة بدمشق، فى سنة تسع وثلاثين، فمازال بها حتى مات. وله دار بالقاهرة داخل باب الزهومة بحارة العدوية، وحفيده أمير على بن أمير أحمد بن الحاجب المقرئ.

ومات الأمير بكا الخطيرى مقتولا، فى رابع عشرى رجب.

ومات الأمير بهادر الجوبانى رأس نوبة.

ومات الأمير قمارى أمير شكار، يوم الإثنين خامس جمادى الأولى.

ومات الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد وحلب، مقتولا بالكرك.

ومات الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل أمير آل فضل، بظاهر سلمية.

ومات الأمير طينال نائب صفد ونائب غزة ونائب طرابلس، وهو بصفد، فى يوم الجمعة رابع ربيع الأول.

وتوفى تاج الدين أبو المحاسن عبد القادر بن عبد المجيد بن عبد الله بن متى اليمانى المخزومى الشافعى الأديب الكاتب، بالقدس عن ثلاث وستين سنة. قدم القاهرة وأقام بها، وله شعر جيد.

ومات الحاجب صلاح الدين محمد بن إبراهيم، المعروف بابن البرهان.

وتوفى فخر الدين محمد بن يحيى بن عبد الله بن شكر المالكى، بمصر عن سبعين سنة.

وتوفى المقرئ بدر الدين محمد بن أحمد بن نصحان الدمشقى، شيخ القراء بها، عن خمس وسبعين سنة.

ومات الأمير قطلوبغا الفخرى نائب الشام، مقتولا بالكرك.

ومات سعد الملك مطرف، فى حادى عشرين جمادى الأولى.

* * *

سنة أربع وأربعين وسبعمائة

يوم الإثنين مستهل المحرم: قدم مبشر الحاج، وأخبر بكثرة ما كان في هذه الحجة من المشقات. وذلك أنه لما كان يوم عرفة تنافر أشراف مكة مع الأجناد من مصر، فركبوا لحرابهم بكرة النهار، ووقفوا للحرب صفين. فمشى الشريف عجلان بينهم، فلم تطعه الأشراف، وحملوا على الأجناد وقاتلوهم، فقتل منهم ومن العامة جماعة. وأبلى الشريف عجلان بن عقيل وأبلى كذلك الأمير أيدمر بلاء عظيما، فعاتبه بعض مماليك الأمير بشتاك، ورماه بسهم في صدره ألقاه عن فرسه، وقتل معه أيضًا جماعة، وآل الأمر إلى نهب شيء كثير، ثم تراجع عنهم الأشراف.

وفيه قدم عيسى بن فضل بقود أخيه سيف بن فضل على عادته. وكان سليمان بن مهنا قد سافر إلى بلاده فأكرمه السلطان وأنعم عليه، وأنزله منزلة حسنة.

وفي يوم السبت سادسه: قدم من الكرك الطواشي صفي الدين جوهر ورفيقه مختار، فارين من الناصر أحمد.

وفي يوم الأحد سابعه: خرج المجردين إلى الكرك من القاهرة، صحبة الأمير أصلم والأمير بيبغا حارس الطير.

وفي يوم الأربعاء عاشره: قبض السلطان على أربعة أمراء، وهم الأمير آقسنقر السلارى نائب السلطنة، والأمير بيغرا أمير جاندار صهره، والأمير قراجا الحاجب، وأخيه أولاجا، وقيدوا ورسم بسجنهم في الإسكندرية.

وفيه خرج الأمير بلك على البريد إلى المجردين إلى الكرك، فأدركهم على السعيدية، فطيب خواطرهم، وأعلمهم بالقبض على الأمراء، وعاد سريعًا، فقدم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادى عشره، وبعد وصوله قبض السلطان على الأمير طيبغا الدوادار الصغير. وسبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير آقسنقر السلارى كان في نيابته لا يردّ قصة ترفع إليه فقصده الناس من الأقطار، وسألوه الرزق والأراضى التى أنهوا أنها لم تكن بيد أحد، وكذلك نيابات القلاع وولايات الأعمال والرواتب وإقطاعات الحلقة. فلم يرد أحد سأله شيئا من ذلك، سواء كان ما أنهاه صحيحا أم باطلا. فإذا قيل له هذا الذى أنهاه يحتاج إلى كشف تغير وجهه، وقال: «ليش تقطع رزق الناس؟». فإذا كتب بالإقطاع لأحد، وحضر صاحبه من سفره أو تعافى من مرضه

وسأله فى إعادته، قال له: «رح خذ إقطاعك»، أو يقول له: «نحن نعوضك». ففسدت الأحوال، ولاسيما بالمملكة الشامية، فكتب النواب بذلك للسلطان، فكلمه السلطان فلم يرجع، وقال: «أنا أى من طلب منى شيئا أعطيته، وما أرد قلمى عن أحد». بحيث أنه كانت تقدم له القصة وهو يأكل فيترك أكله ويكتب عليها من غير أن يعرف ما فيها، فأغلظ له بسبب ذلك آقسنقر الناصرى أمير آخور. واتفق مع ذلك أنه وشى به أنه يباطن للناصر أحمد، ويواصل كتبه إليه، فقرر أرغون العلائى مع السلطان مسكه، فمسك هو وحاشيته.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: خلع السلطان على الأمير الحاج آل ملك، واستقر فى نيابة السلطنة، عوضا عن آقسنقر السلارى. وكان العلائى قد قرر مع السلطان أن يعرض على الأمراء نيابة السلطنة، فأول من عرضت عليه الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا فامتنع، فقالوا بعده للأمير الحاج آل ملك، فأظهر البشر وأجاب لها إن قبلت شروطه. فلما طلع الأمير الحاج آل ملك لصلاة الجمعة على العادة، اشترط على السلطان ألا يفعل شيئا فى المملكة إلا برأيه، وأنه يمنع الخمر من البيع، ويقيم منار الشرع، وأنه لا يعارض فيما يفعله. فقبل السلطان شروطه، ولبس الأمير الحاج آل ملك تشريف النيابة بجامع القلعة، بعد صلاة الجمعة. وأنعم عليه السلطان زيادة على إقطاع النيابة بناحيتى المطرية والخصوص، ومتحصلهما أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم.

وفى يوم السبت ثالث عشره: خلع السلطان على منكلى بغا الفخرى، واستقر أمير جندار، عوضا عن بيغرا.

وفيه فتح شباك النيابة، وجلس فيه الأمير الحاج آل ملك للمحاكمات. فأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بأن ينزل إلى خزانة البنود بالقاهرة، ويحتاط على ما بها من الخمر والبغايا، ويخرج من فيها من النصارى الأسرى، ويريق ما هناك من الخمور، ويخربها حتى يجعلها دكا وسبب ذلك أن خزانة البنود كانت يومئذ حانة، بعد ما كانت سجنا يسجن فيه الأمراء والجند والمماليك، كما أن خزانة شمائل سجن لأرباب الجرائم من اللصوص وقطاع الطريق. فلما كانت دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد عوده من الكرك، وشغف بكثرة العمارات، اتخذ الأسرى وجلبهم إلى مصر من بلاد الأرمن وغيرها، وأنزل عدة كثيرة منهم بقلعة الجبل، وجماعة كثيرة بخزانة البنود. فملأ أولئك الأرمن خزانة البنود حتى بطل السجن بها، وعمرها السلطان الناصر مساكنا لهم، وتوالدوا بها، وعصروا الخمور بحيث أنهم عصروا فى سنة واحدة اثنتين وثلاثين ألف جرة، باعوها جهارا وكان لحم الخنزير يعلق عندهم على الوضم، ويباع من غير

احتشام. واتخذوا عندهم أماكن لاجتماع الناس على المحرمات، فيأتيهم الفساق ويظلون عندهم الأيام على شرب الخمور ومعاشرة الفواجر والأحداث ففسدت حرم كثيرةٍ من الناس وكثير من أولادهم وجماعة من مماليك الأمراء فسادًا شنيعا، حتى إن المرأة إذا تركت أهلها أو زوجها، أو الجارية إذا تركت مواليها، أو الشاب إذا ترك أباه، ودخل عند الأرمن بخزانه البنود لا يقدر أن يأخده منهم، ولو كان من كان.

فقام الأمير الحاج آل ملك فى أمرهم، وفاوض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى فسادهم غير مرة، فلم يجبه إلى أن أكثر عليه فغضب السلطان عليه، وقال له: «يا حاج! كم تشتكى من هؤلاء، إن كان ما يعجبك مجاورتهم انتقل عنهم» فشق ذلك عليه، وركب إلى ظاهر الحسينية واختار مكانا، وعَمره دارا، وأنشأ بجانبها جامعا، وحماما وربعا وحوانيت. وبقيت فى نفسه حزازات حتى أمكنته القدرة منهم، وانبسطت يده فيهم بكونه نائب السلطان، فنزل والى القاهرة ومعه الحاجب وعدة من أصحاب النائب وهجموا خزانة البنود، وأخرجوا جميع سكانها، وكسروا أوانى الخمر، فكانت شيئا يجل وصفه كثرة، وهدموها واشترى أرضها الأمير قمارى من بيت المال، وتقدم إلى الضياء المحتسب أن ينادى بتحكيرها، فرغب الناس فى أرضها واحتكروها، وبنوها دورا وطواحينَ وغيرها.

وقد ذكرنا أخبار خزانة البنود فى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ذكرا شافيا، فكان يوم هدم خزانة البنود يومًا مشهودًا من الأيام المشهورة المذكورة، عَدَل هدمها فتح طرابلس وعكا؛ لكثرة ما كان يعمل فيها بمعاصى ا الله.

ثم طلب النائب والى القلعة، وألزمه أن يفعل ذلك ببيوت الأسرى من القلعة، فمضى إليها وكسر جرار الخمر التى بها، وأنزلهم من القلعة، وجعلهم مع نصارى خزانة البنود فى موضع بجوار الكوم. فيما بين جامع ابن طولون ومصر، فنزلوه واتخذوا به مساكنهم، واستمروا بها إلى اليوم.

وكانت الأسرى التى بالقلعة من خواص الأسرى، وعليهم كان يعتمد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى أمر عمائره، وكانوا فى فساد كبير مع المماليك وحرم القلعة فأراح ا الله منهم.

ثم رسم الأمير الحاج آل ملك النائب بتتبع أهل الفساد، فمنع الناس من ضرب الخيم على شاطئ النيل بالجزيرة وغيرها للنزهة، وكانت محل فساد كبير لاختلاط الرجال فيها بالنساء، وتعاطيهم المنكرات.

واقترح الأمير الحاج آل ملك فى نيابة اقتراحات كثيرة، منها أنه منع من مكاتبة ولاة الأعمال إلا بعد أن يبعث الوالى أن كان للشاكى حق شرعى، وجعل عوض المكاتبة له كتابة الشكوى خلف قصة المشتكى، وكثيرًا ما كان يرد الشكاة إلى الولاة والكشاف، وصار يكتب لجميع الولاة يعتمد.

ورسم الأمير الحاج آل ملك لأولى نيابته بإبطال جميع الملعوب، وهى جهة سلطانية كان يتحصل منها مال كثير، ولها ضامن يقال له كمجتى. له ضرائب مقررة على أرباب الملعوب، من المناطحين بالكباش والمناقرين بالديوك، وعلى المعالجين والمصارعين والمثاقفين[1] والملاكمين والمشابكين[2]، وعلى المقامرين على اختلاف أنواع القمار، وعلى القرادة والدبابة الذين يلعبون بالقرود والدب وغير ذلك من أنواع اللعب، فبطل ذلك كله.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك أيضًا جهة ابن البطونى، وهى جهة سلطانية لها ضامن عليه مال مقرر يأخذه من كل من رُدَّ عليه عبده أو أمته، إذا أبقوا فكان يتعدى حتى يأخذ من يجده من العبيد والإماء قد مضى لمولاه فى حاجة، ويحبسه عنده حتى يصالحه مولاه على مال يدفعه إليه، فبطل ذلك.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك النزول عن الإقطاعات والمقايضات بهذه بعد أن فشى ذلك بين الأجناد، حتى إن جنديا قايض آخر بإقطاعه ومبلغ ألفين وخمسمائة درهم أقبضه منها ألفين، فألزمه الأمير الحاج آل ملك بحمل الألفين لبيت المال، فانكف الأجناد عن المقايضات.

ومقت الأمير الحاج آل ملك من يرفع إليه قصة بطلب زيادة، فرفع له علاء الدين بن القَلَنْجُقِى أحد الأمراء العشرات قصة يسأل فيها زيادة على إقطاعه، فوقع له عليها بمائتى فدان من الجبل الأحمر، زيادة على ما بيده.

ومنع الأمير الحاج آل ملك من مكاتبة نواب الشام - وكتابة التواقيع السلطانية - لأهل الشام، وكتب مرسوم السلطان إلى الممالك الشامية بإبطال العمل بما كتب به من بعد وفاة السلطان الملك الناصر محمد، ولا يعتمد إلا على المراسيم المستقرة إلى حين وفاته؛ ليبطل بذلك ما كان فى نيابة آقسنقر السلارى فبطلت جماعة كثيرة بأيديهم

---

(١) ثقف: الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة، وهو إقامة درء الشىء ويقال ثقفت فلان إذا ظفرت. انظر مقاييس اللغة ١/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) المشابكين: الشين والباء والكاف أصل صحيح يدل على تداخل الشىء يقال شبك أصابعه تشبيكا. انظر مقاييس اللغة ٣/ ٢٤٢.

مراسيم سلطانية منصورية وأشرفية وصالحية تجددت بعد السلطان الناصر محمد، وأخذت منهم.

وفى يوم الخميس ثامن عشره: قدم محمل الحاج.

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه: نودى بتحكير خزانة البنود، فشرع الناس فى تحكيرها.

وفى يوم الخميس خامس عشريه: رسم السلطان أن يعاد على ناصر الدين المعروف بفأر السقوف ما أخذ له فى نيابة الأمير طشتمر حمص أخضر، وخلع عليه بحسبة مصر، عوضا عن ابن بنت الأعز، بشفاعة الأمير ملكتمر الحجازى، فأعيد له مبلغ أربعين ألف درهم من بيت المال.

وفيه قدم شهاب الدين أحمد بن فضل الله كاتب السر بدمشق بطلب؛ لكثرة شكاته فقام أخوه علاء الدين على بن فضل الله فى أمره حتى أعيد إلى دمشق معزولا، من غير مصادرة، ورُتِّب له ما يكفيه.

وفيه أنعم على عدة من المماليك السلطانية بإمريات، منهم شيخو العمرى، وألطنبغا برناق.

وفى هذا الشهر: كثر تخوف الناس من منسر انعقد بالقاهرة، وذلك أن رجال هذا المنسر كبسوا عدة بيوت، وكتبوا أوراقا يطلبون فيها مالا من الأغنياء، «ومتى لم يُبعث لنا ذلك كنا ضيوفك» وأعيَا الوالى أمرهم فاتفق أنهم كبسوا بيتا ببولاق، وكان أهله قد أنذروا بهم، فاستعدوا لهم وتركوا أبوابهم مفتوحة، فدخلوا نصف الليل، وإذا بالنشاب قد وقع فى صدورهم، فأصاب منهم ثلاثة، ورجع باقيهم منهزمين. فخرج منهم أيضًا اثنان والطلب فى أثرهما، فقتل منهما واحد وقبضوا منهم على ثلاثة، وأتوا بهم الوالى، فأقروا على جماعة بالجزيرة وغيرها، فتتبعوا إلى أن ظفر بجماعة سُمِّروا وشهرّوا.

وفيه قدم الرجل الصالح أحمد الزرعى، فأكرمه الأمير جنكلى بن البابا، وجمع بينه وبين السلطان. فسأل الزرعى أن تعفى بلده زرع من المغارم والسحر، وأقام أياما ثم عاد إلى الشام.

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل[1]، فأكرمه السلطان، وكتب له ببلدة

---

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، فى بادية الشام كان شجاعا جوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤ هـ. ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٣٠ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والدرر الكامنة ٢/ ١٨٣ والأعلام ٣/ ١٥٠.

زرع[١] حسب سؤاله، وسافر فمات قبل أن يستغلها.

وفيه قدم أيضًا أحمد بن مهنا[٢] وسيف بن فضل، بقودٍ.

وفيه وصلت رسل متملك الهند بهدية فيها فصان ياقوت، ومعهم كتاب يتضمن السلام والمودة، وأنهم لم يكونوا يعرفون الإسلام حتى أتاهم رجل عرفهم ذلك، وذكر لهم أن ولاية الملك لابد أن تكون من الخليفة. وسأل متملك الهند أن يكتب له تقليد من جهة الخليفة بولاية مملكة الهند؛ ليكون نائبا عن السلطان بتلك البلاد، وأن يبعث السلطان إليهم رجلا يعلمهم شرائع الإسلام من الصلاة والصيام ونحو ذلك. فأكرمت الرسل، وطُلب من الخليفة أن يكتب تقليدا لمرسلهم بسلطنة الهند، فكتب له تقليد جليل، ورسم بسفر ركن الدين الملطى شيخ الخانكاه الناصرية بسرياقوس مع الرسل.

وفيه قدم البريد من حلب بطلب ناصر الدين محمد بن صُغَيِّر الطبيب؛ ليعالج الأمير ألطنبغا المارداني، فأخرج على البريد، وقدم حلب يوم الثلاثاء سلخه[٣]، وقد احتضر الأمير ألطنبغا، فمات من الغد، فعاد ابن صُغَيِّر بعد يومين من حلب.

وفى تاسع عشريه: رسم بتجريد الأمير جنكلى بن البابا، والأمير آقسنقر الناصرى، والأمير أبى بكر بن أرغون النائب، والأمير طيبغا المجدى إلى الكرك.

وفى ثانى عشر صفر: قدم الخبر بوفاة الأمير ألطنبغا الماردانى نائب حلب، فصلى عليه صلاة الغائب بجامعه، وقرئت له ختمة شريفة.

وفيه عقد مشور عند السلطان فيمن يلى حلب، فأشار الأمير أرغون العلائى باستقرار الأمير يلبغا اليحياوى فى نيابة حلب، وأن يستقر عوضه فى نيابة حماة الأمير طقتمر الأحمدى، وأن يستقر بلك الجمدار فى نيابة صفد، عوضا عن طقتمر الأحمدى. وعين أرغون شاه للسفر بتقليد الأمير يلبغا، وأن يتوجه الأمير أحمد لإحضار حريم المارداني وأمواله من حلب.

وفى رابع عشريه: توجه الأمير ألطنبغا برناق، بتقليد طقتمر نائب حماة.

---

(١) من أعمال حوران بالقرب من دمشق. انظر معجم البلدان ٢/ ١٨٢.

(٢) أحمد بن مهنا بن عيسى بن حديثة الطائى ثم التعلبى: أمير عرب الفضل فى بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخـذه على سقى الفرات وأطراف العراق. وقدم القاهرة مرارا. انظر الدرر الكامنة ١/ ٣٢١ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والعبر ٥/ ٤٣٩ والأعلام ١/ ٢٦١.

(٣) المراد آخر اليوم.

وفى يوم السبت خامس عشريه: قدم الأمير بيبرس الأحمدى والأمير كوكاى ومن معهما من المجردين التجريدة الثانية إلى الكرك، فركب الأمراء إلى لقائهم. وكان قبل ذلك بيومين ورد كتاب الأمير أصلم بأنه قدم إلى الكرك بمن معه، وخرج الأمير بيبرس الأحمدى بمن معه، وطلب أن يُقوَّى بعسكر. فكتب إلى ولاة الأقاليم للخروج إلى الكرك بطلبهم، ونزل النقباء إلى الأمراء المعينين للسفر بخروجهم.

وفى يوم الخميس سلخه: خرج الأمير بلك الجمدر من القاهرة؛ لنيابة صفد.

وفى يوم الإثنين رابع ربيع الأول: خرج الأمير جنكلى بن البابا والأمير آقسنقر الناصرى وملكتمر السرجوانى وأمير عمر بن أرغون النائب، فى أربعة آلاف فارس، تقوية للأمير أصلم، وهى التجريدة الرابعة للكرك. وتوجه صحبتهم عدة حجارين ونقابين ونفطية، وتوجه السلطان بعد سفرهم إلى سرياقوس على العادة.

وفيه اشتد الأمير الحاج آل ملك النائب على والى القاهرة ومصر فى منع الخمر وغيره من المحرمات، وتتبع أهل الفساد وإحضارهم إليه. ونودى بالقاهرة ومصر من أحضر سكرانا أو أحدا معه جرة خمر خلع عليه. فقعد العامة لشَرَبة الخمر بكل طريق، وأتوه مرة بجندى قد سكر، فضربه وقطع خُبْزَه، وخلع على من أحضره. وقبض العامة أيضا على بعض مماليك الأمراء، وقد أحضر جرة خمر فى مركب، فضربه وقطع خبزه. وأخذ النائب كثيرًا من شَرَبة الخمر وباعته بناحية شبرا الخيم ومنية السيرج، ومن المراكب، ومن البيوت، فضربهم عرايا، وكشف رءوسهم، وصب عليهم الخمر وشهرهم. ونادى من اشترى عنبا بالقنطار قبض عليه، ويؤتى به إليه. فعرفه شاد الدواوين أن متحصل الديوان من معاملة العنب مائة ألف درهم، وقد بطلت، فلم يلتفت إليه، وتنجز مرسوم السلطان بالمساحة بذلك. وبعث النائب فى خفية من اشترى له عنبا بدرهمين، فجاءه عشرة أرطال فطلب المحتسب، وأنكر عليه كيف يكون العنب بهذا السعر وقد منعنا من اعتصاره.

ومنع الأمير الحاج ملك النائب أن يحمل الفرنج إلى الإسكندرية خمرا، فقام فى ذلك جمال الكفاة، وذكر أنه يتحصل من ذلك فى السنة نحو الأربعين ألف دينار، ومتى منع الفرنج من حمل الخمر فسد حال الإسكندرية، ومازال بالسلطان حتى منع النائب من ذلك.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك النوايح من القاهرة ومصر، فقامت الضامنة عند الأمير قمارى الأستادار فى إعادة النوايح، وخوفت أن جهته تبطل، وكان مُرْصده للحاشية، فمازال الأمير قمارى يكلم الأمير الحاج آل ملك حتى أعادها.

وفى هذا الشهر: قام قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة على إمام الجامع الأزهر، وحبسه. وسبب ذلك أنه كان يلى نظر الجامع، فأخرجه عنه قاضى القضاة وولاه للقاضى الحنبلى، فتعصب جماعة للإمام حتى أعاده آقسنقر السلارى النائب إلى نظر الجامع. فشق ذلك على القضاة، وتنكروا له، فقام رجل وأنهى إليهم أن الإمام من خمس وعشرين سنة وقع فى حق النبى ﷺ، بأن زعم أنه ﷺ انهزم فى بعض غزواته، وكتب بذلك محضرا وأثبته. وشنعوا بذلك عليه، وأخذوه من الجامع إلى الحبس، فقام الشيخ خليل المالكى والقوام الكرمانى قياما زايدا حتى وصل إلى السلطان والأمراء أن بين القضاة وبينه عداوة، بسبب نظر الجمع، من قديم. فطُلب القضاة إلى القلعة بحضرة السلطان، وجدثهم السلطان فى أمره، فوقعوا فيه وقيعة قبيحة، وأنه قد وجب قتله، وقد حكم بعزله من الإمامة. فمازال السلطان بهم حتى حكم الحنفى بتعزيره، فعزر واستمر على وظيفته. وكثرت القالة فى ابن جماعة بسببه، فإنه كانت له سمعة عند الخدام، وتتردد إليه أم السلطان.

وفيه خلع على نجم الدين أيوب، وأعيد لولاية القاهرة، عوضا عن شجاع الدين غُرْلُو، وأخرج غُرْلُو إلى الشوبك، عوضا عن ألطنقش.

وفى يوم الخميس عشره: قدم الخبر بوصول المنجنيق من صفد إلى الكرك، وأنه هرب من خدام أحمد ومماليكه نحو ستة وأربعين نفرا، ثم قدموا فى حادى عشريه، فخلع عليهم.

وفى رابع عشر ربيع الآخر: قدم الخبر بوصول جنكلى بن البابا وآقسنقر الناصرى إلى الكرك بمن معهما، فى يوم السبت سابعه، فزحفوا من غدهم، وقاتلوا قتالا شديدًا جُرح فيه بالغ وجماعة، وعدة قُتلوا، وجُرح كثير. فانكسر أهل الكرك كسرة قبيحة، فسر السلطان بذلك، وبعث إلى الأمراء المجردين خمسين حجارا.

وفيه قدم رسول حسن بن دمرداش بن جوبان بهدية، وسأل أن يُبْعَث إليه برمة أبيه، فاعتذر السلطان عن ذلك بأنه لم يعرف له قبرا.

واتفق فى زيادة النيل أنه كان وفاؤه يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول - وهو سابع عشر مسرى -، فزاد زيادة كبيرة بعد الوفاء حتى فاض من جهة قرموط من الخليج، وطلع من الأسربة. فركب الوالى إلى بولاق، وركب النائب إلى جسر بركة الحبش فى عدة من الأمراء، وأقام ثلاثة أيام حتى أتقن بعض الجسور.

وفاض النيل من جهة قناطر الأوز، فكتب لوالى الشرقية على أجنحة الحمام أن يقطع

اللؤلؤة[١]، فكثر تقطع الجسور، وتعبت الولاة فى سدها حتى تقطعت جميعها بالوجه القبلى والوجه البحرى. وفسدت الأقصاب، والنيلة والقلقاس، وسائر الزراعات الصيفية، والمخازن.

وفيه قدم الخبر بكثرة الفساد والمجاهرة بالخمور وأنواع الفسوق بدمشق، وقلة حرمة نائبها الأمير طقزدمر الحموى، وتغلب مماليكه وتهكمهم عليه وسوء سيرتهم، فكتب بالإنكار عليه.

واتفق بظاهر القاهرة أمرٌ اعْتُنِى بضبطه، وهو أنه كان بناحية اللوق كوم يعرف بكوم الزل يأوى إليه أهل الفسوق من أوباش العامة، فأخذ بعضهم منه موضعا ليبنى له فيه بيتا، فشرع فى نقل التراب منه، فبينا هو يحفر إذ ظهر له إناء فخار فيه مكاتيب دار كانت فى هذا البقعة، وتدل على أنه كان به أيضًا مسجد، وَرَأَى آثار البنيان. فأشاع بعض شياطين العامة - وكان يقال له شعيب -، أنه رأى فى نومه أن هذا البنيان على قبر بعض الصحابة رضى الله عنهم، وأن من كراماته أنه يقيم المقعد ويرد بصر الأعمى، وصار يصيح ويهلل ويظهر اختلال عقله. فاجتمعت عليه الغوغاء، وأكثروا من الصياح، وتناولوا تلك الأرض بالحفر حتى نزلوا فيها نحو قامتين، فإذا مسجد له محراب. فزاد نشاطهم، وفرحوا فرحا كبيرًا، وباتوا فى ذكر وتسبيح. وأصبحوا وجمعهم نحو الألف إنسان، فشالوا ذلك الكوم، وساعدهم النساء، حتى إن المرأة كانت تشيل التراب فى مقنعها، وأتاهم الناس من كل أوب[٢]، ورفعوا معهم التراب فى أقبيتهم وعمائمهم، وألقوه فى الكيمان، بحيث تهيأ لهم فى يوم واحد ما لا تفى مدة شهر بنقله.

وحفر شعيب حفرة كبيرة، وزعم أنها موضع الصحابى، فخرج إليه أهل القاهرة ومصر أفواجا، وركب إليه نساء الأمراء والأعيان، فيأخذهن شعيب وينزلهن تلك الحفرة لزيارتها، وما منهن إلا من تدفع الدنانير والدراهم.

وأشاع شعيب أنه أقام الزمْنى، وعَافى المرضى، وردَّ أبصار العميان، فى هذه الحفرة، وصار يأخذ جماعة ممن يظهر أنه من أهل هذه العاهات، وينزل بهم إلى الحفرة، ثم

---

(١) المقصود قنطرة أو سد قرب منظر اللؤلؤة.

(٢) أوب: وجاءوا من كل أوب أى من كل مآب ومستقر، وفى حديث أنس، رضى الله عنه: «فآب إليه ناس»، أى جاءوا إليه من كل ناحية، وجاءوا من كل أوب أى من كل طريق ووجه وناحية، وقال ذو الرمة يصف صائدًا رمى الوحش:

طوى شخصه حتى إذا ما نودفت على هيلة من كل أوب نفالها

على هيلة أى على فزع وهول لما مر بها من الصائد مرة بعد أخرى، من كل أوب أمن كل وجه، لأنه لا مكمن لها من كل وجه عن يمينها وعن شمالها ومن خلفها. انظر: لسان العرب ١٦٨.

يخرجهم وهم يسبحون «الله أكبر الله أكبر»، ويزعمون أنهم قد زال ما كان بهم. فافتتن الناس بتلك الحفرة، ونزلت أم السلطان لزيارتها، ولم تبق امرأة مشهورة حتى أتتها وصار للناس هناك مجتمع عظيم، بحيث يسرج به كل ليلة نحو مائتى قنديل، ومن الشموع الموكبية شيء كثير. فقامت القضاة فى ذلك مع الأمير أرغون العلائى والأمير الحاج آل ملك النائب، وقبحوا هذا الفعل، وخوفوا عاقبته، حتى رسم لوالى القاهرة أن يتوجه إلى مكان الحفرة ويكشف أمرها، فإن كان فيها مقبور يحمل إلى مقابر المسلمين ويدفن به سرًا، ثم يعفى الموضع. فلما مضى إليه ثارت به العامة تريد رجمه، وصاحوا عليه بالإنكار الشنيع حتى رماهم الجند بالنشاب، فتفرقوا. وهرب شعيب ورفيقه العجوى، ومازال الحفارون يعملون فى ذلك المكان إلى أن انتهوا فيه إلى سراب حمام، ولم يجدوا هناك قبرا ولا مقبورًا، فطموه بالتراب، وانصرفوا. وقد انحلت عزائم الناس عنه، بعدما فتنوا به، وضلوا ضلالا بعيدًا، وجمع شعيب ورفيقه كثيرًا من المال والثياب شيئا طائلا.

وفيه توجه أيدمر الشمسى لكشف أحوال الكرك.

وفى يوم الأحد سابع عشرى جمادى الأولى: قدم الأمير أصلم، وأبو بكر بن أرغون النائب، وأروم بغا، من تجريدة الكرك بغير إذن، واعتذروا بضعف أبدانهم وكثرة الجراحات فى أصحابهم وقلة الزاد عندهم. فقبل السلطان عذرهم، ورسم الأمير طقتمر الصلاحى وتمر الموساوى، فى عشرين مقدما من الحلقة وألفى فارس، فساروا خلفه، وهى التجريدة الخامسة.

وفيه قدم البريد من حلب أنه خرجت عساكر حلب وحماة وطرابلس صحبة سنقر وصلاح الدين الدوادار إلى جهة سيس لحرب أهلها من الأرمن؛ لمنعهم الخراج.

تركمان الطاعة، وأغاروا معهم، وأثروا فى أهل سيس آثار قبيحة.

وفيه نودى من قبل الأمير الحاج آل ملك نائب السلطان بأن أهل الأسواق كلها إذ أذن الصلاة يصلون قدام دكاكينهم بإمام يصلى بهم، فعملوا أنخاخا[1] وحصرا برسم فرشها للصلاة فى الأسواق.

وتوجه السلطان فى هذه الأيام إلى سرياقوس على العادة، ورسم بلعب الرمح بين يديه. فاجتمع غواة لعب الرمح، وحضر طيدمر الملكى، وابن الطرابلسى الرماح، وقطز

---

(١) نخ: نخا: سار سيرًا عنيفًا، والإبل، نخا: زجرها وحثها لتسير، وصوت لها لتبرك، النخ: وهو بساط طويل، جمع نخاخ. انظر المعجم الوسيط.

الشمسى، ومن ضاهاهم، وتكافحوا. فظهر ابن الطرابلسى يومئذ على سائرهم، وأنعم عليه.

وفيها ترك الأمير طقبغا الناصرى إمريته، وتزيًّا بزى الفقراء، فلزمه بحكم الديوان أربعمائة ألف درهم، حمل منها مباشروه ثلاثمائة ألف.

وفيها رسم باستقرار الأمير سيف الدين بن فضل أمير الأمراء فى الإمرية، عوضا عن سليمان بن مهنا، بعد موته.

وفيها كتب بمنع أحمد بن مهنا من القدوم إلى مصر، فردّه نائب الشام من دمشق وعاد إلى أهله. فاتفق أحمد بن مهنا مع فياض على إقامة فتنة.

وفيها تزوج السلطان ابنة الأمير طقزدمر الحموى نائب الشام، بعد ما جهز الأمير ملكتمر الحجازى بالمهر إلى دمشق، فقدمها فى سادس عشر جمادى الآخرة، وقد تلقاه الأمير طقزدمر، فدفع إليه المهر وهو مائة ألف درهم. وعاد الأمير ملكتمر الحجازى من دمشق من غير أن يأخذ لأحد شيئًا هدية، فبعث له الأمير طقزدمر الحموى ألفى دينار، ومائة قطعة قماش، وأربعة أرؤس خيل. وأنعم عليه السلطان بألفى دينار، وخيول وغيرها.

وفيه قدم الخبر بخروج فياض وآل مهنا عن الطاعة، وإغارتهم على عرب سيف بن فضل، وأخذهم قفلا من بغداد إلى نواحي الرحبة، كان فيه لرجل واحد ما قيمته نحو مائتى ألف دينار، سوى ما لغيره من التجار.

وفيه قدم الخبر بأن سليمان شاه حاكم الأردو جرت بينه وبين أرتنا ملك الروم حرب انتصر فيها أرتنا، وقَتَل عدة من أصحاب سليمان شاه، وغَنم ما معهم، وهزم باقيهم.

وفى مستهل رجب: عاد الأمير جنكلى بن البابا والأمير آقسنقر الناصرى من تجريدة الكرك إلى القاهرة، فأكرمهما السلطان لكثرة بلائهما فى الكرك، وخلع عليهما.

وفيه قدم البريد بمحضر ثابت على قضاة حلب يتضمن أنه لما كان يوم السبت سادس شعبان إذا برعد وبرق أعقبته زلزلة عظيمة، سمع حسها من نصف ميل عن حلب، وهو حس مزعج يرجف القلوب. فهدم من القلعة اثنا وثلاثون برجا سوى البيوت، وهدم من قلعة البيرة(١) أكثر من نصفها، وكذلك من قلعة عين تاب(٢) وقلعة

---

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١.

(٢) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٣/ ١٧٦.

الراوند وبَهَسْنا[١] وبلاد منبج[٢] وقلعة المسلمين. فخرج أهل حلب إلى ظاهرها، وضربوا الخيم، وغلقت سائر أسواقها، وفى كل ساعة يسمع دوى جديد. ثم إنهم تجمعوا عن آخرهم، وكشفوا رءوسهم ومعهم أطفالهم والمصاحف مرفوعة، وهم يضجون بالدعاء والابتهال إلى الله برفع هذا المقت. فأقاموا على ذلك أياما إلى خامس عشريه حتى رفع الله ذلك عنهم، بعدما هلكت بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فكتب بتجديد عمارة ما هدم من القلاع من الأموال الديوانية.

وقدم الخبر من الكرك بأن العساكر أخذت على طرقها كلها بالاحتفاظ وأخذت أغناما كثيرة لأهلها، وقتلت جماعة من الكركيين. فرسم بتجهيز الأمير علم الدين سنجر الجاولى، والأمير أرقطاى، والأمير قمارى أستادار، وعشرين أمير طبلخاناه وعشرات، وثلاثين مقدم حلقة، وأنفق السلطان فيهم. فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال فى ألفى فارس، وهى التجريدة السادسة، وتوجه معهم عدة حجارين ونفطية.

وفيه خلع على الأمير طرغاى الطباخى، واستقر فى نيابة طرابلس بعد موت رسغاى السلاح دار، وكتبت أوراق ديوانية بما يلزم رسغاى بحكم الديوان، ويشتمل على ألفى ألف درهم.

وفيه استقر علاء الدين على بن محمد بن الأطروش السقطى فى حسبة دمشق، بعناية الأمير أرغون العلائى، فشنع الناس بسبب ولايته، لجهله بالأمور الشرعية.

وفى أول شعبان: ورد كتاب الناصر أحمد من الكرك وهو يترفق ويعتذر عن قتل الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طشتمر حمص أخضر، وأنه إن رُسِم بحضوره حضر، وإن رُسم بإقامته بالكرك أقام تحت الطاعة، وأنه لا رغبة له فى الملك. وعقيب ذلك ورد كتاب نائب الشام وكتاب نائب حلب، وفى ضمنهما كتب الناصر أحمد إليهما بختمها، وهى تشتمل على معنى ما ذكر فى كتابه. فتوجه إليه الأمير طشتمر طلليه بجواب يتضمن أنه إن أراد الإقامة بالكرك مطمئنًا فليسير ما أخذه من المال والخيل وغير ذلك، ويبعث يوسف بن البصارة أيضًا، وإلا هدمت عليه الكرك حجرا حجرا، وأسرّ إلى طلليه أن يتحيل فى القبض على أحمد.

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ١/ ٥١٦، ٥١٧.

(٢) انظر معجم البلدان ٥/ ٢٠٥.

وفى مستهل رمضان: فرغت عمارة القاعة المعروفة بالدهيشة من القلعة، وفرشت بأنواع البسط والمقاعد الزركش، وجلس فيها السلطان وبين يديه جواريه. فأكثر من الإنعام والعطاء، وكان قد اختص بالمملوك بيبغا الصالحى، وأمره وخوله فى نعم جليلة، وزوجه بابنة الأمير أرغون العلائى، وهى أخت السلطان لأمه، وعَمر له حوانيت خارج باب القرافة. وكثر استيلاء الجوارى والخدام على الدولة وعارضوا النائب، وأبطلوا ما أحبوا إبطاله مما يرسم به، حتى صار يقول لمن يطلب شيئًا: «رح إلى الطواشية ينقضى شغلك»، فإذا بلغهم ذلك أهدروا مكانته وردوا أفعاله.

وفى سابعه: توجه الأمير آقسنقر الناصرى لنيابة طرابلس، بعد موت الأمير طوغاى الطباخى، وقد تنكر السلطان له وتغير عليه.

وفى عشريه: رحل محمل الحاج من البركة، وقد قدم من حجاج المغاربة زيادة على عشرة آلاف إنسان، ومن حجاج بلاد التكرور[1] نحو خمسة آلاف نفر، وحج الطواشى عنبر السحرتى لالا السلطان، فى تجمل كثير.

وفيه أعاد الناصر أحمد الأمير طشتمر طلليه بجواب غير طائل، ومن غير أن يجتمع به. وقدم معه وبعده من الكركيين عدة أشخاص، فقرروا مع السلطان مخامرتهم على الناصر أحمد، وطلبوا إقطاعات عديدة لهم ولأصحابهم. فكتب لهم السلطان بها، وأعيدوا بإنعامات جليلة. فقدم الخبر بأن يوسف بن البصارة بعثه الناصر أحمد من الكرك ليحضر إلى مصر، فوجد قتيلا فى أثناء طريقه، واتهم الناصر أحمد أنه بعث من قتله خوفا منه أن ينم عليه لأخيه، وأحاط الناصر أحمد بموجوده، فوجد له أربعة وعشرين ألف دينار، وثلاثين حياصة ذهب، وثلاثين كلفتاه زركش، سوى لؤلؤ وقماش وغير ذلك. فوقع الاتفاق على أن يجرد السلطان إلى الكرك عدة عساكر من مصر والشام.

وفى يوم الإثنين ثامن ذى القعدة: قدم بالغ ومشايخ الكرك طائعين، فأنعم السلطان عليهم وعادوا فى حادى عشره، ومعهم عدة من المماليك السلطانية ليسلموهم قلعة الكرك.

وفيه رسم بتجريدة سابعة فيها الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى، والأمير كوكاى، وعشرون أمير طبلخاناة، وسته عشر أميرًا. وكتب بخروج عسكر من دمشق، ومعهم منجنيق وزحافات. وحمل السلطان إلى الأمير بيبرس الأحمدى ألفى دينار، وإلى كوكاى

---

(١) بلاد تنسب إلى قبيلة من السودان فى أقصى جنوب المغرب. انظر، معجم البلدان ٢/ ٣٨.

ألف دينار، ولكل أمير طبلخاناة أربعمائة دينار، ولكل أمير عشره مائتا دينار. وأرسل السلطان أيضًا مع الأمير بيبرس الأحمدى أربعة آلاف دينار لأجل من عساه ينزل من الكرك، وجهزت تشاريف كثيرة. وأقام الأمراء فى طريقهم نحو شهرين، وخرج معهم ستة آلاف رأس من البقر والغنم، ومائتا رأس جاموس ونحو ألفى راجل. فاستعد لهم الناصر أحمد، وجمع الرجال، وأنفق فيهم مالا كثيرًا وجمع الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك، وركب المنجنيق الذى كان بها.

وفيه قدم سليمان ابن مهنا بقوده، فخلع عليه.

وفى مستهل ذى الحجة: عرض السلطان الخيل ليختار فرسا يركبه يوم العيد، وأحضر عشرة من النقاراتية، فدقوا كوساتهم عند العرض. فظن العسكر أنها حربية، فركبوا تحت القلعة، وتجمعت العامة على عادتهم، وغلقت الأسواق. فركب إليهم نقيب الجيش، ولامهم على ركوبهم، وردهم.

وأخذت القالة تكثر حتى تنكرت قلوب الأمراء، وادخروا الأقوات خوفا من الفتنة.ولهجت العامة بقولهم: «يا ولد خرا للعيد» وغنوا به فى الأسواق. فتوهم السلطان من فتنة تكون يوم العيد، وهم ألا يصلى يوم العيد خوفا من طائفة تهجم عليه فى الصلاة من جهة أخيه رمضان واستعد لذلك. ثم بعث السلطان إلى أخيه رمضان، فقتله ليلة العيد، وصلى العيد وهو متحرز.

وفى هذه الأيام: أعيد ضمان الملعوب من العلاج والصراع واللكلم والسعاة، ونحو ذلك. وأعيد ضمان ابن البطونى، وضمن بزيادة عشرة آلاف درهم.

وفيها قبض بدمشق على الأمير آقبغا عبد الواحد فى عدة من الأمراء وسجنوا؛ لميلهم إلى الناصر أحمد.

وفيها اختلت مراكز البريد، فجمع لها ثمانمائة فرس، بعث السلطان منها مائتى فرس، وأخذ من كل أمير مائة أربعة أرؤس، ومن كل أمير طبلخاناة فرسين، ومن كل أمير عشرة فرسا واحدا، وأخذ من الموقعين عدة أفراس.

وفيها نهبت منية السيرج، وذلك أن جماعة من الفقراء المتعبدين بها أنكروا على النصارى بيعهم الخمر، وهم معظم أهل المنية، وبالغوا فى الإنكار حتى ضرب أحد الفقراء نصرانيا أسال دمه، ودخل إلى صلاة الجمعة بالجامع. فتجمع النصارى، وأتوا الفقراء بالجامع بعد الصلاة، وضربوهم، فثار المسلمون بهم، فأثخنهم ضربا، ومالوا

على بيوتهم فنهبوها. وتعدى النهب إلى بيوت المسلمين حتى بلغ الخبر إلى الأمير الحاج آل ملك النائب، فبعث الحجاب والوالى، فقبضوا على جماعة كثيرة، وردوا كثيرًا مما نهب، وحملوا الذين قبض عليهم، وفيهم عدة من الأجناد، فضربوا وسجنوا وقطعت أخبازهم. وأقامت المنية خرابا وبيوتها مهدمة نحو الشهرين، حتى عاد أهلها إليها.

وفى هذه السنة: نافق عربان الصعيد، واقتتلوا وقطعوا الطريق، فقُتِل بينهم نحو الألفي رجل. فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى، وقد استمال معه طائفة من أعدائهم يريد حربهم، فلم يثبتوا له وفروا منه، فاخذ لهم عدة جمال وخيول وسلاح.

وفيها احتربت الدعاجية[1] والسعديون[2]، فقتل بينهم خلق كثير جدًا، فركب إليهم الأمير أزدمر كاشف الوجه البحرى، وقتل منهم أعدادًا كثيرة.

وفيها كثر فساد فياض وقطعه الطرقات، فلم يطق الأمير سيف بن فضل ردّه ومنعه، لعجزه عن آل مهنا.

وفيها اشتد الحصار على الكَرك، وضاقت على الناصر أحمد ومن معه لقلة القوت عندهم. وتخلى عنه أهل الكرك، ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه، فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم.

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وعامة بلاد العراق، وبلغ الرغيف ببغداد دينارًا عراقيا، عنه ستة دراهم، والرطل اللحم بدينار ونصف.

وفيها استقر بيبغا ططر فى نيابة غزة، عوضا عن طرنطاى البشمقدار.

وفيها استقر طرنطاى حاجبا بالقاهرة.

وفيها جرد الأمير يلبغا اليحياوى نائب حلب عسكره لقتال ابن دلغادر، فلقيهم ابن دلغادر وكسرهم كسرة قبيحة. فركب يلبغا بعساكر حلب وسار إليه، ففر منه ابن دلغادر إلى جبل، وترك أثقاله فنهبها العسكر، وقتلوا كثيرًا من تركمانه، وظفروا ببعض حرمه، وتبعوه إلى الجبل، وصعدوه. فقاتلهم ابن دلغادر، وجرح أكثرهم. وأصيب فرس الأمير يلبغا بسهم قتله، وتقنطر عنه يلبغا وأخذ صنجقه ومن أسروه من حريم ابن دلغادر وما نهبوه له، وتمت الكسرة على العسكر فكتب السلطان بالإنكار على نائب حلب، وتعنيفه على ما فعله.

---

(١) الدعاجية بطن كبير من بنى حميدة بالكرك.

(٢) السعديون من قبائل مصر ويقيمون فى محافظة الشرقية بمصر.

وفيها استقر المكين إبراهيم بن قَزونيَة فى نظر دمشق، عوضا عن التاج ابن الصاحب أمين الملك. واستقر موسى بن التاج إسحاق فى نظر حلب، واستقر زين الدين محمد ابن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلة بن جابر المعروف بابن الصائغ الأنصارى الدمشقى، فى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن بدر الدين بن الخشاب، وعاد ابن الخشاب إلى القاهرة.

وكانت هذه السنة من أنكد السنين وأشدها؛ لكثرة الفتن وسفك الدماء ببلاد الصعيد ونواحى الشرقية وبلاد عرب الشام وبلاد الروم والكرك، وغلاء الأسعار بالعراق وكثرة الموتى عندهم، وزيادة النيل التى فسد بها الأقصاب والزراعات الصيفية. فلما أدرك الشعير هاف من السموم، وهاف كثير من الفول أيضًا وبعض القمح، وتحسن السعر حتى بلغ الأردب درهما، بعد ما كان بعشرة دراهم.

وفيها بلغت زيادة النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر أصبعا.

* * *

ومات فيها من الأعيان

زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح بن أبى المنا القناوى الشافعى، وقاضى قنا، وكان يتصدق فى السنة بألف دينار فى يوم واحد.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن عبد الحق[1]، قاضى القضاة الحنفية بديار مصر، وهو مقيم بدمشق.

ومات إبراهيم بن صابر المقدم.

وتوفى المحدث شهاب الدين أحمد بن على بن أيوب بن علوى المستولى، وقد جاوز الثمانين، حدث عن الأبرقوهى، وكان ورعا خيرًا.

---

(١) إبراهيم بن على بن أحمد، أبو إسحاق، برهان الدين، المعروف بابن عبد الحق الواسطى، ويقال له أيضًا ابن قاضى الحصن: فقيه حنفى محدث دمشقى. كان أبوه قاضى الحصن (بسورية) فعرف به. وهو سبط عبد الحق بن خلف الواسطى، نسب إليه. أشخص إلى القاهرة من دمشق سنة ٧٢٨هـ فولى قضاء الحنفية بالديار المصرية عشر سنين وعزل، فعاد إلى دمشق، فدرس وأفتى. وتوفى بها . من كتبه «نوازل الوقائع» فى الأخبار و «المنتقى» فى فروع الفقه و«مختصر السنن الكبير للبيهقى» خمس مجلدات. انظر الجواهر المضية ٤٢/١ والدارس ٦٠٦/١ والبداية والنهاية ٢١٢/١٤ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٤ والدرر الكامنة ٤٦/١ والأعلام ٥١/١.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن أبى الفرج الحلبى، بالقاهرة، حدث عن النجيب، والأبرقوهى، والرشيد بن علان وغيره، ومولده فى رمضان سنة خمس وستين وستمائة.

وتوفى المسند شهاب الدين أحمد بن كشتغدى المعزى.

ومات الأمير آقسنقر السلارى قتلا بحبس الإسكندرية، تنقل فى الخدم إلى أن ولى نيابة صفد ونيابة غزة، ثم نيابة السلطنة بديار مصر.

ومات الأمير ألطنبغا المارداني وهو فى نيابة حلب، وهو الذى أنشأ جامع الماردانى خارج باب زويلة.

ومات الأمير ألطنبغا العلمى الجاولى، الفقيه الشافعى، الأديب الشاعر، أصله مملوك ابن باخل، ثم صار إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولى، فعرف به، وعمله دواداره وهو نائب غزة، ثم تقلبت به الأحوال، حتى مات بدمشق فى ربيع الأول، وشعره جيد.

وتوفى شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السر بدمشق ومصر، فى ربيع الأول.

وتوفى علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بابن المستوفى المصرى ناظر الخاص بدمشق، سابع عشرى جمادى الآخرة، عن سبعين سنة بها، وكان كاتب قراسنقر، وله شعر.

ومات الأمير طوغاى الطباخى نائب حلب وطرابلس، فى شهر رمضان.

وتوفى شهاب الدين عبد اللطيف بن عز الدين عبد العزيز بن يوسف بن أبى العز، المعروف بابن المرحل، الحرانى الأصل، النحوى، بالقاهرة، وقد جاوز الستين.

وتوفى الشيخ المعتقد عبد الكريم فى ربيع الأول، ودفن بالقرافة.

وتوفى المسند المحدث علاء الدين على بن قيران السكرى، ومولده فى سنة ثمان وخمسين وستمائة.

ومات الأمير عيسى بن فضل الله بن أخى مهنا، ولى إمرة العرب بعد موسى بن مهنا، ثم عزل بسليمان بن مهنا، ومات بالقريتين، ودفن بحمص.

وتوفى تقى الدين محمد بن القطب عبد اللطيف بن الصدر يحيى بن أبى الحسن على ابن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكى، وهو أحد الفقهاء النحاة للقراء.

وتوفى الإمام شمس الدين محمد بن العماد أحمد بن عبد الهادى بن عبد المجيد بن

عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى[1] الحنبلى، فى جمادى الأولى بدمشق، عن تسع وثلاثين سنة.

ومات طغاى بن سوناى بالمشرق، قتلا.

ومات الأمير آقبغا عبد الواحد الأستادار، فى محبسه بالإسكندرية، وإليه تنسب المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع الأزهر.

وقتل الشيخ حسن بن دمرداش بن جوبان بن بلك، بتوريز فى رجب، وكان داهية صاحب حيل ومكر، وأفنى عدة كثيرة من المغل.

ومات طغاى بن سوناى. ومن أخباره أنه لما مات أبوه، ووثب بعده على باشا خان بوسعيد، حاربه طغاى حتى قتله، فقتله إبراهيم شاه بن بارنباى، يوم عاشوراء.

* * *

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى، شمس الدين، أبو عبد الله بن قدامة المقدسى الجماعيلى الأصل، ثم الدمشقى الصالحى: حافظ للحديث، عارف بالأدب. يقال له ابن عبد الهادى نسبة إلى جده الأعلى. أخذ عن ابن تيمية والذهبى. صنف ما يزيد عن سبعين كتاب. مات قبل بلوغ الأربعين. من كتبه «العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» و«المحرر». انظر حلاء العينين ٢٢ وبغية الوعاة ١٢/ والدرر الكامنة ٣٣١/٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٢١٠ وشذرات الذهب ١٤١/٦ والدارس ٨٨/٢ ودار الكتب ٥/ ٢٨٩ والأعلام ٥/ ٣٢٦.

سنة خمس وأربعين وسبعمائة

أهلت والعسكر فى حركة اهتمام بالسفر إلى الكرك، وقد تعين الأمير بغـا الفخـرى، والأمير قمارى، والأمير طشتمر طلليه، للتوجه بهم. وألزم السلطان كل أمير مائة مقـدم ألف بإخراج عشرة مماليك، ولم يوجد فى بيت المـال ولا الخزانـة مـا ينفـق عليهـم منـه، فأخذ مالا من تجار العجم ومن بيت الأمير بكتمر وجماعة آخريـن علـى سبيل القـرض، وأنفق فيهم.

وفى يوم السبت مستهل المحرم: قدم مبشر الحاج.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: خرج المجردون إلى الكرك

وفى رابع عشريه: قدم محمل الحاج، وقد قاسى الحاج فـى سـفرهم مشـقات كبـيرة من قلة المـاء وغـلاء الأسـعار، بحيـث أبيعـت الويبـة مـن الشـعير بـأربعين درهمـا عنهـا ديناران، والويبة الدقيق بخمسون درهما، والرطل البشماط بثلاثة دراهـم. وأبيـع الأردب القمح فى مكة بمـائتى درهـم، وبلـغ الجمـل بمنـى إلى أربعمائـة وخمسـين درهمـا؛ لقلـة الجمال. وكان من أسباب ذلك أن الشريف عجـلان بـن رميثـة خـرج إلى جـدة، ومنـع تجار اليمن من عبور مكة، فعز بها صنف المتجر، وهلك كثير من مشاة الحاج.

وفيه أقامت العساكر على محاصرة الكرك وقطع الميرة عنهـا، وكـانت أمـوال النـاصر أحمد قد نفدت من كثرة نفقاته، فوقع الطمع فيه. وأخـذ بـالغ - وهـو أجـل ثقاتـه مـن الكركيين - فى العمل عليه، وكاتب الأمراء ووعدهم أنه يسـلم إليهـم الكـرك، وسـأل الأمان. فكتب إليه عن السلطان أمان، وقدم إلى القاهرة كمـا تقـدم فـى السـنة الخاليـة، ومعه مسعود وابن أبى الليث، وهؤلاء أعيان مشايخ الكرك، فـأكرمهم السـلطان وأنعـم عليهم، وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضى، وكـانت جملـة مـا طلبه بالغ بمفرده نحو أربعمائة وخمسين ألـف درهـم فـى السـنة، وكذلـك أصحابـه، ثـم أعيدوا بعد ما حلفوا، وقد بلغ الناصر أحمد خبرهم، فتحصـن بالقلعـة، ورفـع جسـرها، وصاروا هم بالمدينة ومكاتباتهم ترد على العسكر. فلما ركب العسكر للحـرب وخـرج الكركيون، لم يكن غير ساعة حتى انهزمـوا منهـم إلى داخـل المدينـة، فدخلهـا العسـكر أفواجا واستوطنوها، وجدوا فى قتال أهل القلعة عدة أيام، والناس تنزل منهـا شـيئًا بعـد شىء، حتى لم يبق مع الناصر أحمد عشرة أنفس، فأقام يرمى بهم على العسـكر. وكـان

الناصر أحمد قوى الرمى شجاعا، إلى أن جرح فى ثلاثة مواضع. وتمكنت النقابة من البرج، وعلقوه وأضرموا النار تحته حتى وقع. وكان الأمير سنجر الجاولى قد بالغ أشد مبالغة فى الحصار، وبذل فيه مالا كثيرا، فلما هجم العسكر على الناصر أحمد، فى يوم الإثنين ثانى عشرى صفر، وجدوه قد خرج من موضع وعليه زردية، وقد تنكب قوسه وشهر سيفه. فوقفوا وسلموا عليه، فرد عليهم السلام وهو متجهم، وفى وجهه جرح وكتفه يسيل دمًا. فتقدم إليه الأمير أرقطاى والأمير قمارى فى آخرين، فأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذى كان به، وأجلسوه وطيبوا خاطره، وهو ساكت لا يجيبهم، فقيدوه ووكلوا بحفظه جماعة، ورتبوا له طعاما، فأقام يومه وليلته، ومن باكر الغد تقدم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئًا إلى أن سألوه فى أن يأكل، فأبى أن يأكل حتى يأتوه بشاب كان يهواه يقال له عثمان، فأتوه به فأكل عند ذلك.

وخرج ابن الأمير بيبغا الشمسى حارس الطير بالبشارة، وعلى يده كتب الأمراء فقدم قلعة الجبل يوم السبت ثامن عشريه، فدقت البشائر سبعة أيام. ثم قدم أيضا ابن الأمير قمارى، ثم بعده أرلان ومعه النمجاه.

ثم أخرج الأمير منجك السلاح دار ليلا من القاهرة على النجب؛ لقتل الناصر أحمد من غير مشاورة الأمراء، فوصل إلى الكرك. وأدخل منجك إليه مَن أخرج الشاب من عنده، وخنقه فى ليلة رابع ربيع الأول، وقطع رأسه. وسار منجك من ليلته ولم يعلم الأمراء ولا العسكر بشىء من ذلك، حتى أصبحوا وقد قطع منجك مسافة بعيدة فقدم منجك بعد ثلاث إلى القلعة ليلا، وقدم الرأس بين يدى السلطان، وكان ضخما مهولا له شعر طويل، فاقشعر السلطان عند رؤيته، وبات مرجوفا.

وفيه طُلب الأمير قبلاى الحاجب، ورُسم بتوجهه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها، وكتب بعود الأمراء والعساكر، وكانت مدة حصار الناصر أحمد بالكرك سنتين وشهرًا وثمانية أيام.

وكان جمال الكفاة قد تقدم فى الدولة تقدما زائدا، فإنه ولى الخاص ثم نظر الجيش، فباشرهما جميعا. وتمكن فى أيام السلطان الملك الصالح تمكنا عظيما، سببه أن السلطان اشتد شغفه بجارية مولدة يقال لها اتفاق، كانت تجيد ضرب العود، وأخذته عن عبد على العواد العجمى، فرتبه جمال الكفاة عند السلطان حتى صار يجلس معها عند السلطان.

وكان السلطان يخشى من الأمير أرغون العلائى، ولا يتجاسر أن يبسط يده بالعطا

لاتفاق، فأسر ذلك لجمال الكفاة، فصار يأتيه بكل نفيس من الجواهر وغيرها سرًا، فينعم به على اتفاق. وكذلك كان السلطان قد أسر للوزير نجم الدين هواه فى اتفاق، فكان أيضا يحمل إليه فى الباطن الأشياء النفيسة، ولا كما يحمله جمال الكفاة. فعلت رتبة جمال الكفاة، بحيث أن الوزير نجم الدين امتنع عن مباشرة الوزارة ما لم يكن جمال الكفاة يلاحظه. ثم رسم السلطان لجمال الكفاة أن يكون مشير الدولة، وكتب له فى توقيعه الجناب العالى، بعدما امتنع علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر من ذلك، وتوحش ما بينهما بسببه. فرسم السلطان أن يكتب له ذلك، فعظمت رتبته، وارتفعت مكانته إلى أن تعدى طوره، وأراد أن ينخلع من زى الكتاب إلى هيئة الأمراء، وأن يكون أمير مائة مقدم ألف، ولم يبق إلا ذلك. فشق على الأمراء هذا الأمر.

وكان جمال الكفاة قد تنكر عليه الأمير أرغون العلائى، بسبب إقطاع عينه لبعض أصحابه، فأجاب بأن السلطان قد أخرجه، فغضب العلائى وبعث إليه دواداره ومعه حياصة من ذهب، وأمره أن يقول له عنه: «أنت ما بقيت تعطى شيئًا إلا ببرطيل، وهذه الحياطة برطيلك، خذها واقض شغل هذا الرجل» فلم يسمح جمال الكفاة له بالإقطاع، وقام مع السلطان حتى عَرَف العلائى مشافهة بأنه هو الذى أخرج الإقطاع فأسرها العلائى فى نفسه، وأخذ يغرى به النائب الحاج آل ملك والأمراء، فمال معهم الوزير، وصاروا جميعهم واحدا عليه ورتبوا له مهالك ليقتلوه بها، منها أنه يباطن الناصر أحمد ويكاتبه، ويتصرف فى أموال الدولة باختياره، وقد ضيعها كلها، فإنه كان ناظر الجيش ومشير الدولة، وأنه يتحدث مع السلطان فى الأمراء، ويقع فيهم ويثلب أعراضهم عنده. وأخذ الوزير يعلم السلطان والعلائى بأن سائر ما يخبره السلطان به من محبته لاتفاق يخبر به الوزير، ونقل عنه من ذلك أشياء تبين للسلطان صحته. فانحطت بذلك مكانته عند السلطان، ورُسم بقتله بعد أخذ ماله، فقبض عليه فى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر، وعلى أولاده وزوجته. وقبض معه على الصفى الحلى موسى كاتب قوصون وناظر البيوت، وعلى الموفق عبد الله بن إبراهيم ناظر الدولة.

ونزل المجدى إلى بيت جمال الكفاة، وأوقع الحوطة عليه بما فيه، ونزل تمر الموساوى فأوقع الحوطة على بيت الصفى، وعنى الوزير بالموفق فلم يعاقب. ونوعت العقوبات لجمال الكفاة والصفى، وضربت أولاد جمال الكفاة وهو يراهم ضربا مبرحا بالمقارع، وعصرت نساؤه ونساء الصفى وأخذت أموالهم. فرفع خالد المقدم قصة للسلطان ذكر فيها أنه إن شد وسطه، وأقيم فى التقدمة، أظهر لهم مالا كثيرًا من مال جمال الكفاة. فطُلب ورسم بشدّ وسطه، ونزل إليهم، فأظهر لجمال الكفاة بتهديده إياه صندوقا فيه

ما قيمته نحو عشرين ألف دينار خالد، وكان مودعا بعض جيرانه بالمنشية، ولم يظهر له بعد ذلك شيء.

وفيه خلع على الضياء المحتسب، واستقر فى نظر الدولة عوضا عن الموافق، على كره منه لذلك.

وفيه قدم الأمراء من تجريدة الكرك، فاشتدت العقوبة على جمال الكفاة خشية من الشفاعة فيه، وضرب مائة وعشرين شيبا، وسلم لخالد المقدم فخنقه فى ليلة الأحد سادس ربيع الأول، ودفن فى يوم الأحد بجوار تربة ابن عبود. فكانت مدة مصادرته أحدا وعشرين يوما، ومدة مباشرته خمس سنين وشهرًا وأيام. وعوقب الصفى موسى عقوبة عظيمة، وعصر فى أصداغه، وضرب بالمقارع حتى أنتن بدنه كله، فلم يمت. وأفرج عن الموفق بواسطة الوزير، وخلع عليه فى اليوم المذكور، واستقر فى نظر الخاص، بعد ما عين العلائى علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور مستوفى الصحبة لنظر الخاص، فلم يتهيأ له لسفره ببلاد الشام.

وفيه خلع على أمين الدين إبراهيم بن يوسف السامرى كاتب طشتمر، واستقر فى نظر الجيش.

وفيه خلع على علم الدين بن مهلول، واستقر فى نظر الدولة عوضا عن الضياء المحتسب، لاستعفائه وعدم تناوله معلوم النظر، وأعيد الضياء المحتسب إلى نظر المارستان.

وفى يوم الخميس سابع عشره: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا.

وفيه قدم البريد من حلب باتفاق فياض وابن دلغادر أمير الأبلستين بمحاصرة قلعة طرنده، وأخذها من أرتنا وبها أمواله، ثم سيرهما إلى حلب. وطلب نائب حلب تجريد العسكر إليه، فرسم بتوجه الأمير مكتمر الحجازى، والوزير نجم الدين محمود، والأمير طرنطاى الحاجب، وخمسين مقدما من مقدمى الحلقة، بألف فارس من أجناد الحلقة، وجهزت نفقاتهم، ثم بطلت التجريدة.

وتوقفت أحوال الدولة من كثرة الإنعامات والإطلاقات للخدام والجوارى، ومن يلوذ بهم ومن يعنون به، فكثرت شكاية الوزير من ذلك. وكتب أوراق بكلف الدولة ومتحصلها، فكانت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم فى السنة، والمتحصل خمسة عشر ألف ألف درهم. وقرئت الأوراق على السلطان والأمراء، فرسم أن يستقر الحال على ما كان عليه إلى حين وفاة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبَطْل ما استجد بعده،

وأن تقطع توابل الأمراء والكتاب حتى الكماج السميذ. فعمل بذلك شهر واحد، وعادت الرواتب على ما كانت عليه حتى بلغ مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم، بعد ما كانت فى الأيام الناصرية ثلاثة عشر ألف درهم.

وبينا النائب جالس يوما إذ قدم له مرسوم عليه علامة السلطان، براتب لحم وتوابل وكماجتين سميذ، باسم ابن علم الدين. فقال النائب لصاحب المرسوم: «ويلك، أنا نائب السلطان قد قُطعت الكماجة التى لى، فعسى بجاهك تخلص لى كماجة»، وتزايد الأمر فى ذلك، فلم يمكن أحد رفعه.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك، وجُهِّز معه عدة صناع لعمارة ما انهدم من قلعتها، وإعادة البرج إلى ما كان عليه. ورُسِم أن يخرج معه مائة من مماليك قوصون وبشتاك الذين كان الناصر أحمد أسكنهم بالقلعة بالقاهرة، ورتب لهم الرواتب، وأن يخرج منهم مائتان إلى دمشق وحمص وحماة وطرابلس وصفد وحلب. فأخرجوا جميعًا فى يوم واحد، ونساؤهم وأولادهم فى بكاء وعويل، وسخروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها، فكان يومًا شنيعًا.

وقدم الخبر من ماردين[1] بأن فياض بن مهنا فارق ابن دلغادر، وقصد بلاد الشرق ليقوى عزم المغل على أخذ بلاد الشام. فمنعه صاحب ماردين من ذلك، وشفع إلى السلطان فيه أن يرد إليه إقطاعه الذى كان بيده قبل الإمرية، فقبلت شفاعته، وكتب برد إقطاعه المذكور.

وفيه كتب بطلب الأمير سيف بن فضل على البريد.

وفيه قام الأمير ملكتمر الحجازى فى خلاص الصفى موسى كتاب قوصون حتى أفرج عنه، وخلع عليه واستقر فى ديوانه، بعدما أشرف على الهلاك.

وفيه أفرج أيضًا عن أهل الأمير سيف الدين أيتمش الناصرى واستقر فى الوزارة عوضًا عن جمال الكفاة.

وفى خامس عشر ربيع الآخر: خلع على الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد، بطلبه الإعفاء لتوقف الحال.

وفيه قدم الخبر بوفاة حديثة بن مهنا، وأن أخاه فياض بن مهنا سار عن ماردين وكبس سيف بن فضل أمير الملا، فقتل جماعة من أصحابه، ونهب أمواله، وأسر أخاه.

---

(١) قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر معجم البلدان ٣٩/٥.

وفيه تنكر الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى على الأمير آل ملك النائب، بسبب أنه كان إذا قدم إليه منشور أو مرسوم بمرتب ليكتب عليه بالاعتماد ينكره من ذلك، وإذا سأله أحد إقطاعًا أو مرتبًا قال له: «يا ولدى رح إلى باب الستارة أبصر طواشى، أو توصل لبعض المغانى تقضى حاجتك» ودله بعض العامة على موضع تباع فيه الخمر والحشيش، فأحضر أولئك الذين يبيعونهما، وضربهم فى دار النيابة بالقلعة بالمقارع، وشهرهم، وخلع على ذلك العَامِى، وأقامه عنه فى إزالة المنكر، فصار يهجم البيوت لأخذ الخمور منها.

فلما كان يوم الإثنين ثامن عشرى ربيع الآخر: خلع على شجاع الدين غُرْلُو، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضًا عن نجم الدين. فمنع شجاع الدين ذلك الرجل العامى من التعرض للناس، وأدبه. فطلبه الأمير الحاج آل الملك النائب، وأنكر عليه منعه له فأحضر ذلك الرجل من الغد رجلا معه جرة خمر، فكشف النائب رأسه وصبها عليه، وحلق لحيته على باب القلعة بحضرة الأمراء، فعابوا عليه ذلك. وأخذ الأمير أرقطاى يلوم الأمير الحاج آل ملك النائب، وينكر عليه، فتفاوضا فى الكلام، وافترقا على غير رضى.

واتفق أن الأمير ملكتمر الحجازى كان مولعًا بالخمر، ويحمل إليه الخمر على الجمال إلى القلعة. فمرت الجمال بالنائب وهو بشباك النيابة، فبعث نقيبًا لينظر أين تدخل، ويأتيه بالجمال. فلما دخلت الجمال بيت الحجازى، وتسلم الشربدار ما عليها، وقد فطن الجمال بالنقيب، تغيب فى داخل البيت، وعرف الأمير ملكتمر الحجازى الخبر فأحضر الأمير ملكتمر النقيب، وضربه ضربًا مؤلما، فقامت قيامة الأمير الحاج آل ملك النائب، وتحدث مع الأمير أرغون العلائى فى الخدمة، وأنكر على الحجازى تعاطيه الخمر. فأتاه الحجازى وفاوضه مفاوضة كثيرة، وقام مغضبًا، والأمير أرغون العلائى ساكت، فلم يعجب النائب من العلائى سكوته، وانفضوا على غير رضى، فطلب النائب الإذن فى سفره إلى الحجاز، فرسم له بذلك ثم منع منه، وترضّاه السلطان حتى رضى وأبطل حركته للحج.

واتفق أن حسن بن الردينى الهجان قتل ليلا فى بيته بسوق الخيل من منسر كبس عليه، وقد خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس، فاتهم ولده بذلك عيسى بن حسن الهجان وبالغًا الأعرج، لعداوة بينهما وبين أبيه، فقبض عليهما إلى النائب، فعراهما وأراد أن يضربهما بالمقارع. فمازالا به حتى أمهلهما أياما عينها، ليكشفوا عن القاتل،

فسعيا بالأمراء حتى أفرج عنهما معارضة للنائب، ومنع من طلبهما. وأنعم على ولد حسن بإقطاع أبيه ووظيفته، فاشتد حنق النائب، وأطلق لسانه بالكلام.

وفيه قدم سيف بن فضل، فأكرمه السلطان، وكتب إلى نائب الشام بالقبض على أحمد بن مهنا إذا قدم عليه. وكان فياض قد بعثه ليأخذ له الأمان من السلطان، فيوم قدم دمشق أمسك هو وابن أخيه، وحبسا بالقلعة ترضية للأمير سيف. فجمع فياض عربه يريد أخذ دمشق، فجرد النائب له عشرة أمراء، فرجع عن مقصده. وبلغ ذلك الأمير آقسنقر الناصرى نائب طرابلس، فشق عليه سجن أحمد بن مهنا، فإنه كتب فيه للسلطان، وأنه ضمن دركه ودرك فياض. فأجيب آقسنقر بقبول شفاعته، ورسم بحضورهما إلى مصر، فاتفق من مكة ما اتفق.

وقدم الخبر بنفاق عربان الوجه القبلى، وقطعهم الطرقات على الناس، وامتداد الفتن بينهم نحو شهرين قُتل فيها خلق عظيم، وأن عرب الفيوم أغار بعضهم على بعض، وذبحوا الأطفل على صدور أمهاتهم، فقتل بينهم قتلى كثيرة. وأخربوا ذات الصفا، ومنعوا الخراج فى الجبال، وقطعوا المياه حتى شرق أكثر بلاد الفيوم، فلم يلتفت أمراء الدولة لذلك؛ لشغلهم بالصيد ونحوه.

وفيه نقل غُرْلُو من ولاية القاهرة إلى سد الدواوين، والدولة فى غاية التوقف. فاستجد غرلوا من الحوادث أن من طلب ولاية، أو شد جهة، يحمل مالاً بحسب وظيفته إلى بيت المال. وعرف غرلو السلطان أن هذا المال كان يحمل للناظر والمباشرين، وأنه تنزّه عن ذلك، وأظهر نهضة وأمانة.

وفيه قدم الخبر بكثرة فساد العشير ببلاد الشام، وقطعهم الطرقات؛ لقلة حرمة الأمير طقزدمر نائب الشام. فانقطعت طرقات طرابلس وبعلبك، ونهبت بلادهما. وامتدت الفتنة بين العشير زيادة على شهر، قتل فيها خلق كثير. ونحروا الأطفال على صدور أمهاتهم، وأضرموا النار على موضع احترق فيه زيادة على عشرين امرأة.

وفيه توقفت أحوال القاهرة من جهة الفلوس، وتحسن سعر أكثر المبيعات. وذلك أن المعاملة بالفلوس كانت بالعدد، فكثر فيها الفلوس الخفاق وانتدِب جماعة لشراء النحاس الخلق بدرهمين الرطل، وقصه فلوسًا خفافًا، فبلغ الرطل منها عشرين درهمًا. وصار الرصاص يقطع على هيئة الفلوس، ويخلط بها. وجُلب كثير من فلوس الشام وهى واسعة، فكانت تقطع ست قطع كل منها فلس، إلى أن أفحش ذلك، وكثر التعنت

فيها. فطلب السلطان المحتسب والوالى وأنكر عليهما، فقبضا على كثير من الباعة، وضربوا عدة منهم بالمقارع وشهروهم، فتحسنت الأسعار كلها. فألزم المحتسب سماسرة الغلال ألا يزيدوا فى سعر الغلة شيئًا، فلم يتجاسر أحد منهم أن يزيد شيئًا فى السعر. ثم نودى ألا يؤخذ من الفلوس إلا ما عليه سكة السلطان، وما عدا ذلك يؤخذ بحساب كل رطل درهمين، ولا يقبل فيه نحاس ولا رصاص. فشريت الفلوس، وأخذ منها ما عليه السكة السلطانية، وتعامل الناس بها عددًا، ووزنوا فى المعاملة الفلوس الخفاف بالرطل على حساب درهمين كل رطل، ففقدت بعد قليل. ثم ألزم الناس بحمل ما عندهم من الفلوس إلى دار الضرب، فضربت فلوسًا جددًا. و لم يكن فى الدولة حاصل يحمل لدار الضرب، كما هى العادة،؛ لتوقف أمرها.

وفيه قدم الأمير جركتمر الحاجب من كشف الغلال، وقد حصل من متوفر غلال العربان ببلاد الشام أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم.

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس على العادة.

وفيه قبض على المقدم خالد، ووقعت الحوطة على موجوده، وأخذ لسوء سيرته.

وفيه قدم رسول ابن دلغادر، وأخوه وابن عمه، بكتابه، وأنعم عليه بزيادة من أراضى حلب.

وفى نصف شعبان: قدمت الحرة، أخت صاحب الغرب فى جماعة كثيرة، وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام، وأن يدعوا لها الخطباء فى يوم الجمعة فى خطبهم، ومشايخ الصلاح وأهل الخير، بالنصر على عدوهم، وأن يكتب لأهل الحرمين بذلك. وذلك أن فى السنة الخالية كات بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة، قتل فيها ولده، ونصره الله بمنه على العدو، وقتل كثيرًا منهم، وملك منهم الجزيرة الخضراء. فعمر الفرنج مائتى شينى، وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين بالجزيرة، وأوقعوا بهم عى حين غفلة. فاستشهد عالم كبير، ونجا أبو الحسن فى طائفة من ألزامه بعد شدائد. وملك الفرنج الجزيرة، وأسروا وسبوا وغنموا شيئًا يجل وصفه، ثم مضوا إلى جهة غرناطة، ونصبوا عليها مائة منجنيق، حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها، وتهادنوا مدة عشر سنين.

وقدمت رسل البنادقة من الفرنج بهدية، وسألوا الرفق بهم والمنع من ظلمهم، وألا يؤخذ منهم إلا ما جرت به عادتهم، وأن يمكنوا من بيع بضائعهم على من يختارونه.

فرسم لناظر الخاص ألا يتعرض لبضائعهم، ولا يأخذ منها شيئًا إلا بقيمته، ولا يلزمهم بشراء ما لا يختارون شراءه، وأن يأخذ منهم على كل مائة دينار ديناران - وكانوا يؤدون عن المائة أربعة دنانير ونصف دينار - ليكثر الفرنج من بلادهم جلب البضائع.

وفى مستهل شهر رمضان: توقفت أحوال الدولة فى كل شىء، وعجز الوزير عن لحم المعاملين[١] وجوامك المماليك وسكرهم الجارى به العادة فى شهر رمضان. وكان السكر الجارى فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون ألف قنطار، فبلغ فى هذا الشهر ثلاثة آلاف قنطار ونيف، ولم يوجد فى بيت المال شىء لكثرة الزيادات فى الرواتب. وعز وجود السكر لتلاف القصب فيما مضى، فرسم بقطع راتب الأمراء والمماليك وأرباب الوظائف كلهم، ولم يصرف سكر إلا لنساء السلطان فقط.

وكتبت أوراق بكلف الدولة، فمنع جميع ما استجد بعد السلطان الناصر محمد وكتب بذلك مرسوم سلطانى، فتوفر فى كل يوم أربعة آلاف رطل لحم، وستمائة كماج سميذ، وثلاثمائة أردب شعير، وفى كل شهر مبلغ ألف درهم، وفى السنة عدة كساوى. وأضيف سوق الخيل والجمال والحمير إلى الدولة، وعُوض مقطعوها بأرض سيلا من أعمال الفيوم، وبناحية سنديون من القليوبية، وبناحية فيشة من الغربية، خلا ما هو فيها لقضاة القضاة، عوضًا عما كان لهم على الجوالى.

وفى هذا الشهر: خلع على تقى الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم بن مراحل، واستقر فى نظر دمشق. وكان قد طلب إلى مصر، عوضًا عن المكين إبراهيم ابن قروينة باستعفائه.

وفيه كتب بنقل ناصر الدين محمد بن المحسنى من طرابلس إلى دمشق، واستقراره فى وظيفة الشد رفيقًا لابن مراحل. فضبطا الجهات ضبطًا كبيرا، وقطعا من موقعى دمشق نحو العشرين قد استجدوا، ومنهم ابن الزملكانى، وابن غانم، وابن الشهاب محمود وأولاده، وجمال الدين بن نباتة المصرى[٢] وقطعا كثيرًا من البريدية، وحملا كسوة

---

(١) على هامش ط: المقصود هنا أرباب المعاملات التجارية الذين يمدون المطبخ السلطانى بمختلف الحوائج والمواد الغذائية.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباته: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته فى القاهرة. سكن الشام سنة ٧١٥ هـ وولى نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها. رجع إلى القاهرة سنة ٧٦١هـ. له ديوان شعر و «سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون» و«سجع=

المماليك على العادة، وهى ألفا ثوب بعلبكى سوى البطائن وغيرها.

وفيه مات بدوه الططرى، ففُرِّق إقطاعه على ثمانين من المماليك السلطانية ووفرت جوامكهم ورواتبهم، وأخرج عدة منهم إلى الكرك.

وفيه رُسم بعرض أجناد الحلقة على النائب، ليوفر منهم إقطاع الشيخ العاجز والجندى المستجد. فطُلب الأجناد من الأقاليم، ونودى من تأخر عن العرض قطع خبزه؛ فقام الأمراء فى ذلك حتى بطل.

وفى يوم الخميس تاسع عشريه: أفرج عن الأمير بيغرا، وعن الأمير قراجا والأمير أولاجا، من سجن الإسكندرية؛ وتوجهوا إلى دمشق. ثم رُسم لبيغرا بالإقامة بالقاهرة، وأنعم عليه بتقدمة ألف.

وفيه رُسم أن تكون نفقة المماليك والأوجاقية والأيتام بين يدى الطواشى المقدم فوفَّر منهم عدة.

وفيه أنعم على الأمير طرنطاى البشمقدار بإقطاع الأمير علم الدين سنجر الجاولى، بعد موته.

وفيه أنعم بإقطاع طرنطاى على الأمير بيبغا ططر نائب غزة، ورسم بحضوره.

وفيه خلع على الأمير علم الدين أيدمر الزراق، واستقر فى نيابة غزة؛ وأنعم بإقطاعه على ابن بكتمر الساقى.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير ألطنقش، بعد موته، على أرغون الصغير صهر أرغون العلائى.

وفيه توجه ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير طيبغا المجدى.

وفى مستهل ذى القعدة: قدمت خوند بنت الأمير طقزدمر نائب الشام، وزوجة السلطان الصالح إسماعيل، فدخل عليها.

وفى يوم الإثنين حادى عشريه: عزل الضيَّاء أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن محمد ابن خطيب بيت الآبار الشامى، من نظر المارستان المنصورى؛ واستقر عوضه علاء الدين بن الأطروش.

وفى يوم السابع من ذى الحجة: انفرد العلم بن سهلول بوظيفة نظر الدولة، بعد ما التزم بحمل ألف دينار لبيت المال.

=المطوق». انظر حسن المحاضرة ٣٢٩/١ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٢٢ وابن إياس ١/ ٢٢١ والدرر الكامنة ٤/ ٢١٦ والنجوم الزاهرة ٩٥/١١ والوافى ٣١١/١ والفهرس التمهيدى ٢٨٠ وطبقات الشافعية ٣١/٦ والأعلام ٧/ ٣٩.

وفيه عزل موسى بن التاج إسحاق، لتوقف حال الدولة، وكثرة تقلقه وكراهة الناس له، لظلمه وتغييره قواعد كثيرة.

وفيه قدم كتاب التاج محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنباى موقع طرابلس بحدوث سيل عظيم، لم يعهد مثله فيما تقدم.

وفيها كثر سقوط الثلج بدمشق حتى خرج عن العادة، وأنفقوا على شيله من الأسطحة ما ينيف على ثمانين ألف درهم، فإنه أقام يسقط أسبوعين.

وفيها زاد عاصفة حتى خرب عدة بيوت. وفيها تواتر سقوط البرد بأرض مصر، مع ريح سوداء، وشعث عظيم، وبرق ورعد سهول. ثم أعقب ذلك سمائم شديدة الحر، بحيث تطاير منها شرر أحرق رءوس الأشجار، وزريعة الباذنجان وبعض الكتان، حتى اشتد خوف الناس، وضجوا إلى الله تعالى. وجاء مطر غزير، ثم برَد فيه يبس لم يعهد مثله، فكانت أراضى النواحى تصبح بيضاء من كثرة الجليد؛ وهلك من شدة البرد جماعة من بلاد الصعيد وغيرها. وأمطرت السماء خمسة أيام متوالية حتى ارتفع الماء فى مزارع القصب قدر ذراع، وعم ذلك أرض مصر قبليها وبحريها، ففسدت بالريح والمطر مواضع كثيرة، وقلت أسماك بحيرة نستراوة وبحيرة دمياط، والخلجان وبركة الفيل وغيرها، لموتها من البرد.

فتلفت فى هذه السنة بعامة أرض مصر وجميع بلاد الشام بالأمطار والثلوج والبرد، وهبوب السمائم وشدة البرد، من الزروع والأشجار، والبائهم والأنعام والدور، ما لا يدخل تحت حصر، مع ما ابتلى به أهل الشام من تجريد عساكرها وتسخير أهل الضياع وتسلط العربان والعشير، وقلة حرمة السلطنة مصرًا وشامًا، وقطع الأرزاق وظلم الرعية.

وبلغت زيادة النيل فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعًا وسبعة عشر إصبعًا.

وفيه قدم سيف الدين بلطوا مبشرًا بسلامة الحجاج، فى خامس عشرى ذى الحجة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطى فى شعبان، ببرشانة من الأندلس؛ قدم القاهرة، وأخذ عن جماعة، وولى ببلده قضاء عدة مواضع.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق جلال الدين أحمد بن الحمام أبى الفضائل الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازى، عن بضع وسبعين سنة بدمشق.

ومات الأمير بدر الدين بكتاش نقيب الجيش، فى يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة، وكان مشكورًا.

ومات الأمير علم الدين سنجر الجاولى الفقيه الشافعى، فى يوم الخميس ثامن رمضان، ودفن بمدرسته فوق جبل الكبش؛ أصله من مماليك جاول أحد أمراء السلطان الظاهر بيبرس، ثم انتقل بعده إلى بيت السلطان المنصور قلاوون. وأخرج فى أيام الأشرف خليل إلى الكرك، فاستقر فى بحريتها. وقدم فى أيام السلطان العادل كتبغا إلى مصر بحال زرى، فسلمه كتبغا إلى مملوكه بتخاص، ليكون نائبه بالحوائج خاناه؛ وتنقل حتى قدمه الأمير سلار وقربه، ثم ولى نيابة غزة، وصار من أكبر أمراء مصر. وله مدرسة على جبل الكبش بجوار جامع ابن طولون، وجامع بقرية الخليل عليه السلام، وجامع بغزة، ومارستان وخان ببيان، وخان بقاقون؛ وله مصنفات وفضائل كثيرة.

ومات الأمير طقصبا الظاهرى، وقد أناف على مائة وعشرين سنة.

ومات الأمير ألطنقش أستادار السلطان الناصر محمد، وهو من مماليك الأفرم. فلما توجه الأفرم إلى بلاد التتار قدم هو إلى القاهرة، فقبض عليه وسجن، ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بإمرية طبلخاناه. ثم عُمل أستادارًا صغيرًا، مع أستادارية آنوك ابن السلطان الناصر محمد.

ومات الأمير أرغون عبد الله.

ومات الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار الناصرى، بطرابلس؛ ولى نيابة الإسكندرية، وكشفت الجيزة، ثم دوادارية السلطان الناصر محمد، وكان كاتبا شاعرا ضابطا.

ومات الأمير سنجر الجقدار أحد المماليك المنصورية، وقد أسنَّ.

ومات محمد شرف الدين الردينى الهجان، قتلا.

ومات الأمير طرنطاى المحمدى بدمشق، وهو أحد المماليك المنصورية قلاوون، وممن جملة من وافق على قتل الأشرف خليل. وسجن سبعًا وعشرين سنة، ثم أخرج إلى طرابلس أمير عشرة، ثم نقل إلى دمشق.

ومات الأمير بكتمر العلائى أحد المنصورية أيضًا، بعدما وُلى أستادارًا ونائب حمص، ونائب غزة، ثم نائب حمص، وبها مات.

ومات الأمير كندغدى الزراق المنصورى بحلب؛ وهو رأس الميسرة، ومقدم العساكر المجردة إلى سيس.

ومات الأمير بلبان الشمسى أحد المنصورية، بحلب.

ومات فتح الدين صدقة الشرابيني، عن مال ومعروف كثير، في يوم الأحد ثاني شوال.

ومات جمال الكفاة إبراهيم مشير الدولة وناظر الخاص والجيش، تحت العقوبة في ليلة الأحد سادس ربيع الأول. وكان أولا يباشر في بعض البساتين على بيع ثمرته، وتنقل في خدمة ابن هلال الدولة. ثم خدم بيدمر البدري - وهو خاصكي خبزه في محلة منوف - يكتب على باب إلى أن تأمر، فباشر عنده ثم قرره السلطان الملك الناصر محمد في الاستيفاء، ثم أقامه في ديوان الأمير بشتاك بعد موت المهذب إلى أن قتل النشو، فولاه نظر الخاص بعده. ثم أضاف إليه السلطان الناصر محمد نظر الجيش، عوضا عن المكين إبراهيم، فنهض بهما. ولاحظته السعود حتى انتقضت أيامه، فزال سعده، وعوقب حتى هلك. وكان يتحدث بالتركي والنوبي والتكروري وله مكارم كثيرة.

ومات خالد بن الزراد المقدم، في يوم الجمعة ثامن عشري جمادى الآخرة، تحت العقوبة؛ وكان ظالما.

وتوفي شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجدة بن حمدان المعروف بابن النقيب الشافعي[1]، قاضي القضاة بحلب، وهو معزول بدمشق، عن نيف وثمانين سنة.

وتوفي الشيخ أثر الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي[2]، إمام وقته في النحو والقراءات والأداب في ثامن عشرى صفر.

وفيه توجه طلب الأمير أرغون الكاملي إلى حلب.

---

(١) محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن، شمس الدين بن النقيب: مفسر، من قضاة الشافعية، دمشقي. ولي الحكم بحمص وطرابلس ثم بحلب، ودرس وتوفي بدمشق. له «عدة السالك وعدة الناسك» و«مقدمة في التفسير». انظر السعادة ٤٤٣/١ والدرر الكامنة ٣/ ٣٩٨ وطبقات السبكي ٤٤/٦ والأعلام ٦/ ٥٥.

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها بعد أن كف بصره. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه من كتبه «البحر المحيط» في تفسير القرآن، و«مجاني العصر» في تراجم رجال عصره. انظر الدرر الكامنة ٣٠٢/٤ وبغية الوعاة ١٢١ وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٢ ونكت الهميان ٢٨٠ وفهرس الفهارس ١٠٨/١ وغاية النهاية ٢/ ٢٨٥ ونفح الطيب ١/ ٥٩٨ وشذارت الذهب ٦/ ١٤٥ والنجوم الزاهرة ١١١/١٠ وطبقات السبكي ٦/ ٣١ والأعلام ١٥٢/٧.

وفيه قدم طلب الأمير أرقطاى مع ولده(١).

وفى يوم الخميس مستهل شعبان: خرج الأمير قبلاى الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشير.

وفى هذا الشهر: غير الوزير ولاة الوجه القبلى، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدوادارى.

وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم.

وفيه أعيد فأر السقوف إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مُخَلَّد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجونا إلى أن أفرج عن المحابيس فى أيام الصالح إسماعيل، فأفرج عنه فى جملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه الجهات بأسرها، وخلع عليه، ومنع مقدمى الدولة من مشاركته فى التكلم فى الجهات، ونودى له فى القاهرة ومصر، فزاد فى المعاملات(٢) ثلاثمائة ألف درهم فى السنة.

وفيه قدم الأمير قبلاى غزة، فاحتال على أدى حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله فاطمأنت العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أدى فى بنى عمه لتهنئة قبلاى بشهر الصوم فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بنى عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى على بن سنجر: بأنى قد قبضت على عدوك ليكون لى عندك يد بيضاء، فسُرّ سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أدى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم فى يوم الإثنين حادى عشره، فضُربوا على باب القلة بالمقارع ضربا مبرحا وألزم أدى بألف جمل ومائتى ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سُمِّر هو وبنو عمه فى يوم الإثنين خامس عشريه وقت العصر، وسيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوُسِّطوا بها. فثار أخو أدى، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله فى اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجى بذلك إلى القاهرة، فكتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٧١/١٠

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ١٠٥/١.

وفى مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفى هذا الشهر: فرغت القيسارية التى أنشأها تاج الدين المناوى، بجوار الجامع الطولونى، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتا.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالاً من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبان بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسم أن تكون مقررة لهم فى كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا، وحمل الأمراء من الغلال فى البحر إلى مكة عدة آلاف أردب.

وفى مستهل ذى القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجى نائب غزة بتفرق العربان، ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على البرسيم. فكبست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل. ووُجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم، فاستعمل الرجال فى العمائر حتى هلك أكثرهم.

وفى نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلى، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوجه الأمير آقجبا للمنوفية، وتوجه أراى أمير آخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون.

وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية (١).

وفيه طلب الأمير مغلطاى أمير آخور زيادة على إقطاعه، فكشف عن بلاد الخاص، فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور، وخرج باقيها للأمراء، وخرج أيضا من الجيزة ما كان لديوان الخاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات، وأن الحوائج خاناه فى الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون مرتبها فى كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم. فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها، فبلغ المتحصل فى السنة عشرة

---

(١) على هامش ط: جمع خوشكاشة ويعنى امرأة من موظفات القصر السلطانى.

آلاف ألف درهم، والمصروف بديوان الوزارة وديوان الخاص أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم، وأن الذى خرج من بلاد الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار. فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطاى أمير آخور، فإنه غضب وقال: «من يحاقق الدواوين على قولهم؟».

وفيه قدم طلب الأمير قطليجا الحموى من حلب، فوضع الوزير منجك يده عليه، وتصرف بحكم أنه وصىّ.

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزرّاق من حلب، باستدعائه، بعد ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألوف، فأجلس مع الأمراء الكبار فى الخدمة.

وفيه أخرج ابن طقزدمر إلى حلب؛ لكثرة فساده وسوء تصرفه.

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفى دينار.

وخرج الأمير صرغتمش أيضا، فأنعم عليه منها بألف دينار.

ثم توجه الأمير بيبغا روس النائب للسرحة، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار. وتوجه الأمير شيخو أيضا، ورسم له بثلاثة آلاف دينار.

وفيه أنعم على الأمير مغلطاى أمير آخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت [١] زيادة على إقطاعه، وعبرتها عشرون ألف دينار فى السنة.

فدخل الأمير شيخو فى سرحته إلى الإسكندرية، فتلقته الغزاة بآلات السلاح، ورموا بالجرخ بين يديه، ونصبوا المنجنيق ورموا به. ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة، وهى أن التاج إسحاق [٢] ضمن دكاكين العطر، وأفرد دكانًا لبيع النشا فلا تباع بغيرها، وأفرد دكانا لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها، وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس. فرسم بإبطال ذلك، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا، وكتب مرسوم بإبطال ذلك.

وفى مستهل ذى الحجة: عوفى علم الدين عبد الله بن زنبور، وخُلع عليه، بعد ما

---

(١) صَهْرَجْتُ: قريتان بمصر متاخمتان لمنية غمر شمالى القاهرة معروفتان بكثرة زراعة السكر وتعرف بمدينة صهرجت بن زيد، وهى على شعبة النيل، بينها وبين بنها ثمانية أميال. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١.

أقام أربعين يوما مريضًا، تَصدق فيها بثلاثين ألف درهم، وأَفرج عن جماعة من المسجونين.

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراقا بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى المحرم سنة خمسين وسبعمائة، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع - من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحرى وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضى الرزق - للخدام والجوارى وغيرهن سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمائة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء، وعبرة البلد ومتحصلها، وجملة عملها وقرئت على الأمراء، ومعظم ذلك بأسمائهم، فلم ينطق أحد منهم بشىء.

وفيه أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضًا.

وفيها أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن. وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصانا طوالا تخبّ أذيالها على الأرض، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرخته الواحدة منهن غطى رجلها، وعُرف القميص منها فيما بينهن بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهنّ فى ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك. فقام الوزير منجك فى إبطالها، وطلب والى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن.

ثم تحدث منجك مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة بحضرة السلطان والأمراء فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم، وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادى، وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم، وأن خفّ المرأة وسرموزتها بخمسمائة درهم. فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة التى يجب منعها، فقوى بفتواهم، ونزل إلى بيته، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى، حيث كان كثير من النساء، فهجموا عليهن، وأخذوا ما عندهن من ذلك.

وكبسوا مناشر الغسالين ودكاكين البابية، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء، وقطعها الوزير منجك. ووكل الوزير مماليكه بالشوارع والطرقات، فقطعوا أكمام النساء، ونادى فى القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره، وأنه متى وجدت امرأة عليها شىء مما منع أحرق بها وأخذ ما عليها.

واشتدّ الأمر على النساء، وقبض على عدة منهن، وأخذت أقمصتهن. ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وعلق عليها تماثيل معمولة على سور النساء، وعليهن القمصان الطوال، إرهابًا لهنّ وتخويفًا.

وطُلبت الأساكفة، ومنعوا من بيع الأخفاف والسراميز المذكورة، وأن تعمل كما كانت أولا تعمل، ونودى من باع إزارا حريرا أخذ جميع ماله للسلطان. فانقطع خروج النساء إلى الأسواق، وركوبهن حمير المكارية، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها. وامتنع الأساكفة من عمل أخفاف النساء وسراميزهن المحدثة، وأنكف التجار عن بيع الأزر الحرير وشرائها، حتى إنه نودى على إزار حرير بثمانين درهمًا فلم يلتفت له أحد، فكان هذا من خير ما عمل.

وفيه استقر جمال الدين يوسف المرداوى فى قضاء الحنابلة بدمشق، بعد وفاة علاء الدين على بن أبى البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا.

وفيه استقر نجم الدين محمد الزرعى فى قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبى السفاح.

وفيه توقف النيل، ثم زاد حتى كان الوفاء فى جمادى الآخرة. ثم نقص نحو ثلثى ذراع، وبقى على النقص إلى النوروز، وهو ستة عشر ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا. ثم ردّ النقص وزاد إصبعين، فبلغ ستة عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعا فى يوم عيد الصليب.

وفيه أضاع الولاة عمل الجسور، وباعوا الجراريف حتى غرق كثير من البلاد.

ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين، وغرموهم ما لم تجر به عادة؛ فشكى من الولاة للوزير، فلم يُلتفت لمن شكاهم.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شيخ الإقراء شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك بن جكو الهكارى بالقاهرة، عن ست وسبعين سنة، فى ثانى عشر جمادى الأولى. وكتب بخطه كثيرا، ودرس القراءات والحديث [1].

ومات النحوى شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد النسائى الأندرشى بدمشق، وله شرح سيبويه فى أربعة أسفار.

ومات مكين الدين إبراهيم بن قروينة بعدما ولى استيفاء الصحبة ونظر البيوت، ثم

---

(١) وكان: عالما فى القراءات، تعدى بالإقراء عدة سنين وانتفع به الناس. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

ولى نظر الجيش مرتين، وصودر ثلاث مرات، وأقام بطالا حتى مات[١].

ومات الأمير أرغون شاه الناصرى [٢] نائب الشام، مذبوحا، فى ليلة الخميس رابع عشرى ربيع الأول[٣]. رباه السلطان الناصر محمد بن قلاوون حتى عمله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية؛ ثم استقر بعد وفاته أستادارا أمير مائة مقدم ألف، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صفد؛ وولى بعدها نيابة حلب، ثم نيابة الشام. وكان جَفيفا [٤] قوى النفس شرس الأخلاق، مهابا جائرا فى أحكامه، سفاكا للدماء غليظا فحاشا كثير المال [٥]. وأصله من بلاد الصين، حُمل إلى أبو سعيد بن خربندا، فأخذه دمشق خواجا بن جوبان، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل جربان، وبعث به إلى مصر هدية، ومعه ملكتمر السعيدى [٦].

ومات الأمير أرقطاى المنصورى [٧]، بظاهر حلب، وهو متوجه إلى دمشق، عن نحو ثمانين سنة، فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى. وأصله من مماليك المنصور قلاوون، رباه الطواشى فاخر أحسن تربية، إلى أن توجه الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك كان معه. فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء، ثم سيره صحبة الأمير تنكز نائب الشام، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه، وأقام عنده مدة. ثم تنكر عليه السلطان الناصر محمد، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف، ثم نقله لنيابة صفد، فأقام بها ثمانى عشر سنة. وقدم مصر، فأقام بها عدة سنين، وجُرِّد إلى أياس. ثم ولى نيابة طرابلس، ومات الناصر محمد وهو بها. ثم قدم مصر، وقبض عليه، ثم أفرج عنه، وأقام مدة. ثم ولى نيابة حلب، ثم طُلب إلى مصر، فصار رأس الميمنة. ثم ولى نيابة السلطنة نحو سنتين، ثم أخرج لنيابة حلب، فأقام بها مدة. ثم نقل لنيابة الشام، فمات فى طريقه لدمشق، فدفن بحلب، وكان مشكور السيرة [٨].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١.

(٢) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبدالله الناصرى.

(٣) وقع فى النجوم «ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول» ١٠/١٩١.

(٤) الجيف اليابس من النبات، وجاءت فى النجوم «خفيفا قوى النفس» ١٠/١٩١ انظر محيط المحيط.

(٥) زاد فى النجوم «والحشم» ١٠/١٩١.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١،١٩٢.

(٧) هو الأمير الكبير سيف الدين أرقطاى بن عبدالله المنصورى، نائب السلطنة بالديار المصرية.

(٨) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢.

ومات الأمير ألجيبغا المظفرى (١) نائب طرابلس، موسطا بدمشق، فى يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر.

وقُتل معه أيضًا الأمير أياس (٢)، وأصله من الأرمن، أسلم على يد الناصر محمد ابن قلاون، فرقاه حتى عمله شاد العمائر، ثم أخرجه إلى الشام، ثم أحضره غرلو، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين. ثم صار حاجبا بدمشق، ثم نائبا بصفد، ثم نائبا بحلب، ثم أميرًا بدمشق، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره (٣).

ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفى (٤)، بعد ما عمى.

ومات قاضى الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح.

وتوفى نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن على القرشى الأصْفُونى الشافعى، بمنى فى ثالث عشر ذى الحجة. ودفن بالعلاء، وله مختصر الروضة وغيره (٥).

وتوفىّ قاضى القضاة علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى (٦)، فى يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة.

---

(١) هو الأمير سيف الدين ألجيبغا بن عبدا لله المظفرى .

(٢) هو الأمير فخر الدين إياس بن عبدا لله الناصرى .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢، ١٩٣.

(٤) هو الأمير طُقُتمُر بن عبدا لله الشريفى، وقد مات بعدما عمى ولزم داره، وكان من أعيان الأمراء. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥.

(٦) كان مولده فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة؛ وهو أخو العلامة تاج الدين أحمد، ووالد الإمامين العالمين : عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبدا لله، وعم العلامة محمد بن أحمد . وكان قاضى القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويا أصوليا لُغَويا . أفتى ودرس واشتغل وألف وصنف، وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه، وله نظم ونثر . وكان إمام عهده بلا مدافعة، لاسيما فى العلوم العقلية والفقه أيضا والحديث، وتصدى للإقراء عدة سنين وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية فى شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين البسامى، وحسنت سيرته ودام قاضيا إلى أن مات . وتوفى عوضه ولده جمال الدين عبدا لله. ومن مصنفاته - رحمه ا لله - كتاب «بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب ا لله العزيز من الغريب»، و«المنتخب فى علوم الحديث» «المؤتلف والمختلف» و«الضعفاء والمتروكون» و«الدرا النقى فى الرد على البيهقى» وهو جليل فى معناه. يدل على علم غزير، واطلاع كثير و«مختصر المحصل فى الكلام» و«مقدمة فى أحوال الفقه» و«الكفاية فى مختصر الهداية» وغيرها . انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٣، ١٩٤.

وله كتاب الرد النقى فى الرد على البيهقى وغيره، وله شعر، وكان الناصر محمد بن قلاوون يكره منه اجتماعه بالأمراء، وكان يغلو فى مذهبه غلوا زائدا.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق، علاء الدين على بن الزين أبى البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى، عن ثلاث وسبعين سنة.

ومات الأمير قطليجا الحموى أصله المملوك المؤيد صاحب حماة، فبعثه إلى الناصر محمد بن قلاوون، وترقى صار من جملة الأمراء. ثم ولى نيابة حماة، ونقل إلى نيابة حلب، فأقام بها أياما ومات، وكان سيىء السيرة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الأخنائى المالكى، فى ليلة الثالث من صفر [١].

ومات الأمير نوغيه البدرى والى الفيوم.

وماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهى زوجة الأمير طاز. وتركت مالا عظيما، أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملته فبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنها ألف دينار مصرية.

ومات علم الدين بن سهلول. كان أبوه كاتبًا عند بعض الأمراء، فخدم بعده أمير حسين بن جندر، ثم ولى الاستيفاء ونظر الدولة، شركة للموفق. ثم صودر ولزم بيته، وعمر دارا جليلة بحارة زويلة من القاهرة [٢].

وفيها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أبى حفص فى ذى القعدة، وكان قد قدم إلى تونس السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك بنى مرين صاحب فاس، ومَلَكَ تونس وإفريقية، ثم سار منها للنصف من شوال، واستخلف ابنه أبا العباس الفضل؛ فقام أبو العباس المذكور ومَلَكَ تونس مُلك أبيه.

* * *

---

(١) وكان مولده فى شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة وكان فقيها فاضلا بارعا. ولى شهادة الخزانة ثم تولى قضاء الإسكندرية، ثم نقل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القونوى . وحسنت سيرته. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

المحتويات